

حفظه الله

تفسير

الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أحوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نعم الدين علي بن سلطان المروي المكي الحنفي

الشهير بالملا علي القاري

المتوفى ١٠١٤ هـ

تحقيقه

الدكتور ناجي السويدي

المجلد الثاني

من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الزمر

مستورات
مكتبة دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تَقْسِيمٌ

المِثْلُ عَلَى الْقِتَارِ

المُسَمَّى

أَنْوَارُ الْقُرْآنِ وَأَسْرَارُ الْفُرْقَانِ

الْجَامِعُ بَيْنَ أُمُورِ عُلَمَاءِ الْأَعْيَانِ وَأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ ذَوِي الْعِرْقَانِ

تَأْلِيفُ

نُورِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ سُلْطَانَ الْمَرْوِيِّ الْمَكِّيِّ الْحَنْبَلِيِّ

الشَّهِيدِ: الْمَلَأَ عَلَيْهِ الْقَارِئُ

الْمُتَوَفَّى ١٤٤٠ هـ

عَقَبَهُ

الرُّكْتَزَانَا جَمْعُ التَّوَنِيرِ

الْمُجَرَّدُ النَّافِعُ

مِنْ أَوَّلِ سُحُوقِ الْأَنْعَامِ - إِلَى آخِرِ سُحُوقِ الرِّعْدِ



دار الكتب العلمية

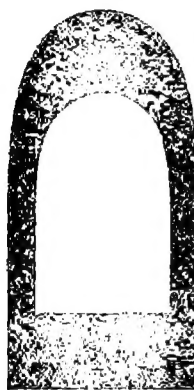
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah

DKI

أسستها من قبل بيت بيروت سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Saydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamed Ali Saydoun 1971 Beyrouth - Liban



baydoun@al-ilmiyah.com
sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
http://www.al-ilmiyah.com

الكتاب : تفسير المأ على القاري

Title : TAFSIR
AL-MULLA' ALI AL-QARI
AL-MULLA ALI AL-QARI'S
EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : المأ على القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author: Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor: Dr. Naji As-sauwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات (٥ مجلدات) : 2592

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2013 A.D.-1434 H. سنة الطباعة

Printed in: Lebanon بلد الطباعة : لبنان

Edition: 1st (2 Colors) الطبعة : الأولى (لونان)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيق الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

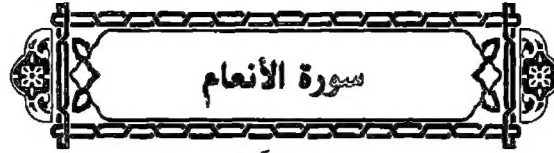
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel: +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804 813
P.O.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107-2290
عمرون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
بيروت-لبنان ١١-٩٤٢٤
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧-٢٢٩٠



ISBN 2-7451-7596-3

9 782745 175960



[مَكِّيَّة]

وهي مئة وخمس وستون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه باسمه استنارت القلوب واستقلت وباسمه زالت الكروب واضمحلت وبرحمته عرفت الأرواح وارتاحت وبالهيبه انخسفت العقول فطاحت ويقال بسم الله نال كل مؤمل سؤله وبرحمة الله وجد كل واجد وصوله.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام، الآية: 1] أي: وجد العلويات والسفليات وجمع السموات والأرض وهي مثلهن في الطبقات لظهور تعددها ولأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وزمانها.

وفي «دقائق الحقائق» قيل السموات سموات المعرفة والأرض أرض الخدمة وقيل حمد نفسه بنفسه حين علم عجز الخلق عن بلوغ حمده وقيل: حمد نفسه على ما بدا للخلق من مصالحهم ومعاشهم لغفلة الخلق عن ذلك ويشير إليه قوله ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الآية: 1] أي: أنشأها وأحدثهما وفيه تنبيه على أن الظلمة والنور لا يقومان بأنفسهما رداً على المثنوية⁽¹⁾ وجمع الظلمات لكثرة أسبابها من الأجرام الحاملة لها فإن لكل جرم ظلمة ولو في الجملة وليس لكل جرم نوراً ولأن المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد كما يومىء إليه قوله سبحانه ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: 257] وتقديمها لتقدمها في الوجود كما يشير إليه قوله

(1) الذين يثبتون إلهين اثنين إله النور وإله الظلمة. انظر: شرح منظومة الإيمان (1/155).

﴿وَأَيُّ لَهِمُّ أَيْلٌ نَسَلَتْ مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: 37] ويدل عليه قوله ﷺ
 238/ ب إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره/ فمن أصابه منه فقد اهتدى
 ومن أخطأه فقد ضل وغوى⁽¹⁾.

وقال بعضهم: إبداء الظلمات في الهياكل والأشباح والنور في القلوب
 والأرواح وقيل الظلمات الجهل والنور المعرفة وقيل جعل الظلمات في
 التدبير والنور في التفويض وتحقيق ذلك في كتاب التنوير لإسقاط التدبير ﴿ثُمَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 1] عطف على خلق على معنى أنه خلق الله
 ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم به يسوون ما لا يقدر على شيء مما يظنون كما
 قال تعالى ﴿إِشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191] ﴿أَمُوتُ غَيْرُ أَحْيَاءٍ
 وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 21] وثم لاستبعاد عدولهم بعد وضوح قدرته
 عند عقولهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بدأ بالثناء على نفسه فحمد ذاته بثنائه الأزلي
 وأخبر عن سنائه الصمدي وعلائه الأحدي فالذي إشارة وخلق السموات
 والأرض عبارة واستقلت الأسرار بسماع الذي لتحقيقها بوجوده ودوامها
 بشهوده واحتاجت القلوب عند سماع الذي يلي سماع الصلة لأن الذي من
 الأسماء الموصولة لكون القلوب تحت ستر الغيوب فقال ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] أي: خلق ظلمة الليل وضياء النهار
 ووحشة الكفر والشرك والعصيان ونور الاستبصار والإيمان والعرفان والإيقان
 والإحسان ويقال جعل الظلمات نصيب قوم لا بجرم سلف والنور يصيب قوم لا
 لاستحقاق سبق ولكنه حكم به جرى قضاؤه ثم ويقال جعل ظلمة العصيان محنة
 قوم ونور العرفان نزهة قوم.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية: 2] أي: بدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى
 وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه أولاً أو خلق أباكم منه أولاً ﴿ثُمَّ قَضَىٰ
 أَجَلًا﴾ [الآية: 2] أي: قدر مدة الموت لكل أحد وهو القيامة الصغرى فإن من

(1) تفسير البغوي (3/ 126)، وتفسير الرازي (1/ 110)، وتفسير النيسابوري (3/ 240).

مات فقد قامت قيامته⁽¹⁾ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 2] لا يعلمه إلا هو وهو أجل القيامة الكبرى كذا فسره ابن عباس وغير واحد من السلف وقال الحسن الأول ما بين الخلق والموت من مدة العمر والثاني ما بين الموت والبعث من مدة البرزخ فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق للجملة وقيل: الأول النوم والثاني الموت وقيل: الأول لمن مضى والثاني لمن بقي/ ولمن يأتي وقيل: أجلاً مدة 239/أ الدنيا وأجل مسمى عمر الإنسان كما روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُرُّونَ﴾ [الآية: 2] في أمر الساعة تشكون وثم استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحبيهم إلى آجالهم فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء أولاً كان قادراً على جميع تلك المواد وإحيائها ثانياً فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية برهان البعث.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت القوالب من الطين وأودعها عجائب السر وأظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالأصل الوصل قرينة والأصل تربة الأصل من حيث النطفة والقطرة والوصل من حيث القرينة والنصرة ثم قال وجعل للامتحان أجلاً ثم جعل للامتحان أجلاً فأجل الامتحان في الدنيا وأجل الامتحان في العقبى ويقال: ضرب للطلب أجلاً وهو وقت المهلة ثم عقبه بأجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها بدء ومنتهى والوصلة بلا بدء ولا منتهى فوقت الوجود له للابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد ثم يتسرمد فلا غروب لها بعد الطلوع.

﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ [الآية: 3] الضمير لله أو للذي خلق والله خبره وقوله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 3] متعلق باسم الله باعتبار المعنى الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: 84] ولولا هذا الاعتبار لم يصح أن يقال هو الله لأنه هو راجع إلى الله ولا يصح أن يقال الله إلا باعتبار معنى وصفي ومن أجل دفع هذه الشبهة قيل ضمير هو للشأن لا أنه

(1) المقاصد الحسنة (1/ 670) رقم (1183)، وكشف الخفا (2/ 279) رقم (2618).

راجع إلى الله ومحل معناه هو المعبود فيها أو المعروف بالإلهية فيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هو الله الذي هو معبود من في السماء ومقصود من في الأرض وهو الموجود قبل كل سماء وفضاء وظلام وضياء وشمس وقمر وعين وأثر وغير ﴿يَلْمُ سِرْكَكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَلْمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 3] من خيركم وشركم فيجازيكم بما ينفعكم ويضركم قيل أريد بالسر والجهر ما يخفى ويظهر من أحوال الأرواح وبالمكتسب أعمال الجوارح من الأشباح.

﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] من الأولى مزيدة للاستغراق 239/ ب والثانية للتبعيض وقيل: للتبيين والمعنى ما يظهر/ لكم دليل قط من الأدلة الواضحة في البرهان أو معجزة من المعجزات في مقام التبيان أو آية من آيات الله القرآن ﴿إِلَّا كَاوُأُ﴾ [الآية: 4] أي: الكفار ﴿عَنْهَا مُرْضِينَ﴾ [الآية: 4] أي: تاركين للنظر فيها غير ملتفتين إليها قيل: آياته في خلقه أولياؤه وأهل صفوته وعلمائه كذا في السلمي.

وقال الأستاذ: أي لا يزيدهم كشفاً ولطفاً إلا قابله جحداً وكفراً وعنفاً ولا يوليهم إقبالاً إلا قابله بإعراض يقتضي إدباراً وإملاًلاً ولا يلقيهم بسطاً إلا جازوه قبضاً.

﴿فَقَدْ كَذَبُوا بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: بالكلام الصدق ﴿لَنَا جَاءَهُمْ﴾ [الآية: 5] وهو القرآن أو بالنبي الصادق وهو نبي آخر الزمان حيث كذبوا به وبكتابه واستهزؤا بخطابه وتخويف عقابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية: 5] أي: سيظهر لهم ما كانوا يستهزؤون به عند نزول العذاب بهم في الدنيا أو العقبي أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمر كلمته العليا.

﴿إِنَّمَا يَرَوْا كَمَ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية: 6] أي: مبتدأ من قبلهم ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ [الآية: 6] أي: من أهل زمان بعض القرون والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل: ثمانون وقيل: مائة وهو الأظهر وعليه الأكثر ويدل عليه أنه عليه السلام قال في شأن أحد من الصحابة أن يعيش قرناً فعاش مائة وقيل: القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم قلت المدة أو كثرت ﴿مَكَثَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

[الآية: 6] جعلنا لهم فيها مكاناً أو قررنا لهم فيها شأناً أو آتيناهم من الآلات والقوى ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿مَا لَكُمْ لَكُمْ لَكُمْ﴾ [الآية: 6] أي ما لم نجعل لكم في السعة وطول المدة يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب ثم الالتفات في الكلام لدفع الإبهام ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] أي: المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها ﴿يَذَرَارًا﴾ [الآية: 6] مقداراً كثيراً الدر والصب ويستوى فيه المذكر والمؤنث ﴿وَجَعَلْنَا الْآنْهَرَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ [الآية: 6] عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والأزهار والأشجار والأثمار ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ [الآية: 6] أي: بأنواع من العذاب كالقحط والصواعق وغيرها ﴿يَذُوقُهُمْ﴾ [الآية: 6] أي: بسببها ولم يغن عنهم شيئاً تمكنهم فيها ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ [الآية: 6] أي: أحدثنا ﴿مِنْ بَدْرِهِمْ قَرْنًا ۚ آخَرِينَ﴾ [الآية: 6] بدلاً من المهلكين فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء الكافرين/. 240/أ

وقال الأستاذ: يعني من تقدمهم كانوا أشد تمكناً من إمهالنا وأكثر نصيباً في الظاهر من نوالنا، سهلنا لهم أسباب المعاش ووسعنا عليهم أبواب الانتعاش فحين وطنوا على كواذب المنى قلوبهم وأدركوا من أحوال الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من مكامن التقدير وأبرزنا لهم من غوامض الأمور ما قرعوا عليه من الندم وذاقوا دونه طعم الألم وأنشأ من بعدهم قرناً آخرين وأورثناهم مساكنهم وأمكناهم أماكنهم فلما انخرطوا في الغي عن مسلكهم الحقناهم في الإهلاك بهم سنة منا في الانتقام وأمضيها عن أعدائنا وعادة في الكرام أجزيها لأوليائنا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ [الآية: 7] مكتوباً في ورق ﴿فَلَسَّوْهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 7] أي: مسوه بأعضائهم وأدركوه بأجزائهم وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يطلق على الفحص كقوله ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ [الجن: 8] وتخصيص اللمس دون الاستماع والابصار لأن التزوير لا يقع فيه غالباً فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا والحاصل أن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة فإن أكثر السحر والتزوير في المرئي ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 7] في علم الله على ما أصروا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الآية: 7] لتعننتهم وعنادهم في الدين قيل نزلت

حين قالوا: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن كمال قدرته في بدء ما يريدونه بعد ما قضى لهم الضلال فلو أشهدهم كل دليل وأوضح لهم كل سبيل ما ازدادوا إلا تمادياً في الضلال والنفرة وانهماكاً في الجهل والغيبة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَلَكٌ﴾ [الآية: 8] أي: هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ أَلَمْرُ﴾ [الآية: 8] أي: أمر هلاكهم واستئصالهم فإن سُنَّةَ الله جرت بذلك فيمن قبلهم وهو أن من اقترح آية ولم يؤمن بها استوصلوا بالعذاب بعد نزولها أو لعدلوا إلى اقتراح أمر آخر يؤيد الأول قوله ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ [الآية: 8] أي: بعد نزوله طرفة عين لا يمهلون وقيل معناه لماتوا من هول رؤية الملك لِضعف القدرة 240/ ب البشرية عن رؤيتهم في الصورة الملكية وإنما/ رأهم كذلك أفراد الأنبياء بأقذارهم القدسية وأنوارهم الإنسية ويؤيده قوله:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ [الآية: 9] أي: لو قدرنا الرسول الذي أنزل معه ملكاً يشهد على صدقه ﴿لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الآية: 9] أي: في صورة رجل لعدم قدرتهم إلا على رؤية صورتهم كما مثل جبريل على شكل دحية في نظر الصحابة وقيل نزل جواباً لقولهم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ويدل عليه قوله ﴿وَلَلَّسْنَا عَلَيْهِمْ مَّا يَلْتَشَوْنَ﴾ [الآية: 9] أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ﴿قَالُوا مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: 15] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن العبرة بالقسيمة دون الاعتبار والحجة فما لا يغني السراج عن فقد الصبر كذلك ما يغني الحجج عن فقد عناية الأزل ومن لم يقدر سره لس عليه أمره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: 10] أي: استهزاء قومك بك بنحو الاقتراح منك مع التصميم على عنادك ﴿فَكَانَ﴾ [الآية: 10] أي: انحطاط ﴿بِالْآيَاتِ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 10] أي: من الرسل أو من الكفار ﴿مَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية: 10] حيث أهلكوا لأجله أو نزل بهم وبال استهزائهم وفي هذا تسلية له ﷺ وعلى ما يرى من قومه ووعيد لأعدائه.

وقال الأستاذ: أي سبقك يا محمد من كذب كما كذبت فحق لهم نصرنا فانتقمنا ممن ناوأهم فعاد إليهم وبال كيدهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 11] أي: بالأقدام أو بالفكر في الأعلام ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا﴾ [الآية: 11] أي: نظر اعتبار ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 11] كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا بالأحوال قيل معناه إباحة السير للتجار وسائر السالكين وإيجاب النظر في آثار الهالكين.

وقال الأستاذ: يعني قيل لهم دوخوا⁽¹⁾ الأرض وسيحوا بسيركم منها الطول والعرض ثم انظروا هل أفلت من حكمنا أحد وهل وجد من أمرنا ملتحداً ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 12] أي: ملكاً وملكاً وخلقاً وهو سؤال تبكيت في معرفة الخلاق ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 12] تقرير له وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سائلهم هل له في الدار دياراً وهل للكون في التحقيق عند الحق مقداراً فإن بقوا عن جواب يشفي فقل الله في الربوبية يكفي ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الآية: 12] أي: أوجبها على ذاته وأثبتها في صفاته والتزمها من تفضلاته فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله وقربه/ لديه وفي الآية إيماء⁽²⁾ إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي من قوله سبقت رحمتي غضبي والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ويشمل أهل الكوفين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بإنزال الكتب ونصب الأدلة وإرسال الرسل وإظهار المعجزة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر وحكم وأراد على حسب ما علم فمن تعلق بنجاته علمه وسبق بدرجاته حكمه ومن علمه في آزاله أنه يشقى فيقدر شقائه في البلاء يبقى ﴿لِيَجْمَعَ كُفُوكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: في القبور ﴿إِلَى يَوْمِ الْفَيْكَةِ﴾

(1) سبق تخريجه.

(2) استولوا عليها.

[الآية: 12] أي: وقت البعث والنشور فيجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية: 12] أي: في اليوم أو الجمع ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 12] بتضيق رأس مالهم من صرف أنفاسهم بغير ما ينفعهم في مآلهم لما ورد ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها والموصول مبتدأ خبره قوله ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 12] والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب على خسرانهم.

﴿وَلَمْ يَأْتِ فِي الْبَيْتِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية: 13] أي: والله سبحانه ما استقر في الأزمنة المتضمنة للأمكنة فسكن من السكنى وتعديته بقي كما في قوله ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [إبراهيم: 45] أو المعنى ما اشتمل الملوان عليه أو من السكون والمعنى ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر كما في قوله تعالى: ﴿سَرِيلَ نَفِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: 81] أي: والبرد ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] بكل مسموع ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من موجود ومعدوم.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن الحادثات لله ملكاً وبالله ظهوراً ومن الله بدءاً وإليه رجوعاً ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] لأنين المشتاقين ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بحنين الراجدين.

﴿قُلْ أَغْبَرُ اللَّهُ أَلْتَأْخِذُ وَلِيًّا﴾ [الآية: 14] نصب غير على أنه مفعول أول لاتخذوا والتقديم لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 14] أي مبدئهما ومبدعهما ومخترعهما لا عن مثال سبق فيهما وجره على أنه بدل من الله أو نعت له فإنه بمعنى الماضي ولذلك قرأ فظرف الإضافة معنوية فيكون معرفة فجاز أن يكون صفة لمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى المراد أَبْعَدَ ما أكرمني بجميل ولايته اتخذ ولياً غيره وَأَبْعَدَ ما وقع علي نظر عنايته أنظر في الدارين إلى أحد سواء إن هذا

وَلَا يُطْعَمُ ﴿الآية: 14﴾ أي: يرزق ولا يرزق أو ينفع ولا يجري النفع عليه وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج إليه وإلا فلا أحد إلا أنه يحتاج لديه وهو غير محتاج إلى أحد حتى في افتقار ما سواه إليه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه له نعت الكرم فلذلك يطعم وله حق القدم فلذلك لا يطعم ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الآية: 14] أي: من هذه الأمة أو من البرية حيث قال في الميثاق الأول قبل كل أحد بلى عند قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] أو في العهد الأول كما يشير إليه قوله كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد⁽¹⁾ ولقوله أول ما خلق الله نوري أو روعي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] عطف على أمرت أي: وقيل لي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] بي شركاً جلياً ولا خفياً والمراد تشبيته أو الخطاب والمقصود أمته.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 15] مبالغة أخرى في قطع طمعهم من أن يكون مثلهم في شركهم وعصيان ربهم والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة.

وقال الأستاذ: إني بعجزني متحقق ومن عذاب ربي مشفق وبمتابعة أمره متحقق ﴿مَنْ يُضِرِّكْ﴾ [الآية: 16] أي: العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَجِمُ﴾ [الآية: 16] أي: الله بمعنى أنعم عليه ونجاه وقرأ حمزة والكسائي وشعبة يصرف مبنياً للفاعل على أن الضمير فيه لله وقد قرئ بإظهاره والمفعول وهو العذاب محذوف أو يومئذٍ بحذف المضاف ﴿وَذَلِكَ﴾ [الآية: 16] أي: الصرف والرحمة بمعنى الإنعام ﴿الْفَوْزُ الْمُجِينُ﴾ [الآية: 16] أي: الظفر الظاهر عند أرباب اليقين.

وأفاد الأستاذ: أن من أدركه سابق عنايته صرف عنه لاحق عقوبته.

﴿إِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية: 17] أي: يصبك ببلية موحية لصبر كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ [الآية: 17] فلا قادر على كشفه وإزالته ورفعته ﴿إِلَّا هُوَ﴾

[الآية: 17] ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الآية: 17] أي: بنعمة مقتضية لشكر كصحة وغنى فلا قادر على بقاءه ولا ارتفاعه إلا هو وترك هذا الظهور بتقديره ولدلالة نظيره وإذا كان الأمر كذلك من غير تغيير ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] أي: من مس الضر ورفعه ومس الخير ودفعه فلا يقدر غيره على تغييره كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107] وفيه إيماء إلى أنه الداء والدواء وما سواه كالهباء في الهواء.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما ينجيك من البلاء من يلقيك في العناء إذ المنفرد بالإبداع واحد فالأغيار كلهم أفعال وأن/الإيجاد لا يحصل من الأفعال. 242/أ

وفي «نفائس العرائس» أي: ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ﴾ بضر الحجاب فلا كاشف لضره بك إلا ظهور مشاهدة جماله لك قلت ﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ﴾ بخير الخطاب فلا دافع لخيره بك إلا ظهور مشاهدة جلاله لك.

وقال الجنيد: معبودك أول خاطر يخطر لك عند نزول ضر وعناء أو ظهور بلاء إن رجعت فيه إلى الله فهو معبودك وهو الذي يكفيك وإن رجعت إلى غيره تركك وما رجعت إليه.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الآية: 18] تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة في جميع بلاده والمعنى أن قهره استعلى عليهم فهم مسخرون مقهورون فيما ينسب إليهم ﴿وَهُوَ الْكَرِيمُ﴾ [الآية: 18] في أمره وتدبيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] العالم بجميع ما يجري على وفق قضائه وتقديره قيل قهرهم على الإيجاد والإبداء كما قهرهم على الموت والفناء وقيل الأمر بالطاعة من غير حاجة والناهي عن المعصية من غير كراهة والمثيب من غير عوض والمعتاب من غير غرض لا يتشفى بالعقوبة ولا يتعزز بالطاعة كذا في «حقائق الدقائق».

وقال الأستاذ: علت رتبة الأحدية صفة البشرية فهذا لم يزل وهذا لم يكن فحصل ومتى يكون بقاء للحدثان مع وضوح سلطان التوحيد وما معه من البرهان.

﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَهَدَةٍ﴾ [الآية: 19] نزل حين قالت قريش يا محمد لقد

سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله نقله محيي السنة والواحي وغيرهما⁽¹⁾ والشيء يقع على كل موجود لا على المعدوم خلافاً للمعتزلة ويطلق عليه سبحانه بناءً على أن الشيء مصدر بمعنى الفاعل فالله شاء أراد ويقال أنه شيء لا كالأشياء.

قال الحسين: لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد في الأزل به ﴿قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ [الآية: 19] أي: هو شاهد ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 19] أي لأخوفكم بالقرآن أيها الحاضرون أو أهل مكة الموجودون ﴿وَمَنْ يَلْعَنَّ﴾ [الآية: 19] أي: وسائر من بلغه القرآن من الأسود والأحمر إلى يوم المحشر واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة لأن المقام مقامه أو من باب الاكتفاء بذكره عن ذكر ضده أو بناءً على الإشارة إلى البشارة في ضمنه.

وأفاد الأستاذ: أنه غلبت شهادة الحق سبحانه على كل شهادة فهم إذا أقبلوا يشهدون فلا يحيط بحقائق الشيء علومهم والحق سبحانه هو الذي/ لا 242/ ب يخفي شيء من أمورهم وفهومهم ثم أخبر أنه مبعوث إلى الكافة ومن سيوجد إلى يوم القيامة ﴿أَيُّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وإنكار واستبعاد للعدول عما تحقق ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ [الآية: 19] بما تشهدون من الأمر المتعدد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَحِيدٌ﴾ [الآية: 19] أي: وأنا له عابد بل ولا لغيره مشاهد ﴿وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 19] أي: به معه في العبادة واعتقاد الربوبية.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 20] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَمْرُقُونَ﴾ [الآية: 20] أي: الرسول الجليل بنعته المذكور في التوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ﴾ [الآية: 20] أي: بصفاتهم وأنبيائهم والمعنى أنهم متحققون في معرفته بحيث لا يشكون في رسالته فعدم إيمان بعضهم لعنادهم وحسدكم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 20] حيث هجروا كتابهم وتركوا خطابهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 20]

(1) تفسير الرازي (6/ 241)، تفسير أبي السعود (3/ 118)، تفسير البضاوي (1/ 398).

[20] واختاروا عذابهم وحجابهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أحاط علمهم بصدق المصطفى في نبوته لكن أدركتهم الشقاوة الأزلية فعقدت ألسنتهم عن الإقرار برسالته فجحدوه جهراً وعلموا صدقه سراً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 21] كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الآية: 21] أي: بكتبه وخوارق عاداته والمعنى لا أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بين الوصفين ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية: 21] أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 21] فكيف يفلح الأظلم منهم.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم الخذلان بلغ بالنكاية فيهم ما جسرهم على الإصرار على الكذب على الله ثم لم يستحيوا من اطلاعه ولم يخشوا من عذابه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية: 22] أي: العابد والمعبود وإنسهم وجنهم ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 22] تأكيداً وحال أي: مجتمعين والظرف منصوب باذكر مقدراً ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 22] أول ما نعاتبهم ﴿أَيْنَ شُرَاؤُكُمْ﴾ [الآية: 22] أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 22] أي: تزعمونهم شركاؤهم حينئذ يشاهدونهم في غاية من المهانة فالسؤال عنهم تقريع وتوبيخ لهم وقيل: تقديره أين شركاؤكم الذين تزعمون أنها تشفع لكم عند الإله حيث كانوا يقولون في حق الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه يجمعهم يوم الحشر والنشر ولكنه يفرقهم في الحكم والأمر فالبعث يجمعهم لكن الحكم يفرقهم.

﴿ثُمَّ لَوْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: عاقبة كفرهم وشركهم في الدنيا أو معذرتهم/ التي يتوهمون أن يتخلصوا بها في العقبي أو مآل محبتهم الأصنام ومآل إليه الهوى ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهُ رَبُّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 23] أي: إلا السبري عن سوى المولى وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتأنيث وفتنتهم بالرفع

على أنها الاسم والباقون بالنصب وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر بالتأنيث والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر وحمزة والكسائي بالتذكير والنصب وكذا بنصب ربنا على النداء أو المدح والحاصل أنهم يكذبون من فرط الحيرة والدهشة ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع في تلك الحالة كما يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون مع أنهم بالخلود موقنون وحينئذ يختم على أفواههم وتشهد عليهم ألسنتهم وجميع أعضائهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الذي أخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا ما كذبوا فيه أقسموا ولو كان لهم بالله علم لتحقيقوا بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ولا يخفى عليه شيء من أولاهم وعقباهم لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما فيه فضائحهم.

﴿أَنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 24] أي: في العقبي بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَصَدَّ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 24] أي: غاب وبطل في نظرهم ﴿مَّا كَانُوا يَقْرَأُونَ﴾ [الآية: 24] في حال كفرهم من إثبات الآلهة أو ادعاء الشفاعة والمعنى أن الخبرة أوقفتهم في عدم التمييز بين ما ينفعهم وما لا ينفعهم.

﴿وَمَنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 25] حين تلاوة ما نزل عليك ﴿وَحَمَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 25] أي: قلوب المستمعين أو قلوب جميعهم ﴿أَكِنَّةٌ﴾ [الآية: 25] أعطية ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ [الآية: 25] أي كراهة أن يفهموه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الآية: 25] أي: ثقلاً وصمماً مانعاً عن أن يسمعوه.

قال الواسطي: منهم من يستمع إليك أي: بنفسه ويتردد في ظلمات حسه ومنهم من يستمع منك نبأ فهو يتقلب في أنوار أنسه قال ابن عطاء: لأنه لم يجعل له سمع فهم الصواب وإنما جعل له سمع الخطاب.

وقال الأستاذ: بين أن السمع في الحقيقة سمع القبول وذلك عن عين اليقين يصدر لا من سمع الظاهر فلا عبرة به عند أرباب البصائر ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ووضع فوق بصيرته غطاء مغلق فالتلبيس لم يزد في ذلك إلا نفرة على نفرة ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا﴾ [الآية: 25] لفرط

عنادهم واستحكام تقليدهم بعد مشاهدتهم أنواع المعجزة للبشر كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الأصابع وتسييح الحجر وغيرها مما لا يحصى ولا يحصر.

243/ب قال الأستاذ: يعني/ من أقصته القسمة الأزلية لم ينعه الحيلة الأبدية ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ﴾ [الآية: 25] أي: بلغ تكذيبهم الآيات المفهوم من قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى أنهم ﴿إِذَا جَاءَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾ [الآية: 25] في حق الكتاب المبين ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 25] أي: أباطيل المتقدمين وأكاذيب السابقين.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] أي: عن الإيمان أو القرآن ﴿وَيَتَوَكَّنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] ويتباعدون عن ما يؤديهم إلى الإيقان والعرفان أو ينهون عن التعرض لرسوله وينأون عنه بعدم الإيمان به كأبي طالب ونحوه وهذا يدل على أنم مههورون وفي أسر تصرفنا مسخرون ﴿وَإِنْ يُهْلِكُونَ﴾ [الآية: 26] أي: ما يهلكون بذلك ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: وبال ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم أو ما يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم فالبهائم أحسن منهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة صعبة لمن يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتي ذلك سراً ويقال لما خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم أجراهم من ألقى حبالهم على غابرههم ويقال من أبعدته عن القسمة فضله لم يقر به فعله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ [الآية: 27] أي: حالهم عند الحساب ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الآية: 27] أي: عاينوا ما فيها من العذاب أو دخلوها وذاقوا أنواع العقاب لرأيت أمراً فظيماً وحالاً شنيعاً ﴿فَقَالُوا يَلَيْلًا نُّرَدُّ﴾ [الآية: 27] تمنينا الرجوع إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِإِثْمِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 27] عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني فالمعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين وقوله الآتي.

﴿وَلَيْسَ لَهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الآية: 28] راجع إلى مفهوم التمني من إرادة الإيمان وما تضمنته من الوعد به ونصبهما حمزة وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب.

وقال الأستاذ: يعني به حين ينجز للعبد ما وعده له من القربة ويشغل من شاء بنوع من القلة حتى لا يطلع أحد على محل الأسرار الإلهية ﴿بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُسْتَفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 28] أي: إضراب عن إرادة إيمانهم المفهوم من تمنيتهم والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنهم لو رودا لآمنوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ [الآية: 28] أي: إلى الدنيا بعد الوقوف على عقوبة العقبي/ وظهور أمر المولى ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 28] من الكفر والمعاصي لما سبق لهم من الشقاء بحكم القضاء ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ [الآية: 28] فيما وعدوا من أنفسهم بالقيام بحق الوفاء وترك الجفاء.

وفي «الحقائق» أي: ظهر لهم من عيوب أسرارهم ما كان يخفيه عنهم فإنه علمهم أي: وهم ما علموا أنفسهم ولا عرفوا ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن عذاب يوم الكشف ينتهك الأستار ويظهر الأسرار فكم من مجلل بثوب تقواه وحكم له معارفه أنه زاهد في دنياه راغب في عقباه محب لمولاه مفارق لهواه ينكشف الأمر على خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه وكم من منهتك ستره بما أظهر عليه ظن الكل أنه خليع العذار رهين الإعلال مشوش الأسرار ظهر لذوي البصائر جوهره وبرز من خفايا السر حقيقته ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 28] أخبر عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف كان يكون فقال: لو ﴿رُدُّوا﴾ أهل العقوبة إلى دنياهم ﴿لَعَادُوا﴾ إلى جحدهم وإنكارهم فكذلك لو ردّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم أقول بل عادوا إلى أحسن أفعالهم وأقوالهم وأنهم لصادقون في أقوالهم.

﴿وَقَالُوا إِنَّا هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الآية: 29] في العقبي.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الآية: 30] أي: سوء حالهم وقبح مآلهم ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 30] أي: حين سؤاله عن أفعالهم وتوبيخهم على أعمالهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَذَا﴾ [الآية: 30] أي: البعث للشواب والعقاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 30] بالأمر الثابت

على وفق الصواب ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الآية: 30] إقرار مؤكد باليمين بعد البلاء وانجلاء الأمر غاية الجلاء فلا يدفع عنهم العناء ﴿قَالَ قَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 30] ليوم الحساب.

قال الأستاذ: يا حسرة عليهم من موقف الخجل ومحل مقاسات الوجل وتذكر تقصير العمل فهم واقفون على أقدام الحسرة يقرعون أسنان الندم حين لا ندم ينفعهم ولا شكوى تسمع منهم ولا رحمة تنزل عليهم.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 31] إذ فاتهم نوال النعيم وأدركهم نكال الجحيم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ﴾ [الآية: 31] غاية للتكذيب لا للخسارة لأن خسرانهم ليس له غاية ومن مات فقد قامت له القيامة ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾ [الآية: 31] أي: تعالي فهذا أوانك لتأسف ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الآية: 31] أي: قصرنا في أمر الساعة بعدم الإيمان بها وفقد الاهتمام بشأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ 244/ب [الآية: 31] / تمثيلاً لاستحقاقهم أفعال الآثام أو تمثل ذنوبهم من بين الأنام بأقبح صورة وأنتن رائحة فتركب عليهم وتسوقهم إلى النار كما روي في بعض الأخبار والآثار ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُودُونَ﴾ [الآية: 31] أي: بش شيئاً يزورونه وزرهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يخسروا مالاً ولا مقاماً ولا حالاً ولكن كما قيل:

لعمرى لئن أنزفت دمعي فإنه لفرقة من أفنيت في ذكره عمري⁽¹⁾

المصيبة لهم والحسرة على غيرهم ومن لم يعرف جلال قدره متى يتأسف على ما يفوته من حديثه وأمره.

﴿وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَبِيبٌ وَلَهْوٌ﴾ [الآية: 32] أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو لأهلها تمنعهم عما يعقب منفعة أبدية وتلهيهم عما يوجب لذة حقيقية.

قال محمد بن علي: لعب لمن جمعه لهو لمن يرث عنه بعده.

وأفاد الأستاذ: أن ما يشغل عن الحق كونه فغير مبارك لونه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/224).

﴿وَلَلْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 32] أي: لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها بتمامها وقرأ الشامي ولدَارِ الْآخِرَةِ ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 32] أي: يجتنبون المناهي والملاهي ﴿أَفَلَا تَتَّقُلُونَ﴾ [الآية: 32] أي: لا يتأملون ولا يميزون بين الخير والشر فيما يفعلون وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على خطاب المخاطبين أو تغليب الحاضرين على الغائبين ولذا قال بعض العارفين فيه تعزية للفقراء بما حرموا عنها وتقريع للأغنياء بما ركنوا إليها.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ [الآية: 33] أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الآية: 33] أي: فينا أو فيك أو في كتابنا ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الآية: 33] وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف من الإكذاب والمعنى لا ينسبونك إلى الكذب لعلمهم بصدقك ﴿وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْعَدُونَ﴾ [الآية: 33] أي: يكذبون بكتابنا لما فيه من الآيات الدالة على وحدانيتنا وظلموا أنفسهم بإنكار آياتنا.

وأفاد الأستاذ: أن هذه تعزية للرسول ﷺ وتسلية فقال قد نعلم ما قالوا فيك وإنما قالوا ذلك بسببنا ولأجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل أن أوقعنا عليك هذا الرقم وكانوا يسمونك محمد الأمين وإنما أصابك ما يصيبك لأجل تحديثنا فغير ضائع لك هذا عندنا وحالك فينا كما قيل:

أشاعوا لنا في الحي أشنع قصة وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حرباً⁽¹⁾

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 34] أي: على منوالك ﴿فَصَبْرٌ عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرُوا﴾ [الآية: 34] فتأس بهم واصر فإن النصر مع الصبر ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لمواعيده/ التي من جملتها قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ ﴿وَلَن جُنْدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصفات: 171 - 172 - 173] وقيل: لا مغير لما أجرى به في الأزل بتغيير ظهورها في الأبد إذ الأزل الأبد عنده واحد بل ولا أزل ولا أبد حقيقة ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 34] أي: من أجنادهم ما يكفي للمعتبر بآثارهم.

وقال الأستاذ: يعني أن من سلك سبيلنا وصبر على ما أصابه من حديثنا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224) و(3/ 64) و(5/ 71).

فلا خسرت فينا صفقتهم ولا خفيت علينا حالتهم.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 35] أي: شق وعظم لديك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي: عن الإيمان بك وبما أنزل إليك ﴿إِنْ أَسْتَطَقْتَ أَنْ تَبَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 35] أي: تطلب سرباً ومنفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو تحت الثرى ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 35] أي: مصعداً تصعد فيه إلى السماء والثريا تأتيهم بآية أي: فتطلع لهم من الأرض أو فتنزل من السماء آية ملجئة لإيمانهم فافعل والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه أنه ولو قدر أن تأتيهم بآية من تحت الأرض أو فوق السماء بها رجاء لهدايتهم وفيه إيماء إلى أن الأمر كله لله كما أعقبه بقوله ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ [الآية: 35] وفقهم على سبيل رضى المولى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية: 35] أي: الغافلين عن هذا المعنى.

وأفاد الأستاذ: أنه ﷺ لفرط شففته عليهم استقصى في التماس الرحمة من الله لهم وحمل على قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فنون الأحزان فعرفه أنهم مبعدون عن القرية منكوبون بسالف القسمة ولو أراد الحق سبحانه أن يخفف عنهم أو لو شاء أن يهديهم لكان لهم مقيل في صدر الانبساط ومثوى على البساط ولكن من كبسته العزة لم تنعشه الحيلة.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمُونَ﴾ [الآية: 36] أي: إنما يجيب دعوتك ويقبل (نبوتك) الذين يسمعون كتابنا بفهم وتأمل نشأ لهم من أسماعنا وإحياء قلوبهم بنا وهؤلاء كالموتى غافلون عنا ﴿وَالْمَوْتَى﴾ [الآية: 36] أي منهم ومن غيرهم ﴿يَعْبُدُهُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 36] فينتبهون ويعلمون ﴿ثُمَّ لِيَوْمٍ﴾ [الآية: 36] أي: إلى إجزائه وحكمه ﴿يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 36].

قال ابن عطاء: أخبر الله تعالى أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب والجواب وأخبر أن الآخرين هم الموتى لقوله: ﴿وَالْمَوْتَى يَعْبُدُهُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 36].

245/ب - وأفاد الأستاذ: أن من فقد الأسماع في سرائره عدم توفيق/الاتباع لظواهره والاختيار السابق في متعلقاته غالب أي: فهو اللاحق.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الآية: 37] أي: آية معينة أو معجزة مقترحة لقولهم ﴿حَقَّقْ تَفْجَرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ [الإسراء: 90] الآيات ﴿قُلْ إِنْ أَلَّهِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً﴾ [الآية: 37] وقرأ ابن كثير بالتخفيف أي: آية مما اقترحوه بلسانهم أو آية ملجئة تضطرهم إلى إيمانهم كنتق الجبل لمن قبلهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 37] أن الله قادر على إنزالها وأن إنزالها يستجلب عليهم وبالها.

وأفاد الأستاذ: أنهم من جهلهم استزادوا من المعجزات ولم يعلموا أن المانع لهم من الإيمان بالآيات ما سكرت من بصائرهم لا ما توهموه من عدم دلائلهم.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 38] تدب على وجهها أو جوفها إلى ما تحت الثرى ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الآية: 38] أي: في جانب الهواء وجهة السماء ﴿إِلَّا أُمٌّ امْتَلَكُكُمْ﴾ [الآية: 38] محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها وإتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم والمبالغة المفهومة من من الزائدة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الأفراد لكون الواصفين من أوصاف الجنس دون النوع فيشعر بأن القصد فيهما إلى الجنس ولذا جمع الأمم للحمل على المعنى مع أفراد لفظ الدابة والطير فكأنه قال وما من دواب وطيور إلا أمم أمثالكم في أن أحوالها تشبه أحوالكم.

وقال الأستاذ: تساوت المخلوقات وتماثلت المصنوعات في الحاجة إلى المنشئ في حال الابتداء ثم في حال البقاء وكذلك في جميع الصفات النفسانية والنعوت الذاتية توقفت على الإيجاد والاختيار فما من شيء وأثر ورسم وطلل إلا وهو على وحدانيته شاهد ظاهر وعلى كونه في نفسه مخلوقاً دليل باهر ﴿مَا قَرَّبْنَا فِي الْأَلْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 38] ما أهملنا في اللوح المحفوظ شيئاً مما يجري في الأرض ولا في السماء من جليل وقليل وقبيح وجميل وجماد وحيوان وملك وإنسان أو في القرآن فإنه دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلاً أو مجملاً أو مجملاً لقوم يعلمون ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

[الآية: 38] أي: إلى جزائه وحكمه على وفق قضائه يبعثون ويجمعون جميع الأمم فينصف بعضها من بعض بمقدار الألم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ 246 أ [التكوير: 5] وكما ورد في الأحاديث أنه يأخذ للجماء من القرناء ما روي عن ابن عباس وغيره إن حشر البهائم موتها محمول على أن موتها يعقب حشرها لقوله تعالى حكاية عن الكفار أنهم حين يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد تراباً ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتُّ رَبِّبًا﴾ [النبا: 40] .

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 39] أي: المتلوة أو المصنوعة وقيل: المعنى لم يصدقوا إظهار كرامتنا على المقربين في حضرتنا ﴿صُفِّدُوا﴾ [الآية: 39] عن سماع آياته بسمع قبول ﴿وَبُيِّنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 39] أي: عن نطق بحق وصدق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 39] أي: خابطون في ظلمات أنواع الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد وهو كناية عن عمى البصيرة فكأنه قال وعمى عن مشاهدة الحق وهذه الصفات حقيقة في حقهم يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُيِّنَ لَهُمْ مَا وَدَّعُوا مِنْهُمْ جَهَنَّمَ﴾ [الإسراء: 97] والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين فاتتهم العناية الأزلية سد الحرمان أسماهم وغشى الخذلان أبصارهم والإرادة لا تعارض والمشية لا تراحم والله المتعال غالب في جميع الأحوال ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ﴾ [الآية: 39] أي: يخذله فيميته على الكفر ويعذبه بنار الفرقة والحرقة ﴿وَمَنْ يَشَأِ يُجَمِّلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 39] أي: يرشده إلى الهدى ويحفظه من الردى ويميته على الإيمان فيدخله الجنة ويقربه إلى مقام الوصلة.

﴿قُلْ﴾ [الآية: 40] أي: للكفرة ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ [الآية: 40] أي: أخبروني عن هذا الأمر القريب والشأن العجيب ﴿إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ [الآية: 40] أي: كما أتى من قبلكم ﴿أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ﴾ [الآية: 40] أي: نفخة القيامة بالفرض والتقدير عندكم ﴿أَغْيَرِ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 40] أي: في صرف العذاب عنكم وهو متعلق الاستخبار والمتضمن للتوبيخ والإنكار ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 40] أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تدعونها في تلك الحالة ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 40]

[41] أي: بل تخصصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع من نحو قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَاظِمٌ لِّدَعْوِ اللَّهِ مَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32] وتقديم المفعول لإفادة التخصيص وبل للانتقال من حال إلى حال بدون الإبطال ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 41] أي: ما تدعونه إلى كشفه ودفع ضره ﴿إِنْ شَاءَ﴾ [الآية: 41] أن يتفضل عليهم في الدنيا ولكن لم يشأ كشف عذابهم في العقبى كما أخبر عنه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ/ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ 246/ب [النساء: 48] ﴿وَنَسَوْنَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ [الآية: 41] أي: ما تشركون مع الله أو تتركون حينئذ عبادة ما سواه.

قال الجريري: مرجع العارفين إلى الحق أوائل البدايات ومرجع العوام إليه بعد الإيلاس من الحق في أواخر النهايات.

وقال الأستاذ: يعني إذا مسكم ضرٌّ أو نابكم أمرٌ مرٌّ فممن ترومون كشفه ومن الذي تأملون لطفه أمخلوقاً شرقياً أو شخصاً غربياً أو ملكاً سماوياً أو عبداً أرضياً ثم قال: ﴿بَلْ إِلَٰهُهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 41] أي: أنكم وإن ترددتُم بنفوسكم أو فكرتم طويلاً بقلوبكم لم تجدوا من دونه أحداً ولا عن حكمه ملتحداً فتعودون إليه في استكشاف الضر واستلطاف الخير والبر كما قيل:

وترجعني إليك وإن تنائت ديارى عنك معرفة الرجال⁽¹⁾

وكما قيل:

قد تركناك والذين تريد فعسى أن تملهم فتعود⁽²⁾

وإذا جربت الكل وذقت الحلو والمر أفضى بك الضر إلى بابه والالتجاء إلى جنبه فإذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الذل والاضطرار فإنه يفعل ما يريد ويحكم ما شاء إن شاء أتاح اليسر وأزال العسر وإن شاء ضعف الضر وعوض الأمر وإن شاء ترك الحال على ما قبل السؤال والابتهاال ﴿وَلَدَّرَ أَرْسَلَنَا﴾ [الآية: 42] أي: رسلاً ﴿إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية: 42] أي: إلى طوائف

(1) نسب إلى مسلم بن الوليد. انظر: زهر الآداب (1/ 451)، والتذكرة الحمدونية (2/ 54).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 48).

كائنة من قبل ظهورك ومقدمة من قبل نورك والفاء في ﴿فَاخَذْنَهُمْ﴾ [الآية: 42] فصيحة أي: فكفروا وكذبوا رسلهم ﴿فَاخَذْنَهُمْ بِالْأَسْأَةِ﴾ [الآية: 42] أي: بشدة الفقر والحاجة والضراء أي: مضرة المرض والآفة ﴿وَالضَّرَّةَ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الآية: 42] يتذللون لنا ويتنادون بنا ويعتمدون علينا.

وقال ابن عطاء: أخذنا عليهم الطرق كلها ليرجعوا إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن سالف سنّته في إبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم وما أحل بمن خالفه من أنواع الألم وأصناف النقم.

﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ [الآية: 43] معناه نفى تضرعهم لديه مع قيام ما يدعوهم إليه ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 43] أي: ما رقت فيما تضرعت لأن قساوة القلب توجب مباحدة الرب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 43] فأصروا عليه فلا يتوبون.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما أظلمهم البلاء فلو رجعوا بجميل التضرع والثناء وحسن الابتهاال/ والتملق بالدعاء لكشفنا عنهم المحن ولأتحننا لهم المنن 247/أ ولكن صدهم الخذلان عن العقبي فأصروا على تمردهم في متابعة الهوى فقسّ قلوبهم بترك عبادتهم وتضاعفت أسباب شقاوتهم.

﴿فَلَمَّا سَوَا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 44] من البلاء الموجب للولاء ولم يتعظوا بالبأساء ﴿فَتَحَنَّنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 44] من أنواع النعماء مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسرء وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء وابتلاء بالقبض والبسط والفناء والبقاء ورتبة بصفة الجلال ونعت الجمال من إظهار الكرم والكبرياء أو استدراجاً ليكون الأخذ أفضع والهلاك أشنع لما روي أنه عليه السلام قال مكروا ورب الكعبة⁽¹⁾ ويؤيده قوله ﴿حَقَّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ [الآية: 44] أي: أعجبوا بما أعطوا وحسبوا أنهم أكرموا ولم يقوموا بحق النعمة والشكر عليها كما

(1) انفرد به الملاء علي.

لم يستقيموا في وقت المعنة حيث لم يصبروا فيها ولم ينظروا في كل حالة إلى المبلى بها ﴿أَعَذَّنَهُمْ بِقَتْلِهِ﴾ [الآية: 44] فجأة تعقب حسرة ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الآية: 44] متحيرون في وادي الغفلة وآيسون من بوادي الرحمة وقانطون من حصول التوبة لما خامر قلوبهم من وصول الوحشة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 45] أي: أصلهم أو آخرهم بحيث لم يبق منهم عين ولا أثر ولم يرو عنهم حديث ولا خبر ﴿وَلَحْمُ الْفَالِغِينَ﴾ [الآية: 45] على إهلاك الظالمين الذين من شؤمهم يقطع الرحمة على العامة حتى تحزن الطير في وكره والسماك في بحره واليوم في بره ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الآية: 46] أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ﴾ [الآية: 45] بأن أصمكم وأعماكم ﴿وَحَنَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 45] بأن أغواكم في طريق هواكم ﴿مَنْ إِلَّا عِزُّ اللَّهِ يُنَازِعُكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 45] أي: بما أخذ من الأعضاء ويخلصكم من البلاء والعناء.

قال الترمذي: إن أخذ الله سمعكم عن فهم خطابه وأبصارهم عن الاعتبار بصنائع قدرته وختم على قلوبكم بسلب معرفته عنكم هل يقدر أحد فتح باب من هذه الأبواب سواء كلا بل هو المبدى بالنعمة فضلاً والتمم في الانتهاء كرمًا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفهم محل عجزهم وحقيقة حاجتهم في القدرة القديمة لدوام فقرهم وضرهم فقال: إن لم يدم عليهم نعمة أسماعهم وأبصارهم ولم يوجب لهم ما أيسهم من القوافي لكل وجه في كل لحظة فمن الذي يهب/ ما سلبه أو يضع ما منعه أو يعيد ما نفاه أو يرد ما أيداه كلا بل هو الله ولا رب سواه قلت ولهذا المعنى ورد في الدعاء اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا⁽¹⁾

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْأَيَاتِ﴾ [الآية: 46] نكررها ونبينها تارة من جهة المقدمات العقلية والنقلية وأخرى من جهة الترغيب والترهيب في الأمور الدينية

(1) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (2/351) رقم (445)، والطبراني في الدعاء (535/1) رقم (1911).

والأخرية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يعرضون عنها ولا ينتفعون منها.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَقْتَةً﴾ [الآية: 47] أي: فجأة من غير مقدمة بل على غفلة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ [الآية: 47] معاينة بظهور أمانة وعلامة وقيل: ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ [الآية: 47] أي: ما يهلك به ﴿إِلَّا أَلْقَوْمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: على أنفسهم بالكفر والمعصية.

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 48] المؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 48] الكافرين بالحرقة والفرقة ﴿فَمَنْ أَمَنَّ﴾ [الآية: 48] اتقن علمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 48] عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 48] من حلول العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 48] بفوات الثواب وقال بعضهم من أخلص باطنه وأصلح ظاهره فلا خوف عليهم من القنوط عن الوصلة ولا هم يحزنون من جهة القطيعة.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَسْمُومُ الْعَذَابُ﴾ [الآية: 49] يصيبهم ألم العقاب وندم الحجاب ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 49] بسبب خروجهم عن الطاعة من كل باب.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ [الآية: 50] مقدوراته في خلقه أو خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الآية: 50] أي: ما لم يوح إليّ فأخبركم بكل ما سيكون وهو عطف على عندي والمعنى ولا أقول أعلم الغيب فلا زائدة لتأكيد النفي والمبالغة وقيل: عطف على لا أقول ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِيَّيَّكَ﴾ [الآية: 50] أي: من جنس الملائكة أو أقدر على ما تقدرون عليه بنحسب العادة ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 50] أي: تنبرأ عن دعوى ما تستبعده العقول الرضية من دعوى الألوهية والملكية وأدعى النبوة التي هي من الكيمالات البشرية... لاستبعادهم دعواه وتصميمهم على فساد مدعاه.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إني لا أتخطئ خطي ولا أتعدي حدي وإنما يقال لي بلغت وما حمل عليّ أوصلت ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية: 50] مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم.

وقال الأستاذ: هل يتشاكل الضوء والظلام وهل يتمثل/ الجحد والتوحيد 248/أ ﴿أَفَلَا تَنْفَكُّوْنَ﴾ [الآية: 50] فتهتدوا بأنهم لا يستون.

﴿وَأَنْذِرْ بِهِ﴾ [الآية: 51] أي: خوف بما يوحى إليه وهو القرآن الذي أنزل عليه ﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَيْ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 51] أي: هول يوم حشرهم وطول وقوفهم لحسابهم واحتمال عذابهم وهم المؤمنون المفرطون فيما يعملون فإن الإنذار ينفعهم فيتعظون لا المنكرون ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ﴾ [الآية: 51] يتولى أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يشفعهم بغير إذنه إن أراد العذاب بهم والجملة في موضع الحال من ضمير أن يحشروا ﴿لَهُمْ يَنْفَكُونَ﴾ [الآية: 51] لكي يتقوا عن كفرهم وكفرانهم.

قال أبو عثمان: أهل المعاملات وأرباب الصدق في المجاهدات خائفون في ذلك مما يبدو منهم من الإيمان والعرفان والتوكل والإيقان وأنواع والبر والإحسان وعرض ذلك على ربهم يشغلهم خوفه عن رؤية شيء من أعمالهم في آمالهم أو من التلذذ بها أو الاعتماد عليها.

وقال أبو سعيد الخراز: أي أُنذرهم أن يحيلوا إلى وسيلة غيري أو شفيعاً إلى نفسي سواي.

وأفاد الأستاذ: أن الإنذار إعلام بمقام الخوف وإنما خص الخائفين بالإنذار كما خص المتقين بإضافة الهدى إليهم حيث قال ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] لأن الانتفاع والاتباع بالتقوى والإنذار أخص بهم ويقال: الخوف هاهنا العلم وإنما يخاف من علم فإن القلوب التي هي غطاء الجهل فلا تباشرها طوارق الخوف وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يعني كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا معتمد لهم من أفعالهم ولا مستند من أحوالهم ولا يؤملون شيئاً سوى صرف العناية وخصوص الرحمة.

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية: 52] أي: شوقاً إليه واعتماداً عليه ﴿بِالْفَنَاءِ وَالْحَيَاتِ﴾ [الآية: 52] أي: يذكرونه على الدوام أو يصلون المكتوبات في الليالي والأيام ولا يشغلهم شاغل من الأنام ﴿رِجَالٌ لَا لِيَهُمْ بَعْدُ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ

اللَّهُ [النور: 37] والحضور عن الحضرة في الغدوة بعزم خدمته إلى العشية وفي العشية بعزم خدمته إلى الغدوة حتى تكون أوقاتهم مسرمة بغير فترة فكانوا أصحاب المراقبة وأرباب المشاهدة.

وفي «العرائس» فيه لطيفة شريفة حيث وصفهم بالحضور بالغدو والآصال لا على تسرمد الأحوال لترويحهم سويكات بأحكام الظاهر لإصلاح البال 248/ ب وهذا منة منه كي لا يحرقهم بنيران محبتهم ولا يزيلهم حدة إرادتهم ﴿يُرِيدُونَ/ وَجْهَهُ﴾ [الآية: 52] أي: يدعون ربهم حال كونهم مخلصين موحدين ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] أي: حسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم ﴿فَتَقَرَّبُوهُمْ﴾ [الآية: 52] بالنصب على جواب النفي أي: فتبعضهم من قربك ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَقْلَامِينَ﴾ [الآية: 52] جواب النهي روي أن كفار قريش وصناديد المشركين قالوا: لو طردت هؤلاء الأعداء يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وجناباً جلسنا إليك وحادثناك فقال: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 114] قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك قال: نعم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلت حتى تنظر إلى ماذا يصيرون فدعى بالصحيفة وبعلي كرم الله وجهه ليكتب فنزلت هذا وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن المريد قال صفته ما ذكر الله في كتابه المجيد ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ [الآية: 52] الآية وهو دوام ذكر وإخلاص عمل من البداية إلى النهاية وقد أوصى الله بهذه الآية أكابرهم في التعطف عليهم والصفح عن زللهم والتلطف بهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذه وصية له ﷺ في باب الفقراء والمستضعفين وذلك أنه لما قصر لهم لسان المعارضة واستدفاع ما كانوا بصده من إخلاء الرسول عليه السلام مجلسه عنهم سكنوا متضرعين لقلوبهم بين يدي الله داعين له بحسن الابتهاال فتولى الحق سبحانه خصميتهم فقال: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الآية: 52] أي: لا تنظر يا محمد إلى حرقهم على ظواهرهم وانظر إلى حرقتهم في سرائرهم ويقال: كانوا مستورين بجلالتهم فشهروهم بأن أظهر قصتهم ولولا أنه سبحانه قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الآية: 52]

فشهد لهم بالإرادة وإلا فمن كان يتجاسر أن يقول: إن شخصاً مخلوقاً يريد الحق سبحانه والتحقيق أن الإرادة احتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل إلى الله فصاحب الإرادة لا يهدأ ليلاً ولا نهاراً ولا يجد من دون وصوله إليه سبحانه سكوناً ولا قراراً ويقال: تقيدت دعوتهم بالغداة والعشي لأنهما من الأعمال الظاهرة والأعمال الظاهرة مؤقتة ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة والأحوال الباطنة/ مسرمة غير مؤقتة ويقال: 249/أ أصبحوا ولا سؤل لهم من دنياهم ولا مطالبة من عقابهم ولا هم سوى حديث مولاهم فلما تجردوا لله تمحضت عناية الحق لهم فتولى حديثهم وقال: ولا تطردهم يا محمد قال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك بل كل يتولى الحق سبحانه وتعالى حسابهم فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه وإن كان شراً فهو مقاسيه.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: كما فتننا أحوال الناس في أمر الدنيا ﴿فَتَنَّا﴾ [الآية: 53] أي: ابتلينا ﴿بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 53] في أمور الدين فقدمننا هؤلاء الفقراء على أكابر الكفار والأغنياء ﴿يَقُولُوا﴾ [الآية: 53] أي: الرؤساء ﴿أَهْوَآءَ﴾ [الآية: 53] أي: الضعفاء ﴿مَنْ أَلَّهُ﴾ [الآية: 53] أنعم عليهم ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [الآية: 53] بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا وهو إنكار منهم بأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق وسبق الخير لهم في طريق الصدق كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو العلة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: بمن يقع منه الشكر والإيمان فيوقفه وبمن يصدر منه الكفر والكفران فيخذله.

قال الحسين: قطع الخلق بالخلق عن الحق فقال فتننا بعضهم ببعض.

وقال أبو بكر الوراق: هو فتنة الرجل بولده وزوجته والاشتغال بهم وبأسبابهم وقد ذكر عن بعض السلف أنه قال ما شغلك عن الله فهو شؤم وهو بلاء وفتنة وسبب به ملوم.

وقال الأستاذ: أما الفاضل فليشكر وأما المفضول فليصبر.

وفي «نفائس العرائس» الفقير الصادق إذا امتنَّ الله عليه بمعرفته وكشف

مشاهدته وكسائه رداء هيئته يكون مبعجلاً عند جميع خلقه لبروز نور جلال الله من وجهه فحيث يحيي يقوم العالم بحقه لصولة حاله وغلبة وجده ولطائف كلامه وشرائف مرامه ويكون سالب قلوب الخلق بما يجري علي أحكام ربوبيته فيظهر لهم منه سنى كراماته ولطيف آياته فيحسد عليه أهل الدنيا من المغرورين بمزخرفاتها الواقعين في ورطاتها ويقولون عند العامة أهؤلاء الذين لهم آية وكرامة وأرادوا بذلك صرف وجوه الناس عنه إليهم حسداً عليهم فأجاب الله رغماً لأنوفهم ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: هو تعالى يعلم صدقهم وإخلاصهم في كرمهم وجودهم وبذل وجودهم شكراً لإنعامه وحمداً/ لما منّ عليهم من إكرامه حيث خصهم بالدرجات الرفيعة والحالات الشريفة المنيعة وفي الآية نكتة أخرى وهي أن فتنة الفقير طمعه إلى الغني وفتنة الغني بغضه للفقير لثلا يؤدي حقه.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 54] أي: بالقرآن ﴿فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ [الآية: 54] أي: أمرهم بأن يبدأهم بالتسليم عليهم ويبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة ربه وكمال فضله لهم بعد النهي عن طردهم إيذاناً بأنهم الجامعون بين فضيلتي العلم والعمل بسبب الإيمان والقرآن ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في العقبى.

قال الواسطي: برحمته وصلوا إلى عبادته لا بعبادتهم وصلوا إلى رحمته وقيل: سلم أنت على الذين يؤمنون بآياتنا فإننا نسلم على الذين آمنوا بنا بلا واسطة وذلك قوله ﴿سَلِّمُوا قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: 58].

وأفاد الأستاذ: أن السلام السلامة أي: فقل لهم سلام عليكم منا سلمتم في الحال عن الفرقة وفي المآل عن الحرقه ثم أن وكل بك من كتب عليك الذلة فقد تولى بنفسه لك كتابة الرحمة وكتابه لك أزلية وكتابه عليك وقتية والوقتية لا تبطل الأزلية ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمُ سُوْءًا﴾ [الآية: 54] أي: سيئة وهو استئناف لتغير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح على البدل منها وقوله:

﴿يَهْجُرُونَ﴾ [الآية: 54] في موضع الحال أي: من عمل سيئة جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضرة ومتلبساً بفعل الجهلة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنْ بَدُوِهِ﴾ [الآية: 54] أي: بعد العمل أو السوء ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 54] أي: عمله أو أخلص توبته وأحسن أمله ﴿فَأَنَّهُ عَفَّورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 54] أي: يغفره ويرحمه البتة فجواب الشرط محذوف والمذكور دليله أقيم مقامه وقرأ الشامي وعاصم بالفتح على إضمار مبتدأ أو خبر أي: فأمره أو فله غفرانه البتة وعلى كل دلت الآية على أن لزوم المغفرة لا يكون إلا بالتوبة وأما المغفرة من غير التوبة فهي تحت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: يعني من تعاطى شيئاً من أعمال الجهال ثم سوف في الرجوع والأوبة في الحال أو الاستقبال قابلناه بحسن الإمهال وجميل الإفضال فإذا عاد بتوبته وحسرتة أقبلنا عليه بلطف وقبول في رحمته.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 55] أي: مثل/ ذلك التفصيل الواضح والتبيين اللائح 1/250 ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 55] التي يحتاج الناس إلى بيانها في الأوقات في القرآن المبين ببيان صفة المطيعين والمجرمين المصيرين منهم والأوابين ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 55] أي: نفصل الآيات ليظهر الحق للكاملين ولتستبين سبيل المجرمين وقرأ نافع بالخطاب ونصب سبيل أي: ولتستوضح يا محمد سبيلهم وتعرف طريقتهم فتعامل كلاً منهم بما يحق له وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل ومن هنا كان عليه السلام ييدر أصحابه بالسلام⁽¹⁾ رواه الترمذي.

وقال الأستاذ: نزيل الإشكال ونوضح طريق الاستدلال وتطلع شمس التوحيد وتمد أهله بحسن التأييد وتسم قلوب الأعداء بوسم الخذلان ونذيقهم شؤم الحرمان لئلا يبقى لأحد عذر في حال ولا في الطريق إشكال.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ [الآية: 56] أي: صرقت وزجرت بما نصب لي من أدلة

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 154) رقم (1430)، والطبراني في المعجم الكبير (22/ 155) رقم (414).

التوحيد وبما كشف لي من حقائق التفريد ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 56] أي: عن عبادة ما سواه بخلاف من اتخذ إلهه هواه ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُفُّوا عَنْ هُوَ﴾ [الآية: 56] أي: لا أوافق آرائكم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ [الآية: 56] أي: إن اتبعت رضاكم ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 56] في أمر الدنيا والدين.

وقال الأستاذ: يعني صرح بالاعتراف بجميل ما خصصناك به من وجوه العصمة وصنوف النعمة وأخبرهم أنك في كنف الإيواء تتقلب وفي قبضة الصون تتصرف فلا للهوى علي سلطان ولا لي في محل التحقيق تباعد ولا عن الحضور غيبة.

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: 57] أي: بصيرة واضحة وحجة لائحة من الحجج العقلية والأدلة النقلية ﴿مِنْ رَبِّي﴾ [الآية: 57] أي: من جهته أو من معرفته ﴿وَكَذَّبْتُمْ بِهِ﴾ [الآية: 57] أي: بربي حيث أشركتم به غيره أو بما بين لي من توحيده وتفريده.

وقال الأستاذ: قل الله سبحانه لم يغادرني في فقر الطلب والتماس التحير وأغواني عن كد الاستدلال وروحني بشموس التحقيق ولئن بقيتم في ظلمة الالتباس فليس لي قدرة على إزالة ما ابتليتم به من التحير ونفي ما امتحتتم به من الجهالة والتردد ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ [الآية: 57] يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم ﴿فَأِنَّا يَمَّا تَهَدُّنَا إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف: 70] ﴿إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 57] أي: في إنزال العذاب وإيصال الثواب ﴿يَقْضُ الْحَقُّ﴾ 250/ب [الآية: 57] أي: يبينه ويظهره/ ويميزه ويعينه ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ﴾ [الآية: 57] أي: الغارقين بين الخطأ والصواب وما يتفرع عليهما من العقاب والثواب وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقض الحق من القضاء وهو مرسوم بدون الياء والمعنى يقضي القضاء الحق ويحكم الحكم الصدق بما يقضي ويحكم من تأخير وتعجيل وهداية وتضليل وهو خير الحاكمين وأرحم الراحمين.

﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي﴾ [الآية: 58] أي: في قدرتي ومكنتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ [الآية: 58] من العذاب ﴿لَقَضَى الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 58] قبل يوم

الحساب ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 58] أي: ما يليق لهم من حصول الإمهال أو نزول العقاب.

وقال الأستاذ: يعني لو قدرت على إبداء ما طلبتم من إقامة البراهين لكم لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم علي شفقة عليكم لكن المتفرد بالحكم هو الله فلا يعارض فيما يريد مما سواه.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ [الآية: 59] أي: خزائنه جمع مفتاح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستفاد من المفاتيح الذي هو جمع مفتاح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرئ مفاتيح.

وفي البخاري⁽¹⁾ مفاتيح الغيب خمس ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: 34] الآية والمعنى أن التوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها.

﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 59] فيظهرها على ما اقتضت حكمته وتعلقت به مشيئته.

وأفاد الأستاذ: أن المفتاح ما يرتفع به الغلق فالذي يحصل به مقصود كل أحد قدرة الحق فإن التأثير لها في الإيجاد عندما تعلقت المشيئة بالمراد ويقال عندك مفاتيح الغيب وعنده مفاتيح الغيب فإن آمنت بغيبه أسبل السجف⁽²⁾ على غيبك.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية: 59] أي: يتعلق علمه بالمشاهدات كما يختص علمه بالمغيبات ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ رَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الآية: 59] أي: لا تسقط إلا بعد تعلق الإرادة بها فهو مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات ﴿وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ [الآية: 59] أي: مما تحت الأرض السابعة من السفليات أو من البذور المدفونة في أراضي الزراعات ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ﴾ [الآية: 59] أي: من جميع الكائنات والثلاثة معطوفة على ورقة وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية: 59]

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4778)، وأبو يعلى في المسند (345/9) رقم (5459)، وأحمد في المسند (24/2) رقم (4766).

(2) في تفسير القشيري: مد الشمس.

أي: اللوح المحفوظ صفة المذكورات كما أن قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الآية: 59] 251/أ صفة ورقة ويؤيده أنها قرئت بالرفع على الابتداء والخبر ﴿إِلَّا فِي/ كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 59] .

وقال أبو سعيد القرشي: في هذه الآية ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾ أي ورقة خضراء معلقة من تحت العرش فإذا يبست الورقة وقعت بين يدي ملك الموت عليه السلام مكتوب عليها اسمه واسم أبيه يعلم ملك الموت أنه قد أمر بقبض روحه.

قال صاحب «العرائس» وفي الحديث المروي عن النبي ﷺ قال: ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ورق فلان ابن فلان وذلك قوله في محكم كتابه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ [الآية: 59] الآية.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الآية: 60] أي: يميّتكم فيه وعبر عن الإنامة بالتوفي لأن النوم أخو الموت ولما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتميز فيه نوع من الاستعارة ﴿وَيَقْلُمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الآية: 60] أي: كسبتم فيه من الأوزار ﴿ثُمَّ يَبْمِثُكُم﴾ [الآية: 60] أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 60] في النهار ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية: 60] أي: أجل الحياة إلى الممات والمعنى يستوفي مدة آجالكم وتنقضي جملة أفعالكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية: 60] أي: مآلكم ﴿ثُمَّ يُبَيِّنُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 60] أي: يجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه يتوفى الأنفس في حال النوم وفي حال الوفاة فكما أنه لا يعاقبك بالليل ولا يعذبك إذا توفاك على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفعالك فبالحري أن لا يعذبك غداً إذا ما توفاك على ما علمه من قبح أحوالك .

وفي «النفائس» توفاهم بالليل لطيران أرواحهم في أسرار الملكوت وسيرانها في أنوار الجبروت ليزيد شوقها إلى معادنها وتعرف ما يجازي به

بأعمال الأشباح التي كسبتها بالنهار من الثواب والعقاب وتعلم قدرة الله بالإحياء والإماتة مباشرة ومعينة لتحىي عليها وقت انقطاعها من الحدثان إلى مشاهدة الرحمن .

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الآية: 61] أي: الغالب على عباده في مراده فهو تصوير لقهره وعلوه بالقدرة والقوة.

وأفاد الأستاذ: أنه فوق عباده بالقهر والغلبة والرفعة وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإنزال العقوبة عليهم والسخطة ﴿وَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الآية: 61] ويحفظ أبدانكم كما قال تعالى: ﴿لَمْ نَعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 11] أو يحفظ أعمالكم وهم الكتبة الكرام/ البررة 251/ ب ولعل الحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد لديه كان أزجر عن السيئات وأفخر في العبادات فإن العبد إذا وثق بلطف سيده وبره اعتمد على لطفه وستره واغتر بفضلته وكرمه فلم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين على علمه وعمله ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ [الآية: 61] أي: حان أجله وانقطع أملُه وارتفع عمله ﴿تَوَفَّتَهُ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 61] أي: ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بألف مماله ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الآية: 61] فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوْا﴾ [الآية: 62] أي: جميع الخلق ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ [الآية: 62] أي: إلى حكمه وجزائه وهو متولي أمرهم وحاكم بالعدل في حقهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ردهم إلى نفسه فما غابوا عن القبضة لحظة ولا خرجوا عن المشيئة نفساً ولا لمحة والرد إلى من رباك وأولاك خير من البقاء مع من أبلاك وأقماك وقال بعضهم هي أرجى آية في كتاب الله لأنه لا مرد للعبد أعز من أن يكون مرده إلى مولاه ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ [الآية: 62] أي: أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحُسِيِّينَ﴾ [الآية: 62] حيث لا يحتاج إلى ضرب وقسمة وفكر ورؤية فيحاسب الخلائق في مقدار ساعة.

﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: يخلصكم ﴿مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية:

[63] أي: شدائدها أو من الخسف والفرق بها ﴿تَدْعُونَهُ﴾ [الآية: 63] جملة حالية ﴿تَضْرَعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 63] أي: إعلاناً وإسراراً أو معلنين ومسررين وقرأ أبو بكر بكسر الخاء حيث جاء ﴿لَئِنْ أَجْنَلْنَا مِنْ هَٰذِهِ﴾ [الآية: 63] أي: يقولون لئن أنقذتنا من هذه الشدة المبتلى بها في تلك الحالة ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 63] لا من الكافرين وقرأ الكوفيون نجاناً.

وأفاد الأستاذ: أن تذكير النعمة يوجب زيادة في المحبة فإنه إذا عرف جميل ما أسدى إليه ربه تمكن في قلبه حبه.

﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ﴾ [الآية: 64] بتشديد الجيم للكوفيين وهشام ﴿مَتَى﴾ [الآية: 64] أي: من هذه الشدة ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الآية: 64] أي: أعم سواها بما ينزل بالقلب ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْكِرُونَ﴾ [الآية: 64] ولا تشكرون الرب كما هو حق العبد وتعودون إلى الشرك ولا تفون بالعهد.

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما فعل بقوم نوح ولوط وعاد وثمود وأصحاب الفيل ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما/ 1/252 أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل: ﴿مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] أكابر ظلمتكم وأرباب حكومتكم و﴿مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾ [الآية: 65] عبيدكم وخدمكم وسفلتكم ﴿أَوْ يَلْسَنُكُمْ لِسَانًا﴾ [الآية: 65] يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى فيقوم القتال بينكم ﴿وَيَذِيقُ بَعْضُكُم بِأَسْبَغٍ﴾ [الآية: 65] أي: يقاتل بعضكم بعضاً ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 65] أي: نوضحها ونبينها بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ [الآية: 65] لكي يفهموا ويتدبروا ويعملوا بما يعملون.

وأفاد الأستاذ: أنه لا طعم أدوى للإنسان من طعم الإنسان إن شئت في الولاية وإن شئت في العداوة والبغضة فمن مني بالبغضة مع أشكاله تنغص عليه عيشه في الدنيا ومن مني بمحبة أمثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله عن الخلق فهو المحفوظ المعافى.

﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ [الآية: 66] أي: بالعذاب أو بالكتاب ﴿قَوْمًاكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 66] أي: الصدق والصواب ﴿قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 66] أي: بموكل إلى

أمركم إنما أنا منذر لكم والله هو الولي المتصرف فيكم.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إنما على تبليغ الرسالة فإما تحقيق الوصلة بالوجود والحالة الرضية فمن خصائص القدرة القوية وأحكام المشيئة الأزلية.

﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: 67] أي: لكل خبر من الأخبار وقت استقرار
﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 67] بعضه في الدنيا وبعضه في العقبى وفيه تهديد شديد
ووعيد أكيد.

قال الواسطي: لكل دعوى كشف وقال بعض الأخيار.

سوف ترى حين ينجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار⁽¹⁾

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية: 68] بالكذب لها والاستهزاء بها
والطعن فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 68] واترك المجالسة معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي
حَدِيثٍ غَيْرٍ﴾ [الآية: 68] أي: غير ما ذكر من الآيات أو أعاد الضمير على معنى
الآيات وهو القرآن.

وقال الأستاذ: لا توافقهم في الحالة ولا ترد عليهم ببسط القالة ذرهم
ووحشتهم بحسن الأعراض عنهم وتصاون عن الإصغاء إلى تهاوشهم بحسن
الانقباض منهم ﴿وَلَمَّا يُنْسِيكَ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 68] أي: بأن يشغلك بالوسوسة
حتى ينسيك النهي عن المجالسة وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ﴾
[الآية: 68] أي: بعد أن تذكره وهو مصدر وألفه للتأنيث ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
[الآية: 68] أي: معهم فإنهم ظلمة بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق
والاستعظام.

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 69] أي: ما على 252/ ب

المتقين شيء من حساب آثام الخائضين ﴿وَلَكِنْ ذُكِّرُوا﴾ [الآية: 69] أي: ولكن
عليهم أن ينكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض مرة أخرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾
[الآية: 69] أي: يجتنبون الخوض حياة منهم لكرامتهم أو كراهة لمساءتهم روي

أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف البيت المكرم فإنهم يخوضون أبداً فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير.

وقال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله ﴿إِذَا مَثَلُهُمْ﴾ [النساء: 140] وفي رواية قال المسلمون نخاف الإثم حين نتركهم ولا نهاهم ولا نهاهم ولا نهاهم معنى الآية ولكن عليكم التجنب ويذكر النهي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 69] حين يرون إعراضكم عنه وضح عن سعيد بن جبيرة على ما نقله ابن أبي حاتم عنه إنما عليكم إن تخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم وأعرضتم عنها فالمعنى عليكم الإعراض والحاصل أنه إن كان المراد بالآية رخصة مجالستهم بشرط وعظهم فهو منسوخ فإن آية سورة النساء مدنية متأخرة وإن كان المراد رفع الإثم عن المتقين بشرط التجنب عن صحبتهم حين خوضهم فهو عين ما في سورة النساء فلا نسخ وعليه كلام سعيد بن جبيرة والله أعلم بحقيقة الحال.

وأفاد الأستاذ أن من كان نقي الثوب عن ارتكاب الأجرام كان بمعزل يوم نشره من ملاقات تلك الآلام.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الآية: 70] أي: بنوا أمر دينهم على التشهي وأسسوا بنا تعنتهم على التلهي وتدينوا بما يضرهم أجلاً بما ينفعهم عاجلاً كعبادة الأصنام وتحريم نحو البحيرة من الأنعام والمعنى أعرض عنهم ولا تنظر إليهم في إدبارهم وإقبالهم ولا تبال بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَعَرَّضْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 70] حتى اطمأنوا بها عن العقبي ﴿وَذَكَّرْهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: عظمهم بالقرآن وأحكام المولى ﴿أَنْ تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 70] مخافة أن تفضح أو تحبس وترهن أو تسلم إلى الهلاك بسوء ما عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ [الآية: 70] يتولى أمرها في جميع الأبواب ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 70] يدفع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ [الآية: 70] أي: تَفِدِ النفس كل فداء. لدفع بعض بلاء ﴿لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا﴾ [الآية: 70] / أي: لا ينفعها ولا يدفع شيئاً عنها

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا﴾ [الآية: 70] من العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 70] تأكيد وتفصيل متضمن لتهديد ووعيد والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم وكفرانهم فلهم حجاب الفرقة وعذاب الحرقه والحجاب أشد العذاب.

وفي «النفائس» اترك البطالين الذين شغلوا عنا بحفظ الكونين حتى لا يزاحموا مجالس الصديقين فإنهم محجوبون بحفظهم من لذة خطابنا وحقائق كتابنا ولذة صحبة أحبابنا.

وقال الأستاذ: أي كلهم وما اختاروه لأنفسهم فإننا أعتدنا لهم من خفي مكرنا فيهم ما إذا أحللهنا بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والغلطة.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ [الآية: 71] أن عبدناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الآية: 71] إن تركناه والمعنى ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ [الآية: 71] بارتكاب الشرك والمعصية ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ﴾ [الآية: 71] بتوفيق الإيمان والطاعة والمعنى لا يقع شيء من ذلك فإن المخالف لما هنالك ﴿كَأَنِّي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الآية: 71] وقرأ حمزة أستهو به بألف مماله ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي: ننكص مشبهين الذي استهوته الشياطين وذهبت به مرد الجن والغيلان وأضلته ﴿فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾ [الآية: 71] أي: في المهامة والمهالك حال كونه متحيراً ضالاً عن طريق الهداية واقفاً في سبيل الغواية ﴿لَهُ أَصْحَابٌ﴾ [الآية: 71] أي: لهذا المستهوي رفقة ﴿يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ [الآية: 71] أي: من طريق الهوى ويقولون ﴿أَقْتِنَا﴾ [الآية: 71] أي: اتبعنا في طريقتنا واسلك سبيل تحقيقنا فلا يلتفت إليهم ولا يعرج عليهم ويتبع الغول فيهلك لديهم.

قال صاحب «الانتصاف»: ومن أنكر استهواء الجن واستيلائهم على بعض الإنس بقدرة الله الملك المتعال فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه

الغفلة والضلال ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ [الآية: 71] أي: الذي هدى به من شاء من عباده ﴿هُوَ الْهَدَى﴾ [الآية: 71] وحده وما عداه ضلال لكن على وفق مراده.

وقال الأستاذ: في معنى الآية قل لهم يا محمد أتؤثر الضلالة على الهدى بعد طلوع شمس البرهان وندع الطريقة المثلى بعد ظهور البيان ونترك ساحة الجنة وقد نزلناها ونطلب في الجحيم مثوى بعدما كفيناها أن هذا بعيد من العقول ومحال من ظنون الفحول.

253/ب وفي «نفائس العرائس» أي/ أن هدى الله الذي بسط شرائعه وحقائقه وطرائقه للأنبياء والأولياء والصديقين والمقربين وذلك طريق عرفانه والوصول إلى جنان مشاهدته وعيانه وذلك الطريق لأهل اصطفائه يدل لأصفيائه على الرضا بقضائه والصبر في بلائه والشكر على نعمائه والتسليم لمراده بحيث لا يكون لهم معارضة في بلاده وهذا معنى قوله ﴿وَأْمَرْنَا لِيُسَلِّمَ لِمَرَادِهِ﴾ [الآية: 71] من جملة القول عطف على أن هدى الله واللام بمعنى الباء أي: بأن نسلم ونختار الهداية ونخلص له العبادة.

قال أبو عثمان: أمر العبد بالتسليم والتسليم ترك التدبير في التأخير والتقديم والرضى بمجاري القضاء.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 72] عطف على التسليم أي: وأمرنا بالإسلام والاستسلام وبإقامة الصلاة وسائر الأحكام وبالاتقاء عن الآثام قبل إقامة الصلاة وحفظ حدودها والدخول فيها بشرط الحرمة والقيام بها على سبيل الهيبة والمناجاة بلسان الافتقار والذلة والخروج منها على رؤية التقصير والحرقة فهذه إقامة صلاة المعبود الترسيم بمجرد الركوع والسجود ﴿وَهُوَ الَّذِي إِتَوْا تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 72] أي: تجمعون وعلى وفق أعمالكم مجزيون.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 73] أي: قائماً بالعدل والحكمة في الخلق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [الآية: 73].

قال الأستاذ: يعني أنه لا يعتاض على قدرته سبحانه حدوث مقصود ولا يتقاصر حكمه عن تصريف موجود ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ [الآية: 73] أي: الواقع الصدق

النافذ في الخلق.

قال الحسين: هو الحق ولا يظهر من الحق إلا الحق قال الله قوله الحق ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ [الآية: 73] أي: ظاهراً وباطناً ويكون ظهور ذلك النور ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي السُّورِ﴾ [الآية: 73] حين يقول الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿عَلَيْهِمْ أَفْئِيْبٌ وَالشَّهَادَةُ﴾ [الآية: 73] أي: هو عالم ما غاب وظهر للعباد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الآية: 73] بما يقع في البلاد من الصلاح والفساد على طبق ما قضاه وأراد والجملة بمنزلة الفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرٌ﴾ [الآية: 74] عطف بيان لأبيه سواء يكون اسمه أو لقبه واسمه تارخ على ما في التواريخ ومنع صرفه للعجمة ويؤيده أنه قرأ يعقوب من العشرة أزر بالضم على النداء ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الآية: 74] من دون الله الذي استحق/ العبادة ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 74] أي: 254/أ في ضلالة ظاهرة عن طريق اليقين في أمر الدين وأفاد الأستاذ أن الأضل منهمك في الجحود والنسل متصف بالتوحيد والحق سبحانه يفعل ما يريد أي: تارة كذا وأخرى كما فعل عكس ذلك في قضية نوح وولده البليد وإيهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْقَبْرِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ [النساء: 95] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: مثل هذه الإرادة الآتية ﴿رَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 75] أي: عجائبها وبدائعها أو دلائل الربوبية وصنائعها.

وفي «البحر» عن علي رضي الله عنه مرفوعاً قال: كشف الله عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين⁽¹⁾.

وقال أبو سعيد الخراز: أراه ذلك ليطبق الهجوم على عظمته ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 75] في أمر الدين وقيل: التقدير ليستدل وليكون من المؤمنين بأن لها صانعاً وقيل: أراه ملكوت السموات والأرض أنها محدثة وأن لها مدبراً فصار من المؤمنين بأن لا دافع ولا نافع سوى الله وقيل: أرى الخليل الملكوت فاشتغل بالاستدلال للخلق على الحق فلما كشف له تبرأ عن الكل إجمالاً فقال

(1) تفسير البغوي (3/158)، وتفسير أبي السعود (3/152).

لجبريل أما إليك فلا⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لاطفه بسابق العناية ثم كاشفه بلاحق الهداية فأراه من دلالة توحيده ما لم يبق في قضاء سره شظية من غبار الريب فلما صحا من غيم التجوز سماء سره قال: بنفي الأغيار جملة وتبرأ عن الجميع ولم يغادر منها تهمة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ [الآية: 76] أي: أظلم عليه وستر حاله بظلامه لديه ﴿رَأَى الْكَوَكِبَ﴾ [الآية: 76] نورانياً منسوباً إليه ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ [الآية: 76] أي: هذا الحادث ربي وهو محتاج إلى رب مثلي أو على زعمكم فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب العظام ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ [الآية: 76] أي: غاب ونزل ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الآية: 76] فضلاً عن أن أعبدهم كالغافلين فإن الانتقال من حال الكمال إلى حال الزوال واحتجاب الأنوار تحت الأستار يعارض المرتبة الألوهية ويناقض الرتبة الربوبية ولم يستدل بطلوعه على أنه ليس يريه مع أن تغييره بظهوره كتغييره بغروبه لأن في الطلوع نوع عظمة وإشراق نور وسطوة لا سيما في حال 254/ ب ظلمة ووقت غفلة ولأن حال الزوال أظهر في مقام الاستدلال بالنسبة إلى أرباب/ الضلال أو أراد تعدد الدلالة عند الانتقال والله أعلم بالأحوال.

﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الآية: 77] أظهر عجز نفسه في التحقيق واستعان بربه في إدراك الحق على جهة التوفيق وأرشد قومه إلى طريق التحقيق.

قال الواسطي: لئن لم يعنني ربي على الهداية التي شاهدتها بأعلام أنواره لأكون من القوم الضالين في نظري إلى نفسي من بقائي وصفائي.

﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا﴾ [الآية: 78] أي: الشيء الطالع ﴿رَبِّي﴾ [الآية: 78] فذكر اسم الإشارة صيانة للرب عن شبهة التأنيث في العبارة أو لتذكير الخبر ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ [الآية: 78] أي: جرماً وأضواء فالضلالة أكثر ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ

يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ» [الآية: 78] أي: من الأجرام المحدثه المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به من طلوعها وغروبها.

وقال السلمي: برئ من الاستدلال بالمخلوقات على الخالق العلمي بأن لا دليل على الله سواء ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدتها الذي دلت هذه الممكنات وسائر الكائنات على إبداعه لها فقال:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الآية: 79] أي: وجه ذاتي وتوجه صفاتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية: 79] أي: أبداع العلويات والسفليات من الموجودات ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 79] حال كوني مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن رؤية الغير إلى التفريد ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 79] أي: بالله بإشراك ما سواه لا جلياً ولا خفياً في أمر الدين وبحث اليقين.

قال الإمام جعفر الصادق: يعني أسلمت قلبي للذي خلقه وانقطعت إليه من كل شاغل وشغل للذي فطر السموات والأرض فإن الذي رفع السموات بغير عمد وأظهر منها بدائع صنعه قادر على حفظ قلبي من الخواطر المذمومة والوساوس التي لا تليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الخليل الجليل أحاط به سجوف الطلب ولم ينجل له بعد صباح الوجود فطلع نجم العقول فشهد الحق سره بنور البرهان فقال هذا ربي ثم زيد في ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه بشرط البيان فقال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الآية: 78] ثم أسفر الصبح ومقع النهار وطلع شمس العرفان عن برج شرفها فلم يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فحينئذ/ قال: 255/أ ﴿يَقُولُ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 78] إذ ليس بعد شهود الغيب ريب ولا عقب الظهور ستر ويقال قوله عند شهود الكواكب والشمس والقمر ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الآية: 78] أنه كان يلاحظ الآثار والأغيار بالله ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ثم طالع الأغيار محوا في الله فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الآية: 79] الآية أي: أفردت قصدي لله وظهرت عقدي عن غير الله وحفظت عهدي في الله لله وأخلصت وجدي بالله فإن الله بالله بل محو في الله وبالله والله.

﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ﴾ [الآية: 80] أي: جادلوه في التوحيد وخاصموه في التفريد
 ﴿قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ﴾ [الآية: 80] وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام
 بتخفيف النون أي: أتجادلونني في وحدانيته وصمديته ﴿وَقَدْ هَدَيْنُ﴾ [الآية: 80]
 أي: دلني على توحيدِهِ وهداني إلى تمجيدِهِ ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ [الآية:
 80] أي: معبوداتكم في وقت من أوقاتكم لأنها لا تنفع ولا تضر بنفسها ﴿إِلَّا أَنْ
 يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ [الآية: 80] أن يصيبني من جهتها ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
 [الآية: 80] أي: أحاط به علماً كما أحاط به حكماً ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 80]
 أي: تتعظون فتعتبرون فتؤمنون ولا تكفرون.

وقال الأستاذ: يعني قال لهم: أترومون ستر الشمسوس بإسبال أكمامكم
 عليها أو تريدون أن تجروا ذبولكم إليها وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ [الآية: 81] وهو لا يملك نفعاً ولا ضرراً
 ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 81] وهو خالق الخير والشر والنفع
 والضر طراً ﴿مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ﴾ [الآية: 81] أي: بإشراكه ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الآية:
 81] أي: حجة وبرهاناً لا من جهة النقل ولا من طريق العقل فإن العقل السليم لم
 يجوز إشراك المصنوع بالصانع وتسوية المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ﴿فَأَنَّى
 الْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية: 81] أي: من الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ
 تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 81] أي: تميزون بين الحق والباطل.

وقال الأستاذ: وأي خوف يقع على قلبي ظله ولم أَلِمْ بشرك ولم أجنح
 قط إلى جحد وأنتم ما شمتتم رائحة التوحيد في طول عمركم ولا ذقتم طعم
 الإيمان في سالف دهركم ثم بسوء ظنكم تجاسرتم وما ارعويتم وخسرتم فما
 باليتم فأينا أولى بأن يلاحظ بعين سره ما هو بصده من سوء مكره وعاقبة
 أمره ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الآية: 82] أي: ولم يحفظوه بشرك
 255/ ب سابق ولا بشك لاحق/ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ [الآية: 82] من العذاب ﴿وَهُمْ
 يُهْتَدُونَ﴾ [الآية: 82] إلى طريق الصواب وسبيل الثواب.

وفي «تفسير السلمي» ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الآية: 82]

أي: لم يرجعوا في النوائب والمهمات إلى غير الله في جميع الحالات أولئك لهم الأمن من الآفات وهم مهتدون إلى معرفة الذات والصفات حيث رجعوا إلى من إليه المرجع والمآب وفي المنافع والمضرات.

وأفاد الأستاذ: أنهم الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله فإن من قال الله ثم رجع لتضل عند حاجاته أو مطالباته أو شيء من حالاته إلى غير الله فخصمه في الدنيا والعقبى هو الله والظلم في التحقيق وضع الشيء في غير موضعه وأصعبه حسيان الحدثان مما لم يكن فكان فإن المنشئ الله والمجري الله ولا إله إلا الله وسقط ما سوى الله.

﴿وَلَيْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 83] أرشدناه إليها وعلمناه إياها وأظهرناها له وبينها قومه أي: حجة عليهم إن لم يقبلوها وهدية إليهم أن قابلوها ﴿نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ﴾ [الآية: 83] وقرأ الكوفيون بالتنوين فمن نشاء مفعول ودرجات منصوب بنزع الخافض أي: إلى درجات أو مصدر أي: نرفعه رفعات أو ظرف أي في درجات عاليات ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 83] في رفعه وخفضه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 83] بحال من يرفعه ويخفضه واستعداده له.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشار إلى ترقيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته وكذلك الترتيب لأهل السلوك في وصولهم إلى الله فإنما هو تحقق بالآيات التي هي أفعاله وهذه مراقبة لهم وهي الأولى ثم إثبات صفاته وهي الرتبة الثانية ثم التحقيق بوجوده وذاته وهي غاية الوصول فبرسوله يعرف العبد نعوته وبنعوته يعرف ثبوته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ [الآية: 84] ولده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 84] حافده ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ [الآية: 84] إذ الهداية سبب النجاة به وباعث العبادة وموجب السعادة ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 84] أي: من قبل إبراهيم وعد هدايته نعمة على إبراهيم من حيث أنه جده وشرف الوالد يتعدى إلى ولده ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ﴾ [الآية: 84] أي: وهدينا من ذرية نوح أيضاً ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾

وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿الآية: 84﴾ أي: وكانوا في مقام الإحسان وكمال العرفان.

أ/256 ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 85] أي: ابن مريم/أي إلى أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَّ﴾ [الآية: 85] وهو من أسباط هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في الصلاح العاملين بالفلاح.

﴿وِاسْمَاعِيلَ﴾ [الآية: 86] خص بالذكر منفرداً عنهم إشارة إلى أنه جد الفرد الأكمل منهم وهو نبينا عليه السلام وعليهم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن أخطوب بن العجوز أو يوشع بن نون وقرأ حمزة والكسائي اليسع وعلى القراءتين علم أعجمي دخل عليه اللام كما دخل على اليزيد في قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً ﴿وَيُوشَعَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن متى ﴿وَلُوطًا﴾ [الآية: 86] وهو ابن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 86] وفيه دليل فضلهم على من عاداهم من الخلق أجمعين فيدخل فيه ملائكة المقربين وفي البحر أن الله ذكرهم على ست مراتب السلطنة والقدرة لداود وسليمان والبلاء والشدة لأيوب والجمع بين الابتلاء والوصول إلى الملك ليوسف وقوة المعجزة والوصول لموسى وهارون وزيادة الزهد والعصمة ليحيى وعيسى وإلياس وعدم بقاء أهل التبعية لإسماعيل واليسع ويونس ولوط.

﴿وَمِنَ آبَائِهِمْ﴾ [الآية: 87] يعني وفضلنا بعض آبائهم أي: أصولهم ﴿وَدُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الآية: 87] أي: فروعهم ونبينا عليهم السلام فرداً أكملهم ﴿وَأَخْوَانِهِمْ﴾ [الآية: 87] أي: حواشيهم وأتباعهم ﴿وَأَجْنِبَتُهُمْ﴾ [الآية: 87] أي: اخترناهم للنبوة والولاية ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 87] أي: طريق موصل إلى وصول الرعاية وحصول العناية.

قال الجنيد: أخلصناهم لقربتنا وأدبناهم لحضرتنا وذللناهم على الاكتفاء بنا عما سوانا ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ [الآية: 88] إشارة إلى ما هم عليه ﴿يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية: 88] إليه ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 88] أي: هؤلاء الأنبياء مع علو شأنهم بالفرض والتقدير لتحقق عصمتهم في إيمانهم ﴿لَحِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا

يَمْلِكُونَ ﴿[الآية: 88] أي: لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم وسقوط أحوالهم في حالهم ومآلهم.

وقال الأستاذ: ذكر عظيم المنّة على كافتهم صلوات الله وسلامه عليهم وبين أنه لولا تخصيصه إياهم بالتعريف وتفضيله له على ما سواهم بغاية التشريف وإلا لم يكن لهم استيجاب ولا استحقاق ثم قال ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ [الآية: 88] إلى آخره يعني لو لاحظوا غيراً أو شاهدوا من دوننا شيئاً لتلاشى ما أسلفوه من عرفانهم وإحسانهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 89] يريد بهم الجنس ﴿وَالْحَكْرَ﴾ [الآية: 256/ب 89] أي: الحكمة أو الحكومة بمعنى فصل القضية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الآية: 89] وهي أعم من الرسالة ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: بهذه الثلاثة أو بالنبوة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 89] يعني بعض قريش فالإشارة الأولى للتعظيم وهذه للتحقير ممن علم الله منهم التقصير ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: وفقنا بمراعاتها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الآية: 89] يعني المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم الدين رضي الله عنهم أجمعين أو يريد الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو أهل الفرس المتفرسين أو أهل اليمن المباركين.

وقال الأستاذ: يعني أن أعرض قومك يا محمد فليس كل من أثبتناهم فعلى الجحود أظهرناهم بل كثير من عبادنا نزهنا عن الجحود قلوبهم وعجنّا بماء السعادة طينتهم فهم لا يحيدون عن التوحيد لحظة ولا يزيغون عن التحصيل شمة.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ [الآية: 90] يريد بهم الأنبياء الذين تقدم ذكرهم ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ اقْتَدَاهُ﴾ [الآية: 90] بهاء السكت وأثبتها في الدّرج نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم إجراء للوصول مجرى الوقف وحذفها حمزة والكسائي في الوصل على الأصل وقرأ ابن عامر بها الضمير إلا أنه أشبعها في رواية عن ابن ذكوان فهو كفاية عن المصدر والمعنى اختص طريقهم بالاقتداء فإن الاهتداء في متابعة الأنبياء والمراد ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين ومكارم الأخلاق

المجمع عليها دون الفروع المختلف فيها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين طهر الله عن الجحد أسرارهم ورفع على الكافة أقدارهم فاقتف يا محمد هديهم وآثارهم قلت: ومن جملتها قوله: ﴿قُلْ لَا أَشْكُمُ﴾ [الآية: 90] أي: على التبليغ ﴿أَجْرًا﴾ [الآية: 90] أي: جعلاً من جهتك كما لم يسأل من قبلي من النبيين بل إن أجري إلا على رب العالمين وفيه إيماء إلى أن الأنبياء وأتباعهم من العلماء الأولياء العاملين لم يكونوا في الخلق طامعين ﴿إِنَّ هُوَ﴾ [الآية: 90] أي: التبليغ ﴿إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 90] أي: تذكير وموعظة لهم في أمر الدين.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية: 91] أي: ما عظموه حق عظمتهم أو ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على الأنام ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 91] من الكتاب والوحي والإلهام مع تضمن بعثته عظام رحمة وجلال نعمته أو في السخط على الكفار والقهر بهم حتى/جسروا على هذه المقالة وتصمموا على هذه الحالة.

ولذا قال السلمي: لو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم وفنيت أشباحهم والقائلون هم اليهود والبالغون في الجحود كما يدل عليه نقض كلامهم والزامهم بما لا بد لهم من الإقرار به من مرامهم ﴿قُلْ﴾ [الآية: 91] أي: لهم ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْمَلُونَهُ قُرْآنًا﴾ [الآية: 91] أي: ذا قراطيس أو القراطيس ﴿تُبَدُّونَهَا﴾ [الآية: 91] أي: تظهرون ما تحبون ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 91] مما لا تشتهون مثل نعت محمد ﷺ وآية الرجم روي أن قائله مالك بن الصيف قاله لما أغضبه النبي ﷺ بقوله: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم، قال: فأنت الحبر السمين⁽¹⁾.

وقراءة الجمهور بالخطاب في الأفعال الثلاثة يؤيد أن الآية في اليهود اللهم إلا أن يقال أن قريشاً واليهود والنصارى يتشاركون في إنكار القرآن فلم

(1) المقاصد الحسنة (207/1)، وكشف الخفا (248/1)، تفسير الطبري (521/11).

يبعد أن يكون الكلام الواحد بعضه خطاب مع قريش وبقيته مع اليهود والنصارى كأنهم طائفة واحدة وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيبة فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة عند من يقول الآية في اليهود إهانة بهم وقيل: هو حمل على ما قالوا وما قدرُوا وقال ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير أن الآية نزلت في قريش وهم يسمعون كتاب موسى من اليهود ويسلمونه ويقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم⁽¹⁾.

والحاصل أن صدر الآية مناسب لأن تكون نازلة في المشركين وجعل التوراة قراطيس متعين أن يكون في حق اليهود ويمكن الجمع كما تقدم والله أعلم ويؤيده خطاب العموم بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمْتُمُ﴾ [الآية: 91] على لسان محمد أو بسبب القرآن ﴿مَا لَرَّ تَعَلَّمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاءُكُمْ﴾ [الآية: 91] زيادة على ما في التوراة والإنجيل وخبر من قبلكم ونبا من بعدكم ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ [الآية: 91] أنزله أو أنزله الله أمره بأن يجيب عنهم ولا ينتظر الجواب منهم إشعاراً بأن هذا الجواب هو الصواب وتنبيهاً على أنهم تحيروا حتى لم يقدرُوا على الجواب والمعنى قل هذا الكلام لهم ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ [الآية: 91] أي: اتركهم في أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 91] في أضاليلهم حيث لا يعملون بما يعلمون ويحسبون أنهم يحسنون ثم هذه العبارة التفسيرية ما تنافي/ الإشارة الصوفية حيث قالوا: قل الله 257/ب ثم اترك ما سواه كما لا يخفي على أهل الانتباه وفي معناه استغفر الله مما سوى الله.

وأفاد الأستاذ: في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية: 91] أن من توهم أن العلوم تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائغة في نعته كما أن الإدراك غير جائز في وصفه وكما أن الإشراف محال على ذاته ثم قال: ﴿مَنْ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية: 91] أي: سألهم عن الأحوال وخاطبهم في معاني أحكام الرسوم والأطلال ثم بقوا في ظلمة الحيرة ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ﴾ [الآية: 91] يعني صرح بالإخبار عن التوحيد ولا يهولنك تماديهم في الأباطيل فإن تمويهات الباطل لا

تأثير لها في «الحقائق».

وقال صاحب «العرائس» قطع الله بقوله ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الآية: 91] أطماع الحدثان عن إدراك كنه قدمه وعزة أزله لأن الحدثان لا يبقى أثرها في جمال سطوات غيرة الرحمن كيف يعرف قدره من لا يعرفه وكيف يعرفه من لا يعرف نفسه وكيف يعرف نفسه من لا يكون خالق نفسه وكيف يكون خالق نفسه والأزلية منزهة عن الأضداد والأنداد لأن سطوات عظمته لا يبقى للحدثان أثر في ساحة كبريائه.

﴿وَهَذَا﴾ [الآية: 92] القرآن ﴿كَتَبُ﴾ [الآية: 92] جامع البيان ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الآية: 92] أي: على قلب عليّ الشأن ﴿مُبَارَكُ﴾ [الآية: 92] كثير البركة والمنفعة للإنسان ﴿مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 92] مطابق لما في التوراة وموافق لما في الكتب السماوية قبله ليتباركوا فيه وليؤمنوا بجميع ما جاء من عنده ﴿وَلِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ [الآية: 92] ولتخوف أهلها من المشركين ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية: 92] من أهل الشرق والغرب أجمعين وسميت مكة أم القرى لأنها مشتملة على مكان اجتماعهم وموضع حجهم واعتمادهم أو لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصلها ولأن فيها قيام العالم ونظام بني آدم وقرأ شعبة بالغيبة أي لينذر النبي أو الكتاب ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية: 92] في العاقبة ثم بين الإيمان بالنبي والكتاب نوع من الملازمة ولذا اكتفى بتوحيد الضمير في به ﴿وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ﴾ [الآية: 92] أي: وسائر عباداتهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية: 92] وخصت الصلاة لأنها أم العبادات وأساس الطاعات الموجبة للصلاة.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب عزيز الخطر جليل الأثر فيه سلوة

عند/ غلبة الوجد والجذبة ومن بقي عن الوصول تذلل للرسول كما قيل: 258 أ

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم
كأنني ملحوظ من الجن نظرة وهن حوالي الرقى والتمائم⁽¹⁾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 93] فزعم أنه بعث نبياً كمسيلمة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 272).

والأسود العنسي أو اختلف عليه أحكاماً من السوائب وغيرها كعمرو بن لحي.

وفي معناه من كذب في رؤياه أو في دعواه بما ليس في مبناه.

وقال سهل: من ذكر بالغفلة فقد افترى على الحضرة ﴿أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الآية: 93] جملة حالية من فاعل قال كمسيلمة فإنه كان يدعي الوحي والنبوة على ما قاله عكرمة وقتادة أو كعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] وبلغ قوله ﴿فَرَأَى أَشَاطِينَ خَلْقًا آخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتب فتبارك الله أحسن الخالقين فكذلك. نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال ثم تاب ومات مسلماً ساجداً أو كان ما ظهر له انعكاساً من مرآة النبوة في مقابلة الحضرة فتوهم أنها مكاشفة له مستقلة ولم يعرف أنها عارية مردودة وأو في الآية للتنويع أو بمعنى الواو ولذا قال: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ بِمَثَلِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ [الآية: 93] كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وتسميته إنزالاً مجاز والمعنى سأنظم كلاماً يماثل ما ادعيتم أن الله أنزله أو هو من قبيل المشاكلة والمقابلة.

قال الأستاذ: يعني الذين يتنزلون منزلة المحدثين ولم يلق إلى أسرارهم خصائص خطاب المحققين فالحق عنهم بريء والمتتبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور وفي معناه أنشدوا:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى⁽¹⁾

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ [الآية: 93] أي: لو ترى زمان سكرات الظلمة وشدائد حالهم من ظلمة المعصية والغفلة لرأيت أمراً في غاية الفظاعة ونهاية من الشناعة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 93] لتعذيب أشباحهم بضرب مقامعهم أو لقبض/أرواحهم كالمتقاضي المسلط عليهم وقد ورد أن أرواح الكفار تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة

بمقامهم حتى تخرج رواه ابن أبي حاتم وغيره⁽¹⁾ ويؤيده قوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [الآية: 93] أي: يقولون أو قائلين لهم اخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً لهم وتعنيفاً عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا تهكماً بهم ﴿الْيَوْمَ﴾ [الآية: 93] يريد به وقت الإمامة أو زمن القيامة أو الوقت الممتد من الإمامة إلى ما ليس له نهاية ﴿تُخْرِجُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ [الآية: 93] أي: الذل والهوان والمراد به العذاب المشتمل على المذلة والإهانة ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 93] من إدعاء الولد والشريك مطلقاً ودعوى النبوة والوحي والرسالة كاذباً ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 93] فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها فالهوان والصغار جزاء الاستكبار والاستحقار جزاء وفاقاً وعلى وفق أحوالهم طباقاً.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ [الآية: 94] للحساب والجزاء بالثواب أو العقاب في العقبى ﴿فَرَادَى﴾ [الآية: 94] منفردين عن الأموال والأولاد والشفعاء وسائر ما أثرتموه علينا من الدنيا ﴿كَمَا خَلَقْتَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 94] وقد كنتم تنكرون ذلك بالمرة وهو بدل من فرادى أي: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال من الضمير في فرادى أي: مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلاً بُهْماً ﴿وَزَكَّيْتُمْ مَا خَوَّلْنَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن العقبى وغفلتم بسببه عن المولى ﴿وَرَأَى ظُهُورَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: ما قدمتم منه شيئاً يسيراً ولا قدمتم فيه منه فقيراً ولا قطميراً بل جئتم مفلسين مبلسين ﴿وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: من الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ [الآية: 94] أي: شركاء الله في تربيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: تقطع وصلكم وتحقق فصلكم وقرأ نافع والكسائي وحفص بالنصب على إضمار الفاعل فأسند التقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم وأصله لقد تقطع ما بينكم كما قرئ به ﴿وَضَلَّ عَنْكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: ضاع وبطل وغاب منكم ﴿مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 94] أنها شفعاء ولا بعث ولا جزاء قال بعضهم أجمل مقام العبد إظهار إفلاسه من جميع حالاته والرجوع إليه خالياً.

عن عبادته وجميع طاعاته وقيل لأبي حفص بماذا تقدم على الله؟ قال: وما للفقير أن يقدم/ على الغني سوى فقره قال الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى﴾ [الآية: 94] خالين 259/أ عن أعمالكم وأحوالكم.

وقال الأستاذ: دخلت الدنيا بخرقه وخرجت منها بخرقه ألا وتلك الخرقه أيضاً لبسة وما دخلت إلا بوصف التجرد ولا خرجت إلا بحكم التفرد ثم الأثقال والأوزار والأحمال والأضرار لا يأتي عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم أغنى عنكم ولا حالكم يرفع منكم ولا لكم شفيع يخاطبنا فيكم فقد تقطع بينكم وتفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنونكم وخانكم في التحقيق وسعكم وفنونكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ [الآية: 95] أي: شاقهما وخالقهما بسبب نبات الزرع في الحال والأشجار والأثمار في المال.

وقال ابن عطاء: مظهر ما في حبة قلب الأحياء من الإخلاص والرياء ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [الآية: 95] أي ما ينمو من الحيوانات والنباتات ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] مما ينمو كالنطف والبذريات ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الآية: 95] أي: ومخرج ذلك من الحيوان والنبات وهو عطف على ﴿فَالِقُ الْغَيْبِ﴾ [الآية: 95] فإن قوله ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ [الآية: 95] وقع موقع البيان له ﴿مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] لا يصلح أن يكون بيانه لأن فلق الحب إلا لإخراج الحي من الميت ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية: 95] أي: فاعل هذه الأشياء هو الله فلا تعبدوا إلا إياه ﴿فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: 95] أي: فكيف تصرفون عنه إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن موجد ما في العالم من الأعيان والآثار والرسوم والأطلال يسلط العدم على ما يريد من مصنوعاته ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته فلا لحكمه رد ولا لحقه جحد.

﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ [الآية: 96] أي: هو شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل المحتاج إلى المصباح والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصباح سمي به الصباح ﴿وَجَعَلَ لَيْلًا سَكَنًا﴾ [الآية: 96] يسكن الشخص إليه ويستأنس به

ومنه قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21] ويستريح فيه ومنه قوله ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [يونس: 67] واعمل اسم الفاعل لأنه بمعنى الدوام التجديدي نحو ولقد أمر على اللثيم يسبني لا بمعنى الثبوت الدائمي كمالك يوم الدين وقال القاضي نصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فإنه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملاً على معنى المعطوف عليه فإن فلق بمعنى فلق ولذلك قرئ به ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الآية: 96] عطف على محل الليل ويدل عليه أنه قرئ بالجذر ﴿حُسْبَانًا﴾ [الآية: 96] بنزع الخافض لقوله ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: 96] أي: يجريان بحساب معين لأدوال مختلفة على أطوار مؤتلفة 259/ ب يحسب/ بهما الأوقات والأزمنة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 96] أي: ما ذكر من الفلق والجعل أو كل واحد منهما ونحوه ﴿تَقْدِيرُ الْغَيْزِ﴾ [الآية: 96] الغالب على أمره ﴿الْعَلِيمِ﴾ [الآية: 96] بقضاءه وقدره.

وقال الأستاذ: كما فلق صبح الكون فأشرقت الأقطار كذلك فلق صبح القلب فاستنار به الأسرار وكما جعل الليل سكناً لتسكن فيه النفوس من كد التصرف عن أسباب المعاش كذلك جعل الليل سكناً لروح الأحباب يسكنون فيه إلى روح المناجاة إذا هدأت العيون من الأغيار وجعل الشمس والقمر يجريان بحسبان معلوم على حد مفهوم والشمس بوصفها مذ خلقت لم تنقص ولم تزد والقمر لا يبقى ليلة واحدة في حالة واحدة بل أبدأ في النقصان والزيادة على جري العادة فلا يزال ينمو حتى يصير بديراً ثم يتناقص حتى لا يرى قدراً ثم يأخذ في الظهور به كذلك دأبه أبدأ إلى أن تنقضي عليه العادة يعني في مقدمات يوم القيامة.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ لَكُمْ التَّجُومَ﴾ [الآية: 97] أي: ظاهرة ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْجَحْرِ﴾ [الآية: 97] أي: في ظلمات الليل وفيها والإضافة لملاستها إليها أو مشبهات الطرق وسماها الظلمات على الاستعارة.

قال أبو علي الجوزجاني: جعل الله الليل مظية ودليلاً بالمظية يركبها في التلف حال الابتلاء والدليل يستدل به إلى أبواب الرضاء قال الله ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا﴾

[الآية: 97] الطريق إلى الجنة العليا.

وقال الأستاذ: كما أن نجوم السماء يهتدى بها في الفلوات كذلك نجوم القلب يهتدى بها في معرفة رب الأرضين والسماوات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِنَا﴾ [الآية: 97] بينها فصلاً فصلاً أو مفصلاً لا مجماً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 97] فإنهم المنتفعون.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الآية: 98] هو آدم خلق منها حواء ثم خلق منهما أولادهما.

قال الأستاذ: ذكرهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام ﴿فَسْتَقَرُّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الآية: 98] أي: ذلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمر بكسر القاف على أنه اسم فاعل والمستودع مفعول أي: فمنكم قارّ ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون الاستيداع لنا ولا يجوز أن يكون المستقر فتح القاف اسم مفعول لأن/استقر فعل لازم ولا يبنى المفعول إلا من المتعدي 260/أ والتحقيق أن الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الإنسان في الزمان والمكان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى موضع البلى إلى العقبى إلى النار أو الجنة العليا ففي كل رتبة يحصل له استقرار واستيداع بالإضافة إلى ما قبلها واستيداع بالإضافة إلى ما بعدها كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَىٰ﴾ [النجم: 42] كما أن منه أمر المبتدأ ولعلمهم قالوا النهاية هي الرجوع إلى البداية لهذا المعنى.

وقال الأستاذ: كما أن للنفوس والأشباه مستقراً ومستودعاً فللأسرار والضمائر مستقر ومستودع فمن عبد مستقر قلبه أو طان الشهوات والمنى ومن عبد مستقره موقع الزهد والتقوى ومن عبد مستقره حيث لا مسكن ولا مثوى وراء الورى.

وفي «نفائس العرائس» أنه سبحانه أنشأ الكل من جوهر الفطرة وجوهر الفطرة منشؤه نور فعل الخاص ومنشؤ نور فعل الخاص ظهور الصفة وظهور

الصفة بظهور الذات تجلي القدم فأخرج الكل من العدم وتخصيص لطائف الكتاب بالإشارة إلى نفس واحدة أي: بظهور نفس وحدانية أزلية أبدية منزهة عن الاجتماع والافتراق فبعض القلوب مستقرها عالم الملكوت ومستودعها عالم الجبروت وبعض العقول مستقرها الآيات ومستودعها الصفات وبعض الأرواح مستقرها الصفات ومستودعها الذات بنعت البقاء في الصفات بنعت والفناء في الذات لأن القدم منزّه أن يحيل في الحدث وأيضاً مستقر القلوب المقامات ومستودعها الحالات ومستقر العقول العبادات ومستودعها الكرامات ومستقر الأرواح أنوار المعرفة من تجلي الصفات ومستودعها أنوار التوحيد من تجلي الذات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 98] الفقه تدقيق النظر فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته يخلاف الاستدلال بالآفاق لظهوره.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [الآية: 99] أي: من جانب السماء ما طهوراً ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الآية: 99] على تلوين الخطاب بالاتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة العظمة تعظيماً للقضية به أي: بسبب الماء أو بسبب إنزاله ﴿يُؤْتِي نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 99] أي: نبت كل صنف مما ينبت والمراد إظهار القدرة في إثبات الأنواع المقننة والأصناف المختلفة بماء واحد كما قال تعالى: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضٍ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ﴾ [الرعد: 4] ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ [الآية: 99] أي: من النبات والماء ﴿خَضِرًا﴾ [الآية: 99] أي: شيئاً أخضر وهو الخارج من الجنة المتشعب زرعاً وشجراً ﴿فُخِّرَ مِنْهُ﴾ [الآية: 99] من الخضر أو الماء ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ [الآية: 99] بعضه على بعض كسنابل البر وغيره ﴿وَمِنَ النَّخْلِ﴾ [الآية: 99] أي: وأخرجنا من النخل نخلاً ﴿مِنْ ثَمَرِهَا﴾ [الآية: 99] وهو أول ما يخرج من ثمرها ﴿فَنَوَّانٌ﴾ [الآية: 99] أي: عراجين جمع قنٍ كصنوان جمع صنو ﴿ذَاتِيَّةٌ﴾ [الآية: 99] قريبة من المتناول سهلة للمجنى لقصر النخل اللاصق عروقتها بالأرض أو ملتفة قريب بعضها من بعضها وهو من باب الاكتفاء عن نقيضها وإنما اقتصر على ذكرها ولم يذكر مقابلها لدالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الآية: 99] عطفت على نبات كل شيء أو على خضراً أو حباً وهو أقرب ثم المراد من الأعناب إن كان الكروم تسمية للشجر باسم الثمر فلا حاجة إلى

تقدير وإلا فلا بد أن يقدر من نبات أعناب لأن البستان لا يكون من العنب نفسه بل من الأشجار ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَّانَ﴾ [الآية: 99] أي: شجرها وهو عطف على جنات ﴿مُشْتَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِّهٍ﴾ [الآية: 99] حال من الرمان أو من الجميع أي: بعض ذلك مشتبه ببعض آخر منه وبعضه غير متشابه في الهيبة والقدر واللون والطعم والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً يقال اشتبه وتشابه واستويا وتساويا ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ﴾ [الآية: 99] أي: إلى ثمر كل واحد مما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الآية: 99] أي: إذا أخرج ثمره كيف يثمر حينئذ لا يكاد ينتفع به ﴿وَيَنْوَعُهُ﴾ [الآية: 99] أي: وإلى حال نضجه أو إلى نضجه كيف يعود ضخماً وذا نفع ولذة والمراد به نظر استدلال واعتبار حيث صار عنباً ورطباً بعدما كان نباتاً وخطباً ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَكُمْ﴾ [الآية: 99] أي: في ما ذكر لكم ﴿لَايَتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات على كمال قدرته ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 99] بوحدانيته في إلهيته.

وقال الأستاذ: تجانست أجرام الأرض وتفاوتت أقطار الكون واختلفت الأشياء وتباين النبات في الطعم واللون فدل كل مخلوق بلسان فصيح وبيان صريح أنه بنفسه غير مستقل في فعله.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الآية: 100] أي: صيروا وهم مشركو مكة ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ [الآية: 100] أي: الملائكة وعبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنات لا جتناهم واختفائهم من أعين الإنس تحقيراً لشأنهم والشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وإغوائهم فكأنهم عبدوهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع كالنور والشیطان خالق الشر وكل ضار/كالظلمة كما هو رأي الثنوية ومفعولاً جعلوا شركاء الجن والله متعلق بشركاء قدم للاهتمام ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ [الآية: 100] حال بتقدير قد يعني وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق فالضمير إلى الكفار أو الضمير إلى الجن أو إليهم جميعهم ففيه تنبيه نبيه على أن المخلوق لا يصلح أن يكون شريكاً لخالقه وهذا هو الأظهر فتفكر وتدبر.

قال الأستاذ: سدت بصائرهم فاكتفوا بكل منقوص أن يعبدوه وتلك عقوبة أرباب الغفلة عن الله عجلت لهم ﴿وَحَرُّوا لَهُ﴾ [الآية: 100] أي: وقرأ نافع بالتشديد للمبالغة والمعنى افترؤا واختلقوا له ﴿بَيْنَ وَبَيْنَ﴾ [الآية: 100] فقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب: الملائكة بنات الله ﴿يَفْتَرِ عِلْمُ﴾ [الآية: 100] أي: من غير رؤية ودلالة بل عن جهالة وضلالة من جهة تلك المقالة ﴿سُبْحَنَهُ﴾ [الآية: 100] أي: سبح سبحانه ﴿وَتَقَطَّى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية: 100] أعداؤه به وهو بأن له ولداً أو شريكاً في ملكه.

﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 101] من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سمواته وأرضه أو إلى الظرف فالإضافة حقيقية بمعنى في أي أنه عديم النظير فيها أو هو مبدعها ومحدثها على غير مثال سبق عليها وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما ﴿أَنَّهُ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ [الآية: 101] أي: من أين أو كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الآية: 101] يكون منها الولد والولد إنما يكون بين المتجانسين ولا يناسبه شيء فإنه خالق الأشياء وأين الخالق من المخلوق في باب الأكفاء ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1 - 4].

وأشار إليه بقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 101] لا يخفى عليه خافية من موجود وعديم.

وأفاد الأستاذ: الواحد يستحيل له الولد لاقتضائه البعضية والتوحيد ينفيه يعني لدلالة وجود الولد على الإثنينية ولأن القديم لا يكون محلاً للحوادث الكونية.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 102] أي: الموصوف بما ذكر لكم من صفات الكمال وهو مبتدأ وقوله: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 102] أخبار مترادفة أو التقدير هو خالق كل شيء ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية: 102] إذ لا يستحق العبادة غيره ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية: 102] أي: موكل إليه أمر كل شيء فكلوا الأمور إليه وتوكلوا واعتمدوا في جميع الأحوال عليه.

وقال الأستاذ: تعرف إليهم بآياته ثم تعرف إليهم/ بصفاته ثم كاشفهم 261/ ب بحقائق ذاته فقوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 102] تعريف للسادة والأكابر وقوله ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 102] تعريف للعوام والأصاغر.

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الآية: 103] أي: لا تراه حاسة البصر والعين التي هي النظر في دار الدنيا الفاني حين وجود غبار الأغيار تراه العين الباقية في دار القرار الذي هو محل مشاهدة الآثار ولا يحيط به الأبصار فإن الإدراك أخص من الإبصار فيؤول حكماً إلى معنى قوله ولا يحيطون به علماً أو لا يراه جميع الأبصار لاحتجاب الكفار في دار البوار كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ إِنَّمَا عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبْرٌ﴾ [المطففين: 15] مفيداً أنه تعالى يتجلى على قوم هم عنده محجوبون أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر مرسل ولا ملك مقرب لديه لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار على ما فسره ابن عباس ونقل عنه الترمذي وابن أبي حاتم وصححه الحاكم على شرط الشيخين ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ﴾ [الآية: 103] أي: يحيط علمه بها ويراهما بكمالها.

قال ابن عطاء: لا تحيطه وهو يحيط بها.

وقال أبو يزيد: أن الله احتجب على القلوب كما احتجب على الأبصار فإن أوقع التجلي فالبصر والفؤاد واحد أقول بل حينئذ جميع الأجزاء مشاهد ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] أي: بالأبرار والأخيار ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] أي: العالم بالأخبار فيدرك ما لا يدركه الأبصار كالإبصار وجواز أن يكون من باب اللف والنشر أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لكونه الخبير.

قال الحسين: لطف عن الكنه فاني له الوصف ومن لطفه ذكره لعبده في الدهور الخالية إذ لا سماء مبنية ولا أرض مدحية.

وقال الأستاذ: تقدست الصمدية عن كل لحوق ودرك فأنتى بالإدراك ولا حد له ولا طرف ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] الذي لا يخفى عليه شيء ﴿الْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] الذي أحاط علمه بكل معلوم.

ومن «نفائس العرائس» لا تدركه الأبصار إلا بالإبصار مستفادة من أبصار

جلاله وكيف يدركه الحدثان ووجود الكون عند ظهور سطوات عظمته عدم وهو يدرك الأبصار ببصره القديم تنزهه عن المشابهة بالحدثان بأن يكسيها أنوار صفاته ليرأها به لا بنفسها لأنه بلطف ذاته ممتنع عن مطالعة خلقه مع علو شأن علمه وإحاطته بجميعهم وجوداً وعدماً فقلوه ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] من لطف جماله انجذب القلوب بنعت العشق إلى ضياء وجهه الكريم عجزاً واضطراباً من لطفه غرقت الأرواح في بحار محبته وفنيت الأسرار في فضاء هويته ودهشت القلوب في معارك أشواقه واضمحلت العقول في بيداء ألوهيته من إدراك غوامض علمه.

262/أ

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ/ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 104] البصائر جمع البصيرة وهي للقلب كالבصر للقلب سميت بها الدلالة لأنها تجلى بها الحق والمعنى قد جاءكم الآيات القرآنية والدلالات الفرقانية التي هي للقلوب كالבصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ [الآية: 104] الحق وشاهد الصدق ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ [الآية: 104] أبصر ونفعه له أظهر ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ [الآية: 104] عن الحق الحقيقي وضل عن سوء الطريق ﴿فَعَلَيْهَا﴾ [الآية: 104] وباله في التحقيق.

قال الخواص: أنزل الله البصائر فطوبى لمن رزق بصيرة منها وأدنى البصائر أن يبصر الإنسان رشده في الظواهر والسرائر ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ﴾ [الآية: 104] أي: أحفظ عليكم فأجازيكم فإنما أنا منذر والله تعالى هو الحفيظ لأعمالكم والمجازي على وفق أحوالكم وهذا الكلام وارد على لسانه عليه السلام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح السبيل وألاح الدليل وأزاح العلل وأثار السبل ولكن قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوت عنده الأنوار والظلم⁽¹⁾

﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّرُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 105] أي: ومثل ذلك التبيين نبينها ونكررها ونعينها.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: خزانة الأدب (1/ 275)، والتذكرة الحمدونية (2/ 57).

وقال الأستاذ: أوقع الفتنة في قلوبهم فجنس عليهم الأحوال فمن شبهة داخلتهم ومن حيرة ملكتهم ومن تحقيق أدرك قوماً ومن تعريف توقف على آخرين ﴿وَلْيَقُولُوا دَرَسْتُ﴾ [الآية: 105] صرفناها واللام لام العاقبة والدرس التعلم والقراءة أي: ﴿وَلْيَقُولُوا﴾ [الآية: 105] أي: المشركون من أهل الجحود درست وتعلمت من اليهود ثم تزعم أنه نزل عليك من عند الملك المعبود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم في الخطاب وقرأ ابن عامر دارست من الدروس أي: قدمت هذه الآيات وعفت واندرست هذه البيانات كقولهم أساطير الأولين ﴿وَلْيُنَبِّئُ﴾ [الآية: 105] اللام هنا على أصله لأن التبيين مقصود والتصريف والضمير للآيات باعتبار أنه القرآن أو للمصدر ﴿لَقَوْمٍ يَقْلُمُونَ﴾ [الآية: 105] فإنهم المنتفعون فهم المقصودون بالذات في تصريف الآيات وإن كان بحسب الظاهر سبب شقاوة قوم مدبرين وسعادة جمع مقبلين كما قال عز وجل يضل به كثيراً أو يهدي به كثيراً ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] فالقرآن حجة لك أو عليك فإنه شافع مشفع أو ماحل مصدق⁽¹⁾ فهو كالنيل ماء 262/ب للمحبوبين ودماء للمحجوبين.

قال ابن عطاء: لقوم يعلمون حقيقة البيان وهو الوقوف معه حيث وقف والجري معه حيث جرى.

﴿أَتَّبِعْ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 106] أي: باعتقاده والعمل به.

وقال الأستاذ: أي انظر ما الذي يرد على قلبك به الإشارة فلازمه ودع أقاويل الأغيار في طي العبارة إذ الواجب عليك في الوقت الكون بحكم الوقت قلت وما هنا قيل الصوفي أبو الوقت وابن الوقت والأول أكمل فتدبر وتأمل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 106] اعترض أكد به الاتباع واجتناب الابتداع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 106] أي: لا تلتفت إلى أقوالهم ولا تحتفل بآرائهم.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية: 107] أي: توحيدهم وعدم إشراكهم ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 107] وهو دليل على أنه لا يريد إيمانهم لأن مراده واجب الوقوع.

وقال الأستاذ: العجب ممن أقر بقصور حاله عن استحقاق المدح ببقائه عن مراده كيف يصف معبوده بجواز أن يرتفع في ملكه مراده ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [الآية: 107] رقيباً على أعمالهم حافظاً لأفعالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 107] تقوم بأمورهم وأحوالهم والمعنى لست مأموراً منا بأن تكون حفيظاً عليهم ولا أنت من تلقاء نفسك وكيلاً للنظر إليهم فأعرض عنهم ولا تخضع لديهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: من جملة النصائح أن لا تذكروا بالقبائح ألهمتهم التي يعبدونها من غير الله ويدعونها ممن سواه ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ [الآية: 108] أي: تجاوزاً عن الحق إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 108] جاهلين بالله وبما يحب أن يذكر به روي أنه عليه السلام كان يطعن في ألهمتهم فقالوا: لتنتهين عن سب ألهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت على [ما] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي⁽¹⁾ وروى عبد الرزاق عن قتادة أن المسلمين كانوا يسبونهم وهم يسبون الله عدواً فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله سبحانه وفيه دليل على أن أداء لطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة على معصية أخرى وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر والمعنى إن سب ألهمتهم وإن كان حقاً فيه فائدة لكن فيه عظيم مفسدة.

وقال الأستاذ: يعني خاطبهم بلسان الحجة وإلزام الدليل ونفي الشبهة ولا تكلمهم على موجب نوازع النفس والعادة فيجعلهم ذلك على ترك الإجلال/لذكر ذي الجلال ويقال: لا تطابقهم على قبيح فعلهم فيزدادوا جرأة في غيهم فيكون فعلك سبباً وعلة لزيادة كفرهم وفسقهم أقول ولا يبعد أن يقال فيه الإيماء إلى مقام الفناء وهو الاشتغال بذكر الله والنسيان لما سواه كما قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] أي: نفسك وغيرك

وكما قال سبحانه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: 91] ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: مثل ذلك التزيين لهم ﴿زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 108] أي: من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخليلاً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية: 108] وعد لمحسنهم ووعد لمسيئهم ﴿فَيَلْبِسُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 108] أي: فيجازيهم بأعمالهم على وفق أحوالهم.

قال الواسطي: زينت الأعمال عند أربابها فأسقطوا عن درجة المحققين لأبوابها إلا من عصم بنور مشاهدته على وجه البيان فشهد منه التوفيق بل شاهد المنان وقيل سهلنا ويسرنا له ما هو فيه وإليه حتى يستوفي ما قدرنا له وعليه.

وقال الأستاذ: لبسنا عليه حقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جميلاً ولم يروا لسوء حالهم تبديلاً فركنوا إلى الهوى ولم يميزوا بين العافية والبلاء.

وفي «نفائس العرائس» أن الله سبحانه وتعالى ابتلى العموم بالدنيا وأعمالها في نفع الجاه والمال وسائر أغراضها وابتلى الخصوص برؤية معاملات العقبى وحصول أعواضها فمن كان من غير أهله أبقاه في أعماله وحجبهم بها عن لذة قربه ووصاله ومن كان أهله من العارفين رفعها عن عينه حتى لا يرى لها وزناً ومقداراً عند رؤية امتنانه بما سبق لهم من اصطفايته بالولاية والمعرفة وزين للبطالين سرور أعمالهم النفسية حتى يروها مستحسنة قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104] وزين للمجاهدين أعمالهم في العبادة حتى يزيد رغبتهم فيها فكل حزب بما لديهم فرحون وسبحان من أقام العباد فيما أراد.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾ [الآية: 109] أوكدها وأغلظها وأشدّها ﴿لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الآية: 109] آية من مقترحاتهم كجعل الصفا ذهباً ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ [الآية: 109] من غير توقف فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 109] أي: في قدرته لا تحت إرادتي حتى آتيكم بها متى أريدها بل هو قادر عليها يظهر ما يشاء منها متى شاء ﴿وَمَا يُشْرِكُكُمْ﴾ [الآية: 109] استفهام إنكار أي: وما يديركم ﴿أَنَّهُآ﴾

[الآية: 109] أي: الآية المقترحة ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 109] أي: لا ي263/ ب تدرؤن أنهم لا يؤمنون والله يعلم/ ذلك ولذا لم ينزلها فيه إنكار السبب مبالغة في نفي المسبب مع التنبيه على أنه تعالى إنما ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالكسر على أن الكلام قد تم قبله كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم فيهم والخطاب للمؤمنين فإنهم كانوا متنين في مجيء الآية لهم طمعاً في إيمانهم أو للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالخطاب فتقديره وما يشعركم ما يكون منكم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ولم يعلموا أنهم تحت قهر حكم السلطان بتسليط الشيطان وما يعني وضوح الأدلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة ولواحق العصمة بموجبات القسمة.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الآية: 110] عن الحق فلا يقهرونه ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ [الآية: 110] بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ صَورَةٍ﴾ [الآية: 110] من انشقاق القمر وسائر المعجزة أو كما لم يؤمنوا بما أنزل على سائر الأنبياء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ [القصص: 48] أو فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا لقوله سبحانه ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَمَدُّوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: 110] ونتركهم في ضلالتهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين.

قال أبو حمزة: أقبل على قلوب فأقبلت عليه وأعرض عن قلوب فأعرضت عنه.

وقال الأستاذ العجب من يبقى على قلبه شبهة في مسألة القدر والحق سبحانه يقول.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ﴾ [الآية: 110] لا بل من حقائق التقلب بقاء

إشكال هذا الأمر مع وضوحه على قلوب من هو من جملة العقلاء فسبحان من يخفى مثل هذا الأمر مع وضوحه هذا هو قهر القادر وحكم الواحد.

﴿وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلِئِكَةَ﴾ [الآية: 110] أي: فرأوهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْقِنَ﴾ [الآية: 111] بأن شهدوا لك بياناً ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 111] أي: جمعنا لهم كل شيء من الطيور والسباع والدواب ﴿فَبُلاَ﴾ [الآية: 111] بضمين جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلات لقراءة نافع وابن عامر بكسر وفتح والمعنى أنهم لو أتوا بجميع ما اقترحوا من قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم فيأتوا بآياتنا ونحو ذلك ﴿مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الآية: 111] لما سبق عليهم من القضاء الذي ضاق معه/ القضاء ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية: 111] استثني من 264/أ أعم الأحوال والمعنى لما آمنوا في حال من أحوالهم إلا حال مشيئة الله إيمانهم وإرادته إيقانهم فيبدل طبعهم عن تمرنهم في كفرهم وقيل: الاستثناء منقطع ولكن مشيئة الله إذا تعلقت آمنوا وهذه حجة واضحة وبينه لائحة على المعتزلة وسائر المبتدعة في أن كفرهم وابتداعهم تحت المشيئة واضطر الزمخشري هنا وتعسف بقوله: أراد المشيئة بالآية الملجئة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَبْهَتُونَ﴾ [الآية: 111] أي: لا يعلمون ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا﴾ [الأنعام: 25] فيقسمون ﴿بِاللَّهِ جَهَدَ آيْمَانِهِمْ﴾ [المائدة: 53] على ما لا يشعرون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الآيات وإن توالى وشموس البرهان وإن تعالت فمن قصمته العزة وكبسته القسمة لم يزد ذلك إلا حيرة وضلالاً ولم يستجد إلا للشقوة حالاً ومالاً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: كما جعلنا لك عدواً من المشركين ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الآية: 112] من المجرمين ﴿شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ﴾ [الآية: 112] بدل من عدو الإنس بمعنى الأعداء والمراد منهم مردة الفريقين ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 112] أي: يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض منهم وبعض الإنسان إلى بعض منهم ﴿زُحِرَفَ الْقَوْلِ﴾ [الآية: 112] أي: الأقوال المزخرفة والآراء المزينة والأهواء المموهة ﴿عَرُورًا﴾ [الآية: 112] أي: للغرور وحال كونهم مغترين والمعنى أن الشياطين يغرون الضالين بالاعتقادات الكاسدة والخيالات الفاسدة وفي الحديث الصحيح أن أبا ذر سأل هل للإنس شياطين؟ فقال: نعم هم شر من شياطين الجن ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 112] إيمانهم أو عدم وجود عدو لهم ﴿مَّا فَعَلُوا﴾ [الآية:

[112] أي: ما وقع منهم ما ذكر من معاداة الأنبياء وإيجاد زخرف الأبناء وفيه أيضاً حجة على المعتزلة ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 112] أي: افتراءهم وكفرهم ولا تبال بأمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان المحل أعلى كانت البلايا أوفى والمطالبات أقوى فلما كانت رتبة الأنبياء عليهم السلام أشرف وأسعد كانت العداوة معهم أصعب وأشد.

﴿وَلْيَصْغَىٰ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 113] عطف على غروراً بناءً على جعله مفعولاً له أي: ليغترروا بأحوالهم ولتميل إلى زخرف أقوالهم ﴿أَفَعِدَّةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 113] أي: قلوب المائلين إلى العاجلة العادلين عن الآجلة ﴿وَلَا يَرْضَوهُ﴾ [الآية: 113] ليحبوه لأنفسهم ﴿وَلَيَقْرَأُوا﴾ [الآية: 113] أي: ليكتبسوا ﴿مَا هُمْ مُقَرَّبُونَ﴾ [الآية: 113] من آثامهم.

264/ ب وقال الأستاذ: وكلت/ أسمع الكفار باللغو وقلوبهم بالسهو فرضوا لأنفسهم أخص الأنصاء أي: لكونهم من الأغنياء في صورة الأغنياء.

﴿أَفَعِزَّ اللَّهُ أَتَتَنَّى حَكَمًا﴾ [الآية: 114] أي: قل لهم أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل للحق منا من المبطل منكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الآية: 114] مبيناً فيه الحق والباطل.

وقال الأستاذ: قل لهم أترون أنني بعد ظهور البيان ووضوح البرهان أذر اليقين وأوثر التخمين وأفارق الحق واختار الحظ إن هذا محال من الظن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا لَهُمُ الْكِتَابُ﴾ [الآية: 114] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَقْلَمُونَ أَنَّ﴾ [الآية: 114] أي: القرآن ﴿مُنْزَّلٌ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 114] لأن وصفه مذكور فيما بينهم ومسطور في كتبهم مع أنه ﷺ لم يخالط علماءهم ولم يمارس كتبهم ولا أبناءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم بناءً على أكثرهم والمراد بهم فقهاؤهم حيث لم يعتبر سفهاؤهم وقرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد أي إلى نزوله منجماً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَكِبِّينَ﴾ [الآية: 114] أي: الشاكين في كونهم عالمين وهو من باب التهيج والتحريض كقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] وكقوله:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَتَنَّا الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ [يونس: 94] الآية فقال ﷺ حين نزوله لا أشك ولا أسأل وقيل: المراد نهى الأمة على أن الخطاب لكل أحد بناءً على أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري في حجته.

﴿وَوَعَدْنَاكَ﴾ [الآية: 115] بلغت الآية الغاية من أخباره وأحكامه ومواعيده وآثاره ﴿صِدْقًا﴾ [الآية: 115] في أخبار ما سبق ومواعيد الأنام فيما لحق ﴿وَعَدَلًا﴾ [الآية: 115] في الأفضية وأحكام الحق فيما بين الخلق قيل صدقاً للأولياء تفضلاً عليهم وعدلاً على الأعداء لأخذهم بميزان العدل فيهم ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ [الآية: 115] لا راداً لقضائه ولا مغير لحكمه ولا مخلف لوعده.

وقال الأستاذ: تقدس عن التغير ذاته وتنزه عن التبدل صفاته فالتمام ينفي النقصان وكل نقص فمن الحدوث أصله وأتى بالنقص والصدق وصفه وقرأ الكوفيون كلمة ربك أي: ما تكلم به أو القرآن المشتمل على البرهان ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 115] بأسرارهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية: 115] بأخبارهم فيمهلهم في ديارهم ولا يمهلهم في إثارهم.

﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] أي: أكثر الخلق من الجن والإنس وهم/ طوائف الكفرة والمشركين كقوله سبحانه: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ أَرَأَوْهُ حَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] أو المراد بهم الجهال أو أتباع الهوى والضلال ﴿يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 116] أي: عن الطريق الموصل إلى رضاه قيل من نظر إلى سوء الحق خاب وضل بين الخلق ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يُخْرَصُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لا يرجعون في عقائدهم إلى علم يقين بل يبنون دينهم على ظن وتخمين من جهالتهم في آرائهم وتقليدهم لآبائهم وتبعهم لأهوائهم.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 117] أي: بمن يضل عن سبيل الحق ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 117] إلى صوب الصواب والصدق فلا تغتر بكثرة السفهاء البطالين ولا تهتم بقلة العلماء العاملين لقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ

عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿سَبَّأ: 13﴾ وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ﴿ص: 24﴾ .

وأفاد الأستاذ: إن أهل الله قليلون عدداً وإن كانوا كثيرين وزناً وخطراً وممدداً وأما الأعداء ففيهم كثرة فإن لاحظتهم فتنوك وإن صاحبته منعوك من الحق وقبلوك وتقاصر علوم الخلق عن إدراك غيبه إلا بقدر ما عرفهم من أمره.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ عَلَىٰهِ﴾ [الآية: 118] مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام بالظن والتخمين والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله عليه ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه ﴿إِنْ كُنْتُمْ يُعَاقِبُونَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 118] فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحل الله واجتناب ما حرم الله تعالى لا إحلال شيء وتحريمه بموجب الطبيعة والظن والهوى.

وأفاد الأستاذ: هذه الآية في حكم التفسيرية تختص بالذبيحة وفي معنى الإشارة منع من الأكل بحال الغفلة فمن أكل على الغفلة فما دامت تلك القوة باقية في الأبدان فخواطره إما هواجس النفس أو وساوس الشيطان.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَنْتُمْ عَلَىٰهِ﴾ [الآية: 119] أي: وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا من ذكر اسمه وحده عليه وتأكلوا من غيره كالميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكر عليه اسم غيره وخلاصته مالكم أن لا تجعلوا مأكولكم من اللحم منحصرأ فيما ذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ [الآية: 119] أي: بين الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بصيغة المجهول أي: والحال أنه عين ﴿لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 119] مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمَيْتَةُ﴾ 265/ب [المائدة: 3] الآية وقرأ نافع/ وحفص حرم بصيغة الفاعل ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 119] أي: مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال لكم حال الضرورة فما موصولة والاستثناء من ضمير حرم.

وقال الأستاذ: يعني أي شيء عليكم لو تركتم الغفلة وما الذي يضركم لو استدمتم على الذكر في الحضرة برفع الغيبة وقد تبين لكم التفرقة بين أنس

الذكر ووحشة الغفلة في الوقت والحال إلى أن تعرفوا حكم الثواب والعقاب في المآل ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ [الآية: 119] بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء أي ليضلون غيرهم من نحو أبنائهم ﴿يَاهْوَاهُمْ يُفْتِرِ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 119] أي: بتشهيرهم غير متعلقين بدليل يفيد العلم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُوا ظِلَهِمَ الْإِثْمَ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ [الآية: 120] أي: اتركوا ما يعلن وما يسر من الذنوب أو ما بالجوارح والقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الأخدان في التواييت وقيل: ظاهر الإثم حظوظ النفس وباطن الإثم حظوظ القلب وقيل: ظاهر الإثم رؤية الأعمال وباطنه الركون إليها في سر الأحوال وقيل: ظاهر الإثم طلب الدنيا وباطن الإثم طلب الجنة ونعيم العقبى إذ هما جميعاً يشغلان عن المولى وما يشغل عن المولى فهو بالإثم أولى.

وأفاد الأستاذ: أن ظاهر الإثم ما للأغيار اطلاع بوجه إليه وباطن الإثم ما هو سر بينك وبين الله ولا وقوف لمخلوق عليه ويقال باطن الإثم خفي العقائد ومستترقات الألحاظ ويقال: باطن الإثم ما تلبسه على نفسك بنوع تأويل ويقال باطن الإثم على لسان المجاهدات الركون إلى تتبع المرخصات ويقال باطن الإثم على لسان أهل المحبة روم التفصي عن مطالبات المحبة قال قائلهم:

وإن قلت وما أذنبت قال مجيبه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب⁽¹⁾

ويقال أسبغت عليكم النعم ظاهرة وباطنة فذروا الإثم ظاهراً وباطناً فإن من شرائط الشكر استعمال النعمة فيما لا يكون فيه الإثم والمخالفة.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذَكِّرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِثْمُ﴾ [الآية: 121] أي: أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ﴿لَفِسْقٌ﴾ [الآية: 121] أي: خروج عن الطاعة فالضمير مما

(1) في دواوين الشعر (203/85) اللفظ عنده في صدر البيت: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني.

أ/266

على تقدير مضاف والآية ظاهرة في تحريم متروك/ التسمية عمداً أو نسياناً وذهب إليه ابن عمر ونافع وعامر ومحمد بن سيرين وهو اختيار أبي ثور وداود الظاهري وعن أحمد مثله وذهب بعض السلف كابن عباس وأبي هريرة إلى أن التسمية مستحبة وهو مذهب الشافعي وقالوا الآية فيما ذبح لغير الله وقيل: الواو في ﴿وَأَنْتُمْ لَفِسَاقٌ﴾ [الآية: 121] حالية والفسق ما أهل لغير الله بدليل قوله ﴿وَأَوْفَسَقًا أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ يَدْعَى﴾ [الأنعام: 145] .

وقال بعض منهم: المراد من الآية الميتة كما رواه أبو زرعة عن عطاء بن السائب وذهب أكثر السلف كعلي وابن مسعود وغيرهما وهو المشهور عن مذهب مالك وأحمد وعليه أبو حنيفة وأصحابه وقيل: الإجماع منعقد على أن ترك التسمية نسياناً لا يضر وأما عمداً فالذبيحة حرام واستثناء النسيان لحديث ورد بذلك ويحمل عليه ما تعلق به الشافعي من حديث ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه إذ لا دلالة فيه على جواز تعمد ترك التسمية لديه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ﴾ [الآية: 121] من الإنس والجن ﴿لَيُؤْخُونُ﴾ [الآية: 121] لِيُؤْسِسُونَ ويلقون ﴿إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الآية: 121] من الكفار ﴿لِيُجْبِلُواكُمْ﴾ [الآية: 121] يقولهم تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك والصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام كما روى هذا التفسير أبو داود وابن ماجه وابن جرير عن السدي عن ابن عباس وغيره⁽¹⁾ واتفق أكثر المفسرين على ذلك وقال أبو عثمان المغربي يلقون على ألسنة المدعين ما يقطعون به الطريق على المحققين ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 121] في استحلال ما حرم ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 121] فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به.

وأفاد الأستاذ: أن ما كان مكتسبه من الأموال عاصياً أو لربه ناسياً فتوقيه شرط عند أصحاب المراجعة ثم قال ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُؤْخُونُ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الآية: 121] فهذا يدل على أن ممن توقي ذلك اتحدت لله خواطره وانقطع عنه خواطر الشيطان فأصل كل قسوة متابعة الشهوة ومن تعود متابعتها فليودع

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية (22/2).

صفوة القلب وحالتها.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [الآية: 122] بالجهل والكفران وقرأ نافع بالتشديد ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الآية: 122] بالعلم والإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الآية: 122] بالإسلام والقرآن ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الآية: 122] أي يهتدي به كيف يسلك ويتصرف فيما بينهم ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ [الآية: 122] أي: صفته أنه كائن ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 122] أي: في ظلمات الحالات أو في شذائد/الواقعات ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الآية: 266/ب] والحاصل أنه سبحانه مثل به من هداه الله المتعال وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الحادثات ويتميز بين الحق والباطل في الواقعات وبين المحق والمبطل من أرباب الكائنات ومن بقي في تيه المفازات وتاه في ميدان الجهالات والضلالات لا يفارقها بحال من الحالات ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 122] أي: كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زَيْنَ الْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 122] مما يقتضي كفرانهم والآية نزلت في عمر أو عمار أو حمزة وأبي جهل.

وقال جعفر الصادق: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ [الآية: 122] عنا ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الآية: 122] بنا وجعلناه إماماً يهتدي بنوره الأجانب والأقارب في جميع المراتب كمن ترك مع شهوته وهواه واشتغاله بما سواه ولم يؤيد بروائح مطالعة قرب الأنس وفوائح مؤانسة حضرة القدس.

وقال ابن عطاء: أو من كان ميتاً بحياة نفسه وموت قلبه فأحييناه بإماتة نفسه وإحياء قلبه وسهلنا عليه سبيل التوفيق وكحلناه بأنوار القرب والتحقيق فلا يرى غيرنا ولا يلتفت إلى ما سوانا وقيل: أي ميتاً بالاعتماد على الطاعة فأحييناه وجعلنا له نور التضرع والمعدرة.

وقال القاسم: أحيا أوليائه بنور الانتباه كما أحيا (الأمشاج) بالأرواح.

وقال ابن عطاء: من كان ميتاً بالانقطاع عنا فأحييناه بالاتصال بنا وجعلنا له نوراً إلى غاية الألماع كمن تركناه في ظلمة الانقطاع.

وقال شاه الكرمانى: علامة الحياة ثلاثة وجدان الأنس بفقدان الوحشة

والامتلاء من الخلق بإدمان الذكر في الحضرة واستشعار الهيئة بخالص المراقبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله فأهل الغفلة إذا ألهموا الذكر فقد صاروا أحياء بعد ما كانوا أمواتاً وأرباب الذكر لو اعتراهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة والذي هو في أنوار القرب وتحت شعاع العرفان وفي روح الاستبصار لا يدانيه من هو في أسر الظلمات وقيد الشهوات ورهين الآفات.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَتَكَبَّرُوا فِيهَا﴾ [الآية: 123] أي: كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها بصد الناس عن الهدى وحملهم على متابعة الهوى وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أي: صيرنا/ مجرى كل قرية رؤساءها ومترفيها أو أكابر مجرميها بالإضافة هي المفعول الأول والمفعول الثاني في كل قرية ﴿وَمَا يَتَكَبَّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 123] لأن وباله يحيط بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 123] ذلك لجهلهم.

وقال الأستاذ: لبسنا عليهم حقائق التوحيد وسؤل لهم ظنونهم شظية من المحو والإثبات في القضية فانهمكوا طانين أنهم يمكرون في التحقيق مخادعون وسيعلمون عملهم حين لا ينفعهم علمهم ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ [الآية: 124] دالة على صدق محمد في النبوة ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 124] أي: أهل مكة ﴿لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الآية: 124] من إنزال الوحي ونزول الملائكة روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت⁽¹⁾ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الآية: 124] وقرأ ابن كثير وحفص بالإفراد والجملة استثنائية للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال والنسبة الجاهلية وإنما هي بالفضائل القدسية والفواصل الإنسية يختص بها من

(1) تفسير البغوي (3/ 185)، تفسير البضاوي (1/ 450).

تعلق به المشيئة الإلهية فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها.

قال النصر أبادي: الله يعلم الأوعية التي يصلح لمنازلاته ومكاشفاته فيزينها بخواص الأنوار ويقدها بلطائف الأسرار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ﴾ [الآية: 124] الذل وحقارة بعد ظهور الكبر والعظمة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 124] أي: في حكمه أو يوم القيامة أو التقدير من عنده ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ [الآية: 124] بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم.

وأفاد الأستاذ: بعد إزاحة العلة وبيان الحجة وزوال الشبهة فالتعلل باستزادة البصيرة إقدام على [سوء] الأدب وقلة الحرمة وذلك محال من الحال والتصدي لمساواة من جاءه الاستحقاق نوع من تساويلات نفس الإنسان بل موجب لمقاساة الهوان لما تعلق به الخذلان.

﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ [الآية: 125] يوفقه طريق الإيمان ويعرفه سبيل الإيقان ﴿يُشْرَحْ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الآية: 125] يوسع قلبه لقبول التوحيد وانقياد الأحكام والتسليم بالأذهان وهو كناية عن جعل النفس قابلة/للحق ومهيئة لحوله 267/ب منها مصفاة عما ينافية ويمنعه منها عن قبولها وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم بروايات متنوعة أنه ﷺ تلا هذه الآية فقالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح قال: نور يقذف به في القلب قالوا وهل لذلك من أمانة قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله والظاهر أن هذا بيان شرح حال أهل الكمال.

وقال سهل: إن الله تعالى ينظر إلى القلوب فما كان أشدهم تواضعاً لله خصه بما شاء من هداة ثم بعد ذلك ما كان أسرع رجوعاً عن إرادة ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن آية من شرح الله للإسلام صدره أي: لا يتحرك في باطنه عرق للمنازعة مع تقدير صاحب القدرة فإن الإسلام يقتضي تسليم الكل بلا استثناء في القضية فمن استثقل شيئاً مما كلف به فيعد غير مستسلم لحكمه ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسائط وهو نور العلم ونور في

النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع العرفان وصاحب العلم مع البيان وصاحب المعرفة في حكم العيان ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد شبهة على نقائص قدره ومساوىء عيبه ثم تشاغله عن شهود نفسه بما يلوح بقلبه من شهود ربه ثم غلبات الأنوار على سره حتى لا يشهد السر بعد ما كان يشهد لناظر في قرص الشمس يستهلك أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك يستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود فيكون صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية وبقاء الأحدية بنعت السرمدية ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ﴾ [الآية: 125] أي: يجعله ضالاً وعن الطريق عوجاً ﴿يَجْعَلْ صَدْرُ صَبَقًا حَرَجًا﴾ [الآية:

125] فلا يبقى فيه للخير منفذ أصلاً وقد سأل عمر رضي الله عنه رجلاً من أهل البادية ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير⁽¹⁾ وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر حرجاً بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر للمبالغة أو بتقدير ذا حرج ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية: 125] شبهةً بمبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه من أمره فإنه صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة/ ولذا يعد من خرق العادة فنه به على أن الإيمان ممتنع منه لا يمتنع الصعود عليه أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هرباً من الإيمان وتباعداً عن الإيقان والعرفان وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به شاذاً وقرأ ابن كثير بالتخفيف وأبو بكر يصاعد بالتشديد بمعنى يتصاعد.

وقال الأستاذ: يجعل صدره ضيقاً حتى لا يسع فيه غير مراده وحد البشرية ضيق القلب والبال وصاحبه في أسر الحداث والأعلال ولا عقوبة أشد من الغفلة عن الحضرة ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 125] أي: كما يضيق الله صدره ويظلم عليه أمره ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ [الآية: 125] أي: العذاب أو الخذلان أو يسلط الشيطان ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 125] أي: عليهم ووضع الظاهر موضع المضممر إيماءً إلى أن تحقق خذلانهم لعدم إيمانهم.

(1) تفسير الطبري (12/ 104)، وتفسير ابن كثير (3/ 336)، وتفسير البغوي (3/ 186).

﴿وَهَذَا﴾ [الآية: 126] أي: البيان الذي جاء به القرآن أو ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿صِرَاطُ رَبِّكَ﴾ [الآية: 126] أي: طريقه الذي ارتضاه ويختاره من اجتباؤه هذه أو طريقته وعادته الذي اقتضتها حكمته وأوجبها مشيئته ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 126] لا عوج فيه أبداً أو عاد لا مطرد أو هو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصداقاً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 126] يتعظون بالآيات ويفهمون الدلالات.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم إقامة العبودية مع تحقق الربوبية فهو فوق مؤيد بجمع وجمع مقيد بشرع وإثبات للموافقة بغاية الوسع والقدرة ونبو من المخالفة بغاية الجهد والطاقة والتحقق بأن المجرى واحد لا شريك له ثم ترك الاعتماد ونفى الاستناد فلا على حركاته يعتمد ولا إلى سكناته يستند فتتظر ما يفتح من التقدير بما يوجب التبديل والتغيير فإن زاغ صاحب الاستقامة لحظة أو التفت يمنة أو يسرة سقط سقوطاً لا ينتعش البتة.

﴿لَهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: دار الله الملك العلام بالإضافة لتشريف الجنة أو دار السلامة من وقوع الكراهة والملامة لأنها متضمنة لأنواع الكرامة أو دار تحيتهم فيها سلام فيما بينهم أو من الله إليهم تعظيماً لهم.

وقال سهل: ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ [الآية: 127] هو الذي سلم فيه من هواجس نفسه ووساوس عدوه وقيل: هو السلامة من القطيعة/.

268/ب

وأفاد الأستاذ: أن دار السلام دار السلامة ومن كان في رق شيء من الأعراض والمخلوقات والأغراض لم يجد السلامة والآية تشير إلى أن القوم في الجنة لكنهم ليسوا في أسر الجنة بل تحرزوا عن رق كل قطيعة ويقال كل من لم يسلم اليوم على نفسه وروحه وكل ماله من كريمه وعظيمه تسليم وداع لا يجد غداً تلك الفضيلة فمن أراد أن يسلم عليه ربه غداً فليسلم على الكون بجملته أولاً على نفسه وروحه نقداً ويقال دار السلام غداً لمن سلم اليوم لسانه من الغيبة وجنانه من الريبة وأبشاره وظواهره من الزلة وأسراره وضمائره من الغفلة وعقيدته من البدعة ومعاملته من الحرام والشبهة وأعماله من الرياء

والمصانعة وأحواله من الإعجاب والملاحظة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 127] أي: لحكمه في حقهم أو يوم القيامة قد فصل أمرهم أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وكما ورد أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شرف قدر تلك الدار لكونها في محل الكرامة واختصاصها بعندية الزلفة وإلا فالأقطار كلها ديار ولكن قيمة الدار بالجار قال قائلهم:

إني لأحسد جاركم لجواركم طوبى لمن أضحي لدارك جاراً
يا ليت جارك باعني من داره شبراً لأعطيهِ بشبر داراً⁽²⁾

ويقال الحقيقة وإن كانت منزهة عن قبول الجوار وليس القرب منه بتداني الأقطار فإطلاق هذا اللفظ لقلوب الأحباب مؤنس بل لو جاز القرب في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا كثير أثر وإنما حياة القلوب بهذا لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ثم لأجل قلوب أحبابه يطلق هذا يوقع العلماء في كد التأمل هذا هو أمانة الحب قال قائلهم:

أنا من أجلك حملت الأذى الذي لا أستطيع⁽³⁾

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: مولاهم وناصرهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 127] بسبب أعمالهم أو متولي أمرهم فيجازيهم على وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هنا شرف قدر تلك المنازل حيث قال ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُمْ﴾ [الآية: 127] فإنه إذا كان وليهم كانت المنازل بأسرها طابت كيف كانت وأين كانت قال قائلهم:

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر⁽⁴⁾

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/306) و(7/444) وانظر غرر الخصائص (1/250).

(3) ذكره القشيري في تفسيره (2/306).

(4) ذكره القشيري في تفسيره (2/306).

وهو وليهم في دنياهم وهو وليهم في عقابهم وليهم في أولاهم وأخراهم
وليهم الذي استولى حديثه على قلوبهم فلم يدع فيها لغيره نصيباً ولا مثنى
وليهم الذي هو أولى بهم منهم وليهم الذي آثرهم على أضرابهم وأشكالهم
وآثروه في جميع أحوالهم وليهم الذي يطلب رضاهم وليهم الذي لم يكلهم
إلى هواهم ولا إلى دنياهم ولا إلى عقابهم وليهم الذي بأفضاله يلاطفهم
وبجماله وجلاله يكاشفهم وليهم الذي اختطفهم عن كل حظ ونصيب وحال
بينهم وبين كل حميم وقريب وحررهم عن كل موهوم ومفهوم ومطلوب
ومحبوب وليهم الذي هو مؤنس أسرارهم وشاهد معتكف أبصارهم وحضرته
مربع أرواحهم وليهم الذي ليس لهم سواه ولا يشهدون إلا إياه ولا يجدون
إلا إياه لا في بدايتهم يقصدون غيره ولا في نهايتهم يجدون غيره ولا في
وسائطهم يشهدون غيره.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 128] بنون العظمة وقرأ حفص بالغيبة أي:
اذكر يوم نحشر الثقلين ونقول ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنَّ﴾ [الآية: 128] أي: الشياطين ﴿فَدَرِ
أَسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ [الآية: 128] أي: من إغوائهم كما قاله ابن عباس ومجاهد
وقتادة والحسن وغيرهم والمعنى أضللتهم كثيراً منهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُم مِّنَ الْإِنْسِ﴾
[الآية: 128] أي: مطيعوهم ﴿رَبَّنَا أَسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 128] أي: انتفع
الإنس بالجن حيث دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها من الحالات والجن
بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وشاركوهم في فسادهم وحاصله أن
بعضهم مطاع وبعضهم مطيع وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب والزجاج
وقيل: استمتع بعض الإنس ببعضه وبعض الجن ببعضه أو كان في الجاهلية إذا
نزلوا مفازة قالوا أعوذ بكبير هذا الوادي فيفتخر كبير الجن بتعود الإنس بهم
ويقولون نحن سيد الإنس والجن وهذا هو الاستمتاع وبه قال ابن جرير ويؤيده
قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَقُولُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 269] ب
[6] أي: طغياناً وضلالاً ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الَّذِي أَهْلَكْتَ لَنَّا﴾ [الآية: 128] أي: القيامة
الصغرى أو الكبرى وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
ومخالفة الرحمن وتحسر على حالهم من الطغيان والخذلان.

قال الأستاذ: يعتذرون فلا يسمع ويحتجون بما لا ينفع ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقل منه قبل منهم لكنهم سبقت القسمة فحقت لهم النعمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 128] أي: الله أو القائل بأمره ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ [الآية: 128] منزلكم ومأواكم ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية: 128] إلا الأوقات التي ينقلون فيها من السعير إلى الزمهرير وقيل: إلا ما شاء الله قبل الدخول وهو مدة حياتهم في الدنيا أو البرزخ أو الموقف فكأنه قيل: النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم وقيل الخطاب في النار مثواكم لكل كافر وفاسق والاستثناء للفساق وما بمعنى من والمراد به بعض الفجار الذين دخلوا النار وليسوا من الكفار ولا يبعد أن يكون الخطاب عاماً للثقلين والاستثناء للمؤمنين من الفريقين ولا يبعد أن يكون التقدير إلا من شاء الله منكم إنقاذه منها بأن هداه في دار الدنيا ويؤيده عموم قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَسَرُ الْجِنُّ﴾ [الآية: 128] ولعل هذا مجمل ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن معنى هذه الآية أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 128] في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 128] بخلقهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 129] أي: كما ولينا بعض الإنس بعض الجن ﴿تَوَلَّى بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الآية: 129] نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العقبى كما كانوا في الدنيا أو فسلط بعضهم على بعض كما ورد من أعان ظالماً سلطه الله عليه.

قال الفخر الرازي: وهذا دال على أن الرعية إذا كانوا ظلمة فالله يسلط عليهم ظالماً مثلهم قلت: وقد ورد كما تكونوا يولّ عليكم⁽¹⁾ أو يهلك بعضهم بيد بعض ويتنقم من بعضهم ببعض جزاء على ظلمهم وبغيهم.

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 251] وهذا قول مالك بن دينار وغيره ﴿يَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 129] من الكفر والمعاصي.

﴿يَمْعَسَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَّا يَأْتِيَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 130] هذا توبيخ وتقرير.

(1) جامع الأحاديث (15/ 402) رقم (15812)، كشف الخفا (2/ 126) رقم (1997).

للكافرين/ من رب العالمين والمعنى أنه قد أتاكم رسل منكم في الجملة فالأصح 270/ أ
بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم كما أن النساء تبع للرجال في
أحكامهم إلا ما خص بهن فخرجن من عموم أعمالهم قالوا: ونظيره يخرج منها
اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل: الرسل من الجن
رسل الرسل إليهم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] ونظيره
قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس: 14] وتعلق قوم بظاهر هذا الكلام
وقالوا: بعث إلى كل من الثقيلين رسل من جنسهم ولعله محمول على غير زمان
نبينا ﷺ إذ الإجماع على أنه مبعوث إلى جميع الخلق جنهم وإنسهم ﴿يَقْضُونَ
عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾ [الآية: 130] أي: يتلون مبانيها أو يبينون معانيها ﴿وَيُنْذِرُونَكَ لِقَاءَ
يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الآية: 130] أي: ويخوفونكم البعث وملاقاة يوم القيامة بالحساب
والعذاب ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 130] أي: في الجواب ﴿شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ [الآية: 130]
باستيجاب العقاب ﴿وَعَرَّضْنَاهُمْ لِحُكْمِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 130] من المال والجاه وسائر
الأسباب ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الآية: 130] فهذه شهادة من
الله عليهم شهدوا على أنفسهم بالكفر والشهادة الأولى حكاية لقولهم والمقصود
من الثانية ذم حالهم وتخطئة رأيهم وسفاهة نظرهم تحذيراً للسامعين من مثل
كلامهم وفساد مرامهم وجهله وغرثهم الحياة الدنيا حالية معترضة إيماء إلى أنهم
اغتروا الحياة الدنيوية وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى آل أمرهم في الحال إلى
سوء المآل وفوت المنال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعرفهم أنه أزاح لهم العلة من حيث إلزام
الحجة لكن حكم لهم في الأزل بالشقوة فليس عليهم المحجة.

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الآية: 131] أي:
مصدرية أو محققة من المثقلة أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك إلخ أو لأن الشأن
لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم صدر منهم وهم غافلون لم ينتبهوا
بإرسال رسول إليهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]
وأما ما قال بعض المفسرين من أن التقدير ظالماً وأنه لا يهلكهم بدون التنبيه
بالرسل والآيات فإنه ظلم فخرج/ من مذهب أهل السنة وشائبة من بدعة المعتزلة 270/ ب

كما يستفاد من كلام الأستاذ فيما أفاد بقوله متى يصح وصفه بوسم الظلم والملك ملكه والخلق خلقه ومتى يقبح منه تصرف في شخص بما أراد والعبد عبده والحكم حكمه.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الآية: 132] من المكلفين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ [الآية: 132] مراتب مختلفة ناشئة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الآية: 132] في أوقات وحالات ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 132] فيخفى عليه خافية أو قدر مما يستحق به من مثوبة أو عقوبة وقرأ ابن عامر بالتاء لتغليب الخطاب على الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن في روح الثواب متنعم والمذنب في نوح العقاب متألم.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ [الآية: 133] عن العباد والعبادة ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الآية: 133] فلا يعجل لهم بالعقوبة قبل الغني عن طاعة المطيعين ذو الرحمة على المسيئين.

وأفاد الأستاذ: أن الغني يشير إلى عزه وذو الرحمة يومئ إلى لطفه أخبرهم بقوله ﴿الْفَقِيُّ﴾ [الآية: 133] عن جلاله وبقوله ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الآية: 133] عن جماله فجلاله يكشفهم فيغنيهم وبجلاله يلاطفهم فيحييهم ويبقيهم ويقال سماع غناه يوجب محوهم وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم في سماع هذه الآية مترددون بين بقاء وبين فناء وبين إكرام وبين اصطلام وبين تقريب وبين تذييب وبين اجتياح وبين ارتياح ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية: 133] أيها العصاة والضلال بأن يعذبكم عذاب الاستئصال ﴿وَيَسْتَنْزِلُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَاءً يَشَاءُ﴾ [الآية: 133] من الخلق يعملون بطاعته كأهل الفرس وطبقته ونظيره قوله ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ [محمد: 38] ﴿كَمَا أَنشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: قرناً بعد قرن يعني فهو قادر على ذلكم لكنه أبقاكم ترحماً عليكم والأظهر أن الخطاب عام للخلق إيماء إلى الاستغناء المطلق وإشارة إلى القدرة التامة والمشئة الكاملة كما قال إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بأخرين والمعنى إن يشأ يذهب هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غير بني آدم فعل على الوجه الأتم والله سبحانه أعلم.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية: 134] من البعث والجزاء على الطاعة والمعصية
 ﴿لَآتٍ﴾ [الآية: 134] لكائن البتة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية: 134] لله في قدرته
 على المطالبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى قصر الأمل ومن قصر أمله
 حسن عمله وكل ما هو آتٍ فهو/ قريب أجله.

أ/271

﴿قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ [الآية: 135] أي: على غاية تمكنكم
 واستطاعتكم أو على ناحيتكم وجهتكم وقرأ أبو بكر حيث جاء في القرآن
 مكاناتكم والأمر للتهديد أو للمبالغة في الوعيد الشديد والمعنى اثبتوا على كفركم
 وعداوتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ [الآية: 135] ما كنت عليه من الثبات على الإسلام
 والمداومة على مخالفتكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ﴾ [الآية:
 135] أي: الذي تكون له العاقبة الحسنی التي خلق الله لها هذه الدنيا أو المعنى
 فسوف تعلمون أينما يكون له الغلبة والاستيلاء في الدنيا والمثوبة والاستعلاء في
 العقبى أو من يكون له دار البوار ومن يحصل له دار القرار وفيه مع الإنذار
 إنصاف في المقال وحسن أدب في مقام الجدل وتنبيه على وثوق المنذر بأنه
 محق في الحال وسحق في المآل وقرأ حمزة والكسائي يكون بالتذكير لأن تأنيث
 العاقبة ليس على الحقيقة ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية: 135] أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾
 [الآية: 135] أي: لا يسعدون حيث يظفر المطيعون.

﴿وَجَعَلُوا﴾ [الآية: 136] أي: مشركو العرب ﴿لِلَّهِ مِنَّا ذُرًّا﴾ [الآية: 136] أي:
 مما خلقه ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الآية: 136] أي: حصة وحظاً
 وسهماً ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغَمِهِمْ﴾ [الآية: 136] متعلق بقالوا وفيه تنبيه على أن
 ذلك من اخترعه لم يأمرهم الله به ولم يصل إليه ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الآية: 136]
 والإشارة في الموضعين إلى النصيبين المعهودين وفي الكلام حذف دل عليه
 التقسيم أي: ونصيب لشركائهم لقوله ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى
 اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ [الآية: 136] روي أنهم كانوا
 يعينون شيئاً من الحرث والتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما

لآلهتهم وينفقون على خدم أصنامهم ثم إن رأوا ما عينوا الله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حباً لآلهتهم أو إذا سقط شيء من الثمر مثلاً من نصيب الصنم فيما سمي للصنم ردوه إلى ما جعلوه للصنم وقالوا: إنه فقير وسدنته يحتاجون إلى نفقة وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوه لله وإن سقط من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به وقالوا الله غني.

وفيه تنبيه على فرط جهالتهم وكثرة حماقتهم حيث أشركوا الخالق في 271/ب خلقه جماداً لا يقدر على شيء من أمره ثم رجحوه/ عليه بأن نسبوا النصيب الأوفر إليه وقرأ الكسائي بضم الزاي في الموضعين وهو لغة وقد جاء الكسر فيه أيضاً فهو مثلث كالود ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الآية: 136] حكمهم هذا وأمثاله.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما بنوا قاعدة أمرهم على موجب الهوى صارت فروعهم لائقة بأصولهم فهو كما قيل:

إذا كان القضاء إلى ابن آوى فتعديل الشهود إلى القروء⁽¹⁾

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 137] أي: مثل ذلك التزيين في قسمة القربات بين الله وآلهتهم أو إشارة إلى نفس هذا التزيين فهو تزيين قتل الأولاد ﴿زَيْنٌ لِّكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ [الآية: 137] أي: بوأدهم ونحرهم لأصنامهم ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ [الآية: 137] من الجن فإن الشياطين أمروهم بما فعلوا من آثامهم وهو فاعل زَيْن مجازاً في النسبة وإلا فالفاعل هو الله في الحقيقة وقرأ ابن عامر زين علي البناء للمفعول ورفع قتل عن النيابة ونصب أولادهم وجر شركاءهم بإضافة القتل إليه مفصلاً بينهما بمفعوله وقول من قال بضعفه ضعيف مردود عليه لوردوه في كلام الفصحاء من الشعراء البلغاء ولأن القرآن مما يستشهد به لا له لصحة الرجوع في كل باب إليه.

ولهذا قال صاحب «التسهيل»: إذا كان المضاف مصدراً جاز أن يضاف

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/315)، وانظر: التمثيل والمحاضرة (1/44).

نظماً ونثراً إلى فاعله مفعولاً بمفعوله.

قال أبو حيان: وأصحابنا يقولون إن الزمخشري غير نحوي ولا يلتفتون إلى خلافه للنحاة انتهى ومن طعن في القراءة المتواترة يخشى عليه من الكفر لأن القراء لا يقرأون من عند أنفسهم فإذا ثبت شيء بالدليل القطعي فإنكاره والطعن عليه من صنع الغوي وإن وقع من النحوي اللغوي ﴿لِيُرْذَوْهُمْ﴾ [الآية: 137] ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلَيْكَلِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الآية: 137] ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا من دين الإسلام ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 137] أي: ما فعل المشركون ما زين لهم إذا لشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك ﴿فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 137] أي: ما يختلفون على الله من الكذب وهم لا يعلمون.

وأفاد الأستاذ: أن الآية صرحت بأن المراد على المشيئة والاعتبار لسابق القضية.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ الْأَيَّةُ﴾ [الآية: 138] أي: ما جعل للآلهة ﴿أَنَعَمَّ وَحَرَّتْ حَجَرٌ﴾ [الآية: 138] حرام ممنوع فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ [الآية: 138] من رجال خدم الأوثان ﴿يَرْصِفُهُمْ﴾ [الآية: 138] من غير/ حجة لديهم ﴿وَأَنَعَمَّ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ [الآية: 272/أ] 138 من البحائر والسوائب والحوامي ﴿وَأَنَعَمَّ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 138] في ذبحها أي: وما يذكرون أسماء الأصنام عليها ﴿أَفْتَرَاءَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 138] لأجل الافتراء على الله فيما نسبوا إليه ﴿سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 138] ي: بسبب افتراءهم والمعنى أنه إذا قسموا أنعامهم فقالوا هذه حجر وهذه محرمة الظهور وهذه لا يذكر اسم الله عليها فجعلوها أجناساً بأهوائهم ونسبوا ذلك إلى الله بافتراءهم.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ [الآية: 139] أي: أجنة البحائر والسوائب ﴿خَالِصَةً لِّلْكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الآية: 139] أي: نساءنا إن ولد حياً ﴿وَأِنْ يَكُنْ مَيِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾ [الآية: 139] أي: فذكورهم

وإنّاهم فيه سواء وتأنيت الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذا وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ [الآية: 139] الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ [الآية: 139] أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله سبحانه: ﴿وَنَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكَذِبَ﴾ [النحل: 62] ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 139] بأحكام فعله ﴿عَلَيْهِمُ﴾ [الآية: 139] بأحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى أن من نحا نحوهم في زيادة شيء في الدين أو نقصان شيء من شرع المسلمين فمضاه لهم في البطلان منخرط لسلكهم في الطغيان.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: بالواو مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد للتكثير ﴿سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 140] لقلة عقلهم وكثرة جهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم بأنفسهم ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 140] من البحائر ونحوها ﴿أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 140] إلى الحق والصواب في أمر الدين.

قال الأستاذ: انسدت عليهم طريقة الثقة بالله رب العباد فحملهم خشية الفقر على قتل الأولاد ولذا قال أهل التحقيق من إمارات اليقين وحقائق الدين كثرة العيال على وثق الاتكال.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ﴾ [الآية: 141] أي: أبدع بساتين من الكروم ونحوها ﴿مَعْرُوشَتٍ﴾ [الآية: 141] مرفوعات على ما يحملها ﴿وَعَفِيرٍ مَّعْرُوشَتٍ﴾ [الآية: 141] أي: متروكات على وجه أرضها ومحملها ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرُهُ﴾ [الآية: 141] أي: أكل كل واحد منها يعني ثمره في الكيفية والهيئة ومختلفاً حال ب/272 مقدرة أي: مقدراً اختلافه لأنه لم يكن كذلك حال إنشائه ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتُ/ مُتَشَكِّبًا وَعَفِيرٌ مُتَشَكِّبٌ﴾ [الآية: 141] يتشابه بعض أفرادها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها فيهما.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما أنشأ في الظاهر جنات وبساتين كذلك

أنشأ في السر جنات وبساتين فتنزهة القلوب والسرائر أتم من جنات الظواهر فأزهار القلوب مؤنقة وشموس الأسرار مشرقة وأنهار المعارف زاخرة وكما تتشابه الثمار كذلك يتمثل الأحوال وكما يختلف طعومها وروائحها مع تشاكلها من وجه فذلك الأحوال مختلفة القضايا وإن اشتركت في كونها أحوالاً ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ﴾ [الآية: 141] أي: ثمر كل واحد من ذلك ﴿إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الآية: 141] إن لم ينضج بعد ﴿وَأَثَرُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الآية: 141] وهذا شيء كان واجباً قبل وجوب الزكاة وعن بعض السلف أنه الزكاة والآية مدنية أو مكية وتفصيل الزكاة عُلِمَ بالمدينة وقرأ ابن كثير ونافع وحزمة والكسائي بكسر الحاء.

وأفاد الأستاذ: أن حقه الواجب يوم الحصاد إقامة الشكر فأما إخراج البعض فبيانه على لسان العلم وشهود المنعم في عين النعمة أتم من الشكر على وجود النعمة ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الآية: 141] في التصديق لقوله ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29] وفي الأكل بأن تأكلوا فوق الشبع أو في البخل بأن لا تعطوا حق الله ﴿إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ السَّرِفِينَ﴾ [الآية: 141] أي: لا يرضى فعلهم وعن ابن عباس أن أحداً من الصحابة صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لعياله شيئاً فنزلت تلك الآية.

وقال الأزهري: الإسراف في المعصية وقال مجاهد: لو كان لأحد مثل أحد ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في المعصية لعد من المسرفين.

ومن القول الالطف في الشرف لا سرف في خير ولا خير في سرف.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف على لسان العلم مجاوزة الحد على بيان الإشارة فكل ما أنفقته في حظ نفسك فهو إسراف ولو كانت سمسة وما أنفقته في سبيله فليس بإسراف ولو أربى على الألف.

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ [الآية: 142] أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الآية: 142] ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح.

وأفاد الأستاذ: أن تسخير الحيوان للإنسان آية مزية في الفضيلة على سائر البرية وكما سخر الأعيان للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصارييف الحدثان لخواص الإنسان ﴿كُلُوا مِنَّمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 142] أي: مما أحل لكم من الثمار والزروع/والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 142] أي: طرائقه وأوامره كما اتبعها المشركون في التحليل والتحريم من عند أنفسهم ﴿إِنَّكُمْ لَكُمْ عَذَابٌ مُّئِينٌ﴾ [الآية: 142] ظاهر العداوة لمبالغته في إرادة الغواية.

وأفاد الأستاذ: أن الرزق لا يتخصص بالمأكولات بل هو سائغ في جميع ما يحصل به الانتفاع وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر فهذا وجود النعم وذاك شهود الكرم بل الخمود في وجود القدم وللقلب رزق هو التحقيق من حيث العرفان وللروح رزق وهو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان وللسر رزق وهو الشهود الذي هو قرينة العيان.

﴿ثُمَّ نَبَيَّةٌ أَرْسَلْنَا﴾ [الآية: 143] بدل من حمولة وفرشاً وما بينهما معترضة والمراد بالزوج هنا ما معه آخر من جنسه يزاوجها وإن كان قد يقال لمجموعها ﴿وَمِنَ الْأُنثَىٰ اثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي: زوجين اثنين الكباش والنعجة وهو بدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالإبل وقرىء بفتح الهمزة وهو لغة فيه ﴿وَمِنَ الْأُنثَىٰ اثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين وهو جمع ماعز ﴿قُلْ أَطْلَقُكُمْ﴾ [الآية: 143] أي اذكر الضأن وذكر المعز ﴿حَرَّمَ﴾ [الآية: 143] أي: الله عليكم أيها المشركون ﴿أَمِ الْأُنثَىٰ﴾ [الآية: 143] أي: أنثيها ونصب الذكركين والأنثيين بحرم ﴿أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَىٰ﴾ [الآية: 143] أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام، الآية. ﴿نَبِيُّ يَعْلَمُ﴾ [الآية: 143] أي: أخبروني بأمر معلوم يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 143] في دعوى التحريم عليه.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَطْلَقُكُمْ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَىٰ﴾ [الآية: 144] المقصود إنكار فعل التحريم لكنه

ورد في صورة إنكار المفعول ليطابق ما كانوا يدعون من التفصيل في المفعول والترديد فيه فيكون الإنكار في طريق برهاني من جهة أنه لا بد للفعل من متعلق فإذا نفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم نفي الفعل على وجه التكميل ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ [الآية: 144] بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَٰذَا﴾ [الآية: 144] حين وصاكم بما ذكر من تحريم بعض وتحليل بعض وهذا من باب ألهتكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 144] فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبارهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي/ المؤسس 273/ ب له فإنه أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ﴿لِيُضِلَّ النَّاسَ يَفَيْرَ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 144] ملتبساً بغير دليل يفيد علماً أو حال كونهم جاهلين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 144] .

وأفاد الأستاذ: أن الذي ينبغي للعبد أن يتأدب به عند سماع ذكر الضأن استدامة السكون بالتزام حسن الخلق فإن الضائنة مستسلمة لمن يلي عليها فلا بصياحها تؤذي ولا بعدوها يعني كذلك سبيل من وطئ هذا البساط وكذا في الإبل آيات منها انقيادها لمن جرّ زمامها واستناختها حيثما تناخ بلا نزاع ولا اختيار ومنها ركوبها عند الحمل وصبرها على مقاساة العطش ودومانها في السير.

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الآية: 145] أي: في القرآن أو فيما أوحى إلي مطلقاً وفيه تنبيه نبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرماً أي لا أجد شيئاً من الطعام ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَائِعِي يَطْعَمُهُ﴾ [الآية: 145] في وقت ﴿إِلَّا أَنْ يَكُونُ﴾ [الآية: 145] أي: إلا في وقت أن يكون الطعام ﴿مَيْتَةً﴾ [الآية: 145] وقرأ ابن كثير وحزمة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ [الآية: 145] عطف على أن يكون مع ما في حيزه أي: لا وجود ميتة أو دمًا مسفوحاً أي: سائلاً مصبوحاً كالدم في العروق لا الكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خَيْزِرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الآية: 145] أي: فإن الخنزير أو لحمه قدر لتعوده أكل النجاسة.

قال الماوردي: ضمير فإنه للخنزير لأنه أقرب مذكور ونازعه في ذلك أبو حيان وقال: إنه عائد على اللحم لأنه المضاف وهو المحدث عنه والمضاف إليه ذكر لتعريف المضاف وتخصيصه ف قيل ما قاله الماوردي أولى من حيث المعنى لأن تحريم اللحم قد استفيد من قوله أو ﴿لَحْمَ خِنْزِيرٍ﴾ [الآية: 145] فلو عاد الضمير عليه لما كان في الكلام تأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم الكبد والشحم وسائر أجزائه قلت الأول موافق لمذهب مالك والثاني مطابق لما عليه الجمهور والله أعلم بمراده بذلك ﴿أَوْ فَسَقًا﴾ [الآية: 145] عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية: 145] صفة موضحة له وسمي فسقاً لتوغله في الفسق ﴿فَمَنٍ أَضْطَرَّ﴾ [الآية: 145] فمن دعت الضرورة إلى تناول شيء مما ذكر ﴿غَيْرَ بَآغٍ﴾ [الآية: 145] على مضطر مثله أو غير طالب للذة ﴿وَلَا عَاوٍ﴾ [الآية: 145] قدر الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 145] لا يؤاخذ حيث عمل بالرخصة والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحى/ إلى تلك الغاية محرماً غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر بعد هذا ويمكن أن يكون الحصر إضافياً أي: لا أحد فيما أوحى إليّ في القرآن بخلاف ما أوحى إلى من السنة على طبق البيان.

274/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الشارع هو الله والمانع عن الخلق هو الله وما كان من غير الله فهو ضائع باطل عند الله ثم بين أنه إذا جاء الاضطرار زال حكم الاختيار.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ﴾ [الآية: 146] أي: حرّمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط أو كل ذي حافر كما قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل: كل ذي مخلب من الطير ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا﴾ [الآية: 146] أي: جميع شحومهما من الشروب وشحوم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ [الآية: 146] إلا ما علق من الشحوم لظهورها ﴿أَوْ الْحَوَايَا﴾ [الآية: 146] أو ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظَهْرٍ﴾ [الآية: 146] أي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال وأوهنا كما في قولهم جالس الحسن أو ابن سرير كذا قاله بعضهم وفيه أو أن للإباحة

للمثال فجاز أن يجالسهما معاً أن يجالس أحدهما بخلاف التحريم هنا فإنه يعمهما فالصواب في هذه الآية أن أو للتفصيل والتنويع فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم وهي أبلغ من الواو فإنها تدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل واحد من الثلاثة مستقل بحكم الحلية على أن الواو قد يتوهم منها معنى المعية والجمعية مع أنه ليس المراد من الآية البهية ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: التحريم أو الجزاء أو التضييق ﴿جَزَيْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ﴾ [الآية: 146] بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر بينهم ﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ [الآية: 146] في إخبارنا من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا أن إسرائيل حرمه علينا وليس من عمل ذنب صدر عنا.

وقال الأستاذ: بين أن ما حرمه عليهم ضيعوه وما لم يعاتبهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيه وما ابتدعوه من قبل أنفسهم أهملوه ولم يحافظوا عليه فاستوجبوا عظيم الوزر وأليم الهجر.

﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] لا يعجل بالعقوبة على المعصية ولكنه يمهّل ولا يهمل في الآخرة ﴿وَلَا يُرْدُ بِأَسْمُ﴾ [الآية: 147] عذابه ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 147] إذا نزل عليهم بسبب إجرامهم أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين.

وقال سهل قيل للنبي ﷺ من/ أعرض عنك فرغبة فينا فإنه من رغب فينا 274/ ب ففبك رغب لا غير قال عز وجل ﴿إِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] أي: أطعمهم في الرحمة ولا تقطع قلبك عنهم بالمرّة.

وقال الأستاذ: الإشارة منه بيان تخصيص الأولياء بالمرحمة وتخصيص الأعداء بالطرد واللعنة والصورة الإنسانية جامعة لهم ولكن القسمة الأزلية فاصلة بينهم.

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية: 148] إخبار عن مستقبل في أحواله ووقوع مخبره يدل على إعجازه ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمًا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 148] أي: لو شاء خلاف ذلك مشيئة أو قضاء كقوله سبحانه ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] لما فعلنا نحن ولا آبائنا وأرادوا بذلك أنهم على

الحق المشروع المرضي عند الله مأمور به فإن ما لم يشأ لم يكن وما شاء فهو مرضي مأمور به ولم يريدوا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى يتنهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة وحاصل القضية أن الكفرة اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور والمراد كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقيقة الإشراك بالله وسائر ما يركبون من القبائح بأنها ليست بمعصية لأنها موافقة للمشئة التي تساقق الأمر وينادي على ذلك قوله ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية: 148] فإنه لو كان المراد أن الكل بمشئة الله لما كانوا إلا كاذبين لا مكذبين فالمعنى كذب الأمم السابقة بهذه الشبهة الداحضة أنبياءهم وعلماءهم السابقة واللاحقة ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ [الآية: 148] الذي بتكذيبهم عليهم أنزلنا فعلموا أنهم على دين مبغوض غير مرضي عندنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر معلوم لكم يصح الاحتجاج به على زعمكم ﴿تُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ [الآية: 148] أي: تظهروه لأجلنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 148] أي: ما تتبعون في ذلك ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الآية: 148] لا العلم ﴿وَإِن أَنتُمْ إِلَّا قَحْطُوفٌ﴾ [الآية: 148] تكذبون على الله.

وأفاد الأستاذ: فيما بنى الإشارة على ظاهر العبارة حيث قال كذبت قالتهم لأنها لم تصدر عن التصديق فذموا على جهالتهم وإن كان صدقاً في التحقيق انتهى وحاصله أن هذه كلمة حق أريد بها الباطل لا أنه موافقة للمعتزلة ومخالفة لأهل السنة.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ﴾ [الآية: 149] أي: البينة الثابتة التي بلغت غاية المتانة وهي الكتاب والسنة/ ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ [الآية: 149] أي: الهداية الشاملة ﴿لَهَدَّيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 149] بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاهد آية قوم وضلالة آخرين وله في ذلك مصالح وحكم لا بمبتدئ إليه إلا من اكتحل عينه بنور اليقين.

قال جنيد: آثار مشئة الهداية عند أهل الهدى بينة.

وقال النصرآبادي: الخلق كلهم منعهم شدة الحاجة عن معاني رؤية

الحجة ولو أسقط عنهم الحاجة لكشف لهم براهين الحجة وقال أيضاً رؤية الحاجة حسنة ورؤية الحجة أحسن.

وأفاد الأستاذ: أن إرادته سبحانه لا تتقاصر عن مراده وليس عليه شيء معتاض في البلاد والعباد.

﴿قُلْ هَلُمْ﴾ [الآية: 150] أي: أحضروا ﴿شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ [الآية: 150] يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويثبت بانقطاعهم لهم الضلالة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ [الآية: 150] أي: للعناد والمكابرة ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ [الآية: 150] فلا تصدقهم فيه لأن التصديق ملزوم الشهادة وقيل: ففي الشهادة كناية عن إثبات المفسدة وقيل: مشاكلة والمعنى أثبت على ما أنت عليه من الحجة المقرونة بالهداية ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتٍ﴾ [الآية: 150] منهم ومن غيرهم ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 150] من أمثالهم ﴿وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 150] أي: يسوون الأصنام وغيرها بخالقهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أن ما تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه غير مقبول من قائله ولا عذر لقابله.

﴿قُلْ تَكَلَّوْا﴾ [الآية: 151] أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفلى فاتسع فيه بالتعميم وهنا للتخصيص وجه وهو أن العالم يقول للجاهلين ارتفعوا عن حضيض مقامكم السفلي إلى إدراك مقامي المتعالي ﴿أَتُنَلِّ مَا حَرَّمَ رَبِّي﴾ [الآية: 151] أي أقرؤه وأبينه وما يحتمل الخبرة والمصدرية ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 151] متعلق بحرم أو أتل ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الآية: 151] أي: لا تشركوا فإن مفسرة ولا ناهية ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ﴿وَبِالَّذِينَ﴾ [الآية: 151] أي: احسنوا بهما ﴿إِحْسَنًا﴾ [الآية: 151] زائداً بالنسبة إلى غيرهما ﴿وَلَا تَقُولُوا أُولَئِكَ مِمَّنْ لِمَلَكٍ﴾ [الآية: 151] أي: من أجل فقر حال أو مستقبل أو من خشية كقوله خشية إملاق ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الآية: 151] قدم نرزقكم هنا بخلاف سورة الإسراء ليكون كالدليل في القضية فإن رازق

الأصل رازق التابع بالأولوية واختير هنا التقديم لأن التقدير من إملاق بكم
 275/ ب فناسب نحن نرزقكم وإياهم/ وهناك زبدت الخشية المتعلقة بالمستقبل فالتقدير
 خشية إملاق يقع بهم يلائم نحن نرزقهم وإياكم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ [الآية:
 151] أي: كبائر الذنوب لاستثناء اللصم من العيوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾
 [الآية: 151] بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه وقد سبق بيانه.

وقد قال المحاسبى: الفواحش ما أريد به غير الله وقيل ما ظهر من
 الفواحش في الأفعال هو الرياء والسمعة وما بطن منها الدعاوي الكاذبة ﴿وَلَا
 تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية: 151] قتلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 151] وهو
 القود وقتل المرتد ورجم المحصن كما ورد ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 151] إشارة إلى ما
 ذكر مفصلاً ﴿وَصَنِّمُوا بِهِ﴾ [الآية: 151] أي: بحفظه مجملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية:
 151] أي: أمره ونهيه علماً وعملاً.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية: 152] أي: إلا بالطريقة
 التي هي أحسن طرق ما يفعل بما له كحفظه وتشميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية:
 152] جمع شدة وهي القوة والجلادة كنعمة وأنعم وقيل مفرد لا جمع له وقيل
 جمع لا واحد له والمعنى حتى يصير بالغاً رشيداً معتمداً عليه فادفعوا إليه ﴿وَأَوْفُوا
 بِالْكَيْلِ وَالْيَمَازَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 152] أي: بالعدل والسوية بقدر الرسع والطاقة
 ﴿لَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 152] أي: ما يسعها ولا يعجز عنها فإن
 أخطأت بعد بذل جهدها فلا حرج عليها ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ [الآية: 152] في حكومة
 ونحوها ﴿فَاعْدِلُوا﴾ [الآية: 152] أي: في القضية وما يتعلق بها أو إذا تكلمتم
 بكلمة فلا تجوروا فيها.

قال أبو سليمان: إذا تكلمتم فتكلموا بذكره يعني وإذا سكتم فتفكروا في
 أمره ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية: 152] المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية: 152]
 صاحب قرابة منكم ومناسبة بينكم ﴿وَيَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية: 152] أي: بما عاهدكم
 الله عليه أو بما عاهدتم الله عليه ﴿أَوْفُوا﴾ [الآية: 152] اعملوا به ﴿ذَلِكَ﴾
 ﴿وَصَنِّمُوا بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 152] أي: تتعظون به وتنتفعون منه وقرأ

حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال حيث أتى.

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ [الآية: 153] إشارة إلى ما في الآيتين أو إلى ما في السورة أو إلى الكتاب جميعه ﴿صِرَاطِي﴾ [الآية: 153] ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 153] لا عوج فيه عن الوصول إلى ربي.

وقال جعفر: طريقني من القلب إلى الله بالإعراض عما سواه وقرأ حمزة والكسائي أن بالكسر على أنها جملة مستأنفة وابن عامر بالفتح مخففة والباقون مشددة فبتقدير اللام على أنه علة لقوله ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ [الآية: 153] وهو عطف على لا تشركوا أو الجمع بين حرفي العطف/ الواو والفاء عند تقديم المعمول فصلاً بينهما شائع وسائع نحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدرثر: 3] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] وقرأ ابن عامر صراطي فتح الباء ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَسْبُلَ﴾ [الآية: 153] أي: الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الهدى واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات في تتبع الشهوات ﴿فَلَفَرَّقَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 153] الباء للتعدي أي: فتفرقكم وتزيلكم ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 153] الذي هو اتباع الحق واقتفاء البرهان المحقق ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 153] الاتباع الخالي عن الابتداع ﴿وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 153] الضلالة وتتبعون الهداية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أشياء عشرة تضمنها هذه الآيات أولها الشرك فإنه رأس المحرمات والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات وينقسم ذلك إلى جلبي وخفي فالجلبي عبادة الأصنام والخفي ملاحظة الأنام بعين استحقاق الإعظام والثاني من هذه الخصال ترك العقوق وتوقير الوالدين بحفظ ما يجب لهم من أكيدات الحقوق وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق وإراقة دماهم بغير استحقاق ثم ركوب الفواحش ما بطن منها وما ظهر وما بدا واستتر ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام ثم قتل النفس بغير الحق وذلك إنما يكون لفقد شفقة الخلق ثم مجانية مال اليتيم والنظر إليه بعين التكريم ثم الصدق في القول والعدل في الفعل ثم بذل الإنصاف في المعاملات والتوقي من جميع

التبعات ثم متابعة السبيل بما يشير إليه لوائح الدليل فمن قابل هذه الأوامر بجميل الاعتناق سعد في داريه وحظي بعظائم منزلته بالاتفاق.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ [الآية: 154] عطف على ذلكم وصاكم وتم للتراخي في الإخبار فإن الإتياء قبله مما يعلم بالإخبار ﴿تَمَامًا﴾ [الآية: 154] أي: كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في باب الديانة أو تماماً للكرامة والنعمة ﴿عَلَى الْأَرْضِ أَحْسَنَ﴾ [الآية: 154] القيام به في الطاعة ﴿وَنَقْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: وبياناً مفصلاً للأمور السابقة واللاحقة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 154] أي: وهداية عامة ونعمة خاصة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: بني إسرائيل ﴿يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ﴾ [الآية: 154] أي: بلقائه للجزاء ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 154] وللقيام بأمره يستعدون وعن الإقبال إلى غيره يعرضون وبحقائق العوارف ودقائق المعارف يوقنون.

276/ب وأفاد الأستاذ/ : أنه سبحانه يهون علينا مشقة مقاساة التكليف ببيان التعريف فإن الذين كانوا قبلنا كانوا في الضعف والعجز مثلنا ثم صبروا فظفروا وأخلصوا فتخلصوا.

﴿وَهَذَا﴾ [الآية: 155] القرآن ﴿كِتَابٌ﴾ [الآية: 155] جامع ﴿أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكًا﴾ [الآية: 155] كثير النفع والخير ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الآية: 155] في طاعته ﴿وَاتَّقُوا﴾ [الآية: 155] في مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 155] بواسطة متابعتة وهو العلم بمبانيه ومعانيه والعمل بما فيه والحذر عن ما ينافيه.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ [الآية: 156] أي: أنزلناه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [الآية: 156] أي: اليهود والنصارى ﴿وَأِنْ كُنَّا﴾ [الآية: 156] أي: وأنه كنا ﴿عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ [الآية: 156] قراءتهم ﴿لَنُفْلِتَ﴾ [الآية: 156] ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا.

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 157] بلغتنا ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ [الآية: 157] لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ يَسَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 157] حجة واضحة تعرفونها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 157] لمن تأمل فيها وعمل بمقتضاها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 157] بعد معرفة صحتها أو

التمكن من معرفتها ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الآية: 157] أي أعرض أو صد غيره فضل وأصل ﴿سَجَزَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 157] شدته ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الآية: 157] بسبب إعراضهم بأنفسهم أو صدهم لغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال الكتاب عليهم تحقيق الإيجاب فإذا بقي العبد عن سماع الخطاب تسلى بقراءة الكتاب ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال العيش والأنس فإنه يقرأ ترسماً لا تحقيقاً وفي قوله: ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أراح كل علة وبدا بكل وصلة فلم يبق لك متعللاً ولا في إثارة الالتجاء إلى العذر موضحاً وفي قوله فمن أظلم عقوبة كل جرم مؤجلة وعقوبة التكذيب معجلة وهي ما يوجب بقاؤهم في أسر الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية: 158] أي: أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [الآية: 158] أي: ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ [الآية: 158] أي يظهر تجليه والمراد يوم القيامة أوله إتيان ليس كإتيان غيره نؤمن به ولا نعرف كيفه أو كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لأرباب الملامة لقوله: ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: 158] يعني أشراط الساعة أو طلوع الشمس من مغربها وهو الصحيح لقوله ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: 158] / أي التي تضطرهم إلى الإيمان ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ 277/أ [الآية: 158] كالمحتضر فإن الأمر حينئذ عياني والمطلوب إيمان برهاني ﴿لَوْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 158] صفة نفساً ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الآية: 158] عطف على آمنت والمعنى لا ينفع الكافر إيمانه في تلك الحالة ولا الفاسق الذي ما اكتسب خيراً في إيمانه بالتوبة وحاصله أن من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه والمعنى لا ينفعهم تلهفهم حينئذ على ترك الإيمان بالكتاب ولا على ترك العمل بما فيه من الخطاب ﴿قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الآية: 158] أمر تهديد ووعد شديد والمعنى انتظروا أحد الأمور الثلاثة فإننا منتظرون لها فإن لكم الويل بها ولنا الفوز بها.

وقال الأستاذ: أخبر أنهم بعدما أزيح العلل عنهم اقترحوا ما ليسهم لهم واغتروا بطول السلامة فيهم ثم بين أنه إذا مضى بعقوبة عبد حكماً مؤبداً فلا معارض لتقديره ولا مناقض لتدبيره أصلاً أبداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: من اليهود والنصارى حيث أخذوا ببعض ما أمروا وتركوا بعضه كما قاله ابن عباس وغيره أو المراد بهم أهل البدع من هذه الأمة كما نقل عن عائشة وأبي هريرة أو يراد المعنى الأعم كما روي عنه عليه السلام افرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وفي رواية فسر تلك الواحدة بمن يكون على ما هو عليه وأصحابه من الطريقة المؤيدة بالكتاب والسنة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي: باينوا ﴿وَكَاثُوا شَيْعًا﴾ [الآية: 159] فرقاً تشيع كل فرقة أمام ضلاله ﴿لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الآية: 159] أي: من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عتابهم وأنت بريء منهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 159] يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يَنْتَهُمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 159] أي: يعاقبهم على وفق أعمالهم.

وقال الأستاذ: اتفقوا بأبدانهم واختلفوا بقلوبهم فكانوا مجتمعين جهرًا بجهر متفرقين في التحقيق سرًا بسر.

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الآية: 160] أي: بعشر حسنات أمثالها فضلاً من الله وكرماً وهذا أقل ما وعد فلا ينقص منه شيئاً وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمئة وبغير حساب ولذا قيل: المراد بالعشرة الكثرة.

277/ب وفي «تفسير/السلمي» قيل من لاحظها من نفسه فعشر أمثالها ومن لاحظها من مواصلة الحق لها فهو من يضاعف له بغير حسابها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحسنات للظاهر فأما حسنات القلوب فللواحدة مائة إلى أضعاف مضاعفة ويقال الحسنة عن فضله تصدر ويلطفه تحصل فهو يجري ثم يقبل ويثني ثم يجازي ويعطي ويقال إحسانه الذي هو التوفيق يوجب إحسانك الذي هو الوفاق وإحسانه الذي هو خلق الطاعة فالعناء منك فعلة

والجزاء لك فضله ويقال: إحسان النفوس توفية الخدمة وإحسان القلوب حفظ الحزمة وإحسان الأرواح مراعاة أدب الحشمة ويقال: إحسان الظواهر يوجب إحسانه في السرائر والذي منك مجاهدتك والذي إليك مشاهدتك ويقال: إحسان الزاهدين ترك الدنيا وإحسان المريدين رفض الهوى وإحسان العارفين قطع المنى وإحسان الموحدين بالتخلي عن الدنيا والعقبى والاكتفاء بوجود المولى ويقال إحسان أرباب البداية صدق الطلب وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب فشرط الطلب أن لا تبقى ميسوراً إلا بذلته وشرط الأدب أن لا يسمو ولا يبدو لك شيء إلا قطعته وتركته ويقال للزاهد عشر أمثاله من حيث الجزاء وذلك بوعد وللعارف آلاف الآلاف أمثاله من حيث اللقاء وذلك بنقد ويقال للزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاء محصوراً محدوداً ولأهل العرفان ولا يقال محصول غير مقطوع ولا ممنوع ولا معدود.

وفي «نفائس العرائس» أصل الحسنة إخلاص العبودية عند ظهور الربوبية لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه⁽¹⁾ ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الآية: 160] أي: الإجزاء مثلها لا يضاعف عليها عدلاً ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ [الآية: 160] بنقص ثواب أو زيادة عقاب أصلاً.

وقال الأستاذ: يعني يكال عليه بالكيل الذي يكيل فيما أوفى ويوقف حيث رضي لنفسه أن يكون له موقفاً.

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية: 161] أي: بإرشاده وهداه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 161] بوصلني إلى رضاه ويقطعني عما سواه ﴿دِينًا﴾ [الآية: 161] أي: أعني ديناً عظيماً ﴿قِيَمًا﴾ [الآية: 161] أي: قوياً ومن الاعوجاج سليماً وهو فعيل من قام كسيد من ساد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بكسر ففتح مخفف على أنه/ مصدر نعت به ﴿يَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 161] عطف بيان لديناً لما 278/أ فيه من التلويح إلى زيادة التوضيح ﴿خَنِيفًا﴾ [الآية: 161] حال من إبراهيم أي: مائلاً إلى الصواب الصريح ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 161] كما يقوله

المشركون فإن الشرك لظلم قبيح والدين من حيث الانقياد أو الجزاء في المعاد يسمى ديناً ومن حيث أنه يبين ويملي للخلق ملة ومن حيث أنه يرده المتعطشون إلى زلال الكمال شرعة وشرعة فهي ألفاظ متقاربة ومعانٍ متناسبة.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم أن لا ترى من دونه مثبِتاً لا بذره ولا بسينه والدين القيم ما لا تمثيل فيه ولا تعطيل ولا نفي للفرق الذي يشير إلى العبودية ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية والحنيف المائل إلى الحق الزائغ عن الباطل الحائد عن ضد الحقيقة إلى جادة الطريقة فمن سلك إلى مخلوق سبيلاً أو أبرم فيهم تأميراً أو قدم عليهم تعويلاً فقد استشعر تسويلاً وتجرع تضليلاً.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الآية: 162] عبادتي أو قرباني وذبيحتي أو حجي وعمرتي ﴿وَحَيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الآية: 162] أي: وما أنا عليه في حياتي وموتي من إيماني وطاعتي وجميع حالاتي أو حياتي وموتي بأنفسهما مع ما يضاف إلى حالهما ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 162] أي: خالص له وهو خالقه ومالكة.

﴿لَا شَرِيكَ لَهِ﴾ [الآية: 163] أي: في خلقه وملكه ﴿وَبِذَلِكَ﴾ [الآية: 163] الإخلاص الذي هو طريق الخلاص ﴿أُثِرْتُ﴾ [الآية: 163] في مقام الاختصاص ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية: 163] من هذه الأمة أو من مطلق البرية لأنه أول من قال بلى في يوم الميثاق ووقت الابتلاء بل كان نبياً وآدم بين الطين والماء.

وفي «تفسير السلمي» أسلمت بتصاريف قدرته متبرئاً من حولي وقوتي في طاعته.

وأفاد الأستاذ: أن من كوشف من حقائق التوحيد ودقائق التفريد شهد أن القائم عليه والمجرى إليه والممسك لديه والمنقل له من وصف إلى وصف واحد لا يشاركه قسيم وماجد لا يضارعه نديم ويقال من علم أنه بالله علم أنه لله فإذا علم نفسه لله لم يبق فيه نصيب لغير الله فهو مستسلم لحكم الله غير -- معترض على تقدير الله ولا معارض لاختيار الله ولا معرض عن اعتناق أمر الله.

﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا﴾ [الآية: 164] فاشركه في عبادتي أو اجعله إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 164] أي: موجدُه بالكرم/ من كتم العدم إلى ميدان الوجود 278/ ب لإظهار أثر الجود.

وقال الأستاذ: كيف أؤثر عليه بدلاً وإني لا أجد عن حكمه حولاً وكيف أقول لغير أو ضد أو شريك أو ند أو بدونه من معبود أو لغيره من مقصود وإن لاحظت [يمنة] ما شاهدت إلا ملكه وإن طالعت يسرة ما عاينت إلا ملكه بل إن نظرت يمنة وجدت عندي يمنة وإن نظرت يسرة وجدت نحوي يسره ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الآية: 164] أي: لا يتجاوزها إثمها إلى غيرها ﴿وَلَا يُزِدُ وَازِدَةً وَنَزِدُ مُنْزِلَةً﴾ [الآية: 164] باختيارها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية: 164] في معاشكم ومعادكم ﴿يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾ [الآية: 164] في أعمالكم واعتقادكم.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ الْأَرْضَ﴾ [الآية: 165] يخلف بعضكم بعضاً أو خلفاء الله في الأرض تتصرفون فيها بأمره ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الآية: 165] في الشرف والغنى بحسب قضائه وقدره ﴿لِيَسْبُلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ [الآية: 165] ليختبركم فيما أعطاكم من المال والجاه فيمتحن الغني من جهة شكره والفقير من جهة صبره.

قال السلمي: قيل يخلف الولي ولي والصديق صديق ويرفع درجات البعض على البعض لثلاث تخلق الأرض عن حجة الله وقيل: رفع بعضهم فوق بعض درجات ليقضي الأدنى بالأعلى ويتبع المريد درجة المريد ليصل إليه إن أراد خالق العباد ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 165] لمن عصاه وخالف أمر من ارتضاه فإن ما هو آت قريب عند الله أو لأنه يسرع إذا أَرَادَهُ وقضاه ﴿وَأَنْتُمْ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 165] لمن أطاع مولاه ولم يلتفت إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه صير التوبة إليكم وقصر حكم عصركم عليكم فأنتم المقصودون اليوم دون من سواكم ثم إنه جعلكم أصنافاً وخلقكم أخياراً فمن مسخر ومسخر له ومن مرفه مروح أتعب لأجله كثير ومن معن وذو مشقة

أدير على رأسه رحى البلاء ليختبركم فيما أتاكم ويمتحنكم فيما أعطاكم إن حسابه لكم لاحق وحكمه فيكم سابق.

وفي «نفائس العرائس» درجة بعضهم المعاملات ودرجة بعضهم المشاهدات ودرجة بعضهم المقامات ودرجة بعضهم المكاشفات ودرجات بعضهم الفراسات ودرجة بعضهم الكرامات ودرجة بعضهم المواجيد والواردات ودرجة بعضهم الحكميات ودرجة بعضهم اللدنيات/ ودرجة بعضهم المعرفة ودرجة بعضهم التوحيد ودرجة بعضهم التلوين ودرجة بعضهم التمكين ودرجة بعضهم اليقين ودرجة بعضهم الفناء ودرجة بعضهم البقاء ودرجة بعضهم الحيرة ودرجة بعضهم الشكر ودرجة بعضهم الصحو ودرجة بعضهم المحو وما فوق ذلك إلا رسوم مندرسة وطرق منطمة لأن هناك ظهور كنه القدم ولا يبقى مع القدم العدم ابتلاءهم بهذه المقامات لفناء علة الحدث في القدم فمن خرج بنعت الربوبية منها ويدعي بها يضرب ويصلب ويقتل ويحرق كما فعل بحسين بن منصور⁽¹⁾ رَوَّحَ اللهُ روحه ومن خرج منها بنعت العبودية ويبقى بنعت الاستقامة كالنبي ﷺ حيث قال أنا العبد لا إله إلا الله عصم من فورة السكر وغفر له خطراتها في أثناء الطريق وهذا قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 165] في المآب.



سورة الأعراف

[مَكِّيَّة]

وهي مثنان وست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن الباء مكسورة في نفسها وعملها الخافض لما يليها وهي صغيرة القائمة ونقطتها التي بها تميز عن غيرها واحد وهو نهاية القلة في موضع هذه النقطة أسفلها وهي مشيرة إلى التواضع والخضوع والمسكنة في الذات والهيئة والسين من اسم الله شاكن فالإشارة من الباء أن لا تذر في الخضوع والتذلل والجهد والتوسل ميسوراً ثم يسكن للتقدير منتظراً مأموراً فإن من بالقبول بفضلله فذلك المأمول وإن رد بحكمه فله الحكم فتوافق لتقديره بالموافقة في الرضا به إذ الميم تشير إلى المنة إن شاء ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضاء به إذا لم يشأ ويقال: الباء تشير إلى بيان قلوب الحقائق بلطائف المكاشفات بما يخصهم الحق سبحانه بذلك من دون الخلق فهم على بيان مما يخفى على الخلق ببرهان فالغيب لهم كشف والخبر لهم عيان وما الناس علم فلهم وجود وحكم والسين يشير إلى سرور والقلب عند تقريبات البسط بما يهيمهم فيه من وجوه المناغاة وصنوف لطائف المناجاة فهم في جنات/ 279 ب ونعيم وعيش بسيط وتكريم ودوام روح مقيم والميم يشير إلى محبة الحق سبحانه لهم بدء فإنها هي الموجبة لمحابهم إذ عنها صدر كل حب فبحبه لهم أحبوه وبقصده لهم طلبوه وبإرادته لهم أرادوه ويقال: نزهة أسرار الموحدين في الإناخة بغفوة البسمة فمن حل بتلك الساحة حصل له الراحة ووقع في حدائق القدس واستروح إلى نسيم الأنس ويقال: قاله بسم الله ربيع المحبة وأزهارها لطائف الوصلة وأنوارها زوائد القربة قلت وأسرارها موائد المعرفة.

﴿الْمَصَّ﴾ [الأعراف، الآية: 1] أي: أنا الله أعلم وأصدق في قوله الحق.

قال الحسين: الألف ألف المألوف واللام لام الآلاء والميم ميم الملك والصاد صاد الصدق وقال في القرآن علم كل شيء وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الحروف في لام الألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية وعلم المعرفة الأصلية في علم الأزل وعلم الأزل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب الهوى وغيب الهوى ليس كمثله شيء وقال أيضاً: الألف ألف الأزل واللام لام الأبد والميم ما بينهما من الأمد والصاد اتصال من اتصل به وانفصال من انفصل عنه وفي الحقيقة لا اتصال ولا انفصال ولا اتحاد ولا الانحلال وهذه ألفاظ تجري على حسب العادات ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبادات كذا في «دقائق الحقائق».

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحروف من المتشابه في القرآن على طريقة قوم من السلف فالحق سبحانه مستأثر بعلمه دون خلقه وعلى طريقة قوم فلها معانٍ تعرف وفيها إشارات توصف: فالألف تشير إلى إلفة الأرواح وسكونها في دار الغربة إلى إشكالها فإن الغريب للغريب نسيب ولولا الاشتراك في الغربة لما وقع بين الأشخاص في هذه الدار نوع من الإلفة ثم الشكلية تجمعهم فإذا كانت الأرواح العطرة أصابت الشكلة فهي في تحقيق في ذلك المعنى كالمتحدة فمنه تقع الإلفة بين المتشاكلة ولأجل اتحاد المقصود يتفق القاصدون ويقال ألف من عرف وتلف من وقف أنف عن حديث غيره من ألف ويقال: الألف تجرد من قصده عن كل غير فلم/يتصل بشيء وحين استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه ويقال صورة اللام كصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبها الحركات كسائر الحروف فمرة أصبحت مفتوحة ومرة أصبحت مكسورة ومرة مرفوعة وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات فهي سكونها الأصلي وأما الصاد فتشير إلى صدق أحوال المستأنسين في الصدق ويقال: الصاد تنذر-محنة الصد-وهو بلاء أهل الود- لأن أمانة الصدق في المحبة أن لا يزيد بالمنحة ولا ينقص بالمحنة.

﴿ كُنُزٌ ﴾ [الآية: 2] أي: هذا أو هو كتاب جامع لكل باب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 2] من بين الأحباب ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 2] ضيق وقبض من تبليغه إلى الأصحاب ﴿لِنُنْذِرَ بِهِ﴾ [الآية: 2] الكافرين والمتحيرين ﴿وَذِكْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 2] أي: وتذكر ذكرى للمؤمنين.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب تحفة الوقت وشفاء عما يقاسيه من ألم البعد وهم المقت.

﴿أَتَمِّمُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّن رِّزْقِكُمْ﴾ [الآية: 3] من أوامره ونواهيهِ ومتابعة السُّنة مستفاد من الآيات وهي قوله: ﴿وَمَا ءَأْتَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونِهِ﴾ [الآية: 3] أي: من غير ربكم ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 3] من الجن والإنس فيضلوكم وقرىء ولا تتبعوا أي لا تطلبوا سواه.

وقال الأستاذ: استسلموا لمطالبات التقدير وقفوا حيث ما وقفتم وتحققوا بما عرفتم وطالعوا ما به كوشفتم ولا تلاحظوا غيراً ولا تركنوا إلى علة ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 3] أي: تتعظون اتعاضاً قليلاً أو زماناً يسيراً وما مزيدة لتأكيد القلة وقرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون بحذف إحدى التاءين وابن عامر تتذكرون بالغيبة على أن الخطاب بعد مع صاحب النبوة والباقون غير ابن عامر بإدغام التاء في الذال المعجمة.

﴿وَكَمْ مِّن فَرِيَّةٍ﴾ [الآية: 4] أي: وكثير من أهل القرى ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الآية: 4] بالعذاب لمخالفة رسلها أو أردنا إهلاك أهلها لقوله: ﴿فَجَاءَهَا﴾ [الآية: 4] أي: فجاء أهلها فجاءة ﴿بِأَسَنَاءَ﴾ [الآية: 4] عذابنا بالشدة ﴿يَبْتَأُ﴾ [الآية: 4] أي: يأتيين ليلاً كقوم لوط وهو مصدر وقع في موقع الحال ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الآية: 4] عطفاً عليه أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب وهو مأخوذ من القيلولة وكلا الوقتين وقت الغفلة والاستراحة فالعذاب فيهما أفظع وأوقع في الشدة/ وفي التعبيرين 280/ ب مبالغة في غفلتهم وأنهم من العقوبة.

﴿فَمَا كَانَ دَعْوُهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: دعاؤهم واستغاثتهم أو دعاؤهم من ديانتهم ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَنَاءَ إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الآية: 5] إلا اعترافهم

بظلمهم واستحقاق العذاب بفعلهم وتحسرهم حين لا ينفعهم.

وقال الأستاذ: يعني كم من قرية ركنوا إلى الغفلة واغتروا بطول المهلة فباتوا في خفض الدعة وأصبحوا وقد صادفتهم البلايا بغتة وأدركتهم القضية فجأة فلا بلاء كشف عنهم ولا دعاء سمع لهم ولا فرار نفعهم ولا صريخ أنقذهم فما زالوا يفزعون إلى الابتهاال ويصيحون بالويل ويدعون إلى كشف الضر ويبكون على مس السوء حتى بادوا فكان لا عين ولا أثر ولا لأحد منهم خبر فتلك سنة الله في الذين خلوا من الكافرين وعادته في الماضين من الماردين.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن قبول الرسالة فإجابة أهل النبوة ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عما أجبوا به في تلك الحالة والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريع الفجرة كما أن المقصود من السؤال الأول تشريف أرباب الرسالة وتقريب أصحاب النبوة.

وقال الأستاذ: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن القبول فيتقنعون بذل الخجالة ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة فالكل بسمة العبودية من أهل التقصير والتوقير والحق تعالى بنعت الكبرياء والتعزز في التقدير.

﴿فَلَنَقْصُصَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 7] أي: على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه من عمل قليل أو جليل لديهم ﴿بِمَعْلُومٍ﴾ [الآية: 7] عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [الآية: 7] عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.

قال ابن عطاء: في حال عدمهم ووجودهم.

وقال الأستاذ: فلنخبرنهم يوم الحشر تفصيل ما هم عليه اليوم مما عملوه ونوقفنهم على ما أسلفوه ونقيمهم في مقام صغارهم ومحل خزيمهم فيما ندموه وسيعلمون أنه لم يشد عن علمنا صغير ولا كبير مما علموه وجعلوه ويقال أجرى الحق سنته بتخويف العباد بعلمه مرة كما يخوفهم بعقوبته تارة فقال

تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ [البقرة: 48] أي: العذاب الواقع في ذلك اليوم وقال في موضع ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ تَفْسُكُمُ﴾ [آل عمران: 28] وهذا أبلغ في التخويف وقال ﴿أَلَمْ يَقُلْ إِنَّ اللَّهَ بَرَأَ﴾ [العلق: 14] .

﴿وَالْوِزْنَ﴾ [الآية: 8] أي: وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء والقضاء ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية: 8] أي: يوم السؤال وهو خبر/ مبتدأ الذي هو الوزن وقوله 281/أ ﴿الْحَقُّ﴾ [الآية: 8] صفته أي: العدل السوي والأظهر أو هو الخبر ومعناه الثابت الصدق وما قبله ظرف له ومتعلق به والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم مع علمه بتفاصيل أحوالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم وقيل: يوزن أشخاصهم لما روي عنه عليه السلام وإنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة⁽¹⁾ لكن الظاهر المتبادر منه أنه ليس له قدر ومنزلة عنده سبحانه لا أنه يوزن له وقيل: توزن الأعمال بنفسها مع كونها أعراضاً بإيجادها وتقليبها أجساماً ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الآية: 8] أي: حسناته أو أعماله أو ما يوزن به أفعاله وجمعه باعتبار باختلاف الموزونات أو تعداد الوزنات فهو جمع موزون أو ميزان ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 8] أي: الفائزون بالنجاة والثواب.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 9] أي: باقتراف ما عرضوها للعقاب ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون﴾ [الآية: 9] بسبب تكذيبهم بالكتاب وظلمهم على أنفسهم بإنكار الحساب.

قال الأستاذ: توزن أعمالهم بميزان الإخلاص وأحوالهم بميزان الصدق فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم يقبل أعماله ومن كانت أحواله بالإعجاب مشوبة لم ترفع أحواله .

وفي «دقائق الحقائق» للسلمي من وزن نفسه بميزان العدل كان من

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4729)، ومسلم في الصحيح (18/2785).

المحبين ومن وزن خطراته وأنفاسه بميزان الحق اكتفى بمشاهدته والموازن
مختلفة ميزان للنفس والروح وميزان للقلب والعقل وميزان للمعرفة والسر
فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفتاه الكتاب والسنة وميزان العقل
والقلب الثواب والعقاب وكفتاه الوعد والوعيد وميزان المعرفة والسر الرضاء
والسخط وكفتاه الهرب والطلب.

وفي «نفائس العرائس» للحق سبحانه موازين يزن بها الأعمال والأحوال
فيزن بميزان الإخلاص المعاملات ويزن بميزان الصدق الحالات فكل عمل
عمل برؤية الأغراض والأعراض ورؤية العمل والالتفات فيه إلى غير الله فهو
ساقط عن محل القبول وكل حالة صاحبها يعجب بها فهي ساقطة عن درجة
الوصول فالثبات ميزان المعاملات والصدق ميزان الحالات فمن هاهنا يزن
281/ ب نفسه بميزان/ الرياضات والمجاهدات ويزن قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله
بميزان الاعتبار ويزن روحه بميزان المقامات ويزن سره بميزان
المحاضرات ومطالعة الغيبات ويزن صورته بميزان المعاملات الذي كفتاه
الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف يوزن نفسه يوم
القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور
ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان
القبول فإذا ثقلت موازينه بما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق وجزاء قلبه
مشاهدة الشوق في الأشواق وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه كشف
أنوار الذات وجزاء سره إدراك أسرار القديمات وجزاء صورته الجلوس في
مجالس وصال الأبديات وافهم يا صاحبي أن حكمة وزن الأعمال يوم القيامة
للعباد أن الله يبين لهم ما كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل الخلق مما
يجري عليهم من القضاء والقدر والرضا والسخط والشقاوة والسعادة مقابلة ما
جرى عليهم في الدنيا الذي في أوراق الحساب التي في أيدي الملائكة
ليزيدهم برهاناً وعياناً وعلماً بعلمه المحيط على كل شيء أو ليكون حجة
عليهم في إخراج أعمالهم على وفق ما كان مكتوباً عليهم وافهم يا صاحبي
أن الأعمال أعراض كيف تكون موزونة ليس هذا في علم الخلق بل أن ميزانه

الحقيقي رده وقبوله وهو قادر على أن يخرج الأعراض بصور الجواهر فيزن بميزانه الذي يظهره لهم يوم القيامة وذلك على لسان الشرع يوجب الإيمان به قال ابن عباس يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعلمه في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنة فيعرفها بعمله فذلك قوله تعالى: ﴿فَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [الآية: 8] ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 8] وهم أعرف بمنازل لهم في الجنة إذا انصرفوا إليها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم وأما الكفار فيؤتى بأعمالهم في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان وهي الباطل فيخفف وزنه حتى يوضع في النار ثم يقال للكافر إلحق بعملك.

﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 10] بأن سكتتم بها وتصرفتم فيها.

وفي «نفائس العرائس» من الله على عباده بتمكينهم/ في الأرض بنعت 282/أ تسهيل عبادته لهم حيث يسر لهم عبوديته بقدرة خلقها فيهم بعد أن كلفهم ذلك ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ﴾ [الآية: 10] جمع معيشة أي: أسباباً تعيشون بها.

وفي «العرائس» جعل فيها لأبدانهم معاش الغذاء ولقلوبهم معاش الذكر ولعقولهم معاش الفكر ولأرواحهم روح رؤية ظهور جلاله في ملكوت الأرض من كل زهرة وخضرة لعرفان المنعم القديم بنعت عجزهم في شكره ﴿فَلَيْلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 10] ما زائدة لمبالغة القلة أي: تشكرون شكراً قليلاً ويسيراً فيما أنعمت عليكم قليلاً وكثيراً وهو لا ينافي قوله سبحانه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: 13] أي: كثير الشكر فإن شكره مع كثرته قليل في مقابلة نعمته لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: 34] أي: لا تقدروا على إحصائها فضلاً عن القيام بشكرها ولذا قال بعض العارفين العجز عن الشكر هو الشكر كما قال بعضهم العجز عن درك الإدراك إدراك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أو خلقناكم يا بني آدم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام الأمهات أو صورناكم في

ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر فثم للتراخي في الأخبار.

ومن «العرائس» ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾ أشباحكم جمعاً في آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَكُمْ﴾ في حواء أو ﴿خَلَقْنَكُمْ﴾ هياكل و﴿صَوَّرْنَكُمْ﴾ أرواحاً وفي التعرف خلقنا أرواحكم ثم صورنا أشباحكم ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ﴾ [الآية: 11] أي: لم يكن في العالم الموجود أو في علم واجب الوجود ﴿مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الآية: 11] أي: مع أنه كان من المأمورين سواء كان الاستثناء متصلاً أو منقطعاً وقيل: لم يكن من أهل شهود الصفات ورؤية جلال الذات وأقول بل كان من مظاهر الجلال قضاء ومن كان من مظاهر الجمال.

وقال الأستاذ: أي أنبتناكم على النعت الذي أردنا وأقمناكم في الشواهد التي اخترنا فمن قبيح صورته خلقاً ومن منيع وسقيم حالته خلقاً ثم إنا نعرفكم سابق أيادينا إلى أبيكم ثم لاحق خلافه بما بقي عرق منه فيكم ثم ما عاملنا به من كان يحسدكم ويناديكم ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ﴾ [الآية: 12] أي: تسجد كما في ص ولا صلة مؤكدة معنى النفي الذي دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ 282/ب عليه ترك السجود والأظهر في مقام التحقيق وبيان التدقيق ما قيل من أن الممنوع عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل: ما أحوجك إلى عدم السجدة وما حملك على تركها ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: 12] بها وفيه دليل على أن مطلق الأمر للوجوب على الفور.

وقال الأستاذ: ولولا قهر الربوبية جرى عليك وإلا فما موجب امتناعك عن سجود آدم عليه السلام لو كنت تعظم أمري فليتحقق الموجودون أن موجب امتناعه عن السجود الخذلان الحاصل ولو ساعده التوفيق لم يبرح بعد من السجود انتهى.

وقد قال نديم الباري الشيخ عبد الله الأنصاري: إلهي قلت لآدم لا تأكل وأطعمته وقلت لإبليس اسجد ومنعته قلت: فالأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله..

وقال العارف البقلي: أدخل عشاق المحبة من الملائكة في مقام المحنة

لكنه تجلى لهم بنور جماله وكماله في آدم فسجدوا ولم يسجد إبليس لأنه كان محجوباً من ذلك الجمال بنظره إلى نفسه وقياسه بجهله وكذا من نظر من الحق إلى النفس احتجب بها عن حضرة القدس ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 12] جواب من حيث المعنى يعلم منه المانع في المبنى واستأنف استبعاد أن لا يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً حيث قابل النص بالمعقول وقد أخطأ برأيه في قياسه واستدلالة حيث قال: ﴿خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ﴾ [الآية: 12] والنار ألطف وأنور فإن من الطين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو ومن النار الإهلاك والطيش والسرعة والرفعة ومع هذا غلط في نظره أيضاً بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الأمر وذهب عنه أن مظهر الجمال أفضل من مظهر الجلال لقوله سبحانه في الحديث القدسي والكلام الأنسي سبقت رحمتي غضبي⁽¹⁾ وفي رواية غلبت.

وأفاد الأستاذ: أنه ادعى الخيرية فكان الواجب عليه لولا الشقوة أن يؤثر التذلل على التكبر لا سيما الخطاب الوارد عليه من الحقيقة ثم إنه وإن سلك طريق القياس فلا وجه له مع النص فلو لم يخطئ في قياسه لم يزد في استحقاق محوه ونفيه لأنه ادعى الخيرية بجوهره ولم يعلم أن الخيرية بحكمه سبحانه وقسمه/ .

أ/283

وقال أبو حفص: عرف الله سبحانه الملائكة استغناء عن عبادتهم فقال: ﴿أَسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ [الآية: 11] ولو كان سجودهم يزن عنده مثقال ذرة لما أمرهم بذلك ولا صرف وجوههم إلى آدم فإن سجود الملائكة وسجود جميع الخلق لا يزيد في ملكه لأنه عزيز قبل أن يخلقهم وعزيز بعد أن يغنيهم وعزيز حين يبعثهم وله العزة جميعاً ثم عير إبليس بامتناعه عن السجود لآدم وقلة عرفانه بشرفه حيث قال ﴿مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: 12] أي: أي شيء يمنحك من متابعة أمري

(1) سبق تخريجه .

ولم يبق في البين غيري أي: يمنعك من ذلك قهر سابق مني عليك وخذلان وارد في المشيئة متوجه إليك وإلا فمن الحدثن بامتناعها عن متابعة أمري وليس لها قدرة ولا مشيئة وكلها عاجزة في قبضة قهري ومن سبق له الشفاء من العباد لا يسبق بالمراد وإن كان جميع عبادة الثقيلين مصحوبة معه في استيقاقه إلى الحضرة.

وقال الواسطي: من استصحب كل نسك في الدنيا والآخرة، والجهل وطنه والاعتراض غرضه والبعد من الله سببه لا تقرب منه لأن العبادات تقطع عن الرعايات ورؤية النسك رؤية الأفعال والنفوس ولا تقرب على الله أشد ممن طالع نفسه بعين الرضا فلما كلم الله إبليس بكلام التعبير وقهر السلطنة ألبسه من خطابه قدره في الجواب ولولا إلباس الحق إياه لكان مبهوتاً عند وارد قهر الخطاب عليه ولم يطق بجواب الأمر ولكن أجابه إجباراً لا اختياراً وذلك قوله ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الآية: 12] لما رأى الملعون لباس قهر الخطاب عليه لا يفوته أنا ولولا ذلك لما قال أنا وأين أنانيته وكان هباء في أنانيته الحق ونظر الملعون إلى جوهر النار الصادر من قهر القدم فانتسب إلى قهر القدم وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الآية: 12] ولم ينظر بنظر المعرفة إلى الطين الذي صدر من لطف القدم والرحمة الأزلية فالنار من غضبه والطين من رحمته والرحمة سابقة على الغضب للحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي⁽¹⁾ فنظر إلى صفة واحدة ولم ينظر إلى صفة أخرى واحتجب بالصفة عن الصفة 283/ ب فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الآية: 12] ولو رأى مصدر جميع الصفات/ لذاب تحت رؤية الكبرياء وأنوار العظمة ولم يكن بعد فناء أبداً لأن من عرف وصف القدم صار عدماً في القدم وأين النار من الطين الذي هو مفيض فيض أطاف العزة مخلوق يد الصفة الخاصة بقوله ﴿خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: 75] ومسقط الأرواح التي صدرت من تجلي القدس بقوله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: 29] وذلك محل التواضع والعبودية الخالصة ومنبت أجسام الأنبياء والرسل والأولياء والصديقين ومنبت أغذية الخلائق ومرجع الكل وهو موثقة الأجسام والأرواح في العالم ليخرج منه سبائك القدس بمجاليس الأنيس والنار عذاب قهره يجازي بها من خلقه

نارياً كإبليس وجنوده.

﴿قَالَ فَاقْظِمْ مَنَّا﴾ [الآية: 13] من الجنة أو السماء أو منزلتك أو هيئتك ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 13] أي: ما يستقيم ويصح ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الآية: 13] وتعصي بها فإنها مكان الخاشع الخاضع ومنزلة الطائع المتواضع ﴿فَأَخْرَجَ إِيَّاكَ مِنَ الصَّنَفَيْنِ﴾ [الآية: 13] أي: الأذلاء المهانين لما في الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله⁽¹⁾.

قال الأستاذ: أي فارق بساط القربة فإن التكبر والترفع على البساط ترك الأدب في مقام الانبساط وترك الأدب يوجب الطرد عن الباب ويقال من رأى لنفسه محلاً وقيمة فهو متكبر والمتكبر بعيد من الحق سبحانه ورؤية المقام قدح في الربوبية إذ قدر لغيره تعالى ممن ادعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية وفارق العبودية.

﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية: 14] أي: أمهلني إلى يوم القيامة ووقت بعثة البرية فضمير يبعثون عائد على ما دل عليه المعنى إذ ليس ما يعود إليه شيء في المبني ولا يبعد أن يراد به آدم وذريته بل هو الظاهر لما سيأتي من ضمير ﴿لَأَقْدَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 16] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الآية: 15] إلى يوم الوقت المعلوم كما في آية أخرى وهو النفخة الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي إسعافه إليه ابتلاء للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته في المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن الملك المتعال أجاب دعاءه في الحال ولكن كان ذلك مكرراً به لأنه مكنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة فلم يزد بذلك التمكين إلا شقوة على شقوة ليعلم الكافة أنه ليس كل إجابة الدعوة نعمة ولطفاً بل يكون بلاءً ومكرراً قلت: ولهذا قال بعض العارفين لو كان نظر عنايته/ سبحانه إليه لقال في سؤاله لديه انظر لي ولم يقل أنظرني وفي الحديث 284/أ أحييني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 139) رقم (4894).

الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر⁽¹⁾.

﴿قَالَ فِيمَا آغَوَيْنَا﴾ [الآية: 16] أي: بعدما أن أمهلتني فاقسم بسبب إغوائك إياي بواسطتهم لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني فيهم وهذا معنى قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 16] ترصداً بهم كما يقعد القطاع للسابلة ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] أي: في طريقك القويم أو على سبيلك القديم.

وأفاد الأستاذ: أنه جاهر الحقيقة بالخلاف بعدما أظهر من نفسه الخلوص في العبودية فعلم أن جميع ما كان عنده في سالف حاله لم يصدر عن إخلاص وصدق.

وفي «العرائس» هاهنا قسم أي: بإرادتك السابقة في إغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] كما قال ﴿فَعِزَّيْكَ﴾ [ص: 82] أي: بما ألبستني لباس قهرك في الأزل أقدر أن أقعد في طريقهم المستقيم وإلا فلا أقدر أن آمرهم في ذرى العالم أي: بقوة قهرك أوسوس في صدورهم التي هي طريقك المستقيم الذي يسلك فيه عساكر أنوار تجليك وفي قوله لهم نكتة عجيبة أي: لأقعدن لهم لا عليهم فإن وسوستي لهم تزيد تشوفهم عند إخسائي عن صدورهم بنعت إياسي عن الظفر بهم ويتصرح هناك إيمانهم وإيقانهم عن نعوت الاضطراب وطوارق علة الوسوس وغياب الشك ألا ترى إلى قوله عليه السلام حين شك أصحابه عما وجدوا في صدورهم من الوسوسة فأشار عليه السلام بقوله ذاك صريح الإيمان⁽²⁾.

وقال محمد بن عيسى الهاشمي: لو نجا إبليس بشيء لنجا برؤية القدرة عليه والإقرار على نفسه بقوله ﴿رَبِّ يَمَّا آغَوَيْنَا﴾ [الحجر: 39] وقال بعضهم إبليس أعقل من المعتزلي حيث قال ﴿رَبِّ يَمَّا آغَوَيْنَا لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل آخرتهم فأشككهم فيها

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (209/132)، والبيهقي في شعب الإيمان (303/1) رقم (343)، وابن حبان في الصحيح (361/1) رقم (148).

﴿وَمَنْ خَلَفَهُمْ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل دنياهم فأزين لهم أعمالهم ﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الآية: 17] من جهة حسناتهم وسيئاتهم ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه فيه توحش وهو لا يريد إلا اغترارهم لا توحشهم وفرارهم وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وعدي الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما يتوجه إليهم/ وإلى 284/ ب الآخرين بحرف المجاورة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أخبر بأنه يأخذ عليهم جوانبهم ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه فإن ما يكيدهم من القدرة يحصل وبالمشيئة يوجد ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثر فيه كدحة نفسه فحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيده بما توعدهم به من سوء أفعاله.

وفي «نفائس العرائس» من بين أيديهم من جهة النفس والهوى ومن خلفهم من جهة الشهوة والمني وعن إيمانهم من طريق الدعوى وعن شمائلهم من طريق إظهارهم الشكوى في البلوى أو من بين أيديهم من طريق الطاعات ومن خلفهم من طريق رؤية الأعواض وعن إيمانهم من طريق العلم وعن شمائلهم من طريق الجهل أو من بين أيديهم من طريق القلب ومن خلفهم من طريق العقل وعن إيمانهم من طريق الروح وعن شمائلهم من طريق النفس ولم يذكر الفوق والتحت لأن التحت موضع الفناء في العبودية عن السجود الذي يوجب القربة وذلك السجود شهود والشهود محل رعاية الحق ولا يقدر أن يمر على باب رعايته أحد دونه والفوق محل الكشف والمشاهدة ووارد التجلي وظهور سبحات وجه القدم ولو دنا منه جميع الشياطين من الثرى إلى الثريا بقدر رأس إبرة لاحترقوا في أقل لمحة.

وقال الشبلي: لم يقل من فوقهم ومن تحتهم لأن الفوق نظر الملك إلى قلوب العارفين والتحت موضع الساجدين وموضع نظره وموضع عبادتهم لا يكون للشيطان هناك موضع ولا فيه طريق أقول ولا يبعد أن يقال لم يقل من

فوقهم لأن الله سبحانه لم يجعل له استيلاء عليهم واستعلاء لديهم لقوله سبحانه ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141] ولم يقل من تحتهم لتكبره عليهم وأنفته لديهم أن يكون من تحتهم.

وقال أبو عثمان المغربي: إن الشيطان يأتي الإنسان من بين يديه بالأمانى والكرامات ومن خلفه بالبدع والضلالات وعن يمينه بالطاعات من غير المراعاة ومن يساره بالكفر وسائر السيئات ﴿وَلَا تَحِدْ أَكْثَرَهُمْ شَكْرِينَ﴾ [الآية: 17] وإنما قاله قياساً وظناً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُمْ﴾ [سبأ: 20] لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدياً ومبدأ الخير/واحداً وقيل سمعه من الملائكة وهم رأوا في اللوح المحفوظ قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] فأخذ بمفهومه وقال بعض العارفين فالأكثر من هلك بإطاعته والأقل من أدركته السعادة فنجا من ضلالتة وشقاوته.

﴿قَالَ أَمْحَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا﴾ [الآية: 18] أي: مذموماً كما قرئ به من ذاته إذا ذمه ﴿مَذْمُورًا﴾ [الآية: 18] مطروداً عن بابه مبعوداً عن جنبه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخرجه من درجته ومن حالته ورتبته ونقله إلى مقام طرده ولعنته ثم يخلده أبداً في عقوبته ولا يذيقه ذرة من برد رحمته فأصبح وهو مقدم على الجملة وأمسى وهو أبعد من الزمرة وهذه آثار قهر العزة فأى كبد يسمع هذه القصة ثم لم يفتفت من هذه القصة ﴿لَمَنْ يَمَكَّ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 18] اللام لتوطئة القسم وجوابه الساد مسد جواب الشرط قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 18] أي: علمي منك ومنهم نقلاب المخاطب لأنه رئيسهم وفي مقام التلبس إبليسهم.

﴿وَبَقَادُمْ أَتَكُنَّ أَنْتَ وَرَوَّجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ يَشْتَتَا﴾ [الآية: 19] أي: كلا رغداً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 19] أي من بين أشجارها ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 19] فتصيرا من الذين ظلموا وهل يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب والثاني هو الأقرب إلى الصواب.

وقال الأستاذ: لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة وهو ما أكرمه

به من الزوجة وأي: نقص كان يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفي من سر القسمة.

﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 20] كما سبق في البقرة والمعنى فعل الوسوسة لأجلها أو أوقع حديث النفس وحكاية الشهوة إليهما.

وأفاد الأستاذ: أن نسبة ما حصل منهما إلى الشيطان من أمارات العناية لهما حيث كانت الخطيئة منهما لكن قال تعالى: ﴿فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 20] ويقال: التقى آدم عليه السلام إبليس بعد ذلك فقال له يا شقي وسوست إليّ وفعلت وفعلت فقال إبليس يا آدم هب أني كنت إبليس فمن كان إبليسي قلت وقد ورد في حديث إشارة إلى هذا المعنى حيث قال ﷺ فمن أعدى الأول ﴿يَبْدَى﴾ [الآية: 20] أي ليظهر ﴿لَهُمَا مَا يُرَى﴾ [الآية: 20] غطي وستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَبْهَمَا﴾ [الآية: 20] عوراتهما بلباس الجنة عليهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما/ من الآخر.

ب/285

وقال الأستاذ: فيه دلالة على عناية بهما حيث قال ليبيدي لهما فلم يطلع على سواتهما غيرهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية: 20] أي: قربانها أو أكلها ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَا﴾ [الآية: 20] أي: كراهة أي: تصيرا ﴿مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا﴾ [الآية: 20] كملكين من الملائكة المقربين ﴿مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الآية: 20] الذين لا يموتون أو من الدائمين في الجنة لا تخرجون وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطرية والقوة الزائدة والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك لا يدل على فضلهم على آدم عليه السلام في الجملة.

وقال الأستاذ: تافت أنفسهما إلى أن يكونا ملكين لا لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم ولكن لانقطاع الشهوات والمني عنهما ويقال: لما طمعا في الخلود وقعا في الخمود وقعا في البلاء والعناء ويقال: إذا كان الطمع في الجنة وهي دار الخلد والبقاء أوجب على تلك المحن فالطمع في الدنيا التي هي دار الفناء متى يسلم صاحبه من الفتن ويقال: يحتمل أنهما ركنا إلى الخلود لا لنصيب أنفسهما ولكن لأجل البقاء مع ربهما وهذا أولى

لأنه يوجب تنزيه محل النبوة عن المقام الأدنى وقيل: ساعات الوصال قصيرة وأيام الفراق طويلة فما لبثنا في دار الوصلة إلا بعضاً من النهار دخلاً ضحوة النهار وخرجاً نصف النهار ويقال: أن الفراق عين تصيب أهل الوصلة وفي معناه قال قائلهم:

إن تكن عين أصابتك فلا زالت العين تصيب الحسن⁽¹⁾

ويقال: حين تم لهم أسباب الوصلة ووطنا نفوسهما على دوام القرية بدا الفراق من مكانه فأباد من شملهما ما انتظم كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أن أمنا

بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا⁽²⁾

﴿وَقَاسَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَينَ التَّصْوِيتِ﴾ [الآية 21] أي: أقسم لهما أني من الناصحين لكما وصيغة المبالغة للمبالغة فهو كقولهم اللهم شاركنا في دعاء الصالحين ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾ [الآية 22] أي: خدعهما فنزلهما عن علو منزلتهما إلى رتبة سافلة فدلاهما ﴿بِعُرْوَةٍ﴾ [الآية 22] بما غرهما به من القسم لهما فإنهما ظنا أن أحداً لا يحلف بالله كذباً وقد ورد/ المؤمن عز كريم والفاجر خب لثيم. 286/أ

وأفاد الأستاذ: أن حسن ظن آدم على الجملة حملة على سكون قلبه إلى يمين العدو لأنه لم يخطر بباله أن يكذب في يمينه بالله ثم لما بان له أنه دلاهما بغرور تاب إلى الله بصدق الندم واعترف بأنه أساء واحترم فعلم الله صدقه فيما قدم فتداركه بجميل العفو والكرم ﴿فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ﴾ [الآية 22] أي: وجدا طعمها وشرعا في أكلها وابتدأت لذة شهواتهما ﴿بَدَتْ لَكُمَا سَوَاتِينُكُمَا﴾ [الآية 22] أي: أخذتهما ملامة العقوبة وشامة المعصية وتساقط عنهما كسوتهما وظهرت لهما عوراتهما.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يحصل لهما استيفاء من الأكل بها ولا استمتاع به

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354) وعنده اللفظ:

إن تكن عين أصابتك فما إلا لأن العين تصيب الحسن

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354).

لنفس منها حتى ظهر تباشير العقاب وتنغص الحال من جميع الأبواب وكذا صفة من أثر على الحق سبحانه شيئاً يبقيه عنه بلا امتناع ولا يكون له بما أثر إمتاع ويقال: لما بدت لهما سواتهما احتالا في سترهما ﴿وَطَفِقَا﴾ [الآية 22] أخذاً أو شرعاً ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] أي: يرقعان ورقة فوق ورقة على سواتهما من أوراق أشجار الجنة التي كانت بقربهما.

قال الأستاذ: فبعد ما كانت كسوتهما حلل الجنة ظلاً يستتران بورق الجنة كما قيل:

لله دُرُّهم من فتية بكرُوا مثل الملوك وأراحوا كالمساكين⁽¹⁾
وأنشدوا:

لا تعجبوا لمذلتني فأنا الذي عبث الزمان بمهجتي فأذلها⁽²⁾

ثم إن آدم عليه السلام رضي بأن يساعده الإمكان في الاستتار بورقة وكانت الأشجار تتناول من آدم برفعه وتأبى أن يأخذ آدم منها حبة وقبل ذلك كان يلاحظ الجنة وكان يتيه على الكون بأسره في الجملة فصار كما قيل:

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأيت صبري على الذل ذلت⁽³⁾

وكان لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطافها ليخصفها على نفسه فلو لم تصل يده إلى تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لكان ذلك في شأنه من المنحة ولكن وصلت يده إلى شجرة المحنة تنمة للبلاء والفتنة ولم تصل يده 286/ب إلى شجرة الستر إبلاغاً في القهر لما خالف الأمر وناداهما ربهما قائلاً لهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] ﴿وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية: 22] كما قال تعالى في [سورة طه]: ﴿يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾ ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (42/1).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (355/2).

(3) نسب إلى عبد الله بن المعتز. انظر: التذكرة الحمدونية (24/2).

وَلَا تَفْخَحْ ﴿١﴾ والمقصود أن هذا عتاب على مخالفة النهي لهما وتوبيخ على الاغترار بقول العدو فيهما.

وقال الأستاذ: وكان ما داخلهما من الخجالة أشد من كل عقوبة لو كانت في الغيبة عن سماع نداء الحضرة فإن الحضور يوجب الهيبة فلما ناداهما بالعتاب حل بهما من الخجل ما حل في باب ذلك الجنب وفي معناه أنشدوا:

واخجلتا من وقوفي وسط دارهم إذ قال لي مغضباً من أنت يا رجل⁽¹⁾

قالا: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الآية: 23] بكسب المعصية التي هي سبب خروج من الجنة.

وقال الحسين: الظلم هو الاشتغال عنه بغيره على وجه الغفلة ﴿وَلِنْ لَّرْ تَقْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 23] بقبول التوبة ومحو السيئة ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ [الآية: 23] بالحفظ والعصمة ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الآية: 23] الهالكين في مقام الحسرة وحالة الحيرة.

وأفاد الأستاذ: أنهما اعترفا بالظلم جهراً وعرفا الحكم في ذلك سراً فقولهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الآية: 23] اعتراف من حيث الشريعة والعرفان فإن المدار على الحكم من حيث الحقيقة فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ثم نطقاً بقوله: ﴿وَلِنْ لَّرْ تَقْفَرُ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾ [الآية: 23] عن عين الطريقة حيث لم يقولوا بظلمنا خسرونا بل قالوا فعلنا ما فعلنا وإن لم تغفر لنا خسرونا فبترك غفرانك نخسر لا بارتكاب ظلمنا يعني لأن وجود فعلنا كالعدم في جنب كرم القدم ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ [الآية: 24] الخطاب لآدم وحواء وما اشتملا عليه من البنات والأبناء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الآية: 24] أي: حال كونكم متعادين في مقام البلاء وحالة العناء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أهبطهم ولكن إبليس أهبط عن رتبته فوق في.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/355)، (4/359).

اللعنة وآدم أهبط عن بقعته فتداركته الرحمة ويقال لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وإن أخرج عن دار الكرامة ويدل عليه قوله ﴿ثُمَّ لَجَبْنَهُ رَبُّهُ﴾ [طه: 122] وأما إبليس فإنه أخرج من الحالة والرتبة ولم ينتعش قط عن تلك السقطة.

﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: 24] أي: مقرر أو قرار ﴿وَمَتَّعُ﴾ [الآية: 24] أي: تمتع بلا مدار/ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية: 24] أي: حين انقضاء آجالكم وانتهاء 287/ أعمالكم ثم ترجعون إلينا وتحاسبون لدينا والعود أحمد لمن في كل حال يحمد.

وأفاد الأستاذ: أن آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة وأسكن أرض المحنة كلف العمل والسقي والزرع والغرس للمعيشة وكان لا يتجدد حاله إلا تجدد بكاؤه وجبريل عليه السلام يأتيه ويقول: هذا الذي قيل لك قبل ذلك ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: 118] فلم تعرف قدره وقدر حالك فذوق قضايا خلافك وكان يسكن عن الجذع ويقابل الحكم بأن يخضع كما قيل:

فجاشت إلي النفس أول مرة وزيدت على مكروهاها فاستقرت⁽¹⁾

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الآية: 25] ﴿وَمِنْهَا تَخْرَوْنَ﴾ [الآية: 25] يوم القيامة للمجازاة على وجه المعدلة وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بصيغة المعلوم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم يستقبلهم في الدنيا اختلاف الأحوال ويتفاوت عليهم تفاوت الأطوار فمن يسر ومن عسر ومن خير ومن شر ومن حياة ومن موت ومن ظفر ومن فوت.

﴿يَنْبِئُ آدَمَ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ لِيَاسًا﴾ [الآية: 26] أي: خلقناه لكم بتدبيرات إلهية وأسباب سماوية ﴿يُوزِي سَوَاءَ تَكُمُ﴾ [الآية: 26] يغطي عوراتكم التي قصد الشيطان إبدائها واحتاج والداكم إلى خصف الورق لموجب إخفاءها روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم تقدمت لذلك وتوطئة لما هنالك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول

(1) نسب إلى عمرو بن معديكرب. انظر: الحيوان (2/ 86)، والحماسة البصرية (1/ 1).

سيئة أصابت الإنسان من الشيطان وأنه أغواهم كما أغوى آباهم ﴿وَرِيشًا﴾ [الآية: 26] أي: ولباساً خاصاً مما تتجملون به في الأحوال من الريش وهو الجمال والمراد به ثياب الزينة زيادة على ستر العورة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الآية: 26] أي: خشية الله وهو حلل المعنى ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 26] لاشتماله على ذلك المبنى وقرأ المكي والبصري وعاصم وحمزة برفع لباس على أنه مبتدأ خبره جملة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 26] أي: ما ذكر من إنزال اللباس والريش والتقوى ﴿مِنْ أَيْدِي اللَّهِ﴾ [الآية: 26] أي: الدالة على فضله ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: يتعظون بموعظته أو يعرفون قدر نعمته.

287/ب وقال الأستاذ: /سترناكم بالأسباب الظاهرة المنافع وسيرنا لكم ما تدفعون بها صنوف المضار عنكم بما مكناكم من وجوه المنافع ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الآية: 26] ذلك خير فإن لباس الظاهر يقي آفات الدنيا ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ [الآية: 26] يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى فلباس التقوى بجميع أجزاء العبد وأعضائه وللنفس لباس من التقوى وهو بذل الجهد والورع وللقلب لباس من التقوى وهو صدق القصد ينفي الطمع وللروح لباس من التقوى وهو ترك العلائق وحذف العوائق وللسر لباس من التقوى وهو نفي المساكنات والتصاوغ من الملاحظات ويقال تقوى العابدين ترك الحرام وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام ويقال للعوام وجود التقوى وللخواص التقوى عن شهود التقوى.

﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنَيْنَكُمْ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 27] لا يضلنكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم ﴿كَأَنَّ أَخْرَجَ أَبْوَابَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الآية: 27] كما فتنهما فأخرجهما مما كانا فيه من النعمة والنهي في المبنى للشيطان وفي المعنى نهيم عن اتباعه والافتتان به ينزع ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ [الآية: 27] من فاعل أخرج والإسناد إليه للتسبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أصغى إلى وساوس نفسه بأسماع الهوى وجد الشكلية بين وساوس الشيطان وهواجس النفس فيتناصر الوسواس والهواجس فتصير خواطر القلب وزواجر العلم مغمورة مقهورة فعن قريب تستميل تلك

الوساوس والهواجس صاحبها وينخرط في مسلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة فإذا لم يحصل تدارك يوشك التوبة صارت الحالة قسوة والقلب إذا قسا فارقت الحياة وتم له البلاء ﴿إِنَّكُمْ﴾ [الآية: 27] أي: الشأن أو الشيطان ﴿يَرِيكُمْ هُوَ وَقِيلُهُ﴾ [الآية: 27] جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 27] تعليل للنهي عن متابعته وتأکید للتحذير من فتنته فإن عدواً يراك ولا تراه لشدة مؤنته لا تغلب عليه إلا بنصرة الله ومعونته.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد الحق سبحانه بقلبه فيستغيث إليه من كيدته فيدخله/ 288 أ في كنف عنايته وحض حمايته فيجد الخلاص من حيلة الشيطان ومكره ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 27] أحياء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 27] لما أوجدنا بينهم من المناسبة والمشاكل والآية فذلكت القصة ونخبة الحكاية.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ [الآية: 28] فعلة متناهية في القباحة كعبادة الصورة وكشف العورة ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الآية: 28] حيث اعتقدوا أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع لهم ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الآية: 28] فلا يجوز فيه تقليد الآباء لأن عاداته سبحانه جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الأخلاق والأحوال ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 28] إنكار متضمن للنهي عن الافتراء وعلى ما يترتب عليه من تقليد الآباء.

قال الأستاذ: استروحوا في التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم فاستمسكوا بحبل واو فزلت بهم أقدام العزة ووقعوا في وهدة المحنة.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [الآية: 29] بالعدل وهو التجافي عن طرفي الإفراط والتفريط والثبات على التوسط مما أمر به الأنبياء ومرّ عليه الأصفياء.

قال الجنيد: أمر بحفظ السريرة وعلو الهمة وأن ترضى بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن القسط العدل وقيع ذلك في حق الله وفي حق الخلق وفي حق نفسك فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في الأمور به ولا إقدام على المنهي عنه ثم أن لا تدخر عنه شيئاً مما خولك ثم

لا تؤثر عليه شيئاً مما ملكك وأما مع الخلق فعلى لسان العلم بذل الإنصاف وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف وأما في حق نفسك فإدخال العنف عليها وسد أبواب الرحمة بكل وجه إليها والنهوض على عموم الأحوال في كل نفس بخلافها ﴿وَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الآية: 29] أي: توجهوا بذواتكم إلى عبادته مستقيمين غير عادلين عنها إلى غيرها ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: 29] في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة ﴿وَأَذِغُوهُ﴾ [الآية: 29] اعبدوه ﴿تُخْلِصُونَ لَهُ﴾ 288/ ب ﴿الَّذِينَ﴾ [الآية: 29] الطاعة والعبادة والدعوة فإن إليه مصيركم يوم القيامة/ ولا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة وخالصة عن الرياء والسمعة قيل الإخلاص دوام المراقبة وملازمة المحاسبة ونسيان الحظوظ في حالة المشاهدة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى استدامة المشاهدة في كل حالة وأن لا ينساه لحظة في كل ما يأتيه ويذره ويقدمه ويؤخره ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ [الآية: 29] أنشأكم ابتداءً ﴿تَعُودُونَ﴾ [الآية: 29] إليه انتهاءً كما بدأكم بإيجادكم وإنشائكم تعودون إلينا بعد موتكم وفنائكم فنجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه في هذه الباب وقيل: كما بدأكم حفاة عراة غرلاً تعودون حالاً وقيل؛ كما خلقكم مؤمناً وكافراً يعيدكم موقناً ومكابراً ويبينه قوله:

﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ [الآية: 30] بأن وفقهم للإيمان والعرفان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ [الآية: 30] ثبت عليهم العصيان والنكران بمقتضى القضاء السابق والقدر اللاحق.

قال النوري: يجري عليكم في الأبد كما قضينا عليكم في الأزل ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية: 30] أي: الفريق الثاني فإن الفريق الأول اتخذوا الله ولياً وأما الذين ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 30] فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية: 30] فيما يتخذونهم.

--- وأفاد الأستاذ: أن من كانت قسمته له سبحانه وتعالى له السعادة كانت فطرته على السعادة ومن كانت فطرته على السعادة كانت حالته بنعت السعادة

ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن كانت له القسمة بالعكس فالحالة بالضد قال ﷺ من كان بحالة لقي الله بها وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون وكما علم الحادثات أن يكون أراد أن يكون كما علم أن يكون وما علم أنه لا يكون فما جاز أن يكون أو أراد أن لا يكون وكما أراد أن يكون أو لا يكون أخبر أنه يكون أو لا يكون وعلى الوجه الذي أخبر وقضى على العبد وقدر ما جرى عليه ما سبق به الحكم وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف.

﴿يَبْتَئِي مَادَمَ خُدُوا زِينَتَكُمْ﴾ [الآية: 31] / ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: 31] لطواف أو صلاة ومن السنة أن يكون الرجل حالة الصلاة في أحسن هيئة وأفاد الأستاذ أن لسان العلم يوجب ستر العورة في الصلاة وعلى موجب الإشارة زينة العبد بحضور الحضرة ولزوم الشدة واستدامة شهود الحقيقة ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية فستان بين عبد وبين عبد في القضية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ [الآية: 31] ما طاب لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الآية: 31] بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام أو بتحريم الحلال وتحليل الحرام وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة أي: ما دام تقدم ولا تجد فيك الخصلتين اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس.

وقال على بن الحسين بن واقد: جمع الله الطب في نصف آية فقال ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الآية: 31] ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية: 31] المتعدين حده في حلال وحرام.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف ما تناولته ولو بقدر سمسمة ويقال الإسراف هو التعدي عن حد الاضطرار فيما يتضمن نصيباً لك أو خطأ بأي وجه كان.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [الآية: 32] من الثياب وسائر ما أبيح لكم في كل باب ﴿الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الآية: 32] من النباب كالقطن والكتان ومن الحيوان

كالحرير والصفوف ومن المعادن كالدرع ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الآية: 32] المستلذات من المأكّل والمشرب وفيه زجر للكفار حيث حرموا على أنفسهم لبس الثياب حالة الطواف والمتمتع بالمستلذات أيام الحج ولما لم يتصور الفعل بدون الفاعل فإنكار الفاعل بالكلية إنكار الفعل في الجملة وفيه دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة ﴿قُلْ هِيَ﴾ [الآية: 32] أي: الطيبات مخلوقة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 32] بالأصالة والكفرة إنما شاركوهم على سبيل التبعية ﴿خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية: 32] لا يشاركهم غيرهم في النعمة وفيه إشارة أيضاً إلى أن نعمتهم في العاقبة خالصة من كدورات الغصة التي هي واقعة في الدنيا عامة ثم خالصة حال مقدرة وقرأ نافع بالرفع على/ أنها خبر بعد خبر أو هي خبر هي والظرف متعلق بها ومقدم عليها ﴿كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 32] أي: كتفصيل هذا الحكم نبين سائر الأحكام ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 32] أن الله هو الذي يحلّ الحلال ويحرم الحرام أو لقوم عالمين غير جاهلين.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى زينة السرائر فزينة العارفين آثار التوفيق وزينة الواجدين أنوار التحقيق وزينة القاصدين ترك العادة وزينة العابدين حسن العبادة ويقال زينة النفوس صدور الخدمة وزينة القلوب حفظ الحرمة وزينة الأرواح الإطراق بالحضرة باستدامة الهيبة والحشمة ويقال: زينة اللسان الذكر وزينة القلب الفكر وزينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود ويقال: زينة النفوس حسن المعاملة من حيث المجاهدات وزينة القلوب دوام المواصلة من حيث المشاهدات ومعنى قوله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ [الآية: 32] أن الله لم يمنع هذه الزينة عن من تعرض لوجدانها فمن تصدق لطلبها فهي مباحة له من غير تأخر ولا قصور لها ثم أرزاق النفوس بحكم إفضاله وأرزاق القلوب بموجب إقباله ويقال: أرزاق المريدين الإلهام بذكر الله وأرزاق العارفين الإكرام في نسيان ما سواه.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَفِيَّ الْفَوَاحِشِ﴾ [الآية: 33] أي: ما تزايد قبحه كالكبائر ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: 33] جهرها وسرها ﴿وَالْأَنَامِ﴾ [الآية: 33] كل ما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص أو أريد به الصغائر ﴿وَالْبَنَى﴾ [الآية: 33] الظلم أو الكبير

وللمبالغة أفردته بالذكر ﴿بِقَیْرِ الْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مبني ومؤكد له معنى ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ [الآية: 33] عطف على الفواحش ﴿مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً ومن المحال أن يكون البرهان على الإشراك (بالسبحان..). فيكون هذا تهكماً على أهل الطغيان واستهزاء بأهل العدوان وتنبيهاً على تحريم ما يدل عليه البرهان ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَقُولُونَ﴾ [الآية: 33] من الشريك والولد والصاحبة ونحوها من الإلحاد في الذات والصفات سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأفاد الأستاذ: أن ما ظهر منها الزلة وما بطن منها الغفلة ويقال: فاحشة الخواص تتبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بذره أو سينه ويقال فاحشة الأحابب الصبر عن المحبوب ويقال: فاحشة قوم لأن لا/ يلاحظوا غيراً بعين 290/أ الاستحقاق قال قائلهم:

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت بمنظر حسن مذ غبت عن عيني⁽¹⁾

ويقال: فاحشة قوم أن يبقى لهم قطرة من الدمع لم يسكبوه لفرقة أو تبقى لهم نفس لم يتنفسوا به في حسرته وفي معناه أنشدوا:

لئن بقيت في العين مني دمعة فلإني إذا في العاشقين دخيل⁽²⁾

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية: 34] مدة مضروبة لها بداية ونهاية والأجل يطلق على مجموع المدة مرة وعلى آخرها تارة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الآية: 34] حان وقتهم أو انقضت مدتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية: 34] أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون أي: لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الأهوال أو لمعرفتهم في تلك الحال أنه من طلب المحال وقيل: المراد بالأجل أجل العمر فإذا كمل امتنع فيها التقديم عقلاً والتأخير نقلاً وقيل: التقدير ولا يستقدمون قبل ذلك فهو معطوف على مجموع الشرط والجزاء.

وقال الأستاذ: لكل قوم مدة معينة فإذا تناهت تلك المدة زالت تلك الحالة فلنعمة المترفين مدة فإذا زالت فليس بعدها إلا الشدة ولمحنة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/365)، (7/81).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/365).

المستضعفين مدة فإذا انقضت تلك المدة زالت تلك الشدة ويقال إذا سقط قرص الشمس زال سلطان النهار وفلا يزداد بعده إلا تراكم الظلمة وإذا ارتحل عسكر الظلام بطلوع الفجر فبعد ذلك لم يبق في تعالي النهار تهمة.

﴿يَبْنِيْ عَادَۢمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكَ رُسُلٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 35] أي: من جنسكم ﴿يَقْضُوْنَ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 35] بلسانكم ﴿يَأْتِيَنَّ﴾ [الآية: 35] التي فيها الفرائض والأحكام إليكم ﴿فَمَنْ أَتَقَى﴾ [الآية: 35] المخالفة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 35] الموافقة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ [الآية: 35] في الأخوة لا بوقوع عقاب ولا بغوث ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إذا أتاكم الرسل فلا تركنوا إلى الظن والتخمين واحملوا الأمر على الجد واليقين فإننا مع استغنائنا عن الأغيار وتقديسنا عن المنافع والمضار نطالب بالقليل والكثير ونحاسب على النقيير والقطمير.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 36] أي: لم يصدقوها أو لم يلتفتوا إليها ﴿وَأَسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾ [الآية: 36] فتركوا العمل بها ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية: 36] ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 36] أي: دائمون لها.

وقال الأستاذ: من قابل ربوبيتنا بالجحد/ وحكمنا بالرد لقي الهوان وقاسى الآلام والأحزان ثم العجز يلجئه إلى أن يخضع بعد أن لا ينفع ولا يسمع.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 37] بأن تقول على الله ما لم يقله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 37] أي: كذب ما قاله ﴿أُولَٰئِكَ يَتْلُمُّهُ﴾ [الآية: 37] يصيبهم ﴿نَصِيْبُهُمْ﴾ [الآية: 37] حظهم ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 37] مما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمال والأخلاق والأحوال أو مما أثبت لهم في اللوح المحفوظ من الخير بحسب القضاء والقدر.

وأفاد الأستاذ: أن نصيبهم من الكتاب ما سبق لهم به الحكم على وفق الحكم فمن جرى بسعادته القلم وقع عليه رقم السعادة ومن رقم بشقاوته الحكم حق عليه علم الشقاوة ويقال: من سبق له قسم السعادة فلو وقع في

قعر لظى تداركته العناية وأخرجته الرحمة ومن سبق له قسم الشقاوة فلو نزل الفردوس تداركته السخطة وأخرجته اللعنة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 37] ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ [الآية: 37] يقبضون أرواحهم وافيأ بالإماتة والجملة حال من الرسل وحتى غاية نيلهم أي: ينالهم نصيبهم إلى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام وجواب إذا ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 37] أي: سؤال توبيخ ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 37] أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وأين الأغيار التي كنتم تدعونها فما موصولة وهي في الكتابة مفصولة ﴿قَالُوا صَلُّوا عَلَيْنَا﴾ [الآية: 37] غابوا منا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِم أَنَّهُمْ كَاوُوا كَافِرِينَ﴾ [الآية: 37] باتباعهم.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 38] أي: أحد من الملائكة أو الله يوم القيامة ﴿أَخْطَلُوا فِي أَمْرِ قَدْ خَلَّتْ مِن قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ [الآية: 38] متعلق بادخلوا أو بـ(خلت) ففي بمعنى مع ﴿كَلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً﴾ [الآية: 38] أي: في النار ﴿لَمَنْتَ أَخْبَهَا﴾ [الآية: 38] أي: شبيبتها من جهة ضلالتها التي ضلت للاقتداء بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾ [الآية: 38] أي: تداركوا تلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ﴾ [الآية: 38] دخولاً أو منزلة وهم الأتباع ﴿لِأُولَئِهِمْ﴾ [الآية: 38] أي: لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾ [الآية: 38] سنوا لنا الضلال أو تسببوا لنا في الوبال فاقتدينا بهم في الأفعال ﴿فَنَاقَنَهُم عَذَابًا ضِعْفًا﴾ [الآية: 38] أي: مضاعفاً ﴿مِنَ النَّارِ﴾ [الآية: 38] لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ [الآية: 38] أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿وَلَكِنَّ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 38] ما لكل فريق/ منكم من العذاب والنكال وقرأ أبو 291/أ بكر بالغيبة على الانفصال من الإقبال.

﴿وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأُخْرِبُهُمْ﴾ [الآية: 39] مشافهة لهم ﴿فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [الآية: 39] بل نحن وإياكم متساوون في العذاب بطريق عدل ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 39] من قول الله للفريقين من جميع الأمة أو من قول القادة للسادة.

وأفاد الأستاذ: إن آثار إعراض الحق عنهم أورثت وحشة الحق لهم حتى تبرم بعضهم ببعض وضاق كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه فدعا بعضهم على بعض وتبرأ بعضهم من بعض وكذلك صفة المطرودين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 40] وتركوا الإيمان بها ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ [الآية: 40] بعدم التدبر والتفكير فيها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمْ﴾ [الآية: 40] لأعمالهم وأرواحهم ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 40] كما يفتح لأبواب المؤمنين وأرواحهم والتأنيث للأبواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي مذكراً لأن التأنيث غير حقيقي ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الآية: 40] أي: ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون وكذا ما يتوقف عليه ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 40].

قال الأستاذ: فلا دعاؤهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا بلاؤهم يكشف ويرفع ولا عناؤهم يدفع.

﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الآية: 41] فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الآية: 41] أي: أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 41] عبر عنهم بالمجرمين مرة وبالظالمين تارة تفنناً في العباد وأشار إلى أنهم جامعون لأسباب العقوبة وأنهم يستحقون العقاب بكل خصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه كما أحاطت بهم الزلات في الدنيا فتدنس بالغفلة باطنهم وتلوث بالذلة ظاهرهم كذلك أحاطت العقوبات غداً بجوانبهم فمن فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب وكذلك من سائر جوانبهم ثم في القلب من ضيق العيش استيلاء الوحشة ما يوفى على الكل ويربى.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية: 42] جمع على عادته سبحانه في كلامه المجيد بين الوعد والوعيد وحمله لا نكلف نفساً إلا وسعها معترضة بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم معرفتهم.

وقال الأستاذ: رفعنا عن ظاهرهم/ وباطنهم كلفة أعمالهم فإسرنا عليهم 291/ب

الطاعات بحسن التوفيق وخففنا عنهم العبادات بتقليد التكليف.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الآية: 43] أي: نخرج من قلوبهم أسباب الغل وهو الحقد والحسد أو نظهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التودد قيل: من تخطى بساط قرب الرحمن سقط عنه رعونات النفس وحظوظ الشيطان وقد روى ابن جرير عن علي بن إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ﴾ [الآية: 43] ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ [الآية: 43] أي: تحت منازلهم وأشجارهم أو تحت تصرفهم ﴿الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 43] في بساطينهم وقصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم.

وقال الأستاذ: طهرنا قلوبهم عن كل غش واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة فطهر قلوب العارفين عن كل حظ وعلاقة كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومنية وطهر قلوب العابدين عن كل نهمه وشهوة وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وغل كل صدر [كل] أحد على قدر مرتبته ويقال لما خلق الجنة وكلها في تزيينها إلى الرضوان والعرش ولي حفظه إلى الحملة والكعبة سلم مفتاحها إلى بني شيبه وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه فقال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ [الآية: 43] ويقال: إذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب الخصوم [حيث] كان منه سبحانه وجه أدائه ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الآية: 43] أي: لما جزاؤه هذا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الآية: 43] أي: لولا هدايته وتوفيقه لنا بالإيمان والعمل الصالح وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبنية للأولى وقد ورد لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا⁽¹⁾ وهذه الآية حجة لنا لا علينا.

وأفاد الأستاذ: أن هذا اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات وعظيم تلك الرتب واملقومات بجهدهم واستحقاق فعلهم وإنما كان ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف ﴿لَقَدْ جَاءَتْ

(1) سبق تخريجه.

رُسُلٌ رَيْنَا بِالْحَقِّ ﴿[الآية: 43] فاهتدينا بإرشادهم للخلق في أمر معاشهم ومعادهم وفيه تنبيه نبيه على أن ما عملوه يقيناً في الدنيا/ صار لهم عين اليقين في العقبى 292/ أ ﴿وَتُؤَدُّوهُ﴾ [الآية: 43] أي: من قبل الله أو الملائكة ﴿أَنْ يَلَكُمُ الْجَنَّةُ﴾ [الآية: 43] إذا رأوها من بعيد أو بعد ما دخلوها والمنادى له بالذات ﴿أُورِثُوهَا﴾ [الآية: 43] أعطيتموها بلا تعب كالميراث ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 43] بمقابلة أعمالكم وحسب درجات أحوالكم فضلاً ورحمة لأنه لا يجب على الله شيء لا عقوبة ولا مثوبة وقد ورد في الحديث الصحيح لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته⁽¹⁾ والظاهر أن دخول الجنة بسبب الإيمان الحاصل من أثر رحمة الرحمن ودرجات الجنان على وفق مراتب الإحسان.

وأفاد الأستاذ: أن هذا تسكين لقلوبهم وتطبيب لنفوسهم وإلا فإذا رأوا تلك الجنان علموا أن أعمالهم المشوبة بالتقصيرات لم توجب تلك الدرجات.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الآية: 44] في الدنيا من الثواب في العقبى ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الآية: 44] من أصناف العذاب وأنواع الحجاب وإنما قالوه: تبجحاً بحالهم وحسن مآلهم وشماتة بأعدائهم وتحسيراً لهم في أعمالهم ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ [الآية: 44] وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان.

وأفاد الأستاذ: أن أهل النار بحقية الدين اعترفوا وأقروا بسوء ما عملوا [ولكن] حين لا ينفعهم إقرار ما صنعوا ولا اعتذار بما فعلوا ﴿فَأَذَنَ مَوْذَنٌ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 44] نادى مناد بين الفريقين ﴿أَنْ لَقِئْتُمْ اللَّهَ عَلَى الظَّلِيلِينَ﴾ [الآية: 44] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة الكسائي بتشديد أن ونصب ما بعدها ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 45] أي: يعرضون عن طريق رضاه أو يمنعون الناس

(1)- أخرجه الطبراني في الأوسط (74/8) رقم (8004)، وابن حبان في الصحيح (60/2).
رقم (348)، وأحمد في المسند (451/2) رقم (9830).

عن دين الله ﴿وَيَقُولُهَا عِوَجًا﴾ [الآية: 45] أي: يطلبون لتلك الطريقة من الشريعة والحقيقة زيفاً وميلاً عما هو عليه من ظهور الحقيقة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ [الآية: 45] جاحدون ومنكرون ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الآية: 45] أي: بين الفريقين سور الأعراف لقوله تعالى ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ يَسُورَ لَمْ يَأْبَ بِالْمُتَكِبِينَ﴾ [الحديد: 13] أي: بين الجنة والنار حاجز يمنع وصول أثر أحديهما إلى الأخرى من الثواب والعقاب.

وأفاد الأستاذ: أن ذلك الحجاب الذي بينهما حصل من الحجاب السابق في الكتاب ولما حجبوا/ في ابتداء سابق القسمة عما خُصَّ به المؤمنون من 292/ ب القربة والزلفة حجبوا في الانتهاء عما خص به السعداء من المغفرة والرحمة ويقال: حجاب وأي: حجاب لا يرفع بحيلة ولا ينفع معه وسيلة سبق به الحكم قبل الطاعة والجرم.

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ [الآية: 46] أي: أعراف الحجاب وأعالیه المشرفة على الباب ﴿رِجَالٌ﴾ [الآية: 46] طائفة استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحسبون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء مما يؤول لهم القرار ﴿يَقْرَأُونَ كَلًّا﴾ [الآية: 46] من الأبرار والفجار ﴿يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 46] بعلامتهم التي أعلمهم الله بها من بياض الوجوه وسوادها.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أصحاب الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم وأشرفوا غداً على مقامات الكل وطبقات الجميع بإبصارهم ويقال عرفوهم غداً بسيماهم التي وجودهم عليها في دنياهم فأقوام موسومون بأنوار الود والقرب وآخرون موسومون بآثار الرد والحجب ﴿وَنَادَوْا﴾ [الآية: 46] أي: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ [الآية: 46] أي: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم وتمنوا ما لديهم ﴿لَوْ يَدْخُلُوهَا﴾ [الآية: 46] لعدم إذنتهم فيها ﴿وَهُمْ يَظْمَأُونَ﴾ [الآية: 46] دخلوها وما أطمعهم إلا وأراد أن أطمعهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلموا اليوم عن النكرة والجحد وأكرموا بالعرفان والتوحيد وسلموا غداً من فنون الوعيد وسعدوا بلطائف المزيد وتحققوا أنهم

بلغوا من الرتب ما لم يسم إليهم طرف تأملهم ولم يحط بتفصيلها كنه عقولهم.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الآية: 47] أي: من غير رغبة منهم إليهم وإلى آثارهم ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 47] نعوذ بالله من ديارهم ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: مشاركين لهم في دخول نارهم.

قال الأستاذ: وإنما يصرف أبصارهم إليهم تقريراً عليهم عظيم المنة التي بها نجاتهم فيزيدون في الاستغاثة وصدق الابتغال لتكمل لديهم العارفة بإدامة ما لطفهم به من الإيواء والمحافظة.

﴿وَأَذَى أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ [الآية: 48] أي: من رؤساء الكفرة والأشراف من أهل الظلم والإسراف ممن ظهر لهم على طريقة الأشراف ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 48] لهم ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ [الآية: 48] لم ينفعكم كثرتكم وجماعتكم أو جمعكم المال ومحتكم / ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: واستكباركم بالجاه وعظمتكم وقيل ما استفهام توبيخ وتقريع أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق أو على الخلق في زمانكم.

﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 49] الإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقروهم في الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة على فرض ثبوت العقبي.

وأفاد الأستاذ: أن سيماهم ما يرون عليهم من غبار الرد وأماراة البعد فيقولون لهم هل يغني عنكم ما ركنتم إليه من أباطيلكم وسكنتم إليه من فاسد ظنكم وباطن تأويلكم فشاهدوا اليوم تخصيص الحق بمن ظننتم أنهم ضعفائكم وانظروا هل يغني عنكم الذين زعمتم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 49] أي: فقبل على لسان الملائكة لأصحاب الأعراف بعد هذا الإيقاف وحصول الإشراف ادخلوا الجنة بالفضل والرحمة وقيل: الخطاب للضعفاء وأنه من تنمة قول أصحاب الأعراف والمعنى قالوا الرؤساء الكفار في النار أهؤلاء الذين نظرتهم إليهم بعين الاحتقار

قيل لهم ادخلوا الجنة مع الأبرار.

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [الآية: 50] أي: صبوا علينا من الماء من أنهاركم الجارية ﴿أَوْ مِنَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 50] من سائر الأشربة ليخفف عنا نوعاً من العقوبة أو المراد بالماء من أنواع الشراب وبالرزق المأكول من كل باب وقال بعضهم ماء الرحمة ورزق القربة وكذا في «دقائق الحقائق» وهذا الطلب يحتمل أن يكون على رجاء وطمع من الفريق أو من باب تعلق الفريق بكل حشيش في الطريق ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 50] أي: منعهما عنهم عامة وأباحهما للمؤمنين خاصة لما سبق من أن النعمة في الآخرة لهم خالصة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على أن أواخر ما يبقى على الإنسان هم الأكل والشرب وأنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش في تلك المدة المديدة فيتضرعون في ذلك المقام ويطلبون شربة من الماء أو لقمة من الطعام وهم في غاية من الآلام والعادة اليوم أن من كان في ألم شديد لا يأكل ولا يشرب وهذا/ أشد ثم أبصر كيف لا يستقيم نظره مع 293/ب استغنائه عن العقوبة ولكن قهر الربوبية وعن الأحدية وأنه فعال لما تعلق به الإرادة الأزلية فكما لم يرزقهم اليوم من عرفانه ذرة لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة وفي معناه أنشدوا:

وأقسمن لا يسقيننا الدهر قطرة ولو زخرت من أرضهن بحور⁽¹⁾

﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ [الآية: 51] أي: الذين شرع الحق للمخلق ﴿لَهُمْ وَلَوْعِبَاءُ﴾ [الآية: 51] كتحريم البحيرة والتصفيق حول الكعبة واللهو صرف لهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به ﴿وَعَرَّزَهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 51] أي: الفانية فتركوا طلب الحياة الباقية ﴿فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ﴾ [الآية: 51] أي: نجاريهم على نسيانهم أو نعاملهم معاملة الناسين لهم فتركهم في عذابهم ﴿كَمَا سَأَلْنَا يَوْمَئِذٍ هَذَا﴾ [الآية: 51] هذا فلم يخطروه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 378).

ببالحكم ولم يستعدوا لهم في حالهم ﴿وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية: 51] أي: وكما كانوا في حق آياتنا المتلوة والمنصوبة مصرين على إنكارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم كما تركوا أمره وضيعوا حقه تركهم في العقوبة ولا يشكيهم فيما يشكون من المشقة فيأتي عليهم مرور أحقاب بلا كشف عذاب ولا برد شراب ولا حسن جواب ولا إكرام خطاب ذلك جزاء من لم يعرف قدر الوصلة في أوقات المهلة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ﴾ [الآية: 52] قرآن عظيم الشأن كريم البرهان ﴿فَصَلَّيْنَاهُ﴾ [الآية: 52] بيّنا معانيه مفصلة لكل ما يحتاج الإنسان إلى البيان ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية: 52] أي: مشتملاً على علم منا بأهل كل زمان ومكان ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 52] حالان من الهاء في فصلناه أو منصوبان على المفعول.

وقال الأستاذ: أنزلنا عليهم الكتاب وأوحينا إليهم من الخطاب ما لو قابلوه بالتصديق وصاحبه بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة العباد ونالوا الضياء بقرب الوداد ووصلوا في الدنيا والعقبى إلى جميل المراد ولكن أبى القسمة في نصيبهم إلا الشقوة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [الآية: 53] أي: ما ينظرون إلا ما يؤول إليه أمر الكتاب من تبين صدقه بظهور ما نطق به من الثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الآية: 53] وهو يوم القيامة وتهويله ﴿يَقُولُ الَّذِينَ/ دَسُوهُ﴾ [الآية: 53] تركوا الإيمان به والعمل له ترك الناسين للمهمة الأولى وهو خدمة المولى ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 53] أي قبل إتيانه يعني في الدنيا ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 53] ونحن كذبناهم بالباطل إذ قد تبين لنا أنهم جاؤوا بالصدق ﴿فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ﴾ [الآية: 53] أي: من الآلهة التي كنا نسميها شركاء ونظن أنها عند الله شفعاء ﴿فَيَشْفَعُوا لَنَا﴾ [الآية: 53] لنا اليوم عند نزول البلاء وحصول العناء ﴿أَوْ نُردُّ﴾ [الآية: 53] أي: هل نرد إلى الدنيا لتدارك ما فاتنا من الأشياء ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية: 53] جواب الاستفهام الثاني ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 53] -- بصرف أعمارهم في سوء أعمالهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتِرُونَ﴾ [الآية: 53]

أي: وبطل عنهم وغاب منهم فلم ينفعهم ما توهموا نفعه لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه إذا كشف جلال الغيب وانتفى من قلوبهم أغطية الريب فلا بكاء لهم ينفع ولا دعاء لهم يسمع ولا شكوى منهم ترفع ولا بلوى من دونهم تقطع.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 54] أي: من ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة أو المراد بالستة يوم الأحد إلى الجمعة وأما يوم السبت فلم يقع فيه خلقه ومنه سمي السبت سبباً وهو القطع هذا وفي خلق الأشياء مدرجة مع القدرة على إيجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظر وحث على التأني في الأمور للأبرار ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْوَشْءِ﴾ [الآية: 54] أو استولى عليه أو استوى الخلق عليه بمعنى استتم فما خلق فوقه شيئاً وجمع السلف وجمع من الخلف على أن استواء العرش صفة الله بلا كيفية نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها.

وقد قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فالمعنى أن له سبحانه استواءً على العرش بالوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن وسائر صفات الحدوث من إثبات الجهة والجسم والحلول التي توجد في الكائنات والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لرفعته أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه إلى عالم الخلق وقيل المراد به الملك ﴿يُفْثِي أَلْيَلُ النَّهَارِ﴾ [الآية: 54] يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم/ به أو لأن اللفظ يحتملها وقرأ حمزة والكسائي 294/ ب وأبو بكر بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير والإشارة إلى أن التكثير ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ﴾ [الآية: 54] يعقبه سريعاً ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ [الآية: 54] أي: وخلقها حال كونهن مذللات منقادات بتيسيره وتديره وقضائه وتقديره وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى الخلق بآياته الظاهرة الدالة على قدرته وهي أفعاله وتعرف إلى الخواص منهم بآياته الدالة على نصرته التي هي

إفضاله وإقباله وظهر لأسرار أخص الخواص بنعوته الذاتية التي هي جماله وجلاله فستان بين قوم وقوم ثم كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذا يدخل القبض على البسط والبسط على القبض ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب فمن عبد أحواله أجمع قبض ومن عبد أحواله أجمع بسط فمن عبد يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط كما أن في العالم في بعض الأقطار نهار بلا ليل وفي بعضها ليل بلا نهار وفي بعضها ليل يدخل على نهار ونهار يدخل على ليل ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ [الآية: 54] أي: مخلوق الأرض والسماء ﴿وَالْأَمْرُ﴾ [الآية: 54] لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ويقال الخلق مختص بالتدريج والأمر بضده.

قال الواسطي: إذا كان له فمته وبه وإليه لأن الأمر صفة الأمر.

وأفاد الأستاذ: أن منه الخير والشرع والنفع والضرر والتصرف والأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 54] تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالفردانية في الربوبية حيث خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم والجملة الأخرتان فذلّة التقرير ونتيجة التحرير وفي الجملة الأخيرة إيماء إلى إفادة معنى قدمه وثبوت دوامه وإشارة إلى إسداء إنعامه على خواص الخلق وعامه ثم أمرهم بأن يدعوه متذلّلين مخلصين فقال:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: ذوي تضرع خفية وتذلّل ومسكنة وفي خفية إيماء إلى أن الإخفاء دليل الإخلاص في الدعاء ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الآية: 55] المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره ففيه تنبيه على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب/ ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل: هو الصباح والإطناّب في الدعاء وفي «مسند الإمام» أحمد وغيره إن أحداً من الصحابة سمع أحداً يقول اللهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحو من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها⁽¹⁾ وفي رواية اللهم إني أسألك

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (71/2) رقم (715)، وأحمد في المسند (172/1) رقم (2483)، وأبو داود في السنن (1/551) رقم (1482).

قصرأ أبيض في يمين الجنة فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيكون أقوام يعتدون⁽¹⁾ في الدعاء وقرأ هذه الآية قال بحسبك أن تقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وقد رواه أبو داود أيضاً⁽²⁾.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالدعاء إذن في التسلي لأرباب المنحة فإنهم إلى أن يصلوا إلى كشف المحبة ووجود المأمول والمنحة استروحوا إلى روح المناجاة في حال الدعوات فالدعاء نزهة لأرباب الحاجات وراحات لأصحاب الطلبات ومعجل من الأنس بما يتأدى إلى القلب من عاجل قربه وما أخلص عبد في دعائه إلا روح الله سبحانه في الوقت قلبه ويقال علمهم أدب الدعاء حيث قال ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] وهذا أدب الدعاء أن يدعو بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطراب ومن غاية ما تقرر لديك نعت كرمه به أن جعل إمساكك عن دعائه الذي لا بد لك منه اعتداء منك انتهى وفيه إشارة إلى حديث «من لم يدع الله يغضب عليه»⁽³⁾.

ولله در قائل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب
﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 56] بالمعاصي والآثام ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾
[الآية: 56] ببعث الأنبياء عليهم السلام وشرعهم الأحكام وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسخ المطر فتخرب الأرض بعد ما كانت تخضر.

وأفاد الأستاذ: إن من الإفساد بعد الإصلاح إهمال النفس عن

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (267/1) رقم (579)، وابن ماجه في السنن (2/1271) رقم (3864)، وابن حبان في الصحيح (166/15) رقم (6763)، وأحمد في المسند (87/4) رقم (16847).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/1264) رقم (3846)، وأبو يعلى في المسند (2/71) رقم (715)، وأحمد في المسند (183/1) رقم (1484)، وابن أبي شيبة في المصنف (44/6) رقم (29345).

(3) الدر المنثور (7/301).

المجاهدات بخلع عذارها حتى تتبع هواها بعد ما كبحت لجامها عن العدو في ميدان الخلاف ومن ذلك إرسال القلب في أودية المني بعد إمساكها على أوصاف الإرادة ومن ذلك الرجوع إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق ومن ذلك ب/295 استشعار محبة مخلوق بعد تأكيد العهد معه بأن/ لا يحب سواه ومن ذلك الجنوح إلى تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الأولى والأشق ومن ذلك الانحطاط [بحظ] إلى طلب مقام منه أو إكرام بعد القيام معه بترك كل نصيب ومن الجملة الرجوع من الأعلى إلى الأدنى إفساد في الأرض بعد الإصلاح انتهى وفيه إيماء إلى ما ورد في الدعاء اللهم إني أعوذ بك من الحور⁽¹⁾ بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة أو من الشقاوة بعد السعادة أو من المعصية بعد العبادة ﴿وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: 56] أي: خائفين من عقابه وطامعين في ثوابه أو خائفين من رده عدلاً وطامعين في قبوله فضلاً وقيل: ﴿خَوْفًا﴾ [الآية: 56] من بعده ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية: 56] في قربهِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 56] المطيعين في أمره ونهيهِ وفيه تصريح للطمع حال الإحسان لا يعتريه الإنسان.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً فالأول العابدون والثاني العاصون ويقال: المحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاو عن ربه ولا ناسياً لحقه.

وفي «العرائس» ذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 54] إلى هنا كثير من «الفائس» أحببت أن أذكرها ملخصاً وأحررها مخلصاً فبين أنه سبحانه خاطبهم بالتربية بجذب قلوبهم بالمحبة ثم أشار إليهم بالألوهية لفناء الحدث في القدم ثم صرفهم من المحو إلى الصحو ومن الحضور إلى الغيبة بقوله الذي أشاره وأن ربكم عبارة الأول للبسط والثاني للقبض ثم صرفهم من الصفات إلى الأفعال كما صرفهم من الذات إلى الصفات كي لا يحترقون في أنوار الألوهية ... الأول خطاب القلب والثاني خطاب الروح والثالث خطاب العقل الأول قوله ...

(1) تفسير القرطبي (67/16).

إن ربكم والثاني قوله الله والثالث قوله الذي ثم أنزلهم من الشهود إلى الشواهد وخاطبهم على قدر عقولهم حيث أحالهم من القدم إلى الحدث لعلمه بضعفهم على حمل بوادي طارقات سطوات الوجدانية فقال الذي خلق السموات والأرض جعل الآيات مرآة الصفات لأهل المشاهدات خلقها في ستة أيام أيام الله قضاؤه وقدره حصرها بأيام مخصوصة وهي الستة وفي كل يوم من أيامه ظهور صفة من صفاته من مطلع القدم طلعت للعدم/ لكون الحدث في هذه 296/ أ الأيام الستة ظهور ستة صفات من صفاته أولها العلم والثاني القدرة والثالث السمع والرابع البصر والخامس الكلام والسادس الإرادة كملت الأشياء بظهور أنوار الصفات الستة ولما أتمها صارت الحدثان كجسد آدم بلا روح فتجلى من صفته السابعة وهي حياته القديمة الأزلية الباقية المنزهة عن همهمة الأنفاس والمشابهة والقياس فيبقى الأشياء بصفاته القائمة بذاته ويكون إلى الأبد حياتها بروح حياته المقدسة عن الاتصال والانفصال وفي أدق الإشارة السموات الأرواح والأرض الأشباح والعرش القلوب بدأ بكشف الصفات للأرواح وبدأ بكشف الأفعال للأشباح ثم بدأ بكشف الذات استوى فهو القدم بنعت الظهور للعدم ثم استوى تجلي الصفات فاستوى بنفسه لنفسه على نفسه المنزهة عن المباشرة بالحدثان والاتصال والانفصال عن الأكوان وبالأكوان الاستواء صفة ذاتية على الحقيقة خارجة عن مطالعة الخليقة السموات والأرض جسد العالم والعرش قلب العالم والكرسي دماغ العالم خص جميع العالم بالأفعال والصفات وخص العرش بظهور الذات لأنه قلب الكل وهو غيب الرحمن وعلمه وحكمته رأيت في المكاشفة أنواراً شعشعانياً بلا جسم ولا مكان ولا صورة تتلألأ فسألت عن ذلك فقل لي هذا عالم يسمى عرشاً قيل في التفسير عرشه علمه لقول ابن عباس في تفسير قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: 255] أي: وسع علمه ثم رجع إلى ذكر الأفعال والأشباح بقوله ﴿يُعْشَىٰ آلِيلَ النَّهَارِ﴾ [الآية: 54] ﴿يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الآية: 54] ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْحَرَتِ﴾ [الآية: 54] أي بأمره بدأ بذكر الليل لأنه ستر الأولياء وحجال الأصفياء وملجأ النقباء وقيام عرائس أهل المناجاة يلبس القبض البسط لأنهما ضدان ويقبض ويبسط الليل

قبض العارفين والنهار بسط المشاهدين يكون أحدها طالب الآخر لأن من وصفه الحضور والغيبة من خفاء التجلي وبداية الليل النفس والنهار القلب والشمس 296/ ب الروح والقمر/ العقل والنجوم العلوم مسخرات في سماء الملكوت وهو الجبروت بأمره بقدرته الكاملة وعزته الشاملة ومحبة القديمة التي تؤلف أرواح القدسية إلى مشاهد الأزلية ثم إن الله سبحانه أضاف الكل إلى أمر مشيئته ونفاذ قدرته وأخرج الجميع من تكلف الحدثان وعلة الأكوان بقوله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَنزُ﴾ [الآية: 54] الخلق فعله والأمر صفته الخلق في الأشباح والأمر في الأرواح بنور الخلق سلب العقول وحيرها من إدراك كنه الآيات ويتجلى الأمر جذب القلوب إلى عالم الصفات وعشقها بجمال الذات ثم أثنى على نفسه حيث يقصر الأفهام عن وصف صفاته ويعجز الألسن عن بلوغ مدح ذاته بقوله ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: تقدس عن كل ما يجري في خواطر خلقه رب العالمين رب الجميع بظهور صفته في خلقه ورب العارفين بظهور ذاته في صفته ولما عرفهم أعلام الربوبية أمرهم بخالص العبودية وأدبهم بأحسن التأديب بقوله:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] إذا عرفتموه بنعوت الكبرياء وجلال العظمة وعز القدم والبقاء كونوا في رؤية هذه الصفات عند احتياجكم إلينا بنعت الفناء بحيث لا يطلع على أسرار نفوسكم فإن دعوة المضطر تقع على مسامع الغيوب حين هاجت بوصف اللطف من لسان القلوب وإن أصفى الوقت في التضرع ودعوة الخفية وذكر الخفي الذي وصفه عليه السلام بالخيرية حيث قال «خير الذكر الخفي»⁽¹⁾.

قال أبو عثمان: التضرع في الدعاء أن لا تقدم إليه أفعالك وصلاتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره إنما التضرع أن تقدم افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا سبب ولا علة فيرفع دعاؤك.

وقال الواسطي: ﴿تَضَرُّعًا﴾ بذل العبودية ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: اخف ذكرى

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 406) رقم (552)، وابن حبان في الصحيح (3/ 91) رقم (809)، وأحمد في المسند (1/ 172) رقم (1477).

صيانة عن غيري ألا ترى قوله عليه السلام «خير الذكر الخفي»⁽¹⁾ وافهم أن للدعاء مقامات فبعضهم يدعوه بلسان الظاهر وبعضهم يدعوه بلسان الباطن وبعضهم يدعوه بإشارة العقل وبعضهم يدعوه بإشارة القلب وبعضهم يدعوه بإشارة الروح وبعضهم يدعوه بإشارة السر نعت أهل الظاهر التضرع ونعت أهل الباطن الافتقار والتخشع ونعت/ أهل العقل الفكر ونعت أهل القلب الذكر 297/أ ونعت أهل الروح الشوق ونعت أهل السر الفناء يدعونه بالإذن ولا يكون الإذن في الدعاء إلا في مقامين مقام القبض ومقام البسط الدعاء في مقام القبض بنعت العبودية والدعاء في مقام البسط بحكم الانبساط من إدراك مباشرة صولة الربوبية ولا بد للعارفين من هذين المقامين والدعاء على الأحوال شتى دعاء أهل البلاء لكشف الهموم ودعاء أهل النعماء لكشف الوجود ودعاء المحبين لتسلي القلوب ودعاء المشتاقين للبلوغ إلى الوصول ودعاء العاشقين لنيل المأمول ودعاء العارفين لوجدان البقاء ودعاء الموحدين لمحوهم في الفناء وفيه أنس المستأنسين وتضرع العارفين وبهاء المحبين وزيادة قرة عيون الموحدين ما أطيب ألحانهم في السجود لكشف شهود الوجود وما أحلى روح مناجاتهم بالعبرات وحركات ضمائرهم بالزفرات ثم حذرهم عن الرجوع من الأعلى إلى الأدنى ومن متابعة الحق إلى متابعة النفس من تخريب أرض القلب بمساحة الهوى بعد إصلاحها بصفاء المراقبة والحضور والمشاهدة بقوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الآية: 56] ثم زاد سبحانه في أدب الدعاء وقرن بالتواضع والإخلاص فيه مقام الوفاء والرجاء بقوله ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: 56] أي: ادعوه بوصف الإجلال في رؤية جلاله وبنعت البسط في رؤية جماله فإن حقيقة الدعاء في الشهود الوجل في العبودية لمعرفة الربوبية والسرور من رجاء الوصول إلى المقصود وأيضاً ادعوه خوفاً من اطلاعه على جريان كل مأمول سواء في القلب أي: خافوا من طيران ذكر الحدث في رؤية القدم وطمعاً في مقام من قربه أشرف من مقام الدعاء لأن الدعاء وسيلة فإذا حصل الوصول انقطعت الوسيلة وأيضاً خوفاً من رد الدعاء وطمعاً في استجابة الدعاء ثم بين تعالى أن من

(1) انظر: تخريج الحديث السابق.

كان هذا وصفه يكون من المحسنين الذين يقربون منه به بقوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ/ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. 297/ ب

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [الآية: 57] وقرأ ابن كثير وحمة والكسائي الريح على وحدة الجنس ﴿بُشْرًا﴾ [الآية: 57] بضم النون والشين جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر بسكون الشين تخفيفاً وحمة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات للسحاب الثقال وعاصم بضم الموحدة وسكون الشين على أنه تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به بمعنى مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الآية: 57] أي قدام أثر رحمته ومقدمة نعمته وهو المطر فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمععه والجنوب تعصره وتدره والدبور تفرقه.

وأفاد الأستاذ: أن تباشير التقريب تتقدم فيتأدى نسيمه إلى مشام الأسرار وكذلك آثار الأعراض تتقدم فتوجد ظلمة القبض في الباطن وظل الوحشة يتقدمها ونسيم الوصل يعدمها في قريب منه قال قائلهم:

ولقد تنسمت الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتك نسيم⁽¹⁾

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ [الآية: 57] أي: حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الآية: 57] بالماء وجمعه لأن السحاب بمعنى السحاب ﴿سُقْنَةً﴾ [الآية: 57] أي: السحاب وأفرد الضمير باعتبار اللفظ والفعل مأخوذ من السوق ﴿لِيَكْلَهُنَّ مَيْتٌ﴾ [الآية: 57] أي: لأجل مكان للإنبات فيه أو لإحيائه أو لسقيه أو إلى جانبه ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾ [الآية: 57] أي: بسبب السحاب أو السوق أو في البلد ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ [الآية: 57] بالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية: 57] من كل أنواعها ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ [الآية: 57] الإشارة إلى إخراج الثمرات وهو أقرب أو إلى إحياء البلد الميت وهو أنسب أي: كما نحياه بإحداث القوة النامية فيه وبتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وبتطريتها بالقوى والحواس المدركات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 57] فتعلمون أن من قدر

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: المتحلل (1/15)، والحماسة البصرية (1/73).

على ذلك قدر على ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه تحصل لمهجور تمادى به الصد وبرح به الوجد فأدرس رسمه بل أبطل كله البعد فيأتيه بشير القرب فيعود عود وصله بعد الذبول طرياً ويصير دارس حاله عقيب السقوط ندياً قال/ قائلهم: 298/أ

كن كمن ألبس أكفانه وقرب النعش من الملحد
فجال ماء الروح في جسمه فرده الوصل إلى المولد⁽¹⁾
تبارك الله سبحانه ما كل هم هو السرمد

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ [الآية: 58] أي: المكان الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الآية: 58] بمشيئته وتيسيره كثيراً سريعاً عزيزاً حسنة ﴿وَالَّذِي خُبْتُ﴾ [الآية: 58] كالحره والسبخة ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الآية: 58] قليلاً بطيئاً عديماً نفعه.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا زكا أصل [نما الفرع وإن طاب] العنصر فالجزء يحاكي أصله فالأسرة تدل على السريرة فمن صفا ساكن قلبه زكا ظاهر فعله فمن كان بالعكس فحاله الضد ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 58] نردها وتكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 58] على نعمائه ويتكفرون في الآية ويعتبرون بما في الدنيا من قلة بقائها وسرعة فنائها والآية مثل الأبرار والفجار فمن تدبرها انتفع بها ومن لم يرفع رأسه إليها ولم يتأثر منها وفي ما بيناه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: 122] ولما ذكر قصة آدم عليه السلام في أول السورة من الابناء شرع هنا في قصص بقية الأنبياء فقال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 59] وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول رسول من بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين ﴿فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الآية: 59] بالرفع على أنه صفة إله باعتبار محله لأن من زائدة وهو اسم ما وقرأ الكسائي بالجر بناءً على لفظه وقرىء بالنصب على الاستثناء ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 59]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (178/3).

[59] إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 59] وهو يوم القيامة أو يوم العقوبة وهو وعيد على مخالفته وبيان للداعي إلى عبادته وموافقته.

وأفاد الأستاذ: أنه بلغ الرسالة فلم ينجع فيهم ما أظهر لهم من الدلالة لأن محروم القسمة لا ينفعه مجهود الحيلة.

﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 60] أي: الأشراف الأكابر فإنهم يملون عيون الأصاغر ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية: 60] أي: زوال عن الحق ﴿مُتَّبِعِينَ﴾ [الآية: 60] أي: بين الصدق بامتناعك وآبائك عن دين أنبيائك.

298/ ب ﴿قَالَ يَنْفَقُورَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٍ﴾ [الآية: 61] أي: شيء من الضلال الموجب للوبال ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 61] وثابت على الدين المتين وطريق اليقين.

وأفاد الأستاذ أن نوحاً عليه السلام نسب إلى الضلالة فتولى جوابهم بنفسه في المقالة فقال ﴿يَنْفَقُورَ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٍ﴾ [الآية: 61] ونبينا ﷺ نسب إلى ما نسب إليه من الضلالة فتولى الحق سبحانه الرد عنه فقال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: 2] فشتان بين من نضح عن نفسه وبين من دفع عنه ربه قلت لعله إشارة إلى أن نوحاً عليه السلام كان سالكاً مريداً ونبينا ﷺ مجذوباً مراداً.

﴿أَتْلَفْتُمْ رَسُولَتِي رَبِّي وَأَنْصَحَ لَكُمْ﴾ [الآية: 62] لتصلوا إلى مقام قربي ﴿وَأَعْلَمَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 62] من صفات لطفه وقهره ونعوت جماله وجلاله وقرأ أبو عمرو وأبلغكم بالتخفيف والمعنى أوصلكم إلى ما أرسلني إليكم وجمع الرسائل باختلاف الأوقات وتنوع الجهات من العقائد والعبادات والمعاملات وأريد لكم الخير بالموعظة في المأمورات والمنهيات.

وقال الأستاذ: أي أعلم أنني بالغت في تبليغ الرسالة لكن من لم يسبق له القسمة بالسعادة لا ينفعه نصحي ولا يؤثر فيه قولي فإن من أسقطته القسمة لم تنعشه النصيحة.

﴿أَوْ عَجِزْتُمْ﴾ [الآية: 63] الهمة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي:

أكذبتهم وعجبتم كذا قاله جماعة.

وقال صاحب «البحر»: هذا مخالف لكلام سيبويه والنحاة فإنهم مصرحون بأن الواو لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام ولا حذف في المقام وكان الأصل وأعجبتم لكنه اعتناء بهمزة الاستفهام فقدمت على حرف العطف لصدارة الاستفهام وقد رجع الزمخشري إلى الجماعة انتهى وهو أظهر في المعنى وأبعد من التكلف في المبنى ﴿أَنْ جَاءَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 63] رسالة أو موعظة ﴿عَلَّٰنَ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 63] على لسان رجل من جملةكم أو من جنسكم لا من الملائكة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الآية: 63] ليخوفكم الذكر أو الرجل أو ربكم عاقبة الكفر والأوزار ﴿وَلِنَقُوتَ﴾ [الآية: 63] منهما بسبب الإنذار ﴿وَلَهُكُمْ تُرْجُونَ﴾ [الآية: 63] بالدخول في الجنة مع الأبرار وفي إيراد الترجي إيماء إلى أنه لا يجب على الله/ شيء من الثواب والعقاب.

وأفاد الأستاذ: أنهم عجبوا من كون شخص رسولاً لله ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً لله وهذا فرط الجهالة وغاية الغباوة والضلالة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخْبَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ [الآية: 64] وهم من آمن به وكانوا ثمانين على ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أربعين رجلاً وأربعين امرأة منهم بنوه سام وحام ويافث ﴿وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 64] بالطوفان أجمعين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الآية: 64] عمي القلوب غير مستبصرين وهو مخفف عميين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يسعدوا بما عملوه ولم يصلوا إلى ما أملوه.

﴿وَالَّذِينَ عَادُوا أَخَاهُمْ﴾ [الآية: 65] أي: وأرسلناه إليهم وقوله ﴿هُودًا﴾ [الآية: 65] عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منه كقولهم يا أخا العرب وإنما جعل منهم لأنه أفهم بمقاله وأعرف بحاله وأرغب بالاقتداء في أفعاله ﴿قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 65] من عقابه ونكاله في الدنيا وعذابه في العقبى.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 66] إذ كان من أشرفهم من آمن به ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الآية: 66] أي: متمكناً في خفة عقل وسخافة حيث ادعت إلهاً واحداً وخالفت دين قومك في جعلهم الإله متعدداً ﴿وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ [الآية: 66] في دعوتك ودعويك عذاباً سرمداً.

﴿قَالَ يَقْوِمُ لَيْسَ بِ سَفَاهَةٍ﴾ [الآية: 67] تحملني على الجهالة والكذب والضلالة ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 67] كامل العقل والديانة.

﴿أُتِلِفُكُمْ رَسُولَتِي﴾ [الآية: 68] على طريقة النصيحة ﴿وَأَنَا لَكُمُ نَاصِحٌ﴾ [الآية: 68] مرید للخير والمصلحة ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية: 68] مأمون على الرسالة.

﴿أَوْ عَجَبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الآية: 69] وفي إجابة الأنبياء للكفرة عن كلماتهم الفضيحة بما أجابوا وقابلوه بالنصيحة والإعراض عن مقابلة مقاتلتهم بالخشونة وبيان كمال الحكم والشفقة والرحمة وهضم النفس وحسن المجالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم سلكوا طريق سلفهم وإخوانهم فوقعوا في وهنتهم وآمنوا بمثل حالتهم فما خسر من أثر على هواه رضا الله ولا ربح من قدم هواه على حق الله ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الآية: 69] أي: في مساكنهم حيث/ أخلفكم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَعْطَةً﴾ [الآية: 69] قامة وقوة وكان طویلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين خوفهم أولاً من عقاب الله وانتقامه ثم ذكرهم بزيادة إحسانه وأنعامه بقوله ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ﴾ [الآية: 69] أي سائر الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [الآية: 69] تفوزون بمقام الرضا في قضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الخلق بعضهم خلفاً عن بعض فلا يغني فوجاً منهم في جنس إلا أقام فوجاً عنهم في ذلك الجنس فأهل الغفلة إذا انقضوا أخلف عنهم قوماً وأهل الوصلة إذا أدرجوا خلف عنهم قوماً ولا ينبغي للعبد أي: من الأصاغر أن يسمو طرف تأمله إلى محل الأكابر فإن ذلك المقام

مشغول بأمله ما لم تنته نوبة أولئك لا تنتهي النوبة إلى هؤلاء وكما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق فكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني وقوله ﴿فَاذْكُرُواْ آلَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية: 69] عام والأول خاص فهذا يتضمن ترويح الظواهر والثاني متضمن التلويح في السرائر والتلويح بوجود المبار والتلويح بشهود الأسرار.

﴿قَالُواْ أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ [الآية: 70] أي: منفرداً عن سائر آلهتنا ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الآية: 70] أي: ونترك عبادة أصنامنا التي كان يعبدها آبائنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة لما كتب عليهم من الشقاوة دون السعادة ﴿فَأَنَّا يَمَّا تَدَانَا﴾ [الآية: 70] أي: من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: 70] في وعيدك للمكذبين.

وأفاد الأستاذ أنهم طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحة الوحدة فشق عليهم الإعراض عن الأغيار أي: ورضوا أن يكونوا تحت حجب الأستار وفي معناه قال قائلهم:

أراك بقية من قوم موسى فهم لا يصبرون على طعام⁽¹⁾

ويقال شخص لا يخرج عن عُش التفرقة لمحبة وشخص لا يحيد عن سنن/ التوحيد لحظة فلا يعبد إلا واحداً فكما لا يعبد إلا واحداً لا يشهد إلا 300/أ واحداً قال قائلهم:

لا يهتدى قلبي إلى غيركم لأنه سد عليه الطريق⁽²⁾

قلت والله ولي التوفيق.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ [الآية: 71] وجب وحق ﴿عَلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ [الآية:

71] عذاب ﴿وَعَصَبٌ﴾ [الآية: 71] يترتب عليه عقاب وحجاب والمراد بالغضب في هذا المقام إرادة الانتقام.

(1) نسب إلى أبي نؤاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (5/1)، وأخبار النساء (43/1).

(2) نسب إلى العباس. انظر: محاضرات الأدباء (343/1).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد هوان عبد طرحه في مفازة التفرقة والإنكار وإن من علامة غضبه وإعراضه رد العبد إلى شهود الأغيار وتغريقه إياه في بحار الظنون والأفكار إذ لا تحصيل للأغيار في معنى الإثبات والإقرار ﴿أَتَجِدُلُونَنِي فِي تَأْسَمَلٍ سَمَيْتُوهَا﴾ [الآية: 71] أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها وليس في مسمياتها معنى يوجب إلهيتها وسميتها آلهة ﴿أَنْتُمْ وَعِبَادُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الآية: 71] أي: ما جعل في عبادتها من حجة وبرهان بل هي من موضوعاتكم ومخترعاتكم لأن المستحق للعبادة بالذات هو المستجمع لكمالات الصفات ﴿فَانْظُرُوا﴾ [الآية: 71] أمر الله فينا وفيكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ [الآية: 71] حتى تروا حالنا وحالكم ومآلنا ومآلكم.

﴿فَأَجْنِبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الآية: 72] أي: في الدين والطاعة ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 72] منه ﴿مِنَّا﴾ [الآية: 72] عليهم ونعمة منا إليهم ومنحة منا لديهم.

وأفاد الأستاذ: أن لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا درجة أعلى من درجة الرسالة فأخبر سبحانه أنه نجا هود عليه السلام برحمته وكذلك نجي الذين آمنوا معه برحمة ليعلم أن النجاة لا تكون باستحقاق العمل في عبادته وإنما يكون بابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا من نجا إلا بفضل من الله سبحانه قلت ومن هذا المقام نطق عليه السلام حيث قال لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته⁽¹⁾ وفيه إيماء إلى كبريائه وعظمته واستغنائه عن وجود عبده وعبادته وأنه لا يجب عليه شيء من مثوبته وعقوبته ﴿وَقَطَعْنَا دَائِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَائِلَتِنَا﴾ [الآية: 72] أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 72] تعريض لمن 300/ ب آمن منهم ودخل في الدين وتبنيه/ على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان واليقين.

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْفَوْرَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ
فَدَجَأْتُمْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 73] حجة ظاهرة الدلالة على صحة

نبوتي وصدق دعوتي إضافة تعظيم لكم بالرسالة من عند ربكم ﴿هَٰذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الآية: 73] نصبها على الحال والعامل فيها معنى الإشارة أي معجزة عظيمة فإنما خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضر منهم حين اقترحوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ظهور تلك الآية ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [الآية: 73] من عشبها وتشرب من مائها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ﴾ [الآية: 73] من ضربها وطردها ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 73] بالنصب على جواب النفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه غاير بين الرسل من حيث الشرائع وجمع بينهم في التوحيد الذي هو أصل المنابع وأساس المنافع فالشرائع التي هي العبادات مختلفة الحالات والكل مأمورون على وجه واحد بتوحيد الذات ثم أخبر عن إمضاء سنته تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام وإمهال أممهم في مآلهم من المقام ريثما ينظرون في معجزات الرسل عليهم السلام ثم أخبر عما أدرجوا عليه من مقابلتهم الرسل الكرام بالتكذيب تسلياً للحبيب فيما كان يقاسي من بلاء قومه في البلاد.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الآية: 74] في مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 74] أي: أسكنكم في أرض الحجر ﴿تَنْخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ يُؤْتَا﴾ [الآية: 74] أي: تنقبون بيوتاً في جبالها وتسكنون وقت الشتاء فيها ﴿فَأَذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية: 74] بشكرها وبالتأمل فيها وفكرها ﴿وَلَا تَمُوتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 74] لا تفسدوا فيها حال كونكم قاصدين الفساد للبلاد والعباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح في بسط الدلالة علتهم ووسع عليهم حالتهم بتمكينهم من السقيا على ما دعت إليه حاجتهم فلا الدليل تأملوه ولا السبيل لازموه ولا النعمة عرفوا قدرها ولا المنة قدموا شكرها فصادفهم من البلاء ما أدرك أشكالهم قال: قرأ ابن عامر.

﴿قَالَ أَلَمْ لَا الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 75] تكبروا عن الإيمان واستنكفوا من الإيقان ورضوا بجهلهم وتقليد أهل الطغيان ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضِيفُوا﴾ 301/أ

[الآية: 75] لمن استذلّوهم من الرعايا ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 75] بدل كل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل بعض إن كان للذين فإن المستضعفين كثيرون وأربعة آلاف منهم مؤمنون ﴿أَتَقْلَبُونَ أَنْ صَدَّقْنَاكُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 75] قالوه على الاستهزاء بهم أو بناءً على زعمهم ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْمِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 75] عدلوا عن نعم من الإيجاز في الجواب إلى الأطناب تلذذاً بما يستطاب في الخطاب وتشهيراً بوجه الصواب.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الآية: 76] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سُنَّته أنه لا يخص بأفضاله وجميل صنعه وإقباله في الغالب من عباده في جميع بلاده إلا من يسمو إليه طرفه بالإجلال وأن لا يوضح له قدره بين الأضراب والأشكال فأنصار كل نبي إنما هم ضعفاء وقته ثم أن من لاحظ أهل الغفلة بعين الاحتقار فليس [الأمر] كما تذهب إليه الأوهام ولا كما يعتقد فيه الأنام بل الجواهر مستورة في معادنها وقيمة المحال بساكنها قال قائلهم:

وما ضر نصل السيف أخلاق غمده إذا كان غضباً حيث وجهته برى⁽¹⁾

قال ﷺ كم من أشعث أغبر ذي طمرين⁽²⁾ لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره⁽³⁾.

﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ [الآية: 77] أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم في القضية والمعنى فنحروها ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 77] حين قال لهم ﴿وَلَا تَسْؤُوهَا يَسُوءُ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 72] ﴿يَصْلَحُ أَقْنَانَا بِمَا نَعِدُّكَ﴾ [الآية: 77] أي: من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾

(1) نسب إلى الإمام الشافعي. انظر: معجم الأدباء (2/ 351)، وخريدة القصر (1/ 118).

(2) الثوب الخلق، انظر: النهاية في غريب الحديث (3/ 306).

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 364) رقم (7932)، والطبراني في المعجم الأوسط (1/ 264) رقم (861)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 692) رقم (3854).

[الآية: 77] أي: من الصادقين في دعوى الرسالة وإظهار المعجزة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 78] أي: الزلزلة من الأرض والسيحة من السماء حتى تقطعت قلوبهم في صدورهم فلا ينافي ما وقع في موضع آخر فأخذتهم السيحة فبين في كل محال نوعاً من العقوبة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ [الآية: 78] لإنكارهم ﴿فِي دَارِهِمْ﴾ [الآية: 78] أي: مسكنهم وأرضهم مع طولهم وأعراضهم ﴿جَحِيمِينَ﴾ [الآية: 78] خامدين مبتلين من غير شعورهم لازمين لمكانهم وقبورهم واقعين على صدورهم.

﴿فَتَوَلَّى﴾ [الآية: 79] أي: أعرض وأدبر ﴿عَنَّهُمْ وَقَالَ﴾ [الآية: 79] في حقهم ﴿يَقْوَرُوا لَقَدْ أَلْفَضْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 79] بما أوحى إلي قلبي 301/ ب ﴿وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَاتِ﴾ [الآية: 79] أي: المرادين للخير بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الجيلة تدعو إلى وفاق الهوى وخلاف الهدى فتستثقل النفس قول الناصحين فتخرج عليهم فكانها تعدهم الواشين قال قائلهم: وكم سقت في آثارهم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المنتصح⁽¹⁾

﴿وَلَوْطًا﴾ [الآية: 80] أي: وأرسلنا لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 80] أي: وقت قوله لهم ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ [الآية: 80] استفهام توبيخ وتقريع على تلك الغفلة المتמادية في القباحة ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 80] أي: ما فعلها قبلكم أحد من ذوي العقول والباء للتعدية ومن الأولى زائدة لمزيد الاستغراق في النفي والثانية للتبعض والجملة استئناف.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ﴾ [الآية: 81] الاستفهام للإنكار وقرأ نافع وحفص بالإخبار وفي جعل الشهوة علة وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه لهم على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا مجرد قضاء الشهوة واقتضاء اللذة مع قطع النظر عن القباحة

(1) نسب إلى العباس بن الفرج الرياشي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (1/ 336)، ونسب إلى عمارة بن عقيل. انظر: جمهرة الأمثال (1/ 171)، ونسب إلى الأقرع بن معاذ. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 328).

﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الآية: 81] أي: عادتكم المجاوزة عن الحد في القضية وهو إضراب انتقال من حال إلى حال لا إضراب إبطال.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أباح في الشرع ما أزاح به العذر فمن تخطى حد الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه واستوجب إذلاله واستجلب باختياره صغاره.

﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ [الآية: 82] أي: بعضهم لبعض في حق لوط ومن آمن به ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يُّنَظَّهُرُونَ﴾ [الآية: 82] يبالغون في الطهارة ويراعون الديانة قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية ويتطهرون من دبر الرجال والنسوة على ما فسرهم ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من الأئمة ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ [الآية: 83] ممن آمن به فإنه ما آمن به أحد سوى أهل بيته ﴿إِلَّا أَمْرَاتُهُ﴾ [الآية: 83] وأهله فإنها ﴿كَانَتْ﴾ [الآية: 83] تسر الكفر من أهله ﴿مِنَ الْفَاجِرِينَ﴾ [الآية: 83] الباقيين في عذاب الكافرين والتذكير لتغليب الذكور.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا﴾ [الآية: 84] نوعاً من المطر عجيباً في الويل وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل / ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 84] وقيل: خسف بمقيمهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 85] قبيلة أو المراد بلد مدين أي: وأرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية: 85] وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه في الأشياء ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 85] يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن إنها ما هي ﴿فَأَوْرَثُوا أَلْكَيْلَ﴾ [الآية: 85] أي: آلتها على اضممار أو أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به لقوله ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ [الآية: 85] ولما في سورة هود وقرأ المكيال والميزان ﴿وَلَا يَبْخَسُوا أَلْكَاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الآية: 85] لا تنقصوهم في غيرها أيضاً حقوقهم وإنما قال أشياءهم ليعلم القليل والكثير تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون بالجليل والحقير.

وأفاد الأستاذ: أن قوم شعيب خست مرتبة همتهم ففنعوا بالتطفيف في المكيال والميزان عند معاملتهم ثم أن الحق سبحانه لم يسألهم في ذلك المقدار ليعلم أن الأقدار ليست من حيث الإخطار ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 85] بالكفر والمكر والمكس والجور ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الآية: 85] أي: إصلاح أمرها وأهلها ببعث الأنبياء واتباع شرائعهم في جميع الأشياء ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 85] أي: العمل بما أمرتم ونهيتهم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 85] في الدنيا والعقبى ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: مصدقين بما أقول لكم من أمر اليقين.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الآية: 86] أي: في كل طريق من طرق الدين كالشياطين المانعين أو كانوا يجلسون على ممر المسافرين ويحذرونهم بأن شعيباً من الكذابين ويوعدونهم بالقتل وغيره لمن تبعه من المؤمنين وهذا منقول عن ابن عباس وغيره من أكابر المفسرين أو كانوا يقطعون الطريق على المارين أو كانوا مكاسين كما قاله السدي وبعض العلماء المعبرين ﴿وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 86] أي: تمنعون عن إتباعه أو إظهار دينه ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ [الآية: 86] أي: بالله أو برسوله ﴿وَتَبْغُوهَا﴾ [الآية: 86] تطلبون لسبيل الله ﴿عِوَجًا﴾ [الآية: 86] بالقاء الشبهة أو وصفها للناس بأنها معوجة.

وأفاد الأستاذ: إن شر المعاصي ما لا يكون لازماً لصاحبه وكان متعدياً عنه إلى غيره ثم بقدر الأثر في التعدي يحصل الضرر للمبتدىء ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ ب/ 30 قَلِيلًا﴾ [الآية: 86] في العدد ﴿فَكَرَّهْتُمْ﴾ [الآية: 86] بالمدد/ والمدد في النسل والمال وسعة الحال وفراغ البال ﴿وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 86] من الأمم قبلكم في المال فاعتبروا بهم واختاروا حسن المقال وجميل الفعال.

وقال الأستاذ: من عليكم بتكثير الأعداد لأن التناصر والتعاون يمشي الأمور ويحصل المراد ويقال كمال كل أمر في الخير والشر بالأعوان والأنصار فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار في الخير ولا محنة فوق اتفاق الأعوان في الشر.

﴿وَلَنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا﴾ [الآية: 87] أي: بترك متابعتة ﴿فَأَصْبِرُوا﴾ [الآية: 87] فتربصوا وانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَخْضَكُمُ اللَّهُ يَبْتَلَنَّ﴾ [الآية: 87] ينصر المحققين على المبطلين فهو وعد للمصدقين ووعد للمكذابين ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الآية: 87] إذ هو أعلم العالمين وأعدل العادلين.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ [الآية: 88] أي: المكذابين ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَشُعْبَبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيِنًا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مَلَّتِنَا﴾ [الآية: 88] أي: لتصيرن أو لترجعن بناء على التغليب فإن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَعْيٍ كَثِيرٍ﴾ [الآية: 88] أي: نعود في ملتكم وإن كنا كارهين والهمزة للإنكار أو التعجب أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها.

﴿قَدْ أَفْرَأْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِّنْهَا﴾ [الآية: 89].

وقال الأستاذ: كما أن أهل الخير لا يميلون إلا إلى أشكالهم فأهل الشر لا يرضون لمن رأوا إلا بأن يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم والأوحد في باب من باين نهج أضرابه ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 89] أي: يصح ﴿لَنَا أَنْ نَتَوَدَّ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الآية: 89] خذلاننا وارتدادنا فإنه مقلب القلوب وعلام الغيوب وإذا أراد الله بعبد سوءاً فلا مرد له والمعنى لا يمكن ولا يكون الارتداد ونحن على هذا الطبع من الوداد نعم لو أراد الله لنا البعاد عن مقام الإسعاد فهو قادر على أن لا يغير طبائعنا وقلوبنا ويصرفنا عن سبيل السداد ولكن الله رؤوف بالعباد ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الآية: 89] فسبحان من أقام العباد فيما أراد ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: 89] فيما قضى علينا من المراد ﴿رَبُّنَا أَفْتَحْ﴾ [الآية: 89] أحكم ﴿يَبْتَلَنَّا وَبَيِّنَ قَوْمَنَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 89] أي: بإظهاره ونجاة أربابه وبيان الباطل وإهلاك أصحابه أو المراد بالحق ما يستحق/ كل من الخلق ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاحِشِينَ﴾

303/ أ

----- [الآية: 89] أي: الحاكيمن من الفتاحة وهي الحكومة أو فتح باب العدالة وإظهار القضية المغلقة.

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا عن صحة عزائمهم حيث قالوا ﴿قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّا عُدُّنَا فِي مِلِّكُمْ﴾ [الآية: 89] ثم أقرروا بالشكر لله حيث قالوا ﴿بِمَدِّ إِذْ بَخَّسَنَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ [الآية: 89] ثم تبرؤوا عن حولهم وقوتهم حيث قالوا ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَقُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الآية: 89] أي بأن يلبسنا لباس الخذلان ويردنا إلى مقام الهوان ثم استناموا إلى جميل التوكل فقالوا ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: 89] أي: به وثقنا ومنه الخير أملنا ثم فوضوا أمرهم إلى الله فقالوا ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 89] فتداركهم الحق سبحانه عند ذلك بجميل الصنعة وحسن الكفاية.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الآية: 90] وهم حالفون ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَبًا مِنْكُمْ إِذَا لَخِيسْرُونَ﴾ [الآية: 90] لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق على زعمهم وهم جاهلون وعن معرفة الحق غافلون.

وقال الأستاذ: تواصلوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم وأشار بعضهم على بعض باستشعار وقوع الفتنة بمتابعة مرشدهم وكانوا مخطئين في حكمهم مبطلين في ظنهم فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها وكل إشارة لا يحسن اتباعها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 91] الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادئ العقوبة وكان في أثنائها سحابة فيها شرر من النار ولهيبها وهو قوله تعالى في الشعراء: ﴿عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جُثَثٍ﴾ [الآية: 91] زهقت أرواحهم وخمدت أشباحهم وهو وعيد لأمثالهم وأشباههم.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا لَمْ يَفْنَوْا فِيهَا﴾ [الآية: 92] أي: كأن لم يقيموا بها حيث استوصلوا منها شبه الله تعالى حال هؤلاء المكذبين في مآلهم بحال من لم يكونوا قط في ديارهم ومنازلهم.

﴿الَّذِينَ كَذَبُوا شُعْبًا كَانُوا هُمْ الْخَسِرِينَ﴾ [الآية: 92] ديناً ودنياً إلا الذين صدقوا واتبعوه كما قاله زعماء وظناً فإنهم هم الرابحون في الأولى والأخرى.

وقال الأستاذ: وكانت لهم غلبة في وقتهم ولكن لما اندرست أيامهم سقط صيتهم وحمل ذكرهم وتفتح سحاب من توهم شيئاً منهم ثم قال الحق 303/ب غالب/ في كل أمر والباطل زاهق في كل وصف وإذا كانت العزة نعت من هو أزلّي الوجود والجلال حق من هو الملك المعبود فأى أثر للقطرة مع القدرة وأى: خطر للعلل مع الأزل.

ولقد أنشدوا في قريب من هذا:

استقبلنا وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول⁽¹⁾

﴿فَنَوَّلُوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 93] أي: أعرض عنهم لما أيس منهم ﴿وَقَالَ يَقْوَرُ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَتِي رَيْقًا وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 93] من صميم قلبي قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه في توجهه إليهم بقوله: ﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ [الآية: 93] أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَفَرُوا﴾ [الآية: 93] ليسوا بأهل حزن في الدين إذا كانوا للعذاب مستحقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه عليه السلام راعى حد الأمر فإذا خرج عن عهدة التكليف في التبليغ فما عليه من إقرارهم وإنكارهم وتوحيدهم وجحودهم شيء إن أحسنوا فالميراث الجميل راجع إليهم وإن أساءوا فالضرر بالتألم عائد عليهم ومالك الأغيار أولى بها من الأغيار فالخلق خلقه والملك ملكه إن شاء هداهم وإن شاء أغواهم فلا تأسف على نفي وفقد ولا أثر من كون ووجود.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ﴾ [الآية: 94] فكذب أهلها ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا﴾ [الآية: 94] المكذبين بالأنبياء ﴿بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [الآية: 94] بالشدة والحاجة والوباء والغلاء وأنواع البلاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّوْنَ﴾ [الآية: 94] كي يتضرعون ويتذلّلوا ويرجعوا إلى أمر رب السماء وقبول متابعة الأنبياء قال بعض الأصفياء من الأولياء دعاك إلى ما به من الشفقة والرحمة والعطايا والمزايا فلم تجبه ولم ترجع إليه فصب عليك أنواع البلايا والرزايا لترجع كرهاً إذا أبيت الرجوع إليه طوعاً فلم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 241) و(2/ 402) و(5/ 16).

تجبه ولم تتوكل عليه.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ﴾ [الآية: 95] أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة أنواعاً من الرخاء والمنحة ابتلاء بالأميرين واستدراجاً في الحالين ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ [الآية: 95] أي: كثروا نفراً ومالاً وتوهموا أنهم نالوا منالاً وحصلوا كمالاً ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءِآبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ [الآية: 95] فأصابنا مثل ما أصابهم من البلاء والعناء كفراناً لنعمة الله وشكراً ونسياناً لحمده وذكره واعتقاداً بأن هذا من عادة دوران الفلك/ ودهره ﴿فَلَاخَذْنَهُمْ بِقُنَّةٍ﴾ [الآية: 95] فجأة وهي 304/ أ حال النعمة أشد فظاعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 95] بنزول العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن رب العباد والبلاد حركهم بالبلاء الأدون تحذيراً من البلاء الأصعب فإنما تماردوا في غيهم ولم ينتبهوا من غفلتهم مد عليهم ظلال الاستدراج وصبّ عليهم أسباب الترفية بمنع الاحتياج مكرراً بهم في الحال واستدراجاً لهم في المال فإذا وطنوا على مساعدة الدنيا قلوبهم وركنوا إلى ما سولت لهم من امتداد أيامهم مع كثرة آثامهم أبرز لهم من مكان التقدير ما نغص عليهم طيب الحياة واندق بغتة عنق السرور وشرقوا بما كان يتحسون من كاسات الأماني فتبدل ضياء نهارهم بظلمة الوحشة وتكدر ما في شرابهم بيد النوائب كما سبق به القسمة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ [الآية: 96] أي: تلك القرى التي أرسلناها إليهم رسلاً ﴿ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا﴾ [الآية: 96] بدل ما كفروا وعصوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 96] بإنزال المطر وإخراج النبات أو وسعنا عليهم الخيرات ويسرناها لهم من جميع الجهات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد للتكرير والتكثير ﴿وَلَكِن كَذَّبُوا﴾ [الآية: 96] رسلنا ﴿فَلَاخَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 96] من مخالفة أمرنا.

وقال الأستاذ: ولو آمنوا بالله واتقوا الشرك بما سواه لفتحنا عليهم أسباب العطاء فإن سبق بخلافه القضاء فأبواب الرضا والرضاء أتم من العطاء ويقال ليس العبرة بالنعمة بل العبرة بالبركة في النعمة ولذا لم يقل لضعفنا لهم

النعم ولكن قال باركنا لهم في ما حولناهم قلت وفي الحديث اللهم قنني بما رزقتني وبارك لي فيه⁽¹⁾.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الآية: 97] أي: أبعد ذلك آمنوا ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ [الآية: 97] عذابنا ﴿يَكُنَّا﴾ [الآية: 97] أي: نبيئاً أو مبيئاً أو مبيتين أو وقت بيات ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الآية: 97] حال كونهم غافلين.

﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾ [الآية: 98] قرأ نافع وابن كثير وابن عامر أو بالسكون على التردد للتنويع ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الآية: 98] ضحوة النهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 98] يلعبون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما ليس فيه المنفعة.

وأفاد الأستاذ: إن أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأة على غفلة من أهله 304/ ب ويقال ومن حذر البيات لم يجد روح الرقاد ويقال: رب ليلة مفتحة بالفرح/ مختمة بالترح ويقال: رب يوم تطلع شمس من أوج السعادة قامت ظهيرته على قيام الفتنة.

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الآية: 99] وهو استدراج العبد بنعمة أخذه من حيث لا يشعر به ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 99] خسروا بالكفر ولم يعتبروا بالأمر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف علو قدره خشي خفي مكره ومن أمن خفي مكره نسي عظيم قدره.

ومن «نفائس العرائس» بكل قوم مكر فمكره بالعموم ممزوج بالقهر وهوان يعطيهم أسباب العبودية ولم يوفقهم بها ويعطيهم النعمة ولا يعطيهم لسان الشكر عليها ولا يعرفهم حقائق استدراجه بسلب النعمة عنهم وإخلائهم بلا نعمة ولا شكر منهم ومكره بالخصوص أن يلذذ ما وجدوا منه في قلوبهم ويحجبهم بتلك الحلاوة عن إدراك فوق مقاماتهم من مكاشفة الغيوب في

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (3/ 443) رقم (15816)، والبيهقي في الأدب (3/ 59) رقم (769)، والطبراني في الدعاء (1/ 276) رقم (882).

القلوب ومكره بالمحبين والعاشقين ظهور الصفات في الآيات وهو مقام الالتباس ومكره بالعارفين والموحدين أن يريهم نفسه على قدر قوة المعرفة والتوحيد ولا يعرفهم مكان المكر هناك بأن يعلموا أن ما وجدوا منه عندما لم يجدوا منه كقطرة في بحاره ذلك من حلاوة مباشرة أنوار القدم والبقاء في أسرار أرواحهم وقلوبهم وعقولهم ولو اطلعوا على حقائق مكره حيث حجبه به عنه لذابوا من الحياء تحت أنوار سلطان كبريائه وعظمته ومكره بأهل الإلحاد أن يريهم جلاله وجماله في مرآة قلوبهم فيرونه بحسن الأزل وجمال الأبد بنعت فنائهم فيه فيبقيهم من حد الفناء فيرون أنفسهم كأنهم هو من حدة مباشرة الصفة بالعقل فيحتجب عنهم ويبقيهم في حلاوة تأثير أنوار الصفات فيرون أنفسهم في محل الربوبية فيدعون هناك بالأنانية كحسين بن منصور وأبي يزيد قدس الله روحهما فهناك أخفى المكر والطف الاستدراج ولولا فضله وكرامته عليهم لأبقاهم فيما هم فيه ولكن بلطفه الخفي وإنعامه الجلي أخرجهم من ذلك وأغرقهم في بحار عظمتهم حتى أقروا بأنهم ليسوا على شيء منه وأنهم في أول درجته من عبوديته ألا ترى قول أبي يزيد في آخر عمره حيث قال ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا عبدتك إلا عن/فترة وإلى قول حسين بن منصور في وقت قتله 305/أ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وهذا لطف الله بنبينا ﷺ حيث حرصه في هذا المكر الخفي في مقام رؤية الأعلى وشهود قاب قوسين أو أدنى بقوله لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك⁽¹⁾ ذوقه طعم الربوبية وأوقفه في مقام العبودية حتى افتخر بعبوديته بعد وحدان ربوبيته بقوله أنا العبد لا إله إلا الله وكل صنيع منه لطيف بأوليائه إن مكر بهم وإن لم يمكر بهم ومن نجا من مكره وكل في قبضة العزة متحيرون وكيف يأمن منه من يعرفه بالربوبية ويعرف نفسه بالعبودية حكى أن رجلاً سأل الشبلي عن معنى مكر الله فأنشأ الشبلي يقول:

أحبك لا ببعضي بل بكلي وإن لم يبق حبك لي حراكا

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (222/486)، وأبو داود في السنن (327/1) رقم (879)، وابن حبان في الصحيح (258/5) رقم (1932)، وأبو يعلى في المسند (237/1) رقم (275).

ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكاً⁽¹⁾

فقال السائل: أسأله عن آية من كتاب الله ويجيبني بيت شعر فعلم الشبلي أنه لم يفتطن لما قال فقال: يا هذا مكره بهم تركه إياهم على ما هم فيه .

قال الحسين: لا يأمن من المكر إلا من هو غريق في المكر فلا يرى المكر به مكرراً وأما أهل البقظة فإنهم يخافون المكر في جميع الأحوال إذ السوابق جارية والعواقب خفية وقال أيضاً من لا يرى الكل تليساً كان المكر منه قريباً .

قال أبو الخير الديلمي: كنت يوماً عند الجنيد فارتعدت فرائضه وتغير لونه وبكى وقال: ما أخوفني أن يأخذني الله قال له بعض أصحابنا تتكلم في درجات الراضين وأحوال المشتاقين قال: يا بني إياك أن تأمن مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

قال سهيل: المكر تدبير الله بسابق العلم فلا ينبغي لأحد أن يأمن مكر الله يدفع القدرة فلا يجوز أن يخرج نفسه من قدرة الله عليه .

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ [الآية: 100] أي: ألم يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ [الآية: 100] أي: يرثون ديارهم ويعقبون آثارهم ﴿لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ﴾ [الآية: 100] إن الشأن لو نشاء أصبناهم بالبلاء للجزاء ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ [الآية: 100] 305/ب كما أصبنا من قبلهم بعيوبهم ﴿وَنَطَعُ﴾ [الآية: 100] أي: ونحن/نختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 100] ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 100] الموعظة أبداً سماع قبول وتفهم وحصول .

وقال الأستاذ: أي أو لم يعلم المغترون بطول سترنا أن لو أردنا لعجلنا عنهم الانتقام وأبلغنا فيهم الاضطلام ثم لا ينفعهم ندم ولا يشكي عنهم ألم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية: 101] أي: قرى الأمم التي مر ذكرها وبيانها ﴿نَقُصُّ

(1) نسب إلى أبي نؤاس . انظر: دواوين الشعر العربي (30/ 65) .

عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهِا» [الآية: 101] نحكي إليك بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 101] بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات ﴿فَمَا كَانُوا يُؤْمِنُوا﴾ [الآية: 101] عند مجيئها ولم يصلحوا للإيمان عند ظهورها ﴿يَمَّا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 101] بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب بجميع الأنبياء أو من قبل رؤيتهم تلك المعجزات من الأبناء والمعنى أن كفرهم السابق بسبب كفرهم اللاحق وعن كثير من السلف وهو مختار بعض الخلف أن المراد من قبل يوم أخذ الميثاق أنهم أقروا باللسان وأضمرُوا التكذيب في الجنان.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلكوا طريقاً واحداً في التمرد واجتمعوا في خط واحد في الجحد والتبльд فلا إلى الإيمان جنحوا ولا من العدوان رجعوا وكذلك صفة من سبق بالشقاء قسمته وحق بالعذاب عليهم كلمته ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 101] أي: مثل ذلك الطبع الشديد والختم الشديد والحتم الأكيد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 101] فلا تلين شكيمتهم بالآيات ولا تدخل فيهم شيء من أثر العناية.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ [الآية: 102] أي: لأكثر الأمم السابقة ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ [الآية: 102] وفاء للعهد السالفة أو بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق أو عهدهم مع أنبيائهم على وفق الوفاق ورفع الشقاق ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: وإن الشأن علمنا جمهورهم ﴿لَفَنَاقِينَ﴾ [الآية: 102] خارجين عن طاعاتنا.

وأفاد الأستاذ: أن نجماً في العذر طارقههم وأفل من سماء الوفاق شارقههم فعدم أكثرهم رعاية العهد وحق من الحق لهم قسمة الرد والصد ويقال شكاً من أكثرهم إلى أقلهم فالأكثر من ردتهم القسمة والأولون من قبلتهم الوصلة.

وقال صاحب «المعرّئس»: كأنّ هذه الآية نزلت في شأننا مع هؤلاء البطالين الذين سلكوا الطريقة واحتفظوا بها وجدوا فيها من الجاه/ والمال 306/أ والسعة ونقضوا عهد الإرادة واشتغلوا بالرياسة وخانوا في الشريعة وأنكروا

على المشايخ من أهل الحقيقة أعمى الله قلوبهم ما أشد إنكارهم على الحق وما أشد خروجهم عن طريق الصدق جمعهم الله في الاستدراج وطردهم عن أنوار المنهاج كأنه تعالى عاتب الجمهور حيث لم يفوا عهد الأزل حيث وقف الكل على ما وجدوا وهكذا شأن من لم يلتفت في شاهدة المحبوب إلى غير المحبوب ولكنهم معذرون لأن الحدثان لا يستقل أنقال محامل الكبرياء ومطايا القدم والبقاء في أودية الفناء.

قال الجنيد: أحسن العباد حالاً من وقف مع الله على حفظ الحدود والوفاء بالعهود قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 102] أي: متجاوزين عن الحد وخارجين عن العهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا﴾ [الآية: 103] أي: بعد الرسل أو أممهم ﴿ثَوَسَّى﴾ [الآية: 103] بآياتنا أي: المعجزات ﴿إِلَىٰ قَرْعُونَ وَمَلَكِيْن﴾ [الآية: 103] أي: قومه ممن هم على دينه أو خص الأشراف لأنهم مدار رأيه وحضار مجلسه ﴿فَطَلَمُوا يَهُتًا﴾ [الآية: 103] بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو حقها لوضوحها ﴿فَأَنفَضَرُ كَيْفَ كَانَتْ عِقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 103] لتعتبر بما لهم في سوء أفعالهم وقبح حالهم.

وقال الأستاذ: لما انقضت أيامهم وتقاصر عن بساط الإجابة إقدامهم بعث الله إليهم موسى عليه السلام نبيهم وضم إليه هارون عليه السلام صفيته فقبلا بالجحود والتكذيب فسلك بهم مسلك إخوانهم في التباعد والتعذيب.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُنْفِرْعُونَ إِلَيَّ رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْمَلَكِينَ﴾ [الآية: 104] قيل: لم يقل إليك لأنه لم يرسل الحبيب إلى العدو فهو في الحقيقة رسول إلى المؤمنين ليكون موعظة للعابدين وحجة على المعاندين كما أن القرآن هدى للمتقين وخسارة للظالمين كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد يقال إن رب العالمين أرسل أفضل المحبين إلى أكر الظالمين تخليصاً للضعفاء والمساكين.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الآية: 105] صفة رسول. أو خبر بعد خبر وعليّ بمعنى الباء نحو قولهم جبلت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبي

306/ب

بالباء وفي قراءة نافع عليّ بتشديد/ الياء فقله أن لا أقول فاعل حقيق.

قال ابن عطاء: من تحقق بالحق فلا يقول على الحق إلا ما يليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الرجوع إلى دعاء فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ولكنه لما ورد الأمر قابله بحسن القبول فلما ترك اختيار نفسه أمدّه الحق سبحانه بنور التأييد حتى شاهد فرعون محواً في التقدير فقال ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الآية: 105] فإذا لم يصح أن يقول على الحق إلا الحق والخلق محو فيما هو الموجود الأزلي فأى سلطان لآثار التفرقة في حقائق الجمع ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بَيْنَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: العصا أو اليد البيضاء ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 105] أي: فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي موطن الأنبياء ومسكن الأصفياء وكان فرعون قد استعبدهم وأقامهم في مقام الإهانة واستخدمهم في الأعمال الشاقة وأحوال المهانة.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ [الآية: 106] أي: من عند رب العالمين ﴿فَأْتِ بِهَا﴾ [الآية: 106] أي: فأحضرها ليثبت صدقك بها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ [الآية: 106] في دعوتك النبوة والرسالة بإرسال هؤلاء الجماعة.

وأفاد الأستاذ: أن من المعلوم أن مجرد الدعوى لا حجة فيه ولكن إذا ظهر البرهان لم يبق غير الانقياد لما هو الحق الثابت كالعيان فمن استسلم سلم ومن جحد الحقائق بعد لوح البيان سقط سقوطاً لا ينتعش في مكان ولا زمان.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ [الآية: 107] أي: بأمر الله ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾ [الآية: 107] أي: حية عظيمة ﴿ثُمَّ يَنْفِخُ فِيهَا﴾ [الآية: 107] ظاهر الهيئة روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً فاتحاً فمه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه فأحدث فرعاً عنه وانهمز الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أوّمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصاه على سيرتها الأولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إنما أظهر المعجزة من عصاه لطول مقارنته إياها فإن الإنسان إلى ما ألفه أسكن بقلبه فلما رأى ما ظهر في العصا من الانقلاب أخذ موسى عليه السلام في الفرار/ لتحققه بأن ذلك من قهر الحقائق وفي هذا إشارة إلى أن السكون إلى الشيء غرة وغفلة أي شيء كان فإن تقلب العبد في قبضة القدرة وهو في أسر التقلب فليس الطمع في السكون مساغ بحال.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ [الآية: 108] أخرجها أي: من جيبه أو من تحت إبطه ﴿فَإِذَا هِيَ بِبَيْضَاءَ لِلنَّظَرِ﴾ [الآية: 108] أي: بيضاء بياضاً خارجاً عن العادة يجتمع عليها النظارة والمعنى أنها بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول على ما قاله مجاهد وغيره فلا ينافي ما روي أنه كان آدم شديد الأدمة.

وأفاد الأستاذ: أن العصا وإن كانت معه في زمان قيده أخص به لأنه عضو له فكاشفه أولاً برسم من رسم ثم أشهده من ذاته في ذاته ما عرف أنه أولى به منه فلما رأى انقلاب وصف في يده علم أنه ليس بيده شيء من أمره.

﴿قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِئْرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 109] في صنعته قيل: قال هو وأشرف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنهم هنا وعنه في الشعراء وقال الملائكة بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى قومه وهم القبط.

﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْحَاجَكَ﴾ [الآية: 110] يا معشر القبط ﴿مَنْ أَرْضَكُمْ﴾ [الآية: 110] أي: مضر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية: 110] أي: تشيرون في أمره بأن نفعل به أو أي أمر تأمرون به وعلى كل تقدير يشم من هذا الكلام رائحة الدهشة والحيرة في مقام المرام.

وقال الأستاذ: إذا أراد الله هوان عبد لا يزيد للحق حجة إلا ويزيد لذلك المبطل فيه شبهة فكلما ازداد موسى عليه السلام في إظهار المعجزات ازدادوا حيرة في روم التأويلات.

﴿قَالُوا أَنِجْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية: 111] من الإرجاء وهو التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو حبسهما وفيه ست روايات متواترات في السعة كلها معتبرات محل بيانها كتب التراث ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [الآية: 111] أي: جمعاً يحشرون إليك من في مدائن صعيد نواحي مصر من السحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ [الآية: 112] وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي يونس بكل سحار عليم كما هو المجمع عليه في الشعراء كأنه اتفقت عليه آراؤهم الكاسدة فأشار وآية إلى فرعون على وفق عقيدته الفاسدة/ وبالجملية إشارة إلى 307/ ب عجزه بالانتصار إلى غيره المنافي لدعواه بالألوهية.

وقال الأستاذ: توهم الناس أنهم بالتأخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغيرون شيئاً من التقدير ولم يعلموا أن القضاء غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للحكم والفهم كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 113] بعدما أرسل الشرط إليهم في طلبهم غضباً عليهم ﴿قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [الآية: 113] أي: على موسى ومن كمال عقلهم ما جزموا بالغلبة في فعلهم وقرأ نافع وابن كثير وخص بلفظ الإخبار وتقدير الاستفهام لحمل المخاطب على الإقرار.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 114] فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية: 114] إن لكم لأجراً في عطاء المال ﴿وَأِنَّكُمْ لَئِنْ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 114] بزيادة الجاه في المآل قيل: دعاء فرعون السحرة إلى القرب منهم وجرى لهم في الأزل مقام القرب من الحق.

وقال الأستاذ: ظنوا أنهم يغلبون بما يسحرون ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أبلغ من تأثير سحرهم وأنه لا يرد عنهم ما زوروه في أنفسهم من فنون حيلهم ومكرهم فكادوا وكيد لهم فهو كما قيل:

ورمتني بأسهم صائبات فتعمدته بسهم فطاشاً⁽¹⁾

فبيناهم في توهم الغلبة لهم فتح عليهم من مكان القدرة جيش فوجدوا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 417).

أنفسهم في فتح القدرة مقهورة بسيف المشيئة.

﴿قَالُوا يَكُونُ إِيمَانًا أَنْ تُلْقَى﴾ [الآية: 115] أي: ما بيدك من العصا ﴿وَأِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ [الآية: 115] ما بأيدينا من الحبال والعصي خيروا موسى مراعاة للأدب والمروءة أو إظهاراً للجلادة.

﴿قَالَ الْقَوَّامُ﴾ [الآية: 116] قاله كرمًا وتسامحاً لهم أو ازدراءً بهم ووثوقاً على الله في شأنهم فليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل الإباحة للسحر ولا من باب الرضا بالكفر بل لتوقف ظهور الحق في الأمر ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ [الآية: 116] أي: بأن خيلوا إليها ما لا حقيقة لها أو ما الحقيقة بخلافها ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ﴾ [الآية: 116] أي: أربوهم إرهاباً شديداً كأنهم طلبوا رهبتهم ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 116] في فتنه الذميمة روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعض من كثرتها قيل: خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر ومع/ كل عصي وحبال غلاظ طوال قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ونقل ابن جرير أنهم سبعون ألف ساحر.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ [الآية: 117] فألقاها أي: فصارت حية ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ [الآية: 117] وقرأ حفص بتحقيق القاف أي: تبتلع ﴿مَا يَأْكُودُنَّ﴾ [الآية: 117] أي: ما يزورونه من الإفك وهو صرف الشيء وقلبه عن وجهه روي أنها لما تلتقت حبالهم وعصيتهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين وحملت على الكافرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم من خوف ذلك المقام أو من كثرة الزحام ثم أخذها موسى فعادت كهيئتها الأولى فقالت السحرة لو كان هذا سحر لبقيت حبالنا وعصينا جهراً.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 118] ثبت ظهوره وتبين نوره ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 118] أي: السحر وزوره.

قال بعض العارفين: أظهر الحق تعالى لطيفة من صنعه في خشية عجز السحرة عنها وجعل سبب نجاتهم فيها فقال ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 118] أي: بإظهار القدرة في جماد وبطل ما كانوا يعملون من الأباطيل في عناد.

﴿فَقُلُوبُهُمْ هُنَالِكَ وَلَقَالُوا صَافِرِينَ﴾ [الآية: 119] صاروا أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه الحاضرين.

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ﴾ [الآية: 120] ولله بالوحدانية عابدين وجعلهم ملقين على وجوههم إيماء إلى أن الحق غلبهم وإلى السجود جذبهم من غير تمالك لهم.

قال الواسطي: أدركتهم سابقة ما قضى لهم في الأزل من السعادة فأظهر منهم سجد العباد.

وقال جعفر الصادق: وجدوا نسيم رياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً لما أنعم عليهم.

﴿قَالُوا ءَأَمَنَّا بِرَبِّ الْمَلَائِكِينَ﴾ [الآية: 121] لا رب القبط على زعم فرعون.

﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الآية: 122] أبدل لدفع وهم أنهم أرادوا به فرعون.

وقال الأستاذ: موهوا بسحرهم أنهم غلبوا فأدخل الله سبحانه [على] تمويهااتهم قهر الحق فطاحت تلك الحيل وخاب منهم الرجاء والأمل وجذب الحق سبحانه أسرارهم على الوهلة فأصبحوا في صدار العداوة وكانوا في التحقيق من أهل المودة فسبحان من يبرز العدو في نعت الولي ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في صورة العدو ثم يأبى الحال إلا حصول المقضى في الباب.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾ [الآية: 123] بالله أو بموسى أو بكل منهما 308/ب

والاستفهام فيه للإنكار وقرأ حفص بلفظ الإخبار وبيان تحقيق الهمزة وتسهيلها محله كتب القراءة ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ﴾ [الآية: 123] في الإيمان به ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرُومَةٌ﴾ [الآية: 123] أي: إن هذه الصنع لحيلة صنعتوها أنتم وموسى ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الآية: 123] مدينة مصر قبل أن تبرزوا للميعاد ﴿لِنُخْرِجَهَا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ [الآية: 123] من القبط بالإفساد فتبقى البلد لكم ولبنی إسرائيل معكم ﴿فَسَوْفَ تَقَامُونَ﴾ [الآية: 123] عاقبة فعلكم وهو تهديد بحمل تفصيله قوله.

﴿لَا قُطْعَنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ [الآية: 124] أي: من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمُعِينَ﴾ [الآية: 124] أجمعين تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم.

قال سمنون: يحمل الهيكل من البلايا على المشاهدة ما لا يحمل في حال الغيبة ألا ترى كيف لم يبال سحرة فرعون بما هددهم به من غير عون.

وقال الأستاذ: خاطبهم فرعون معتقداً أنهم هم الذين كانوا ولم يعلم أن تلك الأسرار قد حررت عن رق الأشكال وأن قلوبهم طهرت عن توهم التفرقة وأن شمس العرفان طلعت في أسماء أسرارهم فأشهدوا الحق بنظر صحيح لم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ولا لشيء من العلل فيهم مساع.

﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الآية: 125] أي: لا محالة بالموت إليه راجعون فلا نبالي بوعيدك ولا نهتم بتهديدك أو إلى حكم ربنا لا إلى حكمك منصرفون فإن الأمر كله لله ولا قوة ولا قدرة لمن سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان مصيرهم إلى الله سهل عليهم ما لقوا في مسيرهم إلى الله.

﴿وَمَا لَنَلْمُكُمْ مِّنَّا﴾ [الآية: 126] أي: ما تنسب عيباً إلينا ولا تنكر بشيء علينا ﴿إِلَّا أَنْتَ ءَامَنَّا بِكَ إِنَّا إِلَهُكُمُ اللَّامَةُ﴾ [الآية: 126] وهو أفضل المواهب وأكمل المناقب فلا يتأتى العدول عنه لنا طلباً للدنيا فالاستثناء من قبيل المدح بما يشبه الذم كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتاب⁽¹⁾

ثم فزعوا إلى الله وأعرضوا عما سواه ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 126] أفض علينا صبراً يغمرنا ويعمرنا إلى آخر عمرنا ﴿وَوَفَّانًا مَّسْلُومِينَ﴾ [الآية: 126] ثابتين على الدين واليقين قال ابن عباس وغيره كانوا أول النهار أعداء سحرة وفي آخره شهداء بررة وقيل: لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمْ أَفَلْيُلِغُكُمُ﴾

[القصص: 35].

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عملوا لله وأوذوا في الله صدقوا القصد إلى الله فطلبوا المعونة من قبل الله كذا سنة من كان كله الله أن يكون كله على الله .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 127] أي: لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ 309/أ [الآية: 127] أي: بني إسرائيل ﴿لَيُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 127] بتغيير الناس عليك وتغييرهم عنك ودعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الآية: 127] أي: وليترك عبادتك وأصنامك التي أمرت الناس بعبادتهما نيابة عنك وتقرباً إليك ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: 24] وقيل: كان يعبد الكواكب وقيل: كان لفرعون بقرة يعبدها ويأمر أن يعبدوا بقرة حسناء نقله ابن عباس وقيل: علق على عنقه صليبا يعبده قاله الحسن البصري: ﴿قَالَ﴾ [الآية: 127] أي: فرعون ﴿سَنُقِيلُ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 127] قرأ الحرميان بالتحقيق ﴿وَنَسْتَعِيءُ نِسَاءَهُمْ﴾ [الآية: 127] نستبقي بناتهم إبقاء للنسل وإبداء للخدمة والمعنى أنا نفعل ما كنا نعمل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود لهم على يده ذهاب ملكنا ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة لنا ولا يتوهم أحد أنه المولود الذي حكم المنجمون بأنه السبب لذهاب تصرفنا ﴿وَأَنَا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الآية: 127] غالبون وهم تحت أيدينا مقهورون.

وقال الأستاذ: لما استزادوا من فرعون في التمكن من موسى عليه السلام وقومه استنكف أن يقر بعجزه ويعترف بقصور قدرته فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه تدبيره وغلب عليه تقديره .

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 128] حين شكوا إليه من تهديد فرعون وأمره ﴿أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصِيرُوا﴾ [الآية: 128] على حكمه ﴿إِنَّكَ الْأَرْضُ لِلَّهِ﴾ [الآية: 128] ملكاً وملكاً ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية: 128] فلربما يأخذ منه ويعطيكم بسهولة كالمراث بأن يهلكهم ويخلفكم فيه تسلياً لهم في تلك الحالة وتقريراً للأمر بالاستعانة ﴿وَالْمَنْفِقَةُ لِلْمُنْفِقِينَ﴾ [الآية: 128] أي: عاقبة الأمر بالظفر والنصر للمتقين الله ولمن لا يلتفت إلى ما سواه فتقوا به ولا تبالوا بغيره وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة وأما الدنيا فإنها بالشركة بين المسلمين والكفرة .

وقال الأستاذ: أحالهم على من كان رجوعه إليه فقال لهم إن رجوعي عند تحيري في أموري إلى ربي فليكن رجوعكم إليه وتوكلكم عليه وتعرضوا لنفحات نشره ورشحات يسره فإنه حكم لأهل الصبر بجميل العقبى وحصول النصر.

﴿قَالُوا﴾ [الآية: 129] أي: بنو إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ [الآية: 129] بقتل الأبناء ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ [الآية: 129] بالرسالة والأبناء ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الآية: 309/ب] 129 بإعادته على يد الأعداء ﴿قَالَ﴾ [الآية: 129] موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 129] أي: أرضهم وملكهم وهذا تصريح بما علم ضمناً لما رأى أنهم لم يتسلوا بما كنى ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 129] من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجاريكم على أعمالكم بحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه خفي عليهم شهود الحقيقة وغشي على بصائرهم وجود الطريقة حتى قالوا توات علينا البلايا ففي حالك بلاء وقبلك شقاء فما الفضل بين الأعداء والأحباء فأجابهم موسى عليه السلام بما علق لهم الرجاء بكشف البلاء فقال ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ﴾ [الآية: 129] الآية فربطهم على الانتظام ووقفهم في نظام المقام ومن شهد ببصر الأسرار شهد تصاريف الأقدار.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ [الآية: 130] بالجدوب لقلة الأمطار والنبات والسنة غلت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ منه ﴿وَنَقَّصَ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [الآية: 130] بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الآية: 130] يتعظون فيرق قلوبهم بالبلاء على سبيل الولاء ليتضرعوا إلى المولى بحسن الالتجاء في طريق الولاء قال محمد بن الفضل أول رياضة يروض الإنسان بها نفسه الجوع لأن الله تعالى أخذ الأعداء بذلك فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وآخر رياضة يروض الإنسان بها نفسه التقوى لأن الله فقال تعالى: ﴿وَإِنِّي فَأَتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شدد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة فلا الوطأة أصحابهم شدتها ولا النعمة نبهتهم كثرتها لا بل إن مسهم يسره لاحظوه بعين الاستحقاق وإن مسهم عسر حملوه على التطير بموسى عليه السلام بمقتضى الاغترار في الشقاق.

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ [الآية: 131] من الخصب والسعة ﴿قَالُوا لَنَا﴾ [الآية: 131] لأجلنا ﴿هَذِهِ﴾ [الآية: 131] أي: هذه النعمة ونحن مستحقوها ولم يشكروا منعها ﴿وَلِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 131] جلب وبلية ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ [الآية: 131] يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا إلا بشؤمهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفور لا يرى فضل المنعم فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق ثم إذا اتصل به شيء مما يكرهه تجنى وحمل الأمر على ما يتمنى.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مل الوصال وقال: كان وكانا

﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَرْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 131] أي: شرفهم من قبل الله كما قاله ابن عباس والمعنى إن سبب خيرهم وشرفهم عنده وهو مشيئته وحكمة وسبب شؤمهم وهو أعمالهم القبيحة المكتوبة عنده فإنها التي ساقط إليهم ما يسوؤهم/ 310 أ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 131] أن ما يصيبهم من حكم مولاهم ومن شؤم أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المتفرد بالإيجاد وهو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحقيقة مسدودة وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة.

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ [الآية: 132] أصلها ما الشرطية وأكدت بما المزيدة ثم قلبت الما ما استثقلاً لتكرارها ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يُفسره ما بعده أي: أي شيء تحضرنا به من خرق عادة ﴿لَتَسَحَّرَنَّ بِهَا﴾ [الآية: 132] أي: لتسحر بها أعيننا وتتحيل بها علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 132] بمصدقين لك في دعواك بالرسالة إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنهم جعلوا الإصرار على الاستكبار شعارهم وهتكوا
بالستهم في العتو أستارهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ [الآية: 133] أي: ماء طاف بهم وغشي أماكنهم من
مطر أو سيل وفسر الطوفان بالجدي وبالموتان وبالوباء وبالطاعون ﴿وَالْجُرَادَ﴾
[الآية: 133] حتى أكلت حروثهم وأفسدت زروعهم ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ [الآية: 133] قيل:
هو كبار القردان وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل: هو القمل بفتح
القاف حتى أكلت أبدانهم ومصت دمائهم ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ [الآية: 133] أي: في
مياهمهم ومآكلهم وثيابهم ﴿وَالذَّمَ﴾ [الآية: 133] الرعاف الدائم على ما رواه ابن
أبي حاتم عن زيد بن أسلم أو جعل النيل ماءً للمحبوبين ودماءً ما للمحجوبين
﴿أَيَّتْ﴾ [الآية: 133] حال كون المذكورات معجزات وعلامات على صدق
موسى عليه السلام ﴿مُفْصَلَتٍ﴾ [الآية: 133] مبینات لا يشكل على عاقل أنها آيات
واضحات أو مفصلات لوقوعهن في حالات لما قيل من أن بين كل آيتين منها
شهرًا وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل: أن موسى عليه السلام لبث فيهم
بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على اختلاف الأوقات
﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ [الآية: 133] عن الإيمان أو تكبروا على أهل اليقين ﴿وَكَاثُوا قَوْمًا
تُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 133] في علم الله المتين أو صاروا مجرمين بامتناع قبول الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جنس عليهم العقوبات لما نوعوا فنون
المخالفات فلا إلى التفكير عادوا ولا إلى التطهير قصدوا وعقوبتهم بصرف
قلوبهم عن شهود الحقائق أبلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا التي هي
310/ ب العلائق والعوائق ونعوذ بالله من السقوط/ عن عين الله.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب المفضل ﴿قَالُوا يَمْوَسَى
أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ إِنَّمَا عَهْدٌ عِنْدَكَ﴾ [الآية: 134] متوسلاً أي: بحق عهده عندك وهو
النبوة ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب النازل بنا ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ
وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 134]

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 135] أي: أنزلنا ورفعنا عنهم ذلك العذاب

﴿إِلَّا أَجَلٌ هُمْ بَلِغُوهُ﴾ [الآية: 135] إلى حد من الزمان هم واصلوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الآية: 135] ينقضون عهدهم ويخلفون وعدهم وهو جواب لما في إيراد إذا إيماء إلى أنهم قلبا النكث من غير تأمل فيه وتوقف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولوا ادع لنا ربنا بل ﴿قَالُوا يَمُوسَى اادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية: 134] لأنهم ما زادوا بزيادة تلك المحن إلا بعداً وأجنبية ثم أنهم أبرموا العقد ونقضوه وقدموا العهد ورفضوه كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى دعا إلى نكسه⁽¹⁾

﴿فَأَنقَضْنَا﴾ [الآية: 136] أي: فأردنا الانتقام ﴿مِنْهُمْ فَأَعْرَفْتَهُمْ فِي أَلْيَةٍ﴾ [الآية: 136] البحر الذي لا يدرك مقره ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 136] حين جاءهم رسولنا ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الآية: 136] أي: غير ملتفتين إليها قبل إرسالنا.

قال القاسم: من يعتقد أسرار الأولياء في جميع الأوقات لا ينفعهم اللجوء إليه في أزمنة البليات ألا ترى كيف لم يؤثر على أصحاب فرعون اللجأ إلى موسى وطلب العون فقال عز من قائل: فانتقمنا منهم بعدما كشفنا عنهم.

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَمُّونَ﴾ [الآية: 137] بالاستعباد في تحمل البلاء وذبح الأبناء واستخدام النساء من مستضعفيهم ﴿مَشْرِكَ الْأَرْضِ وَمَكْرِهَا﴾ [الآية: 137] عن الحسن البصري وقتادة وغيرها أن المراد بمشارك الأرض ومغاربها أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فيها مثل الورثة ﴿أَلَنِي بَرَكَاتًا فِيهَا﴾ [الآية: 137] بالخصب والرخاء وسعة العيش بها ﴿وَوَسَّاتُ كَيْمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [الآية: 137] أي: مضت واستمرت بهم واتصلت إليهم إنجاز وعده سبحانه إياهم بالنصر والظفر وهي كما قاله مجاهد وابن جرير معنى قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ﴾ [القصص: 5] إلى قوله: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: 6] ﴿يَمَا صَبَرُوا﴾ [الآية: 137] بسبب صبرهم على الشدائد.

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

أ/311

وأفاد/ الأستاذ: أن من صبر في الله على مقاساة المذلة وضع الله على رأسه قلنسوة العزة فإن العزيز سبحانه لا يشمت بأوليائه أعداءهم ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ [الآية: 137] وضربنا ﴿مَا كَانَتْ يَصْغُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ [الآية: 137] من القصور والعمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية: 137] أي: يرفعون الكروم في الجنات وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الراء هنا وفي النحل.

﴿وَجَوَرْنَا﴾ [الآية: 138] أي: عبرنا ﴿بَنَوْا بُرُوجًا بِالْبَحْرِ﴾ [الآية: 138] وأغرقنا فرعون وقومه ففيه تسليية لرسول الله ﷺ مما رأى من المخالفين وإيقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلون عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم ومحافظة أعمالهم لئلا يقعوا فيما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام ﴿فَأَتَوْنَا﴾ [الآية: 138] مروا ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾ [الآية: 138] من العمالقة الذين أمر موسى تبعاً لهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ [الآية: 138] بكسر الكاف لحمزة والكسائي أي: يقيمون ﴿عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾ [الآية: 138] أي: عبادتها قيل: كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ومبدأ الجهل يتصور أن يكون الإله بالعجل ﴿قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الآية: 138] مثلاً نعبده بحسب الظاهر ﴿كَمَا لَهُمْ إِلَهَةٌ﴾ [الآية: 138] يعبدونها على وفق خاطر وما كافة للكاف ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الآية: 138] أي: ما تعرفون ذاته وصفاته فإن العاقل لا يطلب معبوداً مخلوقاً لا ينفع ولا يضر أبداً وفيه تنبيه أن إيمانهم كان تقليداً أو وقع لهم هذا ارتداداً.

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 139] القوم الجهلاء ﴿مُتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 139] مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 139] أي: بهدم الله دينهم الذي هم عليه من الابتداء ويحطم أصنامهم في الانتهاء ﴿وَيَطِيلُ﴾ [الآية: 139] مضمحل من أصله في نظر العقلاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 139] من عبادتها البتة ليس فيها رؤية ولا شبهة ولو قصدوا بها القربة والوصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يخلص في قلوبهم حقائق التوحيد ولم يصل إلى

صدورهم دقائق التفريد ناقت نفوسهم إلى عبادة غير المولى حتى قالوا لموسى ﴿أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمُ آلِهَةٌ﴾ [الآية: 138] وكذا صفة من لم يتحرر قلبه عن إثبات الأمثال والأعمال ساكن الأمثال والأعمال ويقال إن من اكتفى بالصنم أن يكون معبوده متى يتوهم/ في وصفه أن يخلص الله قصوده.

ب/311

﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْيَاحَكُمْ إِلَهًا﴾ [الآية: 140] أطلب لكم معبوداً ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْفَالِوِينَ﴾ [الآية: 140] والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم.

وقال الأستاذ: ذكرهم انفراده سبحانه بإنشائهم وإبدائهم وأن الإله هو المنفرد بالإيجاد ونبتهم أيضاً على عظيم نعمته عليهم وأنه ليس له حق إنعامه عليهم مقابلتهم إياه بالتولي لغيره والعبادة لمن سواه.

﴿وَإِذْ أَبْحَيتَكُمْ﴾ [الآية: 141] وقرأ الشامي ﴿مَنْ أَلِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 141] أي: اذكروا هذا اللطف العظيم له معكم ﴿يُسْؤِمُونَكُمْ﴾ [الآية: 141] أي: حال كونهم يذيقونكم أو يكلفونكم أو يبغون لكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 141] شدته ﴿يُقِيلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ [الآية: 141] بالتشديد لغير نافع ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الآية: 141] بيان لما قبله أو بدل بعض منه مبین له ﴿وَفِي ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 141] الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 141] محنة جسيمة أو محنة عظيمة.

وقال الأستاذ: ما ازداد موسى عليه السلام في تعديد أنعام [الله] عليهم وتنبيههم على عظيم الآية إلا ازدادوا جحداً على جحد وبعداً بالقلوب على محل العرفان على بعد وهذه إمارة من أبلاه الله سبحانه في سبق السبق بالقطع والرد.

﴿وَوَاعَدْنَا﴾ [الآية: 142] بإثبات الألف لغير البصري ﴿مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 142] للمناجاة وإرسال كتاب من عنده للأمة وهي ذو القعدة على ما قاله ابن عباس ومجاهد ومسروق وابن جريج ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِمَشْرِقٍ﴾ [الآية: 142] من ذي الحجة في أمر الإقامة تعظيماً للحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ﴾ [الآية: 142] أي أكمل وقت وعده بالغاً ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ [الآية: 142] أو فصار أربعين.

وأفاد الأستاذ: أن عدة الأحباب عزيزة فإذا حصلت المواعدة من

الأحباب فهي عذبة حلوة كيف ما كانت وفي هذا المعنى أنشدوا:

أمطليني وسوفيني وعديني ولا تنفي⁽¹⁾

ويقال علل الحق سبحانه موسى بالوعد الذي وعده بأن يسمعه مرة أخرى كلامه وذلك أنه في المرة الأولى ابتدأه بالإسماع من غير وعد فلا انتظار ولا توقع ولا أمل فأخذه سماع الخطاب بمجامع قلب موسى عليه السلام فعلق قلبه بالميقات المعلوم ليكون تأميله تعليلاً له ثم إن وعد الحق سبحانه لا يكون إلا صدقاً فاطمأن قلب موسى للميعاد ثم لما مضى ثلاثون ليلة أتى بها [كما] سلف العهد فزاد له عشراً في الوعد والمطل في الإنجاز غير محبوب/ 312 أ إلا في سنة الأحباب فإن المطل عندهم أشهى من الإنجاز وفي قريب من هذا المعنى أنشدوا:

رقي لعمركم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا موعداً ما شئت إنا نحب وإن مطلّت الواعدينا
فإما تنجزني عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حيناً⁽²⁾

انتهى وحاصله أن كلام المولى لموسى أولاً كان على طريق الجذبة التي تواري عمل الثقلين وهو نعت المراد وهذا المقام في حصول المرام إنما هو على سبيل السير والسلوك كما هو وصف المرید فهو مجذوب سالك كسائر الأنبياء وبعض الأصفياء وهناك طائفة من الأولياء يسمى سالكاً مجذوباً لم يحصل له الكمالات إلا بالرياضات كما هو طريقة الحكماء.

وفي الجملة يورد الأربعين في العبادة قوة تأثير الباطن من الصفاء والضيء كما يشير إليه حديث خمريت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً⁽³⁾ وحديث

(1) نسب إلى العتاي. انظر: المحب والمحبوب (40/1).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (435/2)، ونسب إلى ابن قيس الرقيات، انظر: التذكرة الحمدونية (190/2)، والأغاني (105/5).

(3) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (261/2) رقم (701)، وانظر: تفسير الطبري (6/307).

من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه⁽¹⁾ وحديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً عالماً⁽²⁾ وأمثال ذلك ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ [الآية: 142] أي: عند ذهابه إلى ميقات ربه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 142] كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الآية: 142] أرفق بهم واحملهم على طاعة ربي ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 142] بالسكون عن أمرهم والرضا بحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن هارون عليه السلام كان حمولاً بحسن الخلق فلما كان المرور إلى فرعون استصحب موسى عليه السلام هارون فقال لله سبحانه: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: 32] بعدما قال ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34] ولما كان المرور إلى سماع الخطاب فردّه عن نفسه فقال ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الآية: 142] وهذا غاية الحمل من هارون ونهاية التشرب والرضا فلم يقل لا أقيم في قومك ولم يقل هلا تحملي مع نفسك كما استصحبني حال المرور إلى فرعون بل صبر ورضي بما ألزم وهذه من شدائد بلاء الأحباب وفي قريب منه أنشدوا:/

312/ب

قال لي من أحب واليّن قد جدّد دمعي مرافق الشهيد
ما ترى في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق⁽³⁾

ثم أن موسى عليه السلام لما رجع من سماع الخطاب ورأى من قومه ما رأى من عبادة العجل فتح باب العتاب وأخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون عليه السلام في الخطاب فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾ [طه: 94] ويقال: لو قال هارون إن لم تعوضني عما فاتني من الصحبة فلا تعاتبني فيما لم أذنب فيه بحال ذرة ولا حبة لكان موضع هذه المقالة ويقال

(1) الدر المنثور (2/ 69)، جامع الأحاديث (41/ 394) رقم (45421).

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 270) رقم (1725). وانظر: الدر المنثور (7/ 266)، وجامع الأحاديث (2/ 254) رقم (22042).

(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 151)، وقد نسب لابن الرومي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 237)، وقرئ الضيف (2/ 283) مع اختلاف في بعض ألفاظ البيت الأول.

الذنب كان من بني إسرائيل والعتاب جرى مع هارون كذا الحديث والقصة فما كل من عصى وجنى استوجب العتاب فالعتاب ممنوع عن الأجانب.

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ [الآية: 143] لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي: أخص مجيئة لميقاتنا الذي عيناه ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الآية: 143] من غير واسطة الملائكة وروي أن موسى عليه السلام كان سمع ذلك الكلام من كل وجهة من جهاته وبكل ذرة من أجزاء ذاته ففيه تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع الحديث وإيماء إلى مقام كماله في مرتبة الجمع بخلاف حالته الأولية في ابتداء الجذبة حيث سمع الكلام من جانب الشجرة.

قال أبو سعيد الخراز: من غيرة الله تعالى أنه لم يكلم موسى إلا جوف الليل وغيبه عن كل ذي جنس حتى لا يحضر كلام الله معه أحد سواء ولما سمع كلامه في أثناء إنبائه اشتاق إلى جماله ولقائه لما قيل فالأذن تعشق قبل العين أحياناً ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: تجلي لي فأراك وأغيب عما سواك وهذا المقام المعبر عنه بالفناء والبقاء والمحو والصحو ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ [الآية: 143] أي: لن تشاهد ذاتي بل لك أن تطالع مظاهر صفاتي فإن تجلي الذات لم يتصور لأحد في الدنيا لأنها دار الفناء وإنما محلها دار البقاء كما قال تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤَيِّدُ تَاقِرًا ۖ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: 22 - 23] وكما ورد سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون⁽¹⁾ والأحاديث متواترة في ثبوت رؤية الله في الآخرة وعليه أجمعت أئمة الأمة سوى المعتزلة وكفي بهم حسرة إن عوملوا/ بمعتقدهم فيحرموا هذه النعمة ﴿وَلَكِنْ أُنْظِرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] استدراك بين أن بنيت في الدنيا لا تطبق رؤية المولى.

1/313

قال الحسين في قوله: ﴿تَرِنِي﴾ لو تركه على ذلك لتقطع شوقاً ولكنه سلاه بقوله ﴿وَلَكِنْ﴾.

قال الواسطي: لن إلى وقت لا إلى (الغائه) إلى الأبد فكان موسى غائباً

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (2/ 294) رقم (2225)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 688) رقم (2554).

عن طبع البشرية حتى استطاع المقام والمناجاة والكلام فلما وجد حلاوة الكلام طلب كشف المرام في الحال غائباً عن المآل ﴿فَإِنْ أَسْتَفَرَّ﴾ [الآية: 143] الجبل ﴿مَكَانَهُ﴾ [الآية: 143] عند تجلي الحق سبحانه مع كونه أعظم جسمًا وأقوى جسداً ﴿فَسَوْفَ تَرَيْنَهُ﴾ [الآية: 143] والتعليق بالممكن دال على أنه جائز غير محال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] أي: ظهر له نور عظمته وتبين له ظهور قدرته وقوته ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الآية: 143] مذكوكاً مدقوقاً وقرأ حمزة والكسائي دكّاء ممدوداً أي: أرضاً مستوية ﴿وَحَرَّ ثُومًا صِحْقًا﴾ [الآية: 143] أي: سقط مغشياً عليه من هول ما رأى وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر⁽¹⁾ وهذه عبارة ما نقل عكرمة عن ابن عباس لكن في الترمذي وغيره ما يدل على أنه مرفوع.

قال ابن عطاء: شغله بالجبل ثم تجلى ولو لم يشغله بالجبل ثم تجلى لمات وقت التجلي ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ [الآية: 143] أي: موسى ﴿قَالَ﴾ [الآية: 143] تعظيماً لما رأى ﴿سُبْحَنَكَ﴾ [الآية: 143] أي: أنزهك عن ما لا يليق بك ﴿بُتُّ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: من الجرأة عليك في مسألة الرؤية بغير إذن منك على ما فسره مجاهد وغيره ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] أول قومي إيماناً وأسبقهم إيقاناً وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وإنما محل رؤيتك العقبي وهذا لا ينافي مقام الإسراء ورؤيته ﷺ ربه بعين بصره على ما قاله بعض العلماء فإنه مقام من مقامات الأخرى.

قال جعفر الصادق: في قوله ﴿سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] رجعت إليك من نفسي فلا أميل إلى علمي فالعلم ما علمتني والفعل ما أكرمتني ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] بأنك لا ترى في الدنيا وإنما جوز الكلام ولم يجوز الرؤية لأن الرؤية هي الإشراف على الذات والكلام صفة من الصفات ولا سبيل لأحد من خلقه إلى ذاته قال عز وجل: ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ﴾ [طه: 110] أي علماً.

(1) الدر المنثور (3/ 545)، وتفسير الطبري (13/ 97) رقم (15078)، وتفسير ابن كثير (3/ 470).

313/ب وأفاد الأستاذ: في مقام بسط المراد أنه جاء موسى مجيء/ المشتاقين ومجيء المهيمين جاء موسى بلا موسى جاء موسى ولم يبق من موسى شيء لموسى. آلاف وآلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحد وهذا موسى خطا خطوات فلإلى القيامة يقرأ الصبيان ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى﴾ [الآية: 143] لميقاتنا ويقال لما جاء موسى للميقات باسطه الحق سبحانه [سقط] بإسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال: ﴿أَرَيْتَ أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] فإن غلبات الوجد عليه استنطقته بطلب كمال الوصلة من الشهود ولذا قالوا:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

ويقال: صار موسى عند سماع الخطاب بعين السكر فنطق بما نطق والسكران لا يؤاخذ بقوله ألا يرى أنه ليس في نص الكتاب معه بحرف من العتاب ويقال إنه لما يسكر لم ينكر ويقال أخذته عزة السماع فخرج لسانه عن طاعته جرياً على مقتضى ما صحبه من الأريحية وبسط الوصل ويقال جمع موسى عليه السلام كلمات كثيرة يتكلم بها في تلك الحالة فإن في القصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ويقول لمعارفه ألكم حاجة إلى الله ألكم كلام معه فإني أريد أن أمضي إلى مناجاته ثم أنه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر مما دبره في نفسه به وتحمله من قومه وجمعه في قلبه شيئاً ولا حرفاً بل نطق بما صار في الوقت غالب قلبه فقال: ﴿رَبِّ أَرَيْتَ أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] وفي معناه أنشدوا:

فيا ليل كم من حاجة إليّ مهمة إذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا⁽¹⁾

ويقال: أشد الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب هذا موسى عليه السلام كان غريق الوصلة واقفاً في محل المناجاة محدقاً به سجوف التولي غالباً له بديهات الوجود ثم في عين ذلك كان يقول: ﴿رَبِّ أَرَيْتَ أَنْظُرَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] كأنه غائب عن الحقيقة ولكن ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً

(1) نسبت إلى مجنون ليلى. انظر: المرقصات والمطربات (83/1)، ودواوين الشعر العربي (218/9).

ولا ازدادوا قريباً إلا ازدادوا شوقاً لأنه لا سبيل إلى الوصال بالكمال والحق سبحانه يصور أسرار أصفياه عن مداخلة الملal ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] ولا أقل من نظرة والعبد قتيل هذه القصة فقبول بالرد وقيل [له]: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ [الآية: 143] وكذا قهر/ الأحباب ولذا قال قائلهم:

أ/314

جور الهوى أحسن من عدله وبخله أظرف من بذله⁽¹⁾

ويقال لما صرح بسؤال الرؤية جهراً صريحاً رد صريحاً جهراً فقبل له: ﴿لَنْ تَرَنِ﴾ [الآية: 143] ولما قال نبينا ﷺ بصره في هذا الباب وأشار إلى السماء منتظراً لورود الجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى: ﴿قَدْ رَأَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتَوَلَّيْتَكَ فِئَلَةً تَرْصَنَّهُمَا﴾ [البقرة: 144] فرده إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعز من أن يطمح إلى شهوده اليوم طرف بل الألاحظ مصروفة عنه موقوفة اليوم على الأغيار فقوله: ﴿أَرِنِي﴾ [الآية: 143] سمو الهمة إلى الرتبة العلية وقوله: ﴿بُئْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] إناخة بغفوة العبودية وشرط الإنصاف أن لا تبرح محل الخدمة وإن حيل بينك وبين وجود القربة لأن القربة حق نفسك والخدمة حق ربك ولأن تكون بحق ربك أتم من أن تكون بحظ نفسك وفي معناه أنشدوا:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد⁽²⁾

﴿قَالَ يَمُوسَىٰ إِنَّي اصْطَفَيْتُكَ﴾ [الآية: 144] اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية: 144] أي: الموجودين في زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ [الآية: 144] وفي نزلة الحر مبین برسالاتي أي بوحى أحكامي لك ﴿وَبِكَلِمَتِي﴾ [الآية: 144] أي: تكليمي إياك ﴿فَخَذَ مَا ءَاتَيْتُكَ﴾ [الآية: 144] أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 144] على هذه النعمة ولا تطلب ما ليس لك به طاقة روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 436).

(2) سبق التعليق عليه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام بكل هذا الرفق كأنه قال يا موسى إن منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية فلقد خصصتك بكثير من الفضائل اصطفتيك بالرسالة وأكرمتك بشرف الحالة فاشكر هذه الجملة واعرف هذه النعمة وكن من الشاكرين ولا تتعرض لمقام الشكوى وفي معناه أنشدوا:

إن أعرضوا فهم الذين تعطفوا وإن قد وفوا فاصبر لهم إن أخلفوا⁽¹⁾

وفي الآية إشارة لطيفة يعني إن منعتك مسؤولك ولم أعطك مأمولك فإذا انصرفت منا لا تكن من الشاكرين عنا.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 145] بعض كل شيء مما 314/ب يحتاجون إليه من أمر الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا / لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 145] أي: للموعظة وإرادة الخير في المرام ولتبيين الحلال والحرام.

قال الأستاذ: وفي الأثر أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم وهذا نوع لطف لأنه إن منعه من النظر فقد علله بالأثر ﴿فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 145] أي: فقلنا له: خذ الألواح بقوة، أي جد وعزيمة قال بعضهم سر الله عند عباده وأهل خصوصيته لا يحمله منهم إلا الأقوياء بأبدانهم وقلوبهم ألا ترى أن الله يقول فخذها بقوة والقوة هي الثقة بالله وترك الاعتماد على ما سواه.

ولذا قال بعضهم: عطاياه لا تحمل إلا مطاياه وقيل: أي خذها ولا تأخذها بنفسك والقوي بل من لا حول ولا قوة إلا به ومن يكون حوله وقوته بالقوي.

وأفاد الأستاذ أن فيها بشارة لأن في الأخذ إشارة إلى غاية القرب وهو المكان والمراد به هنا صفاء الحال لأن قرب المكان محال على الله المتعال ﴿وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الآية: 145] بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار في العقوبة والقصاص منها ففيه الحث على الأفضل وندب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/438)، وفي المخطوطة (كم قد وفوا) (بدل وإن جنوا).

العمل بالأكمل كقوله تعالى: ﴿وَأَتَّخِصُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: 55] أو المراد من الأحسن الواجبات والمندوبات فإنهما أحسن من الرخص والمباحات.

وأفاد الأستاذ: أن قوله بأحسنها أي: بحسنها وأن الهمزة للمبالغة أو معنى ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾ [الآية: 145] أن لا يعرج على تأويل في المعنى فيدور مع الأولى قلت: وهو المقام الأعلى ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 145] قال مجاهد والحسن البصري: سترون عاقبة من خالف أمري.

قال الأستاذ: يعني عليها غبرة العقوبة خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها منهدم بنيانها والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتابعة للشهوات والقلوب التي هي معادن المني وفاسد الخطرات فإن الفسق يوجب خراب المحل الذي يجري فيه فمن جرى على نفسه فسق خربت نفسه وآية خراب النفوس انتفاء ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات فكما يتعطل المنازل عن قطانها إذا تداعت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل المعاصي ينتفي عنها لوازم الطاعات ومعتادها فبعد ما كان للعبد تيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب شيئاً من المحظورات فشق عليه فعل العبادة حتى لو خير بين ركعتي صلاة وبين مقاساة كثير من المشاق/ على الطاعة وعلى هذا النحو 315/أ ظلم القلوب وفسادها في إيجاب خراب محالها.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَتِيَ﴾ [الآية: 146] أي: عن ظهور مشاهد صفاتي في الآفاق والأنفس في مخلوقاتي ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 146] بأن أطبع على قلوبهم وأعميهم عن عيوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿يَغْيِرُ الْحَقَّ﴾ [الآية: 146] يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فهو متعلق بيتكبرون وجوز أن يكون حالاً من فاعله فإن تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة.

وقال الأستاذ: معناه سأحرم المتكبرين بركات الاتباع حتى لا يقابلوا الآيات التي يكشفون بها بالقبول ولا يسمعون ما يخاطبون به بسمع الإيمان

والتكبر جحد على الحق على لسان العلم فمن جحد حقائق الحق فجحوده تكبره وباعتراضه على التقدير ما يتحقق جحوده في القلب ويقال التكبر توهم استحقاق الحق لك ويقال من رأى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر ويقال من ظن أن به شيئاً أو منه أو له أو إليه شيئاً من النفي والإثبات لا على وجه الاكتساب فهو متكبر في هذا الباب ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 146] منزلة أو معجزة ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ [الآية: 146] لعنادهم أو لانهمالكهم في تقليد أجدادهم وفي الحقيقة لما قضى عليهم من بعادهم ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ [الآية: 146] وقرأ حمزة والكسائي بفتحيتين أي: طريق السداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] في سبيل المعاش والمعاد ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ﴾ [الآية: 146] الضلالة ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] لما فيهم من كمال الجهالة ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿يَأْتُهُمْ كَذْبُوءٌ بِفَآئِنَتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الآية: 146] أي: غير متدبرين فيها ولا ملتفتين إليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين بهذا أنه ليس يكفي شهود الحق حقاً وشهود الباطل باطلاً لا بد مع شهود الحق من وجود التوفيق للحق ومنع شهود الباطل من وجود العصمة من [اتباع] الباطل وقلت ولهذا ندعو اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه⁽¹⁾ ويقال إن الجاحد للحق مع تحققه أقبح حالاً من الجاهل به المقصر في تعريفه قلت: وقد ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وورد أشد الناس عذاباً يوم 315/ب القيامة عالم لم ينفعه الله⁽²⁾ بعلمه وكذا عن العقلاء ليس من يلحس العسل/ مع علمه بأنه مسموم كمن يلعه واسمه عنده غيره معلوم.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 147] أي: ولقائهم الدار الآخرة أو لقاء ما وعد الله في العاقبة من جزائهم ﴿حَصَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [الآية: 147] لا ينتفعون بها في جميع أحوالهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 147]

(1) تفسير ابن كثير (1/571).

(2) سبق تخريجه.

[147] أي: ما يجوزون إلا جزاء أفعالهم.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى﴾ [الآية: 148] أي: السامري ومن تبعه ولو بالرضا ﴿مِنْ بَقْدِهِ﴾ [الآية: 148] أي: بعد ذهابه لميقات ربه ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ [الآية: 148] التي استعاروها من القبط حين هموا بالخروج وإضافتها إليهم لأنها كانت بأيديهم أو لما آل ملكها إليهم وهو جمع حلي كثندي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع ﴿عَجَلًا جَسَدًا﴾ [الآية: 148] بدنًا ذا لحم ودم كما قال ابن عباس والحسن وقتادة أو جسداً مجسداً من الذهب خالياً من الروح ونصبه على البدل من عَجَلًا ﴿عَجَلًا لَهُمْ خُورًا﴾ [الآية: 148] صوت بقر يدخل في جوفه الريح فيصوت وروي أن السامري لما صاغ العجل ألقي في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً وهذا هو ظاهر ما في سورة طه وملائم لما سبق من كلام الحبر وغيره فقليل كانوا يسجدون حين خواره ويرفعون رؤوسهم عند سكوته.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يظهر قلوبهم في ابتداء أحوالهم عن توهم الظنون ولم يتحققوا بخصائص القدم وشروط الحدوث فعثروا عن أقدام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا نهج السير ويقال أن أقواماً رضوا بالعجل أن يكون معبودهم متى شمت أسرارهم نسيم التوحيد هيهات [لا] لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل أو العرش أو الثرى أو الجن أو الورى فإن ما لحقه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل نعوت الحدثان أو صح في التجويز أن يرتقي عليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فغير صالح لاستحقاق الإلهية ويقال شتان بين أمة وأمة أمة خرج نبهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فعبدوا العجل وأمة خرج نبهم ﷺ من بينهم وأتى نيف وألف وأربعمائة سنة والحمد لله فمن ذكر بين أيديهم أن الشمس والأقمار أو شيئاً من الرسوم والأطلال يستحق الإلهية لأحرقوهم بهمهمهم ويقال أجهل بقوم رضوا بأن يكون مصنوعهم معبودهم ولولا قهر الربوبية/ وأنه يفعل ما يشاء وإلا ففي أي عقل يستقر مثل هذا 316/أ التلبس ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ [الآية: 148] بما يكون على كماله دليلاً ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الآية: 148] بل رأوه حيواناً بليداً ذليلاً عند آحاد البشر فكيف حسبوا أنه خالق الأجسام والقوي والقادر وهذا استفهام توبيخ على نهاية جهالتهم

وتقرّيع على غاية ضلالتهم ﴿أَتُحْذَرُونَ﴾ [الآية: 148] أي: العجل إلهاً ﴿وَكَاوُوا ظُلُمَاتٍ﴾ [الآية: 148] حيث وضعوا الأشياء في غير موضعها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل من نعوت استحقاق الإلهية صحة الخطاب وأن يكون منه الهداية فهذا يدل على استحقاق الحق النعت بأنه متكلم في حقائق آزاله وأنه متفرد بهداية العبد لا هادي سواء وفيه إشارة إلى مخاطبته سبحانه الخلق وتكليمه مع العبد فإن الملوك إذا جلت رتبته استنكفوا أن يخاطبوا خدامهم بلسانهم حتى قال قائلهم:

وما عجب تناسي ذكر عبد على المولى إذا كثر العبيد⁽¹⁾

وبخلاف هذا أجرى الحق سبحانه سنته مع عباده المؤمنين أما الأعداء فيقول لهم ﴿أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون: 108] وأما المؤمنون حقاً فقال ﷺ ما منكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 149] كناية من اشتد ندمهم فإن النادم يعرض يده غمّاً فتصير يده مسقوطة فيها فالظرف نائب الفاعل وقيل: سقط الندم في أنفسهم ﴿وَرَأَوْا﴾ [الآية: 149] علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الآية: 149] باتخاذ العجل إلهاً ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ [الآية: 149] بتوفيق التوبة ﴿وَيَنْفِرَ لَنَا﴾ [الآية: 149] بالتجاوز عن المعصية ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية: 149] الكاملين في الخسران المبين وقرأها حمزة والكسائي بالتاء ونصب ربنا على النداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 150] حزيناً لديهم لما قد أعلمه الله تعالى بذلك وهو فوق الطور بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه: 85].

وقال الأستاذ: لو وجد موسى قومه بألف ألف وفاق لكان متنغص العيش لما مني به من حرمان سماع الخطاب والرد إلى شهود الأغيار فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا العجل ولا يدري أي المحن كانت أشد على

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 441).

موسى عليه السلام فقدان سماع الخطاب أو بقاؤه عن سؤال الرؤية أو ما/ 316/ ب شاهد من افتتان بني إسرائيل واستيلاء الشبهة على قلوبهم في عبادة العجل سبحانه الله ما أشد بلاءه على أوليائه ﴿قَالَ يَسْمَا خَلَفْتُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ [الآية: 150] أي: فعلتم من الخلاف بعد ذهابي عنكم والخطاب للعبدة ﴿أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 150] أي: وعدة الذي وعدنيه من الأربعين أو أسبقتم أمر ربكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ﴾ [الآية: 150] طرحها من شدة الغضب حمية لمخالفة الرب ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الآية: 150] أي: بشعر رأسه ﴿يَجْرُؤُا إِلَيْهِ﴾ [الآية: 150] خوفاً من أن قصر من أن قصر في كفهم عن فعلهم وهارون أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً لينا ولذا كان أحب إلى بني إسرائيل ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ [الآية: 150] وبكسر الميم شامي وكوفي غير حفص وكانا أخوين من أب كما صرح به مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم فذكر الأم ليرفقه إليه ويعطفه عليه ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الآية: 150] إزاحة لخطور التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿فَلَا تَشْمِتْ فِيكَ الْأَعْدَاءُ﴾ [الآية: 150] أي: لا تفعل بي شيئاً يفرحون به ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوَّيِّمِ﴾ [الآية: 150] معدوداً في عدادهم بنية التقصير لنوع من المخالفة.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ [الآية: 151] إن وقع له تقصير في أمري ضم إليه نفسه في طلب المغفرة للترضية ودفع الشماتة وإظهار التذلل في العبودية وبيان استغناء الربوبية ﴿وَأَدْخَلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الآية: 151] بمزيد نعمتك أو بإدخال جنتك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الآية: 151] فأنت أرحم بنا على أنفسنا منا.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام وإن كان سمع من الله أنه فتن قومه لكن لما شاهدتهم أثرت فيه المشاهدة ما لم يؤثر فيه السماع وإن علم فيه قطعاً أنه كما سمع فإن للمعاينة تأثيراً آخر ثم إن موسى عليه السلام لما أخذ برأس أخيه يجره إليه استلطف هارون موسى في خطاب فقال له: ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ فذكر الأم هاهنا للاسترفاق والاسترحام وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ [طه: 94] يريد بهذا أنه قد توالى المحن علي فذرني وما أنا فيه ولا تزد في بلائي

خلفتني فيهم ولم تصحبني وتلك علي شديدة ولقيت بعدك منهم ما ساءني ولقد علمت أنها كانت عليّ عزيمة كبيرة وحين رجعت/ أخذت في عتابي وجر رأسي وقصد ضربني وكنت أؤمل منك تسليتي وتعزيتي فرفقاً بي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِكَ الْآعْدَاءَ﴾ [الآية: 150] ولا تضاعف علي البلاء فعند ذلك رق له موسى عليه السلام ورجع إلى الابتهاال إلى الله والسؤال بنشر الافتقار فقال ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] إلى آخره وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستغفار على العبد في عموم الأحوال والتحقيق بأن له سبحانه تعذيب البريء إذ الخلق كلهم ملكه وتصرف المالك في ملكه نافذ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجَلَ سَيُتْلَاهُمْ﴾ [الآية: 152] سيصيبهم ويصل إليهم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 152] وهو ما أمر به للتوبة من قتل أنفسهم وقيل: غضب في العقبي ﴿وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] وهو إخراجهم من ديارهم وهوانهم إلى الأبد في آثارهم ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152] على رب العالمين حيث قالوا ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88] وقيل: الآية في أولادهم ووصف الأبناء بقبح فعل الآباء لكونهم في مقام الرضاء.

قال الحسين بن الفضل: لا ترى مبتدعاً إلا ذليلاً لأن الله يقول: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152] .

وقال الأستاذ: يعني إن الذين اتخذوا العجل معبوداً سينالهم في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم والسنين في قوله سينالهم للاستقبال ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالي بتأخير العقوبة عن الحال وفرق بين الإمهال والإهمال فالحق سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فلا ينبغي لمن يذنب ولم يؤاخذ في الحال أن يغتر في الإمهال.

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية: 153] من الكفر وسائر المنهيات ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: من بعد ارتكابها ﴿وَأَسْتَوُوا﴾ [الآية: 153] أي: اشتغلوا بالإيمان والمعرفة وما يتبعه من الأعمال الصالحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: بعد تحقق التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ [الآية: 153] وإن عظم الذنب كجريمة عبدة

العجل أو أكثر كجرائم بني إسرائيل أو غفور لذنوبهم ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 153] بإصلاح قلوبهم.

وقال الأستاذ: الإيمان الذي هو بعد التوبة يحتمل آمنوا بأنه يقبل التوبة أو آمنوا بأن الحق سبحانه وتعالى لم يضره عصيان أو آمنوا بأنهم لا ينجون من توبتهم من دون فضل الله أو آمنوا بأن عدواً ما سبق منهم من نقض العهد شركاً فآمنوا من الرأس أو يقال استداموا للإيمان وكانت موافاتهم على الإيمان أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك العهد وتضييع الأمر/ أسقطوا من عين 317/ ب الله إذ ليس كل مرة تسلم الجرة.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ [الآية: 154] أي: سكن كما قرئ به ﴿عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ [الآية: 154] الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الآية: 154] التي ألقاها.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حسن إيماله سبحانه للعبد إذا تغير عن حد التمييز وغلب عليه ما لا يطيق رده من بواده الغيب وإذا كانت حالة الأنبياء عليهم السلام أنه يغلبهم ما يعطلهم عن الاختيار فكيف الظن بمن دونهم ﴿وَفِي نُشْخَبَاتِ﴾ [الآية: 154] أي: فيما نسخ فيها بعد تكسرها فهي فعله بمعنى مفعول كالخطبة أو الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو فيما كتب فيها نفسها كما يدل عليه خذها ﴿هَذَى﴾ [الآية: 154] بيان للحق ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 154] إرشاد للخلق أو نعمة خاصة ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الآية: 154] أي: يخشونه ويتقوه خلافه وتقديم المعمول لإفادة الحصر والاختصاص.

﴿وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ [الآية: 155] قومه أي: من قومه فنصبه بنزع الخافض ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الآية: 155] روي أن موسى عليه السلام أمر أن يختار من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللهم اعطنا ما لم تعط أحداً من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك منهم فأخذتهم الرجفة وهذا قول ابن عباس أو اختار سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: 55] فماتوا

وهذا قول السدي ومحمد بن إسحاق أو أخذتهم الرجفة لأنهم علماء وما نهوا بني إسرائيل عن عبادة العجل وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 155] أي: الصاعقة أو رجفة الجبل وصعقوا منها قال بعضهم ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا وقال بعضهم: إنهم ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام ويؤيد الأول ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَلِئِنِّي أَهْلِكُنَا﴾ جميعنا ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الآية: 155] من التجاسر على طلب الرؤية من بعض السبعين وقيل: المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل لأن علماءهم ما عبدوه لكنهم ما أنكروا عليهم ولا نهوهم وقيل السبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيهم هيبة قلقوا منها ورجعوا حتى كادت تبين/ مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليهم فبكوا ودعا فكشفها الله عنهم ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] أي: ابتلاؤك واختيارك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خواراً فضلوا به ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تشَاءُ﴾ [الآية: 155] ضلالة بالتجاوز عن حده ﴿وَيَهْدِي مَن تشَاءُ﴾ [الآية: 155] هداه فتقوي بها إيمانه ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا﴾ [الآية: 155] أي: متولي أمرنا ﴿فَاعْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 155] ذنوبنا أي: الماضية ﴿وَارْحَمْنَا﴾ [الآية: 155] بالعصمة في الأزمنة الآتية ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الآية: 155] أي: تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة بلا غرض ولا عوض في القضية.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام جاهر الحق بنعت التحقيق ففارق الحشمة فقال صريحاً ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] ثم وكل الحكم إليه فقال ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تشَاءُ وَيَهْدِي مَن تشَاءُ﴾ [الآية: 155] ولقد قدم الثناء على الدعاء فقال ﴿أَنْتَ وَلِيْنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [الآية: 155] ثم عقبه ببيان التضرع فقال ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الآية: 155] .

﴿وَاكْتُبْ﴾ [الآية: 156] أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 156] أي: حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 156] أي: الجنة والقربة ﴿إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ﴾ [الآية: 156] أي: تبنا ورجعنا من هاد يهود إذا تاب ورجع.

وقال الأستاذ: أي ملنا إلى دينك وصرنا لك بالكلية من غير أن نترك لأنفسنا من بقية ﴿قَالَ﴾ [الآية: 156] أي: الله تعالى مجيباً لموسى في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] قال ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ [الآية: 156] تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي﴾ [الآية: 156] أي: العامة ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] من المؤمن والكافر وسائر الموجودات في الدنيا ﴿فَسَاكُنْتُمُهَا﴾ [الآية: 156] أي: أثبتنا خاصة في العقبى ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: الكفر والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 156] خصها بالذكر لإنافتها أو لأنها تشق على أصحابها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 156] فلا يكفرون بشيء منها.

قال أبو عثمان: لا أعلم في القرآن آية أقنط من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] والناس يرونها أرجى آية وذلك أن الله يقول: ﴿فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه لطيفة حيث لم يقل عذابي لا أخلي منه أحداً بل علقه على المشيئة وفيه إشارة أيضاً إلى أن أفعاله سبحانه غير معللة باكتساب الخلق لأن لم يقل عذابي أصيب به/ العصاة بل قال: ﴿مَنْ أَشَاءُ﴾ [الآية: 156] وفيه إشارة إلى جواز الغفران لمن أراد لأنه قال: ﴿أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ [الآية: 156] فإذا أشاء أن لا يصيب به أحداً كان له ذلك وإلا لم يكن حينئذ مختاراً ثم لما انتهى إلى الرحمة قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] لم يعلقها بالمشيئة لأنها نفس المشيئة ولأنها قديمة والإرادة لا تتعلق بالقديم ولما كان العذاب من صفات الفعل علق بالمشيئة وبعبكسه الرحمة لأنها من صفات الذات ويقال في قوله تعالى: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] مجال لآمال العصاة لأنهم وإن لم يكونوا من جملة المطيعين والعارفين والعابدين فهم ﴿شَيْءٌ﴾ [الآية: 156] وقوله ﴿فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: سأوجبها لهم فيجب الثواب للمؤمنين من الله تعالى ولا يجب لأحد على الله شيء وإنما يجب منه لصدقه في قوله: ولا يجب عليه شيء لعزة في ذاته وقوله تعالى ههنا: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يجتنبون أن يروا الرحمة بحكم استحقاقهم فإذا اتقوا هذه الظنون أن يكون أحكامه سبحانه معللة باكتسابهم استوجبوا الرحمة بحكمه بها

لهم ﴿وَالَّذِينَ هُمْ يَتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 156] ما يكشفهم بها في الأقطار مما يقفون عليها بوجوه الاستدلال وما يلاطفهم به في الأسرار مما يجدونه في أنفسهم من فنون الأحوال.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ [الآية: 157] والمراد من آمن منهم بمحمد ﷺ أو عامة أمته الصالحين ولعله سماه رسولاً بالإضافة إلى الله ونبياً بالإضافة إلى العباد ولذا أخر وإلا فالنبوة قبل الرسالة باعتبار تحقق الوجود في الرتبة وإن كان الرسالة أخص بالنسبة إلى مرتبة النبوة ﴿الْأُمِّيَّ﴾ [الآية: 157] الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع نعت حاله إحدى معجزاته.

وقال الأستاذ: أي أنه لم يكن شيء من فضائله وكمال علمه وتهديه إلى تفصيل شرعه من قبل نفسه وتعلمه وتكلفه واجتهاده وتصرفه بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله سبحانه وإلا فكان هو أمياً غير قارئ للكتب ولا متبع للسير انتهى كلامه.

وقال ابن عطاء: الأمي هو الأعجمي قال: أعجمياً عما سوانا عالماً بنا وبما أنزل عليه من كلامنا وحققنا ﴿الَّذِي يَحْدُوثُهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّورَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الآية: 157] اسماً وصفة ورسمًا ووسماً ﴿يَأْمُرُهُمْ﴾ [الآية: 157] أي: النبي ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 157] الخير ﴿وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الآية: 157] الشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية: 157] مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الآية: 157] كالدم والخنزير والميتة أو نحو أكل الربا/والرشوة. 1/319

وأفاد الأستاذ: أن المعروف هو القيام بحق الله والمنكر هو البقاء بوصف الحظوظ وأحكام الهوى والتعريض في أوطان المنى وما تصوره العبد من تزويرات الدعوى والفاصل بين الجنسين والمميز للقسمين في الشريعة فالحسن من أفعال العباد ما كان بنعت الإذن من مالك الأعيان فلهم فعل ذلك والقبیح ما كان موافقاً للنهي والزجر فليس لهم إلا رفض ذلك ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الآية: 157] وقرأ الشامي آصارهم بمدّ الهمزة أي: عهوهم الثقيلة

﴿وَالْأَعْلَلُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 157] والمعنى تخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة التي كانت في ديتهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبس منه الحراك لثقله.

قال الأستاذ: الإصر الثقل ولا شيء أثقل من كد التدبير فمن نقل من كد التدبير إلى روح شهود التقدير فقد وضع عنه كل إصر وكفي كل وزر وأمر، والأغلال التي كانت عليهم [هي] ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم في التزام طاعات الله [ما] لم يفرض عليهم فوكلوا إلى: حولهم وقوتهم فيه فأهملوها ونقضوا عهودهم ومن لقي بخصائص الرضا بما يجري من المقادير وشهود الحق في أجناس الأحداث فقد خص بكل نعمة وفضل ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ [الآية: 157] بهذا الرسول ﴿وَعَزَّزُوهُ﴾ [الآية: 157] عظموه بالتقوية وقرء بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير أي: منعه وحفظوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ [الآية: 157] على عدوه أو نصرُوا أمر دينه.

وأفاد الأستاذ أنهم اعتزوا به وبنصرته ﷺ وإلا فهو كان الله حسيبه ومن كان استقلاله بالحق لم يقف انتعاشه على نصرة الخلق قلت وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا نَصْرُهُ فَكَدَّ نَصْرُهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: 40] الآية ﴿وَاتَّبَعُوا النَّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ [الآية: 157] أي: مع نبوته وسمي القرآن نوراً لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق ومظهرها للخلائق ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 157] الفائزون في الدارين.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 158] أي: بالأصالة ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 158] وإلى الجن بل وإلى غيرهم بالتبعية لكونه ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين بل في صحيح مسلم بعثت إلى الخلق وهو على/عمومه كما بين في محله 319/ب ثم حكم المجنون والصبي ومن لم تبلغه دعوته أيضاً على تقدير وجوده فيهم أو فرض وجودهم في زمانه لما ورد لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي⁽¹⁾

ولهذا يحكم عيسى عليه السلام بعد نزوله بأحكام هذا الدين من أصوله وفروعه ويشير إلى عموم رسالته أيضاً إلى العلويات والسفليات قوله: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 158] فإنه صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف وهو الرسول إليه وهو الله فالفصل ليس بأجنبي ولأن المتعلق كالمقدم على لفظ الجلالة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 158] بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الآية: 158] مزيد تقرير لخصوصية الألوهية بناء على إظهار الربوبية المقتضية للخلق أن يقوموا بحق العبودية ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 158] أي: بذاته وصفاته ﴿وَكَلِمَتِهِ﴾ [الآية: 158] أي: التي أنزلت عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه ﴿وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الآية: 158] .

قال الأستاذ: صرح بما رقبناك إليه من المقام وأفصح عما لقيناك به من الإكزام وقل إنني لجماعتكم مرسل وعلى كافتكم مفضل وديني لمن نظر وفكر واعتبر وسبر مفصل وإلهي الذي له ملك السموات والأرض لا شريك ينازعه ولا شبهه يضارعه فله حق التصرف في ملكه بما يؤيد من حكمه ومن جملة ما حكم وقضى ونفذ به التقدير وأمضى إرسالي إليكم لتطيعوه فيما يأمركم وتحذروا عن ارتكاب ما يزجركم وأن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبى الأمي واتبعوه لتفلحوا في الدنيا والعقبى وتستوجبوا الزلفى والحسنى وتخلصوا به من البلوى والسوى.

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ [الآية: 159] يعني بني إسرائيل ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 159] جماعة يهدون الناس محقين أو يدلون بكلمة الحق وطريقة الصدق ﴿وَبِهِ يَهْدُونَ﴾ [الآية: 159] وبالحق يسوون الحكم بينهم قيل: يدلون الخلق على طريق الحق يسلكون على قدم الصدق والمراد بهم الثابتون على الحق من اليهود قرباً بعد قرن وقيل: مؤمنو أهل الكتاب وقيل: قوم وراء الصين رأهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به فهم على الحق آمنوا بمحمد ﷺ لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا/ إليهم وهذا قول ابن جريج ونقل عن ابن عباس والسدي.

وقال الأستاذ: هم الذين سبقت لهم العناية وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير تحريف ولا تحويل وأدركتهم الرحمة السابقة فلم يتطرق إليهم مفاجأة تغيير ولا خفي تبديل.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ﴾ [الآية: 160] أي: صيرنا بني إسرائيل قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض وفرقناهم ﴿اَثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ [الآية: 160] مفعولاً ثانياً ﴿أَسْبَاطًا﴾ [الآية: 160] بدل منه ولذلك جمع ﴿أُسْبَاءً﴾ [الآية: 160] نعت أي: قبائل.

وأفاد: الأستاذ أنه فرقهم أصنافاً وجعلهم في التحزب أخياً ثم كفاهم ما أهمهم وأعطاهم ما لم يكن لهم بد منه فيما نالهم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ﴾ [الآية: 160] في التيه ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ﴾ [الآية: 160] الفاء فصيحة أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الآية: 160] في حذف ما ذكر أي: إلى أن موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وتحصيل المرام وإن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته بحسب تحقيق المقام ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ [الآية: 160] سبط ﴿مَشْرِبُهُمْ﴾ [الآية: 160] موضع شربهم ومحل شربهم ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ [الآية: 160] ليقبهم حر الشمس.

وقال الأستاذ: ما وقاهم أدنى الحر والبرد ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَرُّ﴾ [الآية: 160] شيئاً كالترنجيبين ﴿وَالسَّلَوَىٰ﴾ [الآية: 160] وطيراً كالسماني.

وقال الأستاذ: أي ما نفي عنهم تعب الجوع والجهد والتعب والكد ﴿كُلُوا﴾ [الآية: 160] أي: وقلنا لهم تمتعوا ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الآية: 160] أي: حلالاته أو مستلذاته.

قال الأستاذ: فجرنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا يشاهدونه عياناً وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم من قوة اليقين ولكن ليست العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم والمدار على مشيئة الحق سبحانه وتعالى فيما يمضى عليهم من فنون أحوالهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 160] ما رجع ضرر كفران نعمهم إلينا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 160] يضررون

أنفسهم ولا علينا (ثواباً) لهم فعلهم راجع إليهم فلا يتعدى ضرره عنهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 161] أي: اذكر ذلك الزمان وتعجب في ظهور هذا الشأن والقرية بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الآية: 161] أي: رغداً واسعاً من غير حرج عليكم ولا نسبة حرمة إليكم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الآية: 161] أي: مسألتنا أي: تحط عنا سيئاتنا ﴿وَادْخُلُوا﴾ 320 ب/ [الآية: 161] أي: باب القرية ﴿سُجَّدَا﴾ [الآية: 161] ساجدين متواضعين/ منقادين شكراً لرب العالمين على الفتح النبوي والخلاص من محن التيه ويراد واو الجمع هنا في ﴿وَكُلُوا﴾ لا ينافي فاء التعقيب في ﴿فَكُلُوا﴾ في سورة البقرة وكذا تقديم قولوا على وادخلوا هنا ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ﴾ [الآية: 161] وقرأ نافع وابن عامر بالتأنيث على بناء المفعول ورفع ما بعده والشامي وحده خطيئتك بالتوحد وأبو عمر وخطاياكم ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 161] ولم يأت بالعطف هنا بخلاف البقرة لدلالة على أنه تقبل محض ليس في مقابلة ما أمروا به من دخول الباب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبرهم عما ألزمهم من مراعاة الحدود وما حصل منهم من نقض العهود التي ألزمهم من التكليف ولقاهم به من صنوف التعريف وإكرامه من أراد منهم بالتوفيق والتصديق وإذلاله من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ثم ما عاتبهم به من فنون البلاء وأذاقهم من سوء الجزاء حكماً من الله حتماً وقضاء جزماً.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] بتأن لما أبهم في البقرة ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 162] حيث بدلوا حطة بحنطة استهزاء ودخلوا على أستهام حيناً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الآية: 162] عذاباً مقدراً ﴿مِنْ أَسْمَاءٍ يَمَاسُ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 162] بسبب ظلمهم على أنفسهم.

وقال الأستاذ: جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيل لهم فقالوا حنطة بدل حطة فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداع في الشرع عظيم الخطر ومجاوزه حد الأمر شديد الضرر ويقال إذا

كان تفسير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب قال فما الظن بتغيير ما هو خبر عن صفات رب الأرباب ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه فإذا كان التغيير في القول يوجب كل هذا فكيف التبديل والتغيير في الفعل.

﴿وَسَأَلْتَهُمْ﴾ [الآية: 163] أي: اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم ليكون لك معجزة على تحقيق نبوتك وتصديق رسالتك ﴿عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ [الآية: 163] أي: خبرها وما وقع بأهلها ﴿الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ [الآية: 163] أي قريبة منه وهي أيلة بين مدين والطور على شاطئ البحر ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ [الآية: 163] أي: يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت الذي حرم الله عليهم/ الاصطياد فيه والمعنى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعَاءَ﴾ [الآية: 163] حال من الحيتان أي: ظاهرة على وجه الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ﴾ [الآية: 163] أي: لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت من الأحد وغيره ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الآية: 163] أي: مطلقاً أو لا يأتيهم مثل إتيانهم يوم سبتهم فقله ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية: 163] متصل بما قبله أو هو منقطع عنه والتقدير مثل ذلك الامتحان الشديد ﴿يَبْلُوهُمْ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 163] أي: يختبرهم بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن دينهم كان الأخذ بالتأويل وذلك روغان في التحقيق فإن الحقائق تأبى إلا الصدق وأن التعرّيج في أوطان الحظوظ والجروح إلى محتملات الرخص فسخ لأکید موثيق الحقيقة ومن شاب شيب له ومن صفا صفي له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: جماعة من أهل القرية وهم بعض صلحائهم الذين اجتهدوا في الموعظة بعدما أيسوا من قبولهم النصيحة لأنهم افرقوا على ثلاثة فرق فرقة عاصية وفرقة ناهية وفرقة ساكنة فقالت الساكنة للناحية ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: مستأصلهم في الدنيا ﴿أَوْ مَعَذِّبُهُمْ﴾

عَذَابًا شَدِيدًا» [الآية: 164] في العقبي لتماديهم في عصيان المولى ﴿قَالُوا﴾ [الآية: 164] أي: الفرقة الناهية في جواب الساكتة السائلة هذه ﴿مَعْدَرَةٌ إِلَّكَ رَبِّكَ﴾ [الآية: 164] أي: موعظتنا أنها عذر إلى ربنا حتى لا تنسب إلى التفريط في النهي عن المنكر فيما بيننا وقرأ حفص موعظة بالنصب على المصدر أو العلة أي: اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة إلى ربكم ليرضى عنا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ﴾ [الآية: 164] عن الاصطياد في السبت فلا بأس من أن يدركهم الرحمة إذ لا يحصل البأس إلا بالهلاك ووقوع العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق وإن كانت لازمة فليس للعبد عند لوازم الشرع عاذرة بل الوجوب يفترض شرعاً وإن كان التقدير غالباً بكل وجه.

﴿فَلَمَّا دُسُوا﴾ [الآية: 165] تركوا ترك الناسي ﴿مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [الآية: 165] ما وعظهم به صلحاؤهم ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْسُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية: 165] بالاعتذار في مخالفة أمر الله ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الآية: 165] شديد على وزن ب/321 فعيل وقرأ أبو بكر بخلاف عنه على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بكسر/ الموحدة وسكون الهمزة ككبد في كبد ونافع يقلب الهمزة ياء ﴿يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 165] بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم والأصح أن الفرقة المرتكبة صاروا قردة دون الفرقتين الآخرين وهذا قول ابن عباس والحسن وغيرهما وقد نقل عن ابن عباس أنه توقف في الفرقة الساكتة ثم صرح بعد بأنهم من الناجين وعند بعضهم كابن زيد أن الفرقة الساكتة أيضاً مسخوا.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا تمادى العبد في تهتكه ولم يبال بطول الإمهال والستر لم يمهله يد التقدير عن استئصال العين ومحو الأثر وسرعة الحساب وتعجيل العذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر ثم البريء في فضاء السلامة وتحت ظل الحفظ ودوام روح التخصيص ويرد عيش التقريب.

﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ [الآية: 166] تكبروا ﴿عَنْ مَا نُهَوُّوا عَنْهُ﴾ [الآية: 166] أي عن ترك ما نهوا عنه لقوله: ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: 77] ﴿فَلَمَّا لَمْ يَكُونُوا قَرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: 166] ذليلين والمراد من أمرهم سرعة التكوين وأنهم صاروا

كذلك لحقيقة الأمر كقوله سبحانه: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالمراد بالقول الحكم المتعلق بالإرادة وعن بعض السلف أنهم سمعوا منادياً لهم ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الآية: 166] ثم الأصح أن المسخ صوري ومعنوي وأنهم هلكوا بعد ثلاثة أيام ولم يبق منهم نسل كما صرح بذلك ابن عباس وغيره من جماهير السلف وبعض الأحاديث يدل على ذلك ثم العذاب البئيس هو هذا المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل للماضية وقيل: المسخ معنوي لا صوري فعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم وقيل: العذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولاً ثم كان المسخ آخراً والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا انتهى مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال وإذا سقط العبد عن عين الله لم ينتعش بعده إلى الأبد ومن أسقطه حكم الملوك فلا قبول بعد الرد وفي معناه أنشدوا:

وإذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل⁽¹⁾

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَبُّكَ﴾ [الآية: 167] أي: أعلم أو قال أو أمر أو حكم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا/ أجيب بجوابه وهو قوله ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾ 322/أ [الآية: 167] أي: أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود وليرسلن إليهم إلى آخر الدهر ﴿مَنْ يَسْؤُهُمْ﴾ [الآية: 167] يعذبهم ﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ [الآية: 167] أشد أنواعه كالإهانة بالسبي وضرب الجزية فقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرّب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذريتهم وضرب الجزية على بقيتهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل بهم ما فعل من المهانة ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام فإما السيف وإما الإسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 167] لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُ لَفُتُوْرٌ رَّجِيمٌ﴾ [الآية: 167] لمن تاب وأتاب إلى الطاعة قيل ما كان في القرآن من قوله سريع العقاب فإنها كانت عقوبة القلوب بالحجاب عن علام الغيوب.

(1) نسب إلى معن بن أوس. انظر: نهاية الأرب (1/ 271)، وخزانة الأدب (3/ 196).

وأفاد الأستاذ: إن الحق سبحانه أمضى سُنته بالإنذار وتقديم التعريف بما يستحقه كل أحد على ما يحصل منه الآثار إبداء للعذر وإن جلت رتبته عن كل عذر فإن نجح فيهم القول وإلا دمر عليهم بالفعل.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الآية: 168] أي: صيرناهم جماعات متفرقة وفرقناهم في البلاد بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم غيرة للعباد وتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم قط شوكة ولا تجتمع لهم كلمة ﴿وَمِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءُ﴾ [الآية: 168] كمن آمن بالمدينة ونظراءهم ﴿وَمِنْهُمْ دُونُ ذَلِكَ﴾ [الآية: 168] منحطون عن الصلاح من كفرتهم وفسقتهم ﴿وَيَكُونُ لَهُمْ﴾ [الآية: 168] اختبرناهم وامتحانهم ﴿وَالْحَسَنَاتِ﴾ [الآية: 168] أي: النعم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ [الآية: 168] أي: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 168] أي: يتهون عما كانوا عليه من المخالفات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجراهم على ما علم أنهم يكونون عليه من صلاح وسداد ومعاص وفساد ثم ابتلاهم بفنون الأفعال من محن أزاحها ومن ممن أتاحها فطالبهم بالشكر على ما أسدى والصبر على ما أبلى ليظهر للمعتبرين من الملائكة والخلائق أجمعين جواهرهم في الخلاف والوفاق والإخلاص والنفاق وأما الحسنات فهي ما يشهدهم المجرى ولا يلهمهم عن المبدى وأما السيئات فالترديد بين الإنجاز والتأخير والباحة والتقصير ويقال: ب/322 الحسنات أن تنسيك نفسك/ والسيئة أن تشهدك نفسك ويقال: الحسنات أن يخطفهم عن شهود الأغيار والأعيان والسيئات أن يطرحهم في مفاوز الظنون والحسبان ويقال: الحسنات تيسر وقت عن الغفلات حالاً وتسهل يوم عن الآفات بائن والسيئات التي ابتلاهم بها خذلان حاصل وحرمان متواصل.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَآدِيهِمْ﴾ [الآية: 169] من بعد ذلك الجيل الذي وجد فيهم الصالح والطالح ﴿خَلَفَ﴾ [الآية: 169] بدل سوء والمراد بهم الذي كانوا في عصر رسول الله ﷺ ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 169] أي: علم التوراة أو نفسها من أسلافهم يقرؤون مبادئها ويقفون على مغانيها من جعلتها ذم الدنيا وما فيها ومع هذا ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ [الآية: 169] يختارون حطام هذا الشيء الأدنى

وهو الدنيا المأخوذ من الدنو والدناءة والمراد منه ما كانوا يأخذون من الرشوة في تبديل الحكومة على تحويل الكلمة وتحريف البنية.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] أي: الله لا يؤاخذنا بل يتجاوز عنا ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ [الآية: 169] جملة مستأنفة مشيرة إلى أنهم مصرون على ذلك غير تائبين عما هنالك فلا ينفعهم الاستغفار اللساني مع وجود الإصرار الجناني.

وأفاد الأستاذ: أنهم استوجبوا الذم بقوله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الآية: 169] لأنهم أثروا العرض الأدنى وركنوا إلى عاجل الدنيا وجعلوا نصيبهم من الآخرة المني فقالوا: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] ويقال من أمارات الاستدراج ارتكاب الذلة والاعتزاز بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة ثم أخبر عن إصرارهم على الاعتزاز بالمني وإيثار متابعتهم الهوى بقوله: وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴿أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ﴾ [الآية: 169] أي: في التوراة وهو ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الآية: 169] والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق التوراة والاستثناء منقطع البتة فإن معنى قال عليه افتراء واختلقه واخترعه اللهم إلا أن يقال معناه أن لا ينقلوا على الله إلا الحق فالاستثناء متصل.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام في معنى التقرير أي: أمروا أن لا يصفوا الحق إلا بنعت الجلال واستحقاق صفات الكمال وأن لا يتحكموا عليه بما لم/ يأت منه خبر ولم يشهد لصحته برهان ولا نظر ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: 323/أ] 169] أي: وقد علموا ما في الكتاب فهم ذاكرون للميثاق في هذا الباب.

وقال الأستاذ: يعني تحققوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان ﴿وَالَّذَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 169] أي: لا للذين يخالفون فإن مصيرهم إلى النار ومآل المتقين إلى دار القرار ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 169] أن الآخرة خير وأبقى لمن اتقى فلا يستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالأعلى المورث للثواب وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على تلوين الخطاب.

وقال الأستاذ: يعني التعرض لنفحات فضله سبحانه خير لمن أمل جوده من مقاساة التعب لمن بذل في تحصيل هواه موجوده.

﴿وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ﴾ [الآية: 170] وقرأ أبو بكر بالتخفيف أي: يستمسكون ويعتصمون ﴿بِالْكِتَابِ﴾ [الآية: 170] أي: بكتاب الله والمراد به جنسه والقرآن ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 170] أي: التي هي أم العبادات ونهاية عن السيئات والموصول عطف على الأول ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اعتراض أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع ضميرهم.

وأفاد الأستاذ: إن قوله يمسكون بالكتاب إيماناً وأقاموا الصلاة إحساناً فبالإيمان وجدوا الأمان وبالإحسان وجدوا الرضوان فالأمان معجل والرضوان مؤجل ويقال ﴿يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ [الآية: 170] سبب النجاة ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 170] تحقيق المناجاة فالنجاة في المآل والمناجاة في الحال ويقال افرد الصلاة هاهنا بالذكر من جملة الطاعات ليعلم أنها أفضل العبادات بعد معرفة الذات والصفات وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] أي: من أمل سبب إنعامنا لم نخسر له صفقة ولم يخفق له في الرجاء رفقه ويقال: من نقل إلى بابه قدمه لم يعدم في الآجل نعمه ومن رفع إلى ساحات جوده هممه نال: في الحال كرمه ويقال: من توصل إليه بجوده نال في الدارين شرفه ومن اكتفى بوجوده كان الله عنه خلفه.

﴿وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبْلَ﴾ [الآية: 171] أي: قلعناه ورفعناه ﴿فَوْقَهُمْ﴾ [الآية: 171] أي: فوق رؤوسهم ﴿كَأَنَّهُمْ ظِلَّةٌ﴾ [الآية: 171] سقيفة أو سحابة ﴿وَوُضُّوا﴾ [الآية: 171] تيقنوا من كمال قربهم إليهم ﴿أَنَّهُمْ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ [الآية: 171] ساقط عليهم إن خالفوا ب/323 في عهدهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم/ لقبولها وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقض عليكم بأمر ربها فسجدوا وقبلوا ﴿خُذُوا﴾ [الآية: 171] أي: قلنا لهم اقبلوا ﴿مَّا آتَيْنَاكُمْ﴾ [الآية: 171] من الكتاب — ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 171] بجهد واجتهاد في العمل به وعزم على تحمل مشاقه ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ [الآية: 171] من المعارف والأحكام وسائر الأقوال ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية:

[171] بسبب رذائل الأحوال وفضائح الأعمال.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس من يأتي طوعاً كمن يأتي جبراً وإن الذي يأتي قهراً لا يعرف للحق سبحانه قدراً وأنشدوا في معناه:

إذا كان لا يرضيك إلا شفاعاة فلا خير في ود يكون بشافع⁽¹⁾

ويقال قصارى من أتى جبراً أن ينقص على عقبيه طوعاً كذلك لما قبلوا الكتاب بالإجبار ما لبثوا حتى قابلوه بالتحريف في الأخبار.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ﴾ [الآية: 172] أي: بعد ما أخذ أولاد صلبه من ظهره ﴿مِنْ ظُهُورِهِ﴾ [الآية: 172] بدل الاشتمال ﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الآية: 172] وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالجمع أي: إن الله سبحانه أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتولد الأبناء من الآباء بالترتيب في عالم وجود القضاء على وفق سبق القضاء ﴿وَأَشْهَدُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 172] أي: أشهد بعضهم على بعض بمضمون قوله لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الآية: 172] قد ورد الأحاديث الصحاح بما يدل على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار بوضعهم بيضاء وسوداء في يمينه ويساره وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كما حققه الثقات من المحدثين ووافقهما أكثر السلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم ويؤيده ما في الصحيحين عن النبي ﷺ يقال للرجل من أهل النار أرأيت لو كان لكل جميع الدنيا أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، فيقال قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي وقال الحسن البصري وتبعه جمع من الخلف واختاره المعتزلة أن المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد في مقام المراد فصارت/ هذه الخلقة في مقام الابتلاء 324/أ بمنزله أنه قيل لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الآية: 172] لكن لا يخفى أنه لا منع من الجمع ليكون الثاني دال على الأول فتأمل ثم قيل المؤمنون فهموا من قوله

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/463).

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] الإثبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] والكافرون فهموا النفي فقالوا: بلى هذا.

وقد قال أبو سعيد الخراز: من كان حين قال ومن أين أجابوا وكيف كانوا هل أجابت عنهم إلا القدرة النافذة والمشئنة التامة وهل كانوا إلا رسماً لأحكام ملك تقديره وهل هم الأشباح تختلف عليهم تصاريف تدبيره.

قال الحسين: لا يعلم أحد من الملائكة والمقربين لماذا أظهر الخلق وكيف الابتداء إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت والآذان ما سمعت كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب وإليه آيب في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] فهو المخاطب وهو المجيب؟

وقال الحسين: أيضاً في قوله ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] القائل عنكم سواكم والمجيب عنكم غيركم فسقطتم أنتم وبقي من لم يزل كما لم يزل.
قاله الواسطي: في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] هو تقرير في صورة السؤال.

وأفاد الأستاذ: وأجاد فيما أفاد أنه سبحانه أخبر بهذه الآية عن سابق عهده وصادق وعده وتأكيد عناج وده بتعريف عبده وفي معناه أنشدوا:
سقياً لليلى والليالي التي كنا بليلى نلتقي فيها⁽¹⁾
وأنشدوا:

أفديك بل أيام دهري كلها يفدين أياماً عرفتك فيها⁽²⁾
ويقال فاجأهم بتحقيق العرفان قبل أن وقع لمخلوق عليهم بصر وظهر في قلوبهم مصنوع أثر وكان لهم من حميم أو قريب أو صديق أو شفيق خبر وفي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464)، والأصفهاني في محاضرات الأدباء (1/ 182) ونسبه إلى ابن بوقه. وعنده (أيام عمري) بدل (أيام دهري).

معناه أنشدوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبي خالياً فتمكنا⁽¹⁾

ويقال جمعهم في الخطاب لكنه فرقهم في الحال فطائفة خطابهم بوصف القربة فعرفهم في نفس ما خاطبهم وفرقة أبقاهم في أوطان الغيبة فأقصاهم عن نعت العرفان وحجبهم ويقال أقوام لاطفهم إلى عين ما كاشفهم فأقروا بنعت التوحيد وآخرون أبعدهم في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود ويقال وسم بالجهل قوماً فالزهم بالإشهاد بيان/ الحجة فأكرمهم بالتوحيد آخرين فأشهدهم واضح المحجة ويقال تجلى لقلوب قوم فتولى تعريفهم فقال: بلى عن حاصل تعين وتعزز عن آخرين فأثبتهم في أوطان الجحد فقالوا: بلى عن ظن وتخمين ويقال: جمع المؤمنين في الإسماع ولكن غاير بينهم في الرتب فجذب لقلوب قوم إلى الإقرار بما أطمعهم فيه من المبار وأنطق آخرين بصدق الإقرار بما أشهدهم من العيان وكاشفهم به من الأسرار ويقال فرقة ردهم إلى الهيبة فهاموا وفرقة لاطفهم بالقربة فاستقاموا ويقال عرف الأولياء أنه من هو فتحققوا بتحصيلهم ولبس على الأعداء فتوقفوا لحيرة عقولهم ويقال: أسمعهم وفي نفس ما أسمعهم أحضرهم لما أسمعهم ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم وقام عنهم فأنطقهم بحكم التعريف وحفظ عليهم بحسن التولي أحكام التكليف فكان سبحانه لهم مكلفاً وعلى ما أراد مصرفاً وبما استخلصهم له معرفاً وبها رقاهم إليه مشرفاً ويقال: كاشف قوماً في حال الخطاب بجماله فطوحهم في هيمان حبه فاستمكنت محابهم في كوامن أسرارهم فإذا سمعوا اليوم تجدد لهم تلك الأحوال فالانزعاج الذي يظهر فيهم لذكر ما سلف لهم من العهد المتقدم في الآزال ويقال: أسمع قوماً بشاهد التربية فأصحاهم عن عين الإشهاد فأجابوا عن عين التحقيق والشهود وأسمع آخرين بشاهد الربوبية فمحاهم عن التحصيل فأجابوا بوصف الجحود ويقال أظهر آثار العناية بدءاً حين اختص بالأنوار التي رست عليهم قوماً فمن

(1) نسب إلى مجنون بني عامر. انظر: الحيوان (52/1)، والبيان والتبيين (233/1) ونسب إلى غيره كابن الطيرية. انظر: محاضرات الأدباء (349/1).

حرمه تلك الأنوار لم يجعله أهلاً للوصلة ومن أصابته تلك الأنوار أفصح بما خص به من غير مقاساة الكلفة (شهدنا) قال بعضهم ﴿شَهِدْنَا﴾ [الآية: 172] قول الملائكة وهو أنه قال الله للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا: شهدنا والأظهر أنه تنمة كلام بني آدم ويحتمل أن يكون ابتداء كلام من الله سبحانه ويتعلق به ﴿أَنْتَ تَقُولُوا﴾ [الآية: 172] والمعنى شهدنا ما ألقى إليكم وأظهرناه حجة عليكم كراهة أن تقولوا أو لثلاثا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ [الآية: 172] أي: من أنك ربنا ﴿غَيَّبِينَ﴾ [الآية: 172] ليس علم/ بهذا لنا ولا يكون لهم عذراً أصلاً لوقوع الميثاق أولاً ونصب الأدلة على الربوبية ثانياً وإرسال الرسل لتذكير العهد الأول آخراً وقرأ أبو عمرو بالغيبة على الالتفات وكذا في قوله:

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 173] أي: قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 173] فافتدينا بهم في أفعالنا لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح أن يكون عذراً في خطأ السبيل ﴿أَفَنُكْفِيكُمْ مَا فَعَلَ الْمُظْلِمُونَ﴾ [الآية: 173] يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك في الأولين.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية: 174] مثل ذلك التبيين ﴿تُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية: 174] الدالة على اليقين ليتيقنوا فيما يعلمون ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 174] إلى طريق الحق فيما يعملون.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا سدت عيون البصيرة فيما ينفع وضوح الحجة أي: ولا شروح الحجة.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 175] على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُ ءَايَاتِنَا﴾ [الآية: 175] أحد علماء بني إسرائيل والأكثرين على أنه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله عالم باسم الله الأعظم فسأله قومه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى ثم ألحوا فألحوا وجاؤوه بالرشوة فقبل ودعا وقبل الله دعاءه فبقوا في التيه ثم دعا موسى عليه فنزع عنه الإيمان والاسم الأعظم كما صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقال بعضهم: ما يسر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم أخرجوا النساء إليهم فعسى أن يزنا بهن ففعلوا فوق واحد من بني إسرائيل

في الزنا فنزل عليهم الطوفان فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحُسيب من هلك في الطوفان في ساعة من النهار فوجد سبعين ألفاً هكذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم وروي عن ابن عمر وابن عمران المراد أمية بن الصلت وكان قد قرأ التوراة والإنجيل وكان يعلم بأمر النبوة قبل البعثة فلما بعث النبي ﷺ حسده لطمعه أن يكون هو المبعوث فكفر فقبل مرادها أن يشبهه في كثرة علمه وتتبعه كتب الأوائل ومع ذلك صار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم أقول والعبرة/ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتشمل 325/ ب الآية جميع علماء السوء وجهلة الصوفية ﴿فَأَفْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الآية: 175] أي: من الآيات بأن كفر بها أو أعرض عنها ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 175] أي: حتى لحقه أو استتبعه ﴿فَكَانَ مِنَ الْفَاقِرِينَ﴾ [الآية: 175] أي: في علم الله أو فصار من الضالين في طريق هداه لأجل متابعة هواه وترك أمر الله ورضاه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يظهر الأعداء في صدار الخلّة ثم يردّهم إلى سابق القسمة ويبرز الأولياء بنعت الخلاف والزلّة ثم يغلب عليهم مقسومات الوصلة.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ [الآية: 176] إلى أعلى منازل درجات العلماء ﴿يَهَا﴾ [الآية: 176] بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿وَلَكِنَّهُ أَغْلَاذَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية: 176] أي: مال إلى مال الدنيا الدنية وزخارفها الفانية وإلى مرتبة السفالة والردالة والجهالة والضلالة ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الآية: 176] في ترك طريق مولاه ومتابعة رضاه قال القاضي وإنما قيد رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وإن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب إنما هي وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك هذا.

وقال ابن عطاء: سوابق الأزل تؤثر على انتهاء الأبد ولو جرى له في حكم الأزل السعادة لأثر ذلك عليه في عواقب سعيه وكدحه وأواخر أحواله.

وأفاد الأستاذ: أنه لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تلحقه الشقاوة الأبدية ولكن من قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق وفي قوله: ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية: 176] إذا كان مساكنة آدم الجنة وطمعه في الخلود فيها أوجبا خروجه عنها فالركون إلى الدنيا متى يوجب البقاء بها وفي قوله: ﴿وَأَتَّبَعَهُ هَوْنُهُ﴾ موافقة الهوى ينزل صاحبها من سماء العز إلى تراب الذل ويلقيه في وهدة الهوان ومن لم يقصد علماً وشهوداً فعن قريب يقاسيه وجوداً ﴿فَنَلَّهٖ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ [الآية: 176] في أحسن أحواله وهو ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الآية: 176] أي: يلهث دائماً/ سواء حمل عليه بالطرد والزجر أو ترك ولم يتعرض له بالنهي والأمر واللهث امتداد اللسان من النفس الشديد وحصر من بين الحيوانات بذلك لضعف فؤاده وقيل: لما دعا على موسى خرج لسانه فوق على صدره وجعل يلهث كالكلب وقد روي أنه يدخل النار بصورة كلب أصحاب الكهف ويدخل كلب أصحاب الكهف بصورة بلعم في الجنة.

أ/326

وأفاد الأستاذ: أن من أخلاق الكلب الوقوع في من لم يجفه على جهة الابتداء ثم الرضا عنه بلقمة كذلك الذي ارتد عن طريق الإرادة يصير ضيق الصدر سيئ الخلق يبدأ بالجفاء كل بريء ثم يهدي طياشته بنيل كل عوض خسيس وفي قوله: ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الآية: 176] كذلك المحجوب عن الحقيقة فسيان عنده الإحسان والإساءة فهو في الحالتين إما صاحب ضجر أو صاحب بطر لا يحمل المحنة إلا على زوال الدولة ولا يقابل النعمة إلا بالنعمة فهو في الحالتين محجوب عن الحقيقة ويقال للكلب نجاسته أصلية وخساسته كلية كذلك للمردود في الصفة نقصان القيمة وحرمان القسمة ويقال: إقامة في محل القربة ثم أبرز له من مكامن المكرما أعدله من سابق التقدير فأصبح والكل دون رتبته وأمسى والكلب فوقه مع خساسته وفي معناه أنشدوا:

فبقينا بخير والدنيا مطمئنة فأصبحت يوماً والزمان تقلباً⁽¹⁾

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 41) و(2/ 466) و(3/ 62) و(7/ 31) وهناك اختلاف بين الألفاظ في صدر البيت.

ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال وإنما العبرة بما يؤول إليه في المال ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 176] أي: هذا المثل ﴿مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 176] بأن كفروا أو أعرضوا عنها ﴿فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ﴾ [الآية: 176] أي: القصة المذكورة على اليهود أو على كفار مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 176] أي: يتدبرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون.

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ [الآية: 177] أي: مثل القوم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية: 177] بعد قيام الحجة عليها وثبوت علمهم بها ﴿وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 177] بمخالفتها.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ [الآية: 178] أي: هداية موصلة ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الآية: 178] اكتفى في الإخبار عمن من هداه الله بالمهتدي تنبيهاً على أن الاهتداء جمال/عظيم وكمال جسيم فالكلام من قبيل أنا أبو النجم وشعري شعري ونظيره 326/ب ما ورد فمن هاجر إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله⁽¹⁾ أي: فيكفيه هذا أن يقال في حقه وأن يوصف به أو معناه فأولئك هم الراحون لما يستفاد من مقابلته بقوله: ﴿وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 178] أي: الكاملون في الخسران ولعل وجه الأفراد في الأول والجمع في الثاني في تحقيق المعنى بعد اعتبار اللفظ والمبنى هو الإيماء إلى قلة أرباب الهداية وكثرة أصحاب الضلالة والغواية كما يؤخذ من الإشارة بهو للقريب وبذلك للبعيد في العبارة هذا وقيل: ليس الناجي من سعي وأحسن السعي إنما الناجي لمن سبقت له الهداية من الهادي قال الله عز وجل ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي﴾ [الآية: 178] وقال الأستاذ ليست الهداية من حيث السعاية الهداية من حيث البداية ليست الهداية بكفر العبد ونظره إن الهداية بفضل الحق وجميل نظره.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الآية: 179] خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الآية:

179] يعني المصيرين على الكفر في علمه تعالى وهو لا ينافي قوله تعالى ﴿وَمَا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6689)، ومسلم في الصحيح (155/1907).

خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] لأن المراد بها المعهود وهم المؤمنون في علمه تعالى والإلزام تخلف إرادته سبحانه ويدل على ذلك قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني المعهودين من العاصين ويؤيده حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي وهذا معنى قوله ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وقيل اللام في هذه الآية للعاقبة نحو لدوا للموت وابنوا للخراب⁽¹⁾.

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] أي: لا يفهمون معرفة الحق وطريق الصواب ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] أي: الآيات الدالة على معرفة رب الأرباب ﴿وَلَهُمْ آفَافٌ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] مواعدة الكتاب ﴿أُولَئِكَ كَانُوا فِي السَّعِيرِ﴾ [الآية: 179] في عدم الإبصار للاعتبار وفقد الاستماع للتقدير في الإخبار وفي أن قوامهم متوجه إلى أسباب المعيشة الدنيوية وهمهم مقصورة على الأمور الشهوية ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] فإن الأنعام تعقل ما خلقت له من المرام إما بالطبع وإما بتسخير الآنام فتدرك منافعها ومضارها/ في الليالي والأيام بخلاف الكفار فإنهم خلقوا لعبادة الرحمن وهم يطيعون الشيطان إما جحوداً وإما عناداً وقيل ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] شواهد الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] دلائل الحق ﴿وَلَهُمْ آفَافٌ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ [الآية: 179] دعوة الحق ﴿أُولَئِكَ كَانُوا فِي السَّعِيرِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] لأن (الأنعام) لا تحس بالاستتار والتجلي والأرواح نعيمها وعذابها في الاستتار ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقِقُونَ﴾ [الآية: 179] أي: الكاملون في الغفلة عن أنواع الأذكار.

وأفاد الأستاذ: أن من خلقه لجهنم متى يستوجب الجنان ومن أهله للسخط أتى يستحق الرضوان ولولا انسداد البصائر وإلا فأى إشكال بقي بعد هذا الإيضاح الظاهر ويقال هم اليوم في جحيم الجحود مقرنين في أصفاد الخذلان ملبسين ثياب الحرمان طعامهم ضريع الوحشة وشرابهم حميم الفرقة وغداً هم في جحيم الحرقة كما فصل في الكتاب شرح تلك الحالة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» [الآية: 179] أي لا يفهمون معاني الخطاب كما فهمه المحدثون وليس لهم تمييز خواطر الحق وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» [الآية: 179] شواهد التوحيد وعلامات اليقين ولا ينظرون إلا من حيث الغفلة ولا يسمعون إلا دواعي الفتنة ولا ينخرطون إلا في سلك ركوب الشهوة ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْفِثِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ» [الآية: 179] لأن الأنعام رفع عنها التكليف فإن لم يكن بها وفاق الشرع فليس منها أيضاً خلاف الأمر وأن الأنعام لا نهمة لها إلا الاعتلاف وما تدعو إلى الجبلية من مباشرة الجنس فكذلك من أقيم بشواهدا وأظهر على وصفها من المربوطين بأحكام النفس وفي معناه أنشدوا:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيها سوف تكره غبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم⁽¹⁾

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الآية: 180] هي أحسن أسماء المباني لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ الدالة عليها أو الصفات بنفسها ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الآية: 180] بتلك الأسماء وتخلقوا بتلك الصفات وتعلقوا بمحبة الذات/ فكل اسم يصلح للتخلق إلا لفظ الله فإنه للتعلق.

327/ ب

قال بعضهم: كل اسم من أسمائه يبلغك مرتبة من المراتب فاسمه الله يبلغك إلى الوله في حبه والرحمن الرحيم يبلغانك إلى رحمته وكذلك جميع أسمائه إذا دعوته بهما من خلوص ضميرك وصفاء عقلك وتحقيق هذا المبني في المقصد الأسنى وكذا في شرح الأستاذ للأسماء الحسنى.

وأفاد هنا من جملة ما أجاد أن الحق سبحانه تعرف إلى أوليائه بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو بأي وصف هو وما الواجب في وصفه وما الجائز في نعمته وما الممتنع في حقه وحكمه فيتجلى لقلوبهم بما يكشفهم به من أسمائه وصفاته وأن العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها على ما يصح إطلاقه في وصفه فإن كانت واقفة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته فللعقل

(1) كان عمر بن عبد العزيز يردده ويتمثل بهما. انظر: الكشكول (1/ 322)، وبهجة المجالس (1/ 244)، والبصائر والذخائر (1/ 234).

العرفان في الجملة وبالشرع بالإطلاق والبيان في الإخبار والقالة فما ورد به التوقيف يطلق وما سكت عنه التوقيف يمنع ويقال من كان الغالب عليه وصفاً من صفاته كان غلب على هجيره فمن كان مكاشفاً بعبثاته مربوط القلب بأفضاله فالغالب على قائلته الثناء عليه بأنه الوهاب والبار المعطي وما جرى مجراه ومن كان مجذوباً عن شهود الأنعام مكاشفاً بنعت الرحمة فالذي يغلب على ذكره وصفه بأنه الرحمن الرحيم الكريم وما في معناه ومن سمت همته عن شهود جوده واستهلك في حقائق وجوده فالغالب على لسانه الحق ولذلك أكثر أقوال العلماء في الإخبار عن الباري لأنهم في الترقى من شهود الفعل إلى شهود الفاعل وأهل المعرفة الغالب على لسانهم الحق لأنهم مختطفون عن شهود الآثار متحققون بحقائق الوجود ويقال إن الله سبحانه وقف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قالة وتعزز بذاته فالعقول وإن وصفت لا تهجم على حقائق الإشراف إذ الإدراك لا يجوز على الحق فالعقول عند بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عن التعرض للإحاطة والمعارف تائهة عند [قصد] الإشراف على حقيقة الذات والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك في أحوال/ 328 أ

الرؤية فالحق سبحانه عزيز وباستحقاق نعوت التعالي متفرد ﴿وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الآية: 180] وقرأ حمزة بفتح الباء والحاء أي: واتركوا الذين يزيفون ويميلون عن الحق إلى الباطل ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ [الآية: 180] أي: من جهة مبانيها أو طريقة معانيها أو من حملتها اشتقاق أسماء الآلهة منها كالكالات والعزى ومناة ونحوها وقيل: الإلحاد فيها تسمية بما لم يرو في الكتاب والسنة إطلاقها كيا سخي ويا مكار ويا عاقل وأشباهاها أو يوهم معنى فاسداً كقولهم يا أبا المكارم وأبيض الوجه وأمثالها ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 180] .

وأفاد الأستاذ: أن الإلحاد هو الميل عن الاقتصاد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان فأهل التمثيل زادوا فألحدوا وأهل التعطيل نقصوا فألحدوا .

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 181] أي: يقولون به ويدعون إليه أي: يقضون ويعملون وهم الصحابة والتابعون وفي الحديث لا تزال

من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله فالآية⁽¹⁾ دالة على صحة إجماع الأمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أجرى سنته بأن لا يخلي البسيطة من أهل لها هم الغيات وفيهم دوام الحق في الظهور في معناه قالوا:

إذا لم يكن قطب فمن ذا يديرها⁽²⁾

وهدايتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ويدلون على الحق ويتحركون بالحق ويسكنون للحق بالحق هم قائمون بالحق يصرفهم الحق للحق بالحق أولئك هم غياث الخلق هم يسقون إذا قحطوا ويمطرون إذا أجذبوا ويجابون إذا دعوا.

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنَا﴾ [الآية: 182] الدالة على تحقق ذاتنا وصفاتنا ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ [الآية: 182] سنستقر بهم قليلاً قليلاً إلى الحجاب ونستزلهم ساعة فساعة إلى العذاب ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَلْكُونُ﴾ [الآية: 182] أي: ما يريد بهم رب الأرباب أو من حيث لا يشاهدون الأسباب فكلما جددوا معصية جدد الله لهم نقمة وأنساهم التوبة عن تلك المعصية فانتقلوا من النعمة إلى النقمة ومن المنحة إلى المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستدراج هو أن يلقي في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة في الحقيقة والسابق لهم من القسمة حقائق الفرقة ويقال الاستدراج انتشار الصيت/ بالخير في الخلق والانطواء على الشر في السر مع الحق ويقال 328/ب الاستدراج الرجوع من توهم صفاء الأحوال إلى ركوب قبيح الأعمال ولو كان صادقا في حاله لكان معصوماً في أعماله ويقال الاستدراج دعاو عريضة صادرة عن معانٍ مريضة ويقال: الاستدراج إفاضة البر مع إنساء الشكر.

﴿وَأُمْلِلْ لَهُمْ﴾ [الآية: 183] أي: أمهلهم في ضلالهم المبين ﴿إِنَّ كَيْدِي

(1) تفسير أبي السعود (297/3)، وتفسير البضاوي (78/1).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (472/2).

مَتِينٌ ﴿الآية: 183﴾ أي: أخذي شديد ومكري أكيد وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان وصورته منحة ونعمة وحقيقته محنة ونقمة فأبي نعمة آخرها النار وأي محنة آخرها الجنة وفي الحديث أمهلناهم فظنوا أننا أمهلناهم⁽¹⁾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ [الآية: 184] أي: فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ حِجْنٍ﴾ [الآية: 184] ليس بنبيهم شيء من الجنون بل هو أعقل العقلاء من أرباب الفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 184] موضح إنذاره ومظهر أنواره.

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ [الآية: 185] نظر اعتبار ولم يتأملوا تأمل استظهار ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 185] في عجائب المخلوقات من عوالم العلويات والسفليات ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 185] أي: وفيما يقع عليهم اسم الشيء من المصنوعات الموجودات والممكنات التي لا يمكن حصرها ولا يتصور إحصاؤها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكتها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه نبيهم ﷺ فتفسير ما الذي بمعنى شيء بشيء للإشارة إلى أن المراد بما عام أي: أي شيء كما قال بعض أرباب الحال: ففي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد وقال بعض أبداع الله الأوليات من لا شيء ثم اخترع خلق البقيات بعد تلك الأشياء من السابقات كالسماء من دخان والملائكة من نور وآدم من تراب على سلسلة الموجودات فنبه على أن الملكوت أوليات وما سواها خلق من موجودات سابقات فعلى هذا من شيء متعلق بخلق لا بيانية كما في وجوه الإعرابات هذا وقيل: النظر في الملك والملكوت يورث الاعتبار والنظر إلى الملك وصفاته الجبروت يسقط عنك الاشتغال بالأغيار مع أنه في نظر الأحرار ليس في الدار غيره ديار ﴿وَأَنَّ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 185] عطف على ملكوت/ وأن مصدرية ومخففة واسمه ضمير الشأن وكذا اسم يكون في معرض البيان والمعنى أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها في كل حال من أحوالهم فيسارعون إلى تدارك الفوت قبل مفاجآت الموت ويبادروا إلى التوبة عن الحوبة قبل نزول العقوبة.

(1) انفرد به الملا علي القاري.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في مغاليط آمالهم ناسون لوشيك آجالهم فكم من ناسج لأكفانه وكم من بان لأعدائه وكم من زارع لم يحصد زرعه هيهات الكبش يعتلف والقصاب مستعد له ويقال سرعة الأجل تنقص لذة الأمل ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ [الآية: 185] أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 185] إذ لم يؤمنوا به والمعنى لعل أجلكم سبق أملهم فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوح هذا التبيان فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به ومن يضل الله فلا هادي له تقرير وتعليل لما قبله ونذرهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عاصم وعمر بن الخطاب لقوله.

﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية: 186] وحزمة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل ﴿فَكَلاَ هَادِيَ لَهُ﴾ [الآية: 186] ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ [الآية: 186] كأنه قيل من يضل الله لا يهده أحد غيره ويتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [الآية: 186] أي: ضلالتهم وكفرانهم ﴿يَهْمُونَ﴾ [الآية: 186] حال كونهم يترددون.

وأفاد الأستاذ: إن من حرمه أنوار التحقيق غمه في ضباب الجهل فهو يزول يميناً ويسقط شمالاً.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ [الآية: 187] أي: القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها كأنه ساعة أو لأنها على طولها عند الله كساعة أو من باب التسمية بأضدادها ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [الآية: 187] أي: متى يكون إرساؤها أو أن يوجد إثباتها نزلت في قريش يسألون عن وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ [الآية: 187] استأثر به ذاتها لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا ﴿لَا يَجْلِبُهَا لُوقُئًا﴾ [الآية: 187] أي: لا يظهر أمرها في زمانها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 187] والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها.

وأفاد الأستاذ: أن السائل عن الساعة رجلان منكر يتعجب لفرط جهله وعارف مشتاق يستعجل لفرط شوقه والمتحقق بوجوده ساكن في حاله فسيان عند قيام القيامة ودوام السلامة والإيمان بها غيب ويقين/أهل التوحيد صاف

عن شوائب الريب ﴿فَقُلْتُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 187] عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين بشدة هولها وكأنه إشارة إلى إخفائها وهذا قول ابن عباس واختاره ابن جرير أو شقت عليهما عند وقوعها حتى انهدمت وانشقت وهذا قول ابن عباس أيضاً ووافقه ابن جريج أو ثقل خفاؤها على أهلها وهو قول قتادة أو خفيت فيها لا يعلمها أحد من أهلها وكل خفي ثقيل على الخاطر وييل وهذا قول السدي وعلى الوجوه كلها كلمة في استعارة منبهة على تكمن ثقلمها ﴿لَا تَأْتِيكَ إِلَّا بَفْئَةٍ﴾ [الآية: 187] إتيان فجأة على حال غفلة كما روي عنه عليه السلام أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه⁽¹⁾ من هذا عند النفخة الأولى وهي مبدأ القيامة الكبرى التي توجد البعثة عند النفخة الثانية هذا وقيل من مات فقد قامت قيامته⁽²⁾ والموت إن لم يكن بغتة فمقدماته لا تكون إلا فجأة فرحم الله من تنبه عن قوم الغفلة واستعد الزاد لهذه الرحلة ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾ [الآية: 187] أي: عالم بها كذا قاله ابن عباس وغيره وهو فعيل من خفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحکم علمه به ولذلك عدي بعن ولما كان المبالغة في السؤال مستلزماً للعلم أطلق الحفي وأريد به العالم أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت وقتها وقيل عنها متعلقة بيسألونك ﴿قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: لا يطلع عليه أحد سواه كرره للمبالغة فيما أخفاه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 187] أن علمها مختص به لم يؤته أحداً من خلقه.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ [الآية: 188] أي: فضلاً عن غيري ﴿فَنَعَا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية: 188] جلب خير ولا دفع شر وهو إظهار للعبودية وتبرء عن ادعاء علم الغيب الخاص بالمرتبة الربوبية ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية: 188] بأن يلهمني إياه ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ [الآية: 188] بوقت حصول الخير ونزول الشر ﴿لَاسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الآية: 188] أي: الشر والمعنى لو كنت أعلم

(1) تفسير الطبري (13/297)، وتفسير ابن كثير (3/519).

(2) سبق تخريجه.

الغيب في مالي لخالفته حالي من اكتساب المبار واجتناب المضار فلم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى/ أو رابحاً تارة وخاسراً أخرى في تجارة الدنيا ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ أَوْبَشِيرٌ﴾ [الآية: 188] ما أنا إلا عبد مرسل لإنذار الفجار وبشارة الأبرار ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 188] في الحقيقة لأنهم هم المنتفعون نزلت حين قالت قريش ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشتري وتربح والأرض التي تريد أن تجرب وترتحل إلى الأرض التي تخصب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمره بتصريح الإقرار بتبريه عن حوله ومنته أي قوته وأن قيامه وأمره ونظامه بطول ربه ومنته ولذلك يتجنس على الأحوال ويختلف في الأطوار فمن عسر يمسنى ومن يسر يخصني فلو كان الأمر بمرادي ولم يكن بيد غيري قيادي تشابهت أحوالي في اليسر ولتشاكلت أوقاتي في البعد من العسر.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [الآية: 189] هو آدم عليه السلام.

قال الأستاذ: إنه سبحانه أخرج النسمة من نفس واحدة وأخلاقهم مختلفة وهمهم متباينة كما يخلق الشخص من نطفة واحدة وأعضاء الشخص وأجزاؤه مختلفة فمن قدر على تنويع النطفة المتشاكلية أجزاؤها فهو القادر على تنويع أخلاق الذين أخرجهم من نفس واحدة ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهَا﴾ [الآية: 189] أي: وخلق من جسدها وهو ضلع من أضلاعها وجنسها لقوله ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: 72] ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية: 189] حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ [الآية: 189] ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل بالمثل وربط الشكل بالشكل ليعلم العالمون أن سكون الخلق من الخلق لا إلى الحق وكذلك أنس الخلق بالخلق لا بالحق فالحق تعالى قدوس منه كل حظ للخلق خلقاً وهو منزّه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقاً ثم ذكر الضمير ذهاباً إلى المعنى ومناسبة للمبنى وفقت بالجهل لخفته ﴿فَلَمَّا أَثَقَّ﴾ [الآية: 189] صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها

﴿دَعُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 189] ﴿رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا﴾ [الآية: 189] أعطيتنا ﴿صَلِحًا﴾ [الآية: 189] بشراً سوياً أو ولدأً صلح بدنه رضيعاً فإنهما أشققا وخافا أن يكون بهيمة على ما قاله الضحاك ونقل عن ابن عباس ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية: 189] على هذه النعمة المجددة.

330/ب ﴿فَلَمَّا آتَيْنَاهُمَا صَلِحًا جَلًّا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيْنَاهُمَا﴾ [الآية: 190] أتى/أولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190] .

وأفاد: الأستاذ إن شر الناس من يتهل إلى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فإذا أزيل شكاياته ورفع منه آفاته ضيع الوفاء ونسي البلاء وقابل الرغد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الرد أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم وخرطهم في سلك أهل الرد وروي أنه لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فخوفها مراراً كثيرة وذكرت ذلك لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثاً في الملكية فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث ولم يعرفا أنه من تلبس إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن عباس وكثير من السلف والخلف على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس⁽¹⁾ لكنه في رواية الكل نوع ضعف على ما ذكره المحققون ففي الجملة له أصل ثابت وهذا ليس بشرك حقيقي لأنهما ما اعتقدوا أن الحارث ربه بل قصدوا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركاً للتغليظ فإن الذنب من العارفين الموقنين أشد وأعظم من عامة المؤمنين فإن الأولى بهما أن لا يعلن أن ما أتيا به من الشرك الخفي كما يفعله الجهلة في

(1) تفسير الطبري (13/307)، وتفسير ابن كثير (3/525).

زماننا من تسميتهم بعبد النبي وعلى هذا يكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد تجوز وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي: شركة بأن أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم شركاً قيل ويحتمل أنهما لما فعلا هنالك اقتدى لهم بعض الناس بذلك فسموا أولادهم عبد شمس ونحوه فنسب إليهما كل ذلك/ لتسبيهما 331/أ ثم قال ﴿فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190] أي: إشراكاً جلياً أو خفياً.

﴿أَشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً﴾ [الآية: 191] أي: الأصنام ﴿وَهُمْ يُخَلِّقُونَ﴾ [الآية: 191] أي: جميعهم كسائر الأنام.

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً فمن وصف الحق بخالص وصف الخلق فقد ألحد ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هَمًّا﴾ [الآية: 192] لعبدتهم ﴿نَصْرًا﴾ [الآية: 192] نصرة ومنفعة ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية: 192] فيدفعون عنها شيئاً من المضرة.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ [الآية: 193] أي: المشركين ﴿إِلَى الْمُلْكِ﴾ [الآية: 193] أي: الإسلام وترك الهوى ﴿لَا يَسْتَعِزُّوكمُ﴾ [الآية: 193] وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين لا له ﷺ وأتباعه من المسلمين وهم في تدعوهم ضمير الأصنام لا المشركين والمعنى أن تدعوهم أن يهدوكم لا يتبعوكم ويلائمه قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾ [الآية: 193] ساكتون لهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه بين أن المعبود هو القادر على هداية داعيه وعلم العبد بقدرة معبوده يوجب تبريه من حوله وقوته وإفراد الحق تعالى بالقدرة على قضاء حاجته وإزالة ضرورته فيتقاصر عن قصد الخلق خطاه وينقطع آماله من غير مولاه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 194] أي: تدعوهم عباده وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَتَالَكُمْ﴾ [الآية: 194] من حيث أنها مملوكة له مسخرة لأشباهكم ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 194] إنها آلهة وتستحق العبادة.

وأفاد الأستاذ: أنها إذا قرنت الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء وترادف العناء فالمخلوق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد المراد من النجاح وكيف يشكك من هو أخيد شكاته هيهات إن ذلك خطأ من الظن وباطل من الحساب.

﴿الْهَمُّ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ هُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الآية: 195] فيه تنبيه على أن الأصنام المنحوتة بأيديكم وقوة أفعالكم لو كانوا أحياء عقلاء أمثالكم ما كانوا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ولا يستوجب طاعتكم وكيف وهم دونكم في المرتبة وهو يتصور أن يكون المعبود أنقص رتبة من العابد وأعجز في تحصيل المقاصد.

وقد أجاب الأستاذ فيما أفاد بقوله: بين بهذه الآية أن الأصنام التي 331/ ب عبدوها دونهم فيما اعتقدوا/ فيه صفة المدح ثم [لم] يعبد بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فوقهم في النقص ﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ [الآية: 195] واستعينوا بهم في عدواني ﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾ [الآية: 195] أي: بالغوا أنتم وإياهم فيما يقدرون عليه من مكروهاتي ﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ [الآية: 195] فلا تمهلوني ولا تهملوني فإني بكيدكم لا أبالي لو ثوقي على ولاية ربي المتعالي.

قال الأستاذ: صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله كيف لا والتفرد بالقدرة على النفع والضرر والخير والشر هو الله.

﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾ [الآية: 196] القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 196] بتوفيق الإيمان وتحقيق الإحسان والصالِحون يتناول الأنبياء والمؤمنين الأصفياء.

وقال الواسطي: يتولى الصالحين بالوقاية ويتولى الفاسقين بالغواية.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله يتولى الله أموره على وجه الكفاية فلا -- يحوجه إلى أمثاله ولا يدع شيئاً من أحواله إلا أجراه على ما يريده بحسن إفضاله فإن من لم يفعل ما يريده جعل العبد راضياً بما يفعله وروح الرضا

على الإسرار أتم من راحة الغطاء على قلوب الأبرار.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية: 197] من شمس أو قمر وكوكب أو نبي مرسل أو ملك مقرب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الآية: 197] لعدم استقلالهم في أفعالهم وأحوالهم فكيف هؤلاء الجماد من الأصنام التي في أدنى مراتب الأنام.

﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ﴾ [الآية: 198] أي: المشركين ﴿إِلَى الْمَلِكِ﴾ [الآية: 198] والخطاب له ﷺ والمؤمنين ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾ [الآية: 198] سماع قبول ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: 198] أنوار الحق عليك لقصور نظرهم الحاصل على الحاضر من غير ترق إلى عالم السر.

وأفاد الأستاذ: أنهم شاهدوه بأبصار رؤوسهم لكنهم حجبوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقلوبهم فلم يعتد برؤيتهم ويقال رؤية الأكابر ليست بشهود أشخاص لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفة الغيب وذلك على تقادير الاحترام وحصول الإيمان انتهى وأما جعل ضميرهم إلى الأصنام فبعيد عن المرام في هذا المقام.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الآية: 199] أي عن المستئين ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الآية: 199] أي: بالمعروف من أفعال المحسنين ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية: 199] أي: اصفح عن أعمال الغافلين وهذه الآية لمكارم الأخلاق جامعة وقد جاء في تفسيرها 332/أ حديث قدسي وكلام أنسي وهو أن تعفو عن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن العفو من خصائص سُنَّة الله تعالى في الكرم فأمر نبيه ﷺ بالأخذ به على الوجه الأتم إذ الخبر ورد بأن المؤمن آخذ من الله خلقاً حسناً وكلما كان الجرم أكثر فالعفو عنه أجل وأكمل وأعظم وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يوفق للعفو عن الأصاغر والخدم وقد قال ﷺ في

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/279) رقم (909)، والمعجم الكبير (20/188) رقم (413)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/235) رقم (20880).

الجراحات التي أصابتهم في حرب أُحُد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون⁽¹⁾ ثم أفضل العرف أن يكون أكمل العطاء لأكثر أهل الجفاء وبذلك عامل رسول الله ﷺ عامة الناس ثم الإعراض عن الأغيار بالإقبال على من لم يزل ولا يزال وفي ذلك النجاة من الحجاب والتحقق بما يتقاصر عن شرحه الخطاب.

﴿وَأَمَّا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ [الآية: 200] أي: وأن ينخسك منه نخس بوسوسته تحملك على خلاف ما أمرت به من طاعة كاعتراك غضب وكراهة ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 200] في تلك الحالة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 200] بمقالك ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 200] بحالك.

وقال الأستاذ: إن سنح في باطنك من الوسواس أثر فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق وإن هجس في صدرك من الحظوظ خطرة فاستعذ بالله يدركك بإزالة كل نصيب وإن لحقتك عزة في بذل الجهد فترة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التأييد وإن اعتريك في الترقى إلى محل الوصول وقفة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التحقيق وإن تقاصر عنك في خصائص القرب صيانتك لك عن شهود المحل فاستعذ بالله بتثبتك له لا لك بك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الآية: 201] مخالفة الله أو مخالفة ما سواه ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ﴾ [الآية: 201] لمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي طيف أي: خيال ووسوسة ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكُّرًا﴾ [الآية: 201] تنبهوا وتصوروا ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الآية: 201] بسبب تذكر مواقع الخطاب ومواقع 332/ ب الحجاب فيحترزون منها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله سبحانه.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الآية: 202] وقرأ نافع من الإمداد أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا في الدين يهديهم الشياطين ويزيدونهم ﴿فِي الْغَيِّ﴾ [الآية:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3477)، وابن حبان في الصحيح (254/3) رقم (973)، والطبراني في المعجم الكبير (120/6) رقم (5694).

[202] أي: الضلالة بالتزيين ﴿ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ﴾ [الآية: 202] أي: يمتنع الشياطين ولا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم إلى ولائهم أو لا يكف الإخوان عن الغي والهوى ولا يقصرون عن المتقين الشائعين للهدى.

وقال الأستاذ: إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طيف الشيطان فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهودهم الله لأنه ينخنس عند ذلك ولكل صارم نبوه ولكل عالم هفوة ولكل عابد شدة ولكل قاصد فترة ولكل سائر وقفة ولكل عارف حجة قال ﷺ «الحدة تعتري خيار أمتي» فأخبر أن خيار الأمة وإن جلت رتبته لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم فتخرجهم عن دوام الحلم ثم إخوان الشياطين أرباب دوام الغفلة فهم في كمال الغفلة تدوم بهم الحجة فمن هم بالذلة من لم يلم أو ألم ولكن لم يصرفهم الخيار ومن غفل أو اغتر وعلى دوام الغيبة أصر فهم المحجوبون قطعاً والمبعدون عن محل القرب صداً ورداً.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ [الآية: 203] من القرآن أو مما اقترحوه في معارضة العدوان ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْنَاهَا﴾ [الآية: 203] أي: هلاً جمعتها وأتيتها من عند نفسك أو هلاً طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ [الآية: 203] لست بمخترق لآية ولا بمقترح من حجة ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 203] أي: حجج بينة ظاهرة يبصر بها القلوب صوب صواب المحجة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 203] لا للذين هم في طريق الحق معاندون.

وأفاد الأستاذ: إن من شاهد الخلق من حيث سقط في مهوات المغاليط فهو في متاهات الشك يجوب منازل الريب ولا يزداد إلا عمى على عمى ومن طالع الخلق بعين تصريف القدرة إياهم تحقق بأنهم لا يظهرون إلا في معرض اختيار الحق لهم فهو ينظر بنور البصيرة ويستديم شهود التصريف بوصف السكينة.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الآية: 204] اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمْ

333/ أ تُرْحَمُونَ ﴿[الآية: 204] / نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرأ القرآن مطلقاً وعمامة العلماء على استحبابها خارج الصلاة واستدل به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ظاهر وجهه خلافاً لمن خالفه وصفه هذا والأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة على ما قاله مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وجمع كثير من السلف أو في ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها على ما قاله الزهري ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً وعن ابن عباس ومجاهد لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ثم الخطبة حكمها كالصلاة.

وقال الأستاذ: واستمعوا له بسمع الإيمان والتصديق وأنصتوا بالنسبة لخواطر عن معارضات الاعتراض ومطالبات الاستكشاف ومن باشر التحقيق سره لازم التصديق قلبه والإنصات في الظواهر من آداب أهل الباب والإنصات بالسرائر من آداب أهل البساط قال الله تعالى في نعت توابي الجن بعضهم لبعض عند شهود الرسول ﷺ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ [الأحقاف: 29] فإذا كان حضرة الواسطة توجب هذه الهيئة فلزوم الهيئة وحفظ الأدب عن حضور القلب بشهود الرب أولى وأحق قال الله تعالى ﴿وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108] .

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الآية: 205] عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرها ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الآية: 205] أي: متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية: 205] أي: ومتكلماً كلاماً دون الجهر وفوق السر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص والخضوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِالْقُدُّوْ وَالْأَصَالِ﴾ [الآية: 205] بأوقات الغدو والعشيات ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْذَلِيلِينَ﴾ [الآية: 205] في جميع الأنفاس والساعات.

وأفاد الأستاذ: أن التضرع إذا كوشف بوصف الجمال في أوان البسط والخيفة إذا كوشف بنعت الجلال في أحوال الهيئة وهذا للأكابر فأما من 333/ ب دونهم فتنوع أحوالهم من حيث الخوف والرجاء والرغبة والرغبة ومن فوق/

الجميع فأصحاب البقاء والفناء والصحو والمحو ووراهم أرباب الحقائق مشبتون في أوطان التمكين فلا تلون لهم ولا تجنس لقيامهم بالحق وامتحائهم عن شواهدهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية: 206] أي: الملاء الأعلى من المقربين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الآية: 206] بل يفتخرون بطاعته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ [الآية: 206] ينزهونه من جهة ذاته وصفاته ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الآية: 206] ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره في الطاعة وهو تعريض بمن عداهم من خليقته ولذا شرع السجود لقراءته والمعنى أنهم مع كونهم آمنين من خوف سوء العاقبة وعذاب يوم القيامة متوجهون إلى عبادته وقائمون بطاعته ومنقادون بسجده فأنتم مع خوفكم كيف تتمادون في الغفلة وتطيعون غيره في السجدة وهذا أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع على خلاف وجوبها واستحبابها وعنه ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فله الجنة وأمرت بالسجود وعصيت فلي النار⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم أحكام العبودية لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم وهذه سُنَّة الله تعالى مع خواص عباده يلقاهاهم بخصائص عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق لئلا يخلو بآداب العبودية في أوان جود الحقيقة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (133/81)، وابن ماجه في السنن (334/1) رقم (1052)، والبيهقي في السنن الكبرى (312/2) رقم (3516)، وابن حبان في الصحيح (465/6) رقم (2759).



سورة الأنفال

[مدنية]

وهي ست وسبعون آية^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ بسم الله إخبار على قدرته عن الإبداع والاختراع الرحيم الرحيم إخبار عن نصرته بالامتناع وحسن الدفاع فبقدرته أوجد ما أوجد من مراده وبنصرته وحد من وحد من عباده.

﴿يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال، الآية 1] أي: الغنائم وسميت الغنيمة نفلاً لأنها عطية من الله وفضيلة زائدة كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الآية: 1] أي: أمرها مختص بهما يقسمها الرسول ﷺ على ما يأمره الله به.

وأفاد الأستاذ: أن الأنفال هاهنا ما آل إلى المسلمين من أموال/المشركين 334/أ وكان سؤالهم عن حكمها فقال تعالى قل لهم إنها لله ملكاً ولرسوله ﷺ الحكم فيها بما يقضي به أمراً وشرعاً ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] أي: الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله ورسوله فيما يأمره وينهاه ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 1] فإن الإيمان يقتضي ذلك بحكم اليقين أو إن كنتم كاملي الإيمان في أمر الدين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما ضحكك يا رسول الله؟ قال: رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أخي قال الله أعط أخاك مظلمته قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال: يا رب يحمل عني من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى أن يتحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال هذا لمن أعطى الثمن قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال أنت قال بماذا؟ قال بعفوك عن أخيك قال: رب قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة⁽¹⁾.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى منادياً أهل التوحيد أن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب كذا في «الدر المنثور» في التفسير المأثور.

وقال الأستاذ: في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 1] اجتنبوا لأمر الله أن تطيعوا دواعي مناكم والحكم بمقتضى هواكم والتقوى إثارة رضى الحق على مراد النفس ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] بالانسلاخ عن شح النفس وإثارة حق الغير على ما لكم من النصيب والحظ وتنقية القلوب عن خفايا الحسد والحقد 334/ب ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 1] أي: في الإجابة إلى ما يأتىكم من الإرشاد والهداية ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 1] أي: سبيل المؤمنين أن لا يخالفوا هذه الجملة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 2] أي: الكاملون ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 2] فزعت لذكره وخافت لفكره استعظاماً لجلاله وقدره قال بعضهم: الوجل على مقدار المطالعات فإن طالع السطوة هابه مخافة موته وإن طالع وده هابه مخافة قوته وجملة ذلك من طالع التقريب بالتأديب وجل ومن طالع التهديد بالتبديد وجل ومن طالعه مغيباً عن مشاهد قائماً بسرمد خالياً من أزمه وأبدته فلا

(1) تفسير ابن كثير (4/ 11)، والدر المنثور (4/ 10)، وكنز العمال (3/ 58) رقم (5482).

وجل حينئذٍ ولا اضطراباً ولا تباعد ولا اقتراب فإنه تحقق بالذات ونسي الصفات وفني بالذات عن الذات كما هرب رسول الله ﷺ عن الصفات إلى الذات فقال: أعوذ بك منك⁽¹⁾ كذا في «حقائق السلمي».

وأفاد الأستاذ: أن الوجل شدة الخوف ومعناه هاهنا أنه يخرجهم الوجل عن أوطان الغفلة ويزعجهم عن مساكن الغيبة فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة وفأثروا إلى مشاهد الذكر نالوا السكون إلى الله فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق وتحقيقاً على تحقيق فإذا طالعوا جلال قدره وأيقنوا قصورهم عن إدراكه توكلوا عليه في إمدادهم برعايته في نهايتهم كما استخلصهم بعنايته في بدايتهم ويقال: سُنَّةُ الحق سبحانه مع أهل العرفان أن يردوهم بين كشف جلال وبين لطف جمال فإذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم وإذا لطفهم بجماله سكنت قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وَنُطْمِئِ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: 28] وجلت قلوبهم بخوف فراقه ثم تطمئن وتسكن أسرارهم بروح وصاله فذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يصحيهم ويحييهم ويقال: الطالبون في نوح رهبتهم والواصلون في روح قربتهم والموحدون في محو غيبتهم استولت عليهم الحقائق فلا لهم تطلع إلى وقت مستأنف فيستفزههم خوف أو يهزههم طمع ولا لهم بأحوالهم إحساس فتملكهم لذة إذ لما اضطلموا ببواده ما ملكهم/ فهم محو عنهم والغالب عليهم سواهم ﴿وَإِذَا تُلِيََتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الآية: 2] اطمئنناً بالدين ورسوخاً باليقين أو لزيادة المؤمن به في كل حين قال جنيد: زادتهم إيماناً بأن لا سبيل لهم إلى الوصول إلى الله إلا به وقال بعضهم: أظهر عليهم ببركة التلاوة زيادة يقين في بواطنهم وزيادة طاعة في ظواهرهم كذا ذكره السلمي ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية: 2] يعتمدون فيما يذرون ويفعلون ولا يخشون إلا الله ولا يرجون إلا إياه ولا يلتفتون إلى ما سواه.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [الآية: 3] أي: يديمونها ويحافظون على شروطها وأركانها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] في سبيل الله وطريق رضاه فهم

(1) سبق تخريجه.

الجامعون بين العبادة البدنية والطاعة المالية.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يرضون في أعمالهم بإخلال ولا يتصفون بجمع مال من غير حلال ولا يعرجون في أوطان التقصير بحال.

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: 4] ولأنهم حققوا إيمانهم صدقاً بأن ضموا إليه مكارم الأحوال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل ونحوها ومحاسن أفعال البدنية التي مدار الطاعة عليها ومعيار العبادة لديها من الصلاة والزكاة والصدقة وأمثالها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين صفتهم أن لا يكونوا للشريعة عليهم نكير ولا لهم عن أحكام الحقيقة معدل ومعيد ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: 4] أي: حققوا حقاً وصدقوا صدقاً أو حق لهم حقاً ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ [الآية: 4] كرامة وعلو منزلة ورفعة قربة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] على قدر مراتبهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ [الآية: 4] لما صدر عنهم وفرط منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية: 4] نعيم مقيم لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمدده ولا مدده.

وقال الأستاذ ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] على حسب ما أهلهم به من الرتب فبسابق قسمته لهم استوجبوها ثم بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلغوها ولهم مغفرة في المآل لمسيئتهم وفي الحال لمحسنهم والمغفرة الستر والحق سبحانه يستر مثالب العاصين ولا يفضحهم لثلا يحجبوا عن مأمول أفضالهم ويستر مناقب العارفين عليهم لثلا يعجبوا بأعمالهم وأحوالهم وفرق بين/ستر وبين ستر وشتان ما هما وأما الرزق الكريم فيحتمل أنه الذي يعطيه من 335/ب حيث لا يحسب ويحتمل أنه الذي لا ينقصه بإجرامهم ويحتمل أنه لا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ويحتمل أنه رزق الأسرار بما يكون استقلالها به من المكاشفات.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: هذه الحال في كراحتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراحتهم له ﴿وَإِنَّ قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَايُومُونَ﴾ [الآية: 5] جملة حالية وذلك أن غير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة

ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمر بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمر بن هشام فأخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقاها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تغلحوا أبداً فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوماً في السنة وكان رسول الله ﷺ بوادي دفران فنزل عليه جبريل للوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فاستشار فيهم أصحابه فقال بعضهم: هلاً ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير فردد عليهم وقال: إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فأحسنا ثم قام سعد بن عباد فقال: أنظر أمرك فامض فيه فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو: امض بما أمرك الله فإننا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه وبالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف ﷺ أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ﷺ قال: أجل قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطينا على ذلك عهدونا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنَّا لصبرٌ عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال: سيروا على بركة الله وابتشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنني أنظر إلى مصارع القوم.

-- هذا وفي «حقائق السلمي» قال بعضهم: أفناك عن أوصافك ومواضع سكونك وإغفارك وما كان يميل إليه قلبك لئلا تلاحظ محلاً ولا تسكن إلى

مألوف أصلاً فأخرجك من المألوفات ليكون بالحق قيامك وعليه اعتمادك وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ظاهر خروجك ومفارتك وطنك ولا يعلمون أن خروجك منه الخروج عن جميع الرسوم المألوفة والطبائع المعهودة وأنت بمفارقة هذا الوطن المعتاد يصير الحق وطنك.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ [الآية: 6] أي: في إثباتك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقى العير عليه طلباً وميلاً إلى السهل ﴿بَعْدَمَا بَيَّنَّ﴾ [الآية: 6] أي: ظهر لهم الحق بأنهم ينصرون أينما توجهوا لإعلام رسول الله ﷺ إياهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية: 6] أي: يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم عددهم إذ روي أنهم كانوا رجالاً وما كان فيهم إلا فارسان فكان مجادلتهم لفرط فزعهم ورعبهم لا لمخالفة أمره ﷺ / 336 ب لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الجدال منهم عادة وسجية وفي كل شيء لهم اختيار وجدال فكرهوا خروجه إلى بدر فجادلوه فيه كما جادلوه في حديث الغنيمة في قوله تعالى ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الآية: 1] وما يكون من خصال العبد أفراد غير متكرر أو يكون على وجه القدرة كان أقرب إلى الصفح والتجاوز عنه وأما إذا صار ذلك عادة فهو أصعب ويقال ما لم تباشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار وما دام يتحرك في العبد عرق في الاختيار فهو بعيد من ذوق راحة الإيمان ولقد أجرى الله سُنته مع أوليائه وكذلك كانت سُنته سبحانه مع أنبيائه أنه لا يتيح لهم كمال إلا بعد مفارقة مألوفات الأوطان ومساكنة ما لهم فيه حظ ونصيب من كل معهود ويقال في هجرة الأنبياء من أوطانهم أمان لهم عن عادية الأعادي وإحياء لقلوب قوم تقاصرت أقدامهم عن المسير إليهم وكذلك هجرة الأولياء من خواصه فيها لهم خلاص من البلايا واستخلاص كثير من المزايا ثم جحود الحق بعد وضوح برهانه علم لاستكبار صاحبه وهو في الحال في وحشة غيه معاقب بجرح الصدر وتنغص العيش يملّ حياته ويتمنى وفاته كما قال سبحانه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية: 6] .

﴿وَإِذْ يَبْعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ [الآية: 7] العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ﴾ [الآية: 7] بدل اشتغال ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ﴾ [الآية: 7] أي: صاحبة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الآية: 7] يعني العير لقلنتهم دون النفير لكثرتهم.

وأفاد الأستاذ أن التعرّيج في أوطان الكسل ومساكنة مألوفات الراحة من خصائص أحكام النفس فهي بطبعها تؤثر في كل حال نصيبها ويتعجل لذة حظها ولا يتعجل أحد إلى جلائل النعم إلا بتجرع كاسات شدائد الألم والانسلاخ عن معهودات النصيب والرضى بالقسم.

وفي «دقائق الحقائق» من ظن أنه يصل إلى الحق بالجهد فمتن ومن ظن أنه يصل بغير الجهد فمتن وقال بعضهم/ لا يصل أحد إلى حياة القلب ما لم يمت نفسه بنزع الشهوات عنها ومخالفتهما في جميع أحوالها وهو معنى قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الآية: 7] ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ [الآية: 7] أي: بمشيئته ويبينه ويعليه ويغلبه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ [الآية: 7] الموحى بها في هذا المراد وبأوامره للملائكة بالإمداد ﴿وَيَقْطَعُ دَائِرَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 7] أي: باستئصالهم من البلاد والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ومنا لا ولا تلقوا مكروها ولا ملالا والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق اليقين وإبطال أمر الكافرين.

وقال الأستاذ: إذا أراد الله سبحانه تخصيص عبد بولايته قضى لطوارق نفسه بالأفول وحكم لغصن شهواته بالذبول وأبى لطوابع الحقائق إلا إشراقها ولوامع الموانع إلا استحقاقها والحاصل أنه سبحانه فعل ما فعل.

﴿يُحَقِّقُ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية: 8] قال في الأوائل:

قال الواسطي: يحق الحق بتجلي أنواره ويبطل الباطل بأستاره وقيل: يحق الحق بالبراهين ويبطل الباطل بالدعاوي كذا ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل المجهود والتحقيق لما يظهر من عين الجود ويقال: ليحق الحق بنشر أعلام الوصل ويبطل الباطل

بقهر أقسام الهزل.

﴿إِذْ تَسْتَفِئُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الآية: 9] أي: حين علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يده يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر: يا نبي الله كفاك مُناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك⁽¹⁾. قيل من صدق اللجأ في استغاثة أجياب في الوقت وحالته ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ﴾ [الآية: 9] أي: بأني معينكم ﴿مِنَ الْمَلَكِ﴾ [الآية: 9] أي: (بالقتال) ألف منهم ﴿مُرِيدِينَ﴾ [الآية: 9] متبعين بعضهم بعضاً أو متبعين المؤمنين وقرأ نافع بفتح الدال أي: متيقنين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة أو ساقاة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 10] أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرًا﴾ [الآية: 10] بشارة بالنصر ﴿وَلِتُطْمِئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 10] فيزول بها ما في صدوركم من الوجل / 337 ب لقلتكم وذلّتكم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [الآية: 10] وأما إمداد الملائكة وكثرة العدد والعدد ونحوها فوسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا بفقدها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 10].

وأفاد الأستاذ: أن الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنة والطاقة والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على إزالة الشكاية تيسير للمسؤول وتحقيق للمأمول فإذا صدقت الاستغاثة بعجل الإجابة وحصل الأمان وقضيت الحاجة بذلك جرت سُنَّة العادة ويقال بشرهم بالإمداد بالملك ثم رقاهم عن هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من الملك لم يذرهم في المساكنة إلى الإمداد بالملك فقال: وما النصر إلا من عند الله ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1763/58)، والترمذي في الجامع الصحيح (269/5) رقم (3081)، والنسائي في السنن الكبرى (155/6) رقم (10442)، وابن حبان في الصحيح (114/11) رقم (4793).

[الآية: 10] فالنجاة من البلاء حاصلة وفنون الإنجاز والإمداد بالطفاه متواصلة والدعوات مسموعة والإجابة غير ممنوعة وزوائد الإحسان متاحة ولكن الله عزيز فالطالب واحد ولكن لعطائه والراغب واصل ولكن إلى مباره والسييل سهل ولكن إلى وجدان لطفه فأما الحق فهو عزيز وراء كل فصل ووصل وقرب وبعد وما وصل أحد إلا إلى نصيبه وما بقي أحد إلا عن حظه وفي معناه قيل:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما نضيء لمن يسري بليل ولا نقري
فلا بذل إلا ما تزود ناظر ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري⁽¹⁾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته إياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويغشيكم النعاس بالرفع ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: 11] أمناً من الله وهو مفعول له في المعنى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً يَلْعَلُّكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 11] من الحدث والجنابة ﴿وَيَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسُ الَّذِي تَحْمِلُونَ﴾ [الآية: 11] أي: وسوسته وتخويفه إياهم من العطش ﴿وَلَيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 11] بالوثوق على لطف الله بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أقدامكم أو بالربط أقدامكم حال إقدامكم قيل: 338 أ القلوب ثلاثة قلب مربوط بالكائنات وقلب مربوط بالأسامي/ والصفات وقلب مربوط بالذات.

وأفاد الأستاذ: إنه غشيهم النعسة تلك الليلة فأزالت عن ظواهرهم ونفوسهم كد الإعياء والكلال وأنزل على قلوبهم روح الأمن وأمطرت [السماء] فاغتسلوا بعدما لزمتهم الطهارة الكبرى بسبب الاحتلام واشتدت الأرض بالمطر فلم ترسب الأقدام في رملها وانتفى عن قلوبهم ما كانت الشياطين توسوس به إليهم أنه يصيبهم العناء بسلوك الرمل والبقاء عن الغسل فلما باينهم الإحساس واستمكن النعاس وتداركتهم النصرة والعناية استيقنوا بأن الإعانة من قبل الله لا بسكونهم وحركاتهم وأشهدهم صرف التأيد وإتمام الكفاية ولما طهر ظواهرهم بماء السماء طهر سرائرهم بماء التحقيق عن شهود

(1) نسب إلى علي بن الجهم، انظر: محاضرات الأدباء (1/ 425)، والزهرة (1/ 12).

كل غير وكل علة وصان أسرارهم عن الإصغاء إلى الوسواس فربط على قلوبهم بشهودهم جريان التقدير على حسب ما يجريه الحق سبحانه من فنون التصريف ﴿وَيُثَبِّتْ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] أقدام الظواهر في مشاهد القتال وإقدام السرائر على نهج الاستقامة بشهود مجاري التقدير.

﴿إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] في إعانتهم وتثبيتهم ﴿فَتَنَبَّأُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 12] بتبشيرهم وتسكين فؤادهم أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم ﴿سَأَلْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الآية: 12] كالتفسير لقوله: ﴿أَنِّي مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفنا أن الملائكة محتاجون إلى تعريف الحق إياهم قضايا التوحيد وتثبيتهم المؤمنين قيل: كانوا يظهرون للمؤمنين في صورة الرجال ويخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد المشركين واستيلاء المسلمين عليهم وهم لا يعرفون أنهم ملائكة وقيل: تثبيتهم إياهم بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم إن الله تعالى يخلق لهم فهماً لذلك وكما يوصل الحق سبحانه وسواس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الملك وأمدهم بإلقاء الخوف والرعب في قلوب الكفار ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الآية: 12] أي: أعاليتها التي هي المذابح والرؤوس ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الآية: 12] إصبع ومفصل والمعنى جزوا رقابهم وقطعوا أطرافهم.

قال الأستاذ: وذلك بأمر الله وتعريفه/ من جهة الوحي والكتاب ويكون 338/ب معناه إباحة ضربهم ونيلهم على أي وجه كان كيف ما أصابوا سافلهم وأعاليتهم ويحتمل فاضربوا فوق الأعناق ضرباً يوجب قتلهم لأنه لا حياة بعد ضرب العنق ولفظ فوق يكون صلة وإلا فاضربوا منهم كل بنان أي: ضرباً يعجزهم عن الضرب ومزاولة المسلمين لأنه لا مزاولة تحصل بعد فوات الأطراف ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: الضرب أو الأمر به ﴿يَأْتِيهِمْ شَاقُوا اللَّهِ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 13] أي: خالفوها.

وقال الأستاذ: بين أنهم في مغاليط حسابهم وأكاذيب ظنونهم والمنشئ

بكل وجه الله لانفراده بقدرة الإيجاد ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَاُتِىَ اللَّهُ شَهِيدٌ أَلْوَقَايَ﴾ [الآية: 13] وعيد لهم بما أعد لهم في العقبي بعد ما حاق بهم في الدنيا. وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يمهّل المجرم أياماً ثم لا يمهله بل يذيقه بأس فعله ويزيل عنه شبهة ظنه.

﴿ذَلِكَكُمْ﴾ [الآية: 14] أي: العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ [الآية: 14] أيها المشركون معجلاً وعلّموا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ﴾ [الآية: 14] مؤجلاً فللعاصين عقوبتان محصل بنقد ومؤخر بوعد والمعنى ذوقوا ما عجل لم في الدنيا مع ما أجل لكم في الأخرى.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ [الآية: 15] حال كونهم كثيرين ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَارَ﴾ [الآية: 15] بالانهزام وقصد الفرار.

﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يَوْمِئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقَالٍ﴾ [الآية: 16] يريد الكر بعد الفرار ﴿أَوْ مُتَحَرِّفًا إِلَيْكَ فِتْنَةً﴾ [الآية: 16] أي: مجتمعاً إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم على أعداء الدين وانتصابهما على الحال وإلا لغو لا عمل له أو على الاستثناء من المولين أي: إلا رجلاً متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ﴿فَقَدْ بَكَءَ﴾ [الآية: 16] رجع ﴿يَغْضَبُ مِنْكَ اللَّهُ﴾ [الآية: 16] ﴿وَمَا أُوْنُهُ جَهَنَّمُ وَبُشَى الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 16] وهذا إذا لم يزد العدد على الضعف لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: 66] وقيل: الآية مخصوصة بأهل بدر.

وقال الأستاذ ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 15] في المعركة زحفاً مجتمعين فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا والشجاعة ثبات القلب كما قيل الشجاعة صبر ساعة وفي الجهاد مع العدو بالظاهر فالواجب الثبوت عن الصولة الأولى وكذلك في جهاد/ الباطن مع الشيطان فمن الواجب منه الوقوف عند دواعيه إلى 339/ أ الزلة فمن وقف على حد الإمساك عن إجابته بانجرار فيما يدعوه بوساوسه فقد وفى الجهاد حقه وكذلك في مجاهدة النفس فإذا وقف العبد عند إجابة النفس فما ترومه بهواجسها ولم يطع شهوته فيما تحمله النفس عليه من البدار إلى ابتغاء

حظه فقد وفى الجهاد حقه والإشارة في قوله: ﴿إِلَّا﴾ يعني غير ﴿مُتَحَرِّكًا لِقَائِهِ﴾ [الآية: 16] بإيثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو أشد كأكله مثلاً ما يقيم صلبه ونومه ليتقوى على السهر وكرفقه بنفسه بإيثار بعض راحات شبحة من إزالة عطش أو نفى مقاساة جوع أو برد أو غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه واستدامة اتصال قلبه بربه فإن ترك بعض أوراد الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حق الجهاد بحزم والإشارة في قوله: ﴿أَوْ مُتَحَرِّكًا إِلَيْكَ فَشَرًّا﴾ [الآية: 16] إلى اعتقاد المريد بصحبة أقرانه فيما يساعدونه في المجاهدة ويتقوى بشهود ما هم فيه من المكابدة على الإقامة على مجاهدته ثم باستمداده من همم الشيوخ فإن المريد ربيب همة شيخه فالأقوياء من الأغنياء ينفقون على خدمهم من نعمهم والأصفياء من الأولياء ينفقون على مريديهم من همهم يجبرون كسرهم وينوبون منهم وينجدونهم بحسن إرشادهم ومن أهمل مريداً وهو يعرف صدقه أو خالف شيخاً وهو يعرف فضله وحقه ﴿فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنْكَ اللَّهُ﴾ [الآية: 16] بسخطه والله تعالى حسيبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] بقوتكم ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ قَتَلَهُمْ﴾ [الآية: 17] بنصرتكم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام: هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له: خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال: شأنت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون/ 339 ب يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: قتلت وأسرت فنزلت والتقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوههم ولكن الله قتلهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] حقيقةً وخلقاً ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] صورةً وكسباً ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ رَمَى﴾ [الآية: 17] أتى بما هو غاية الرمي من إيصالها إلى أعينهم جميعها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف لكن ورفع ما بعده في الموضعين.

وقال الفارسي: ما كنت رامياً إلا بنا ولا مصيباً إلا بمعونتنا.

وأفاد الأستاذ: إن الذي نفى عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت وهو من خصائص قدرته والذي يوصف به الخلق من القتل هو ما يفعلونه في أنفسهم الذي يحصل ذهاب الروح عقيه.

وفائدة الآية قطع دعاويهم في قول كل واحد منهم على جهة التفاخر قتلت فلاناً فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] أي: لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشئ والمبدع هو الله عز وجل فسانهم بهذه الآية وصان نبيه ﷺ عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم ولذلك قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] أي: ما رميت بنفسك ولكن رميت بنا فكان منه قبض التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب وكسبه موجد من الله بقدرته وكان التبليغ والإصابة من قبل الله خلقاً وإبداعاً وليس الذي أثبت ما نفى ولا ما نفى هو الذي أثبت والفعل فعل واحد والتغاير في جهة الفعل لا في عينه وقوله: إذ رميت فرق ﴿وَلَكِنْ﴾ الله رَمَيْتُ [الآية: 17] جمع والفرق صفة العبودية والجمع نعت الربوبية وكل فرق لم يكن مضمناً بجمع وكل جمع لم يكن في صفة العبد مؤيداً بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة وأن الحق سبحانه يكل الأغيار إلى ظنونهم فيتيهون في أودية الحساب ويتوهمون أنهم منفردون بإجراء مأمَنهم وذلك منه مكر بهم قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف، الآية: 104] وأما أرباب التوحيد فيشهدهم مطالع التقدير ويعرفهم جريان الحكم ويربهم أنفسهم في أسر التصريف وقهر الحكم وأما/ الخواص من الأولياء وأصحاب العرفان فيجري عليهم ما 340 أ يجري وهم عن إحساس ذلك مأخوذون يشبههم بشواهد النظارة بالتقدير ويتولى حفظهم عن مخالفة الشرع ﴿وَلِيُنْزِلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا﴾ [الآية: 17] ولينعم عليهم نعمة عظيمة بنصرة وغنيمة ومشاهدة آيات جسيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] بأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] بأحوالهم قال دويم: البلاء الحسن أن يكون رؤية الحق أسبق إليه من نزول البلاء فيميز به البلاء وهو لا يشعر لاستغراقه في رؤية الحق.

وأفاد الأستاذ: أن البلاء الاختبار فيختبرهم مرة بالنعم ليظهر شكرهم أو كفرانهم ويختبرهم أخرى بالمحن ليظهر صبرهم أو ضجرهم ونسيانهم والبلاء الحسن توفيق الشكر في المنحة وتحقيق الصبر في المحنة وما يفعل الحق فهو حسن من الحق لأن له أن يفعل وهذا حقيقة الحسن وهو ما للفاعل أن يفعله ويقال: حسن البلاء لأنه منه وطاب البلاء لأنه فيه ويقال: البلاء الحسن أن يشهد المبلي في عين البلاء ويقال: البلاء الحسن ما ليس فيه زجر إن كان عسراً ولا بطر إن كان يسراً ويقال: بلاء كل أحد على حسب حاله ومقامه فأصنافهم ولأء أوفاهم بلاء قال عليه السلام: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأئمة فالأئمة⁽¹⁾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] تنفيس لقوم وتهديد لقوم أصحاب الرفق بقولهم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] لأنينكم فيروح عليهم بهذا وقتهم ويحمل عنهم محتهم وأنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمعا⁽²⁾

وقالوا: قل لي بالسنة التنفس كيف أنت وكيف حالك وأما الأكابر فلا يؤذن لهم في النفس وتكون المطالبة متوجهة عليهم بالصبر والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى فيقول: لو ترشح منك ما كلفت بشره توجه عليك الملامة فلا يكون منك بيان ولا سینه فإني سمیع لقاتلك عليم بحالتك ويقال في قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] تسلية لأرباب البلاء فإن من علم أن مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما يقاسيه فيه قال سبحانه لنبيه عليه 340/ب السلام: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر، الآية: 97] ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحلله الرفع أي: المقصود.

﴿ذَلِكُمْ﴾ [الآية: 18] من بلاء المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾

[الآية: 18] والمعنى أن المقصود إحسان المؤمنين وإيمان الكافرين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشديد موهن وقرأ حفص بالإضافة.

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/234) و(3/7) و(3/7) و(3/462) و(5/195).

وقال الأستاذ: موهن بتقوية قلوب المؤمنين والثبات على انتظار النصره من قبل رب العالمين وموهن كيد الكافرين بأن يأخذهم من حيث لا يشعرون ويظفر عليهم جند المسلمين.

﴿إِنْ قَسَتْغِيحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ [الآية: 19] خطاب لأهل مكة حيث تعلقوا بأستار الكعبة حين خروجهم للغزوة قائلين: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفتتين وأكرم الحزبين⁽¹⁾ ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ [الآية: 19] عن كفركم ومعاداة رسولكم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [الآية: 19] لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿وَإِنْ تَعُودُوا﴾ [الآية: 19] لمحاربتة ﴿نَعُدُّ﴾ [الآية: 19] لمناصرته ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ﴾ [الآية: 19] لن تدفع جماعتكم عنكم ﴿شَيْئًا﴾ [الآية: 19] من الأعناء والمضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] فتنكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 19] بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح أن فالمعنى ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك الفتح المبين.

وأفاد الأستاذ: أنهم سألوا بالسنتهم هلاك أنفسهم وذلك لانجرارهم في مغاليط ظنونهم ثم توهموا استحقاق القرية وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة موسومين باستيجاب اللعنة فبدعائهم وقعوا في شقائهم وباختيارهم منوا ببوارهم ويقال: ظنوا أنهم أهل الرحمة فأدلو فلما كشف الستر خابوا وأدلو فعند ذلك علموا أنهم زاغوا في ظنهم وضلوا ثم ليس المراد من خير المبالغة لأنه قد يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شيء وترك موافقتهم للرسول ﷺ بكل وجه هو شر لهم ولكنه أراد به في الأحوال الدنيوية وعلى موجب ظنونهم وإن تعودوا نعد يعني إن عدتم إلى الجميل من السيرة عدنا لكم بجميل السنة وإن عاودتم الإقدام على الشر عدنا عليكم ما أذقناكم من الضر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] من غلبته قدرة الأحد لم تغن عنه كثرة العدد.

(1) تفسير البغوي (3/342)، وتفسير الرازي (7/382)، تفسير أبي السعود (4/14)، تفسير البيضاوي (1/97).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا/ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾ [الآية: 20] أو أن لا 341/أ

تتولوا عن الرسول ولا تعرضوا عن طاعته فإن طاعة الله في متابعتة وقيل: الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه المصدر أو التقدير عن أحدهما وأنتم تسمعون القرآن وسائر البرهان ونصائح الإخوان.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في طاعة الله على أقسام فمطيع لخوف عقوبته ومطيع طمعاً في مثوبته وآخر تحقيقاً لعبوديته وآخر تشوقاً لربوبيته وكم من مطيع ومطيع كما قيل:

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراق
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد⁽¹⁾

وفي قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ولم يقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول نوع تخصيص وضرب تفصيل بلطف عن العبارة ويبعد عن الإشارة ولا تولوا عنه ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 20] أي: تسمعون دعاءه إياكم وتسمعون ما أنزل عليه من دعائي إياكم.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا﴾ [الآية: 21] وهم الكفرة والمنافقون الذين ادعوا أنهم يسمعون ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 21] سماعاً به ينتفعون فكانهم من رأس الشيء لا يسمعون قيل: من سمع ولم ير عليه فوائد السماع وزيادة في أحواله فهو غير مستمع ولا سامع ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: لا يكون ممن يشهد جهراً ويعجد سراً ويقال: لا تقروا بلسانكم وتصروا على كفرانكم ويقال: من نطق بتليسه تشهد الخبرة بتكذيبه.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ [الآية: 22] أي: ما يدب على الأرض ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية:

22] أي: في حكمه ﴿الضُّمُّ﴾ [الآية: 22] عن الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ [الآية: 22] عن الصدق ﴿الَّذِينَ لَا يَقُولُونَ﴾ [الآية: 22] لا يميزون بنظر البصر ولا بعين البصيرة بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل وإنما كانوا شراً من البهائم لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (4/1)، وقرى الضيف (39/1).

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق بحسن البيان ناطقة وألسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة وخواطر الغيب بكشف ظلم الرب مفسحة وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة ومن صُمَّ عن إدراك ما خوطب به سره وعمي عن شهود ما كُشف به قلبه وحرص عن إجابة ما أرشد إليه من 341/ب مناقحة فهمه وعقله فدون رتبة البهائم قدره فوق كل/خسيس من حكم الله ذله وصغره.

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 23] سعادة مكتوبة لهم أو منفعة للآيات المنزلة عليهم ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] سماع تفهم وتبصر بهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: فرضاً وتقديراً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ [الآية: 23] لأعرضوا عنه ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق وقبوله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الآية: 23] عادتهم الإعراض ودأبهم الاعتراض وقصدتهم الأعراض وطلبهم الأغراض فحرموا الأعراض.

وأفاد الأستاذ: إن من أقصته سوابق القسمة لم تدنه لواحق الخدمة ومن علمه الله بنعت الشقوة حرمه ما يوجب عفوه ويقال لو كانوا من معقولات الرحمة لألبسهم صدار العصمة ولكن سبق بالحرمان حكمهم فختم بالضلالة أمرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 24] أي: بالعبادة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ [الآية: 24] أي: بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: وحد الضمير لما تقدم من التقدير وفي «حقائق الدقائق» استجيبوا بسرائركم وللرسول بظواهركم انتهى ولعله أشار إلى مقامي الجمع والفرق كما لا يخفى ﴿لَمَّا يُصِيبُكُمْ﴾ [الآية: 24] من العلوم الدينية النافعة في الأحوال الأخروية الموروثة للحياة الأبدية والمعيشة الرضية السرمدية من العقائد والأعمال والأحوال البهية السنية قيل: حياة النفس بمتابعة الرسول وحياة القلب بمشاهدة الرب.

وقال الأستاذ: أجاب واستجاب بمعنى واحد كأوقد واستوقد وقيل:

للاستجابة مزية وخصوصية كأنه يكون طوعاً لا كرهاً أقول لا بد للفرق بينهما لأن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى فهو إما محمول على المبالغة أو على الإجابة الخاصة ثم قال وفرق بين من يجيب لخوف أو طمع وبين من يستجيب لا لغرض ولا على ملاحظة عوض وحق الاستجابة أن تجيب بالكلية من غير أن تذر من المستطاع بقية والمستجيب لربه محو عن كله باستيلاء الحقيقة والمستجيب للرسول قائم لشريعته من غير إخلال بشيء من أحكام الشريعة والطريقة وقد أمر الله سبحانه بالاستجابة له سبحانه وبلاستجابة للرسول عليه السلام فالعبد المستجيب على الحقيقة من قام بالله سرّاً واتصف بالشرع جهراً يفرد الحق سبحانه بحقائق الجمع وينصبه في/ مشاهد الفرق فلا 342/أ يكون للحدثان بشرح حقائقه تكدير ولا لمطالبات الشرع على أحواله نكير وقوله: ﴿لَمَّا يُحْيِيكُمُ﴾ [الآية: 24] إذا أفناهم عنه أحياءهم به ويقال: العابدون أحياءهم بطاعته بعدما أفناهم عن مخالفته وأما العالمون فأحياءهم بدلائل ربوبيته بعدما أفناهم عن الجهل وظلمته وأما المؤمنون فأحياءهم بنور موافقته بعدما أفناهم بسيوف مجاهدته وأما الموحدون فأحياءهم بنور توحيده بعدما أفناهم عن الإحساس بكل غير والملاحظة لكل حدثان ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَمُولُ بَيْنَ أَلْمَرَّةِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية: 24] تمثيل لغاية قربه من عبده كقوله: في مقام المزيد للمريد ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أو تخيل لتقليبه على العبد قلبه فينسوخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران إذا أراد إسعاده بينه وبين الإيمان إن شاء إبعاده ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 24] على وفق ميعاده للمرىء في معاده.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يصون القلب من تقليب أربابها بل يقلبها كما يشاء من هداية وضلال وغيبة ووصال وحجة وقربة ويقين ومرية وأنس ووحشة ويقال: صان قلوب العابدين عن الجنوح إلى الكسل فجدوا في معاملتهم وصان قلوب المريدين عن التعرّيج في أوطان الفشل فصدقوا في منازلهم وصان قلوب العارفين على حد الاستقامة عن الميل فتحققوا بدوام مواصلتهم ويقال: حال بينهم وبين قلوبهم لثلا يكون لكم رجوع إلا إلى ربهم

فإذا سنع لهم أمر فليس لهم إلى الأغيار سبيل ولا على قلوبهم تعويل وكـ
بين من يرجع عند سوانحه إلى قلبه وبين من لا يهتدي إلى شيء إلا إلى ربه
كما قيل:

لا يهتدى قلبي إلى غيركم⁽¹⁾

لأنه سد عليه الطريق ويقال: العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم قال الله
تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ [الزمر، الآية: 21] لمن كان له قلب والعارفون هم
الذين فقدوا قلوبهم قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية:
24].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الآية: 25] أي: اتقوا
ذنباَ يعمكم ضرره في الأثر كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
342/ب وكافتراق الكلمة وظهور/ البدعة والتكاسل في الجهاد مع الكفرة على أن قوله
﴿لَا تُصِيبَنَّ﴾ [الآية: 25] جواب الأمر بمعنى إن أصابتكم الفتنة لا تصب الظالمين
منكم خاصة بل تلحقكم عامة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 25] إذا
أراد العقوبة وقد يقال في معنى الآية أن الخاصة من العلماء والمشايخ إذا مالوا إلى
المباحات وقعت العامة في الشبهات وإذا ارتكبوا الشبهات وقع اتباعهم في
المحرمات وإذا حرصوا على المحرمات وقع معتقديهم في الكفر والمنكرات
وعلى هذا القياس سائر الحالات.

وقال الأستاذ: أي احذروا أن ترتكبوا ما يوجب لكم عقوبة يختص
بمرتكبيها بل يعم شؤمها من يتعاطاها ومن لا يتعاطاها وغير المجرم لا يؤاخذ
بجرم من أذنب ولكن قد ينفرد أحد بجرم فيحمل أقواماً من المختصين بفاعل
هذا الجرم على أن يتعصبوا له إذا أخذ بحكم ذلك الجرم فبعد أن لا يكونوا
ظالمين يصيرون ظالمين بمعونتهم وتعصبهم لهذا الظالم فيكون فتنة لا تختص

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

كأنما سد عليه الطريق

وقد نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر: محاضرات الأدباء (١/٣٤٣).

بمن كان ظالماً في الحال بل يصيب الظالم ومن يصير ظالماً في الاستقبال بسبب تعصبهم للظالم ومطابقتهم معه ورضاهم به هذا معنى التفسير من حيث الظاهر والعبارة فأما من جهة الإشارة فإن العبد إذا باشر بنفسه الزلة عادت إلى القلب منه الفتنة وهي العقوبة المعجلة ويصيب النفس من الفتنة العقوبة المؤجلة والقلب إذا حصلت منه زلة وهو همه بما لا يجوز تعدى فتنته إلى السر وهي الحجة وكذلك المقدم في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتعدى منه إلى متبعيه وتلامذته فكان انقطاع تلك البركات عنهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعلموا ذنباً ويقال: إن الأكابر إذا سكتوا عن النكير عن الأصاغر أصابتهم فتنة بتركهم الإنكار عليهم فيما فعلوه من الإجرام ولقد قيل:

إن السففيه إذا لم ينه مأمور⁽¹⁾

فعلى هذا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك النهي عن المنكر أخذ بجرم نفسه من ترك الأمر بالمعروف ويقال: إن الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع/ 343/أ في أخذ الزيادة من الدنيا فما فوق الكفاية وإن كان من وجه حلال تعدى فتنته إلى من به يتحرج به من المبتدئين فيحمله ما رأى منه على الرغبة في الدنيا وترك التعليل فيؤديه إلى الانهماك في أودية الغفلة من الأشغال الدنيوية والعباد إذا جنح إلى شق وترك الأوراد تعدى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة فيستوطن الكسل ثم يحمله الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصير كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة⁽²⁾

وهكذا يكون نصيبهم من الفتنة والعارف إذا رجع إلى ما فيه حظ له نظر

(1) نسب إلى الأحوص. انظر: المنتحل (26/1) وتمام البيت: بني هلال ألا تنهوا سفيهم... إن السففيه إذا لم ينه مأمور ومنهم من ذكر بني تميم ومنهم من ذكر بني عدي وقد نسب في الأخير إلى ابن جرير. انظر: التذكرة الحمدونية (2/92).

(2) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: التمثيل والمحاضرة (2/231)، ومعجم الأدباء (2/231). والجدّة: بالكسر: الغنى والسعة.

إليه المرید فیتدانی له فترة فيما هو به من صدق المنازلة فيكون ذلك نصيبه من فتنة العارف وفي الجملة إذا غفل الملك وتشاغل عن سياسة رعيته تعطل الجند والرعية وعظم فيه الخلل والبلية وفي معناه أنشدوا:

رعائك ضيعوا بالجهل منهم غنيمات فساقتهم ذئاب⁽¹⁾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 25] بتعجيل ذلك في مقام الحساب ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً ليعاقبه لا يمكنه من تلافي موجب تلك العقوبة.

﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الآية: 26] أي: في العدد ﴿مُسْتَضْعَفُونَ﴾ [الآية: 26] في المدد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 26] أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَنْخَطِفَكُمْ النَّاسُ﴾ [الآية: 26] بالنهبة ﴿فَقَاوَنَكُمْ﴾ [الآية: 26] إلى المدينة ﴿وَأَيْدَكُمْ يَبْصِرُ﴾ [الآية: 26] بإمداد الملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية: 26] كالغنيمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 26] هذه النعمة وترزقون الزيادة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يذكرهم ما كانوا فيه من القلة والذلة وصنوف الخلّة⁽²⁾ ثم ما نقلهم إليه من الإمكان والبسطة ووجوه الإحسان والحيطة وندبهم إلى إقامة الشكر على جزيل تلك القسم وإدامة الحمد على جميل تلك النعم فمهد لهم في ظل إيوائه مقيلاً ولم يجعل للعدو إليهم بيمن رعايته سبيلاً ورزقهم من الطيبات رزق الأشباح والظواهر من طيبات الغذاء ورزق الأرواح والسرائر من صنوف الضياء وحقيقة الشكر على هذه النعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود المنعم بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ [الآية: 27] بمخالفتها أو بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون ﴿وَتَخُونُوا أَمْنَكُمْ﴾ [الآية: 34/ب 27] أي: فيما بينكم وهو مجزوم/بالعطف أو منصوب على الجواب ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 27] أنكم تخونون.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (15/3).

(2) الخلّة بالفتح: الحاجة.

قال أبو عثمان: من خان الله في السر هتك الله في العلانية سره ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الخيانة الاستبطان بخلاف ما يؤمل منك بحق التعويل فخيانة الله بتضييع ما ائتمنتك عليه وذلك بمخالفة النصيح في دينه وخیانة الرسول بالاتصاف بمخالفة ما تبدي من مشايعته والخیانة في الأمانات بترك الإنصاف والاتصاف بغير الصدق وخیانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة فمن أوّتمن في مال فتصرفه فيه بغير إذن صاحبه خیانة ومن أوّتمن على حُرْمٍ فملاحظته إياهن خیانة فعلى هذا الخيانة في الأعمال الدعوى فيها فإنها من قبلك دون التحقيق بأن منشأها الله والخیانة في الأحوال ملاحظتك بها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق وإذا أخللت بسنة من السنن أو أدب من آداب الشرع فتلك خیانة للرسول ﷺ والخیانة في الأمانات بينك وبين الخلق فبإيثارك نصيب نفسك عن نصيب المسلمين بإرادة القلب فضلاً من المعاملة بالفعل.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَوَلكُمْ وَأَوْلَدَكُم فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 28] أي: بلية لأنهما سبب الرجوع في الإثم والعقوبة أو محنة من الله لأرباب المنحة.

قال أبو صالح حمدون: من اعتمد على شيء سوى الله فهو عليه فتنة ذكره السلمي ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 28] لمن أثر رضي الله عليهما وراعى حدوده فيهما.

وأفاد الأستاذ: أن أموالكم وأولادكم سبب فتنة لكم لأن المرء لأجل جمع ماله ورعاية أولاده يرتكب ما هو خلاف الأمر فيورثه فتنة العقوبة ويقال الفتنة الاختبار فيختبرك بالأموال هل تؤثرها على حق الله وبالأولاد هل تترك لأجلهم ما فيه رضاه فإن أثرتم حقه على حقكم ظهرت به فضيلتكم وإن اتصفتم بضده عوملتم بما يوجب من عكس محبوبكم ويقال المال ما للكفاف والعفاف نعمة وما للتكاثر والتفاخر نعمة وفي الجملة ما يشغلك عن الله/ فتنة. 344/أ

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَلْقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الآية: 29] هداية في

قلوبكم فتفرقوا بها بين الحق والباطل ونصراً يقرب بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجاً من الشبهات أو نجاة عن الظلمات أو نوراً يبين أمركم وظهوراً يعين قدركم ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الآية: 29] بسترها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 29] بمحوها وقيل: بالعفو عن الصغائر وبالتجاوز عن الكبائر وقيل: المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر كما في الخبر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: 29] يتفضل على عبده بما شاء من عنده ولا يتعاطم ذنب في جنب عفوه.

وأفاد الأستاذ: ما يفرقون بين الحق والباطل من علم وافر وإلهام باهر فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانهم والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم فهؤلاء مع مجهود أنفسهم وهؤلاء بمقتضى جود ربهم فالفرقان تعريف من الله والتكفير للذنوب تخفيف من الله والغفران تشريف للعبد من الله قلت وذلك كله فضل من الله إذ لا يجب للعبد شيء على مولاه.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 30] تذكّار له ﷺ لما مكر به قريش حين كان بمكة قبل هجرته إلى المدينة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم في آخر أمرهم والمعنى أذكر حين يمكرون بك ﴿لِيُنْشِئُوكَ﴾ [الآية: 30] بالحبس والوثاق ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الآية: 30] بسيوف الاتفاق ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الآية: 30] من مكة على وجه الوفاق ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الآية: 30] برد مكرهم عليهم وسوء كيدهم إليهم أو بمجازاتهم عليه إذ رجوعهم إليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أمرك بالهجرة في الخفية وأخرجهم إلى بدر في معزة فقتلوا وأسروا في مذلة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمُنْكَرِينَ﴾ [الآية: 30] إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره فإستار أمثال هذه الأعمال إنما هو للمزاوجة والمشاكلة... في الأقوال ولا يجوز إطلاقها ابتداء عليه سبحانه لما فيه من إيهام ذم عن شأنه هذا وقد قال الشبلي المكر في النعم الباطنة والاستدراج في النعم الظاهرة ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المكر إظهار الإحسان وقصد الإساءة في السر والمكر

344/ب من الله هو الجزاء على المكر ويكون مكره/بهم أن يلقي في قلوبهم أنه

محسن إليهم ثم في التحقيق يعذبهم وإذا شغل قوماً بالدنيا وصرف همومهم إليها حتى نسوا أمر الأخرى فذلك مكروه بهم يوطنون نفوسهم عليها فيتيح لهم من مآمنهم فيأخذهم بغتة هذا مكروه بالعوام.

ومن جملة مكروه اغترار قوم بما يرزقهم من الصيت الجميل بين الناس وإجراء كثير من الطاعات عليهم مع شوب لهم من قبول الناس إياهم ثم أسرارهم تكون بالأغيار منوطة وهم عن الله غافلون وعند الناس أنهم عند الله مكرمون وفي معناه:

وقد حسدوني في قرب ذاري منكم وكم من قريب الدار وهو بعيد⁽¹⁾

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 31] أي: مضمونها وفهمنا مكنونها ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مَثَلًا هَذَا﴾ [الآية: 31] أي: في مبناها ومعناها ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 31] إن أي: ما هذا إلا ما سطره المتقدمون من القصص فاكتبها وتتلوها كمقالة النضر بن الحارث أسندت إليهم لرضاهم بها وهذا غاية من كابرته ونهاية معانديهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا هنالك وقد تحداهم بأقصر صورة إظهاراً للمعجزة ثم قارعهم بسيف المجاهدة فلم يعارضوه مع استنكافهم ومبالغتهم في الأنفة أن يغلبوا في مضمار الفصاحة وميدان البلاغة فما أيسر الدعوى وما أيسر المعنى.

وأفاد الأستاذ: إن فرط جهلهم وشؤم جحدهم ستر على عقولهم قبح دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن فافتضحوا عند الامتحان لعدم البرهان والعجز عما وصفوا من أنفسهم من الفصاحة والبيان وقديماً ما قيل:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه⁽²⁾

ويقالوا لما لاحظوا القرآن بعين الاستصغار حرموا بركات الفهم فعدوه من جملة أساطير الأولين وكذلك من لا يراعي حرمة أوليائه يعاقب بأن يستر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (20/3) و(154/3).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (17/1) و(21/3)، والقيرواني في العمدة في محاسن الشعر (193/1).

عليه أحوالهم فيظنه مثله في استحقاق مثالبه فيطلق فيهم لسان الوقعة وهو بذلك أحق.

﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ [الآية: 32] أَيْ: القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 32] أَيْ: الثابت المنزل ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا جَحَازَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية: 32] للعقوبة على أفكاره ﴿أَوْ أَنْتَنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 32] أَيْ: من عنده وهذا الكلام الباطل من كلام ذلك القائل وهو مما ليس تحته طائل إلا أنه أراد به التهكم بأهل الإسلام وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً في مقام المرام. وقال الأستاذ: دل على سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول عليه السلام فاستيقنوا عند أنفسهم أنه لا يستجاب فيهم ما يدعونه على أنفسهم وفي هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 33] بيان لما كان الموجب لإمهالهم والسبب للتوقف في إجابة سؤالهم واللام لتأكيد النفي في تغيير حالهم والدلالة على أن عذاب استئصالهم والنبي بين أظهرهم خارج عن دعائه وغير مستقيم في حكمته سبحانه ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] بقولهم اللهم غفرانك وفيه اعتناء بشأن الاستغفار ولو صدر من الكفار أو باستغفار من بقي فيهم من المؤمنين الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى وما كان الله ليعذب أسلافهم وأنت في أصلابهم وليس يعذبهم اليوم وأنت فيما بينهم إجلالاً لقدرك وإكراماً بمحلك وإذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون فالآية تدل على تشريف قدر الرسول عليه السلام ويقال للجوار حرمة فجار الكرام في ظل إنعامهم فالكفار إن لم ينعموا بقرب رسول الله ﷺ منهم فقد اندفع العذاب عنهم بمجاورته.

----- وأحبها وأحب منزلها الذي نزلت به وأحب أهل المنزل.

ويقال إذا كان كون الرسول عليه السلام في الكفار يمنع العذاب عنهم

فكون المعرفة في القلوب أولى بأن يدفع العذاب عنهم وفي قوله ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] إيماء إلى أنه سبحانه علم أنه ﷺ لا يتأبد مكثه في أمته إذ قال له ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء، الآية: 34] فقال إني أضيع أمته وإن انقضى فيهم مدته فما دامت ألسنتهم بالاستغفار منطلقة فصفوف العذاب عنهم مندفة/ ويقال إن العذاب وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في 345/ ب الدنيا فلا محالة يصيبهم العذاب في العقبي فالاعتبار بالعواقب لا بالأوقات الطوارق أقول ولعل هذا هو المعنى بقوله تعالى:

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 34] أي: وأي شيء لهم من ما يمنع تعذيبهم وكيف لا يكون العذاب نصيبهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 34] أي: وحالهم في هذا المقام منع أهل الإسلام وأرباب الكرام عن البلد الحرام ومن جملة صدهم عنه إلجاء رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ [الآية: 34] أي: مستحقين ولاية أمره مع شكرهم بربه وفيه رد لهم بما كانوا يقولون نحو ولاية البيت المعظم والحرم المحترم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَافِقُونَ﴾ [الآية: 34] الذين لا يعبدون فيه سواه وقيل الضميران لله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 34] أن لا ولاية لهم عليه ويراد بالأكثر لكل كما يراد بالعلة العدم أو فيه تنبيه على أن فيهم من يعلم ويعاند والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أنه سبحانه لا يعذب أوليائه لقوله ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ [الآية: 34] فإذا عذب من لم يكونوا أوليائه دل على أنه لا يعذب من كان من جملة أوليائه والمؤمنون كلهم أوليائه الله لأنه قال ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة، الآية: 257] والمؤمن وإن عذب بمقدار جرمه زماناً فإذا لم يخلد في دار العقوبة فما يقاسون بالإضافة إلى التأيد جلل.

إذا سلم العهد الذي كان بيننا فودّي وإن شط المزار سليم⁽¹⁾

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما

يضعون موضعها والأظهر طوافهم المتضمن للصلاة ﴿عِنْدَ أَلَيْتٍ﴾ [الآية: 35] أي: بيت الله الحرام المعظم عند الخاص والعام ﴿إِلَّا مَكَاةً﴾ [الآية: 35] أي: صغيراً ﴿وَنَصْدِيَةً﴾ [الآية: 35] أي: تصفيقاً ومساق الكلام لتقرير استحقاتهم العذاب والملام أو عدم ولايتهم للمسجد الحرام فإنها لا تليق بمن هذه صلاته وعبادته أما صلاتهم روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون بها.

وقال الأستاذ: تجردت أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم فلم 1/346 يوجب سبحانه لها احتساباً ولم يجعل لهم فيها ثواباً فزكاء القالة/ لا يكون إلا مع صفاء الحالة وعناء الظواهر إلا مع ضياء السرائر ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [الآية: 35] إما العذاب الدنيوي الخاص بهم كما وقع يوم بدر من قتلهم وأسرههم أو العذاب الآخروي العام لهم ولأمثالهم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 35] اعتقاداً أو عملاً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا﴾ [الآية: 36] أنفسهم أو غيرهم أو ليعرضوا ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي: طريق رضاه أو عن دينه واتباع نبيه ﴿نَسْتَنْفِقُونَهَا﴾ [الآية: 36] أي: في غير محلها ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الآية: 36] أي: ندماً وغماً ووبالاً في مآلها لفواتها من غير حصول مقصودها ﴿ثُمَّ يُقَالُونَ﴾ [الآية: 36] في آخر ما هنالك وإن كان الحرب بينهم سجلاً قبل ذلك.

وقال الأستاذ: يرومون بإنفاقهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ثم لا يحظون إلا بخسران ولا يحصلون إلا على نقصان خسروا وهم لا يشعرون وخابوا وسوف يعلمون.

سوف ترى إذا تجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار⁽¹⁾

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 36] أي: ثبتوا على كفرهم لإيمان بعضهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُجْشَرُونَ﴾ [الآية: 36] أي في عذاب الخلد يجمعون.

(1) نسب إلى ابن المعتز. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/74).

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن آلهتهم آمالهم فإلى الهوان والذلة مآلهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا ينفعهم أعمالهم بل ختم بالشقاوة أحوالهم.

﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الآية: 37] الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والصالح من الفاسق واللام متعلقة بيحشرون وقرأ حمزة والكسائي ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾ [الآية: 37] فيجمعه ويضم بعضهم إلى بعضهم حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم ﴿فَيَجْعَلُهُ﴾ [الآية: 37] أي: كله ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 37] تنكيلاً له ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 37] الفريق الخبيث ﴿هُمْ الْخَبِيرُونَ﴾ [الآية: 37] الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم وضيعوا أعمالهم وأحوالهم وخابوا آمالهم قيل: الطيب من الأموال وأرفقت إرفاق الفقراء في أوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم في أوقات استغنائهم عنها فاشتغلت خواطرهم بها كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الخبيث ما لا يصلح لله والطيب ما يصلح لله والخبيث ما حكم الشرع بقبحه/ وفساده والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه ويقال 346/ب الخبيث ما شغل صاحبه عن الله والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله والخبيث ما يأخذه المرء وينفقه في حظ نفسه والطيب ما ينفقه بأمر ربه والخبيث عمل الكافر يصور له ويعذب بإلقائه إليه والطيب عمل المؤمن فيصور له في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 38] أي: لأجلهم ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ [الآية: 38] عن معادات رسولهم ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 38] من ذنوبهم ﴿وَإِنْ يَوَدُّوا﴾ [الآية: 38] إلى الكفر الذي سبق عنهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 38] الذين يخبروا على أنبيائهم بتدميرهم لسوء تدبيرهم.

وقال الأستاذ: إن كبخوا لجام التمرد والعناد وأقلعوا عن الركض في ميدان التجبر والفساد أزلنا عنهم صغر الهوان وأوجبنا لهم روح الأمان ويقال: إن حلوا نطاق العناد أطلقنا عنهم عقال البعاد ويقال: إن أبصروا قبح أفعالهم جدناً عليهم بإصلاح أعمالهم ويقال: إن جنحوا للاعتذار ألقينا عليهم

حلة الاغتفار ويقال:

إن عادوا إلى التوصل	أبحنا لهم حسن التفضل
أناس أعرضوا عنا	بلا جرم ولا معنى
أساءوا ظنهم فينا	فهلاً أحسنوا الظنا
فإن كانوا لنا كئنا	وإن عادوا لنا عدنا
وإن كانوا قد استغنوا	فإننا عنهم أغنى ⁽¹⁾

﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تُكُونَ فَتَنَةً﴾ [الآية: 39] أي: لا يوجد شرك يوجب
نقمة ﴿وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلَّمُوا لِلَّهِ﴾ [الآية: 39] أي: جهرة وعلانية بأن تضمحل
الأديان الباطلة ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ [الآية: 39] عن كفرهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ [الآية: 39] فيجازيهم عن انتهائهم وابتداء إسلامهم وإصلاح أعمالهم
وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بمقاتلة الكفار حتى يستأصل شأفتهم
بحيث يأمن المسلمون معرتهم ويطفؤون بالكلية فتنتهم إذ حية الوادي لا تؤمن
ما دامت تبقى فيها الحركة.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 40] أي: أعرضوا وما انتهوا ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ﴾
[الآية: 40] متولي أموركم فيما أولادكم فثقوا به ولا تبالوا بغيره ﴿وَنِعَمَ الْمَوْلَى﴾
[الآية: 40] أي: لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعَمَ النَّصِيرُ﴾ [الآية: 40] لمن أعرض عما
سواه.

وقال الأستاذ: فإن أبوا إلا عتوا وعن الإيمان إلا نبوا/ فلا يقعن على
قلوبهم ظل مخافة منهم فإن الله سبحانه ولي نصرتمكم ومتولي كفايتكم إن لم
تكونوا له بحيث يقال: نعم العبيد أنتم فنعم المولى هو لكم ونعم النصير هو
لكم ويقال: نعم المولى كان لكم يوم قسمة العرفان ونعم النصير لكم يوم
نعمة الغفران ويقال نعم المولى لك حين لم تكن ونعم النصير لك حين كنت

(1) ذكره القشيري في تفسيره (28/3).

ويقال نعم المولى بالتعريف قبل التكليف ونعم النصير لك بالتخفيف والتضعيف يضعف لكم الحسنات ويخفف عنكم السيئات.

وهواك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأول⁽¹⁾

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنَسْتُمْ﴾ [الآية: 41] أي: الذي اتخذتموه من الكفار الحربيين قهراً ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 41] أي: مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيطة أو من شيء معتد به مما لم يتغير بفساده ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْماً﴾ [الآية: 41] أي: مبتدأ خبره محذوف أي: فثبت أن لله خمسة والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين في قوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية: 41] فكأنه قال ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْماً﴾ [الآية: 41] يصرف على هؤلاء الأخصيين به وحكمه باقٍ غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل: إلى الخليفة وقيل: إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مُفَوَّضٌ إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية وقال: يقسم ستة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة ذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وقيل: بنو هاشم وحدهم وقيل: جمع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل: الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف 347/ب للتخصيص والآية نزلت ببدر ﴿إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 41] فاعملوا بما علمتم لأن المقصود من العلم هو العمل ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا﴾ [الآية: 41] أي: وبما أزلنا من الآيات والملائكة والنصرة ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الآية: 41] أي: الخاص وهو محمد القائم بمقام الحمد والإخلاص ﴿يَوْمَ أَلْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 41] يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ أَلْتَفَىٰ أَجْمَعَانِ﴾ [الآية: 41] جمع المؤمنين وجمع

(1) ذكره القشيري في تفسيره (30/3).

الكافرين ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 41] فيقدر على نصر القليل على الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الغنيمة ما يجد المؤمن من أموال الكفار إذا ظفروا به عند المجاهدة بهم والقتال معهم فإذا لم يكن قتال أو ما في معناه فهو فيء والجهد قسمان جهاد الظاهر مع أهل الكفر والطغيان وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو الجهاد الأكبر كما في الخبر⁽¹⁾ وكما أن في الجهاد الأصغر غنيمة عند الظفر فكذا غنيمة في الجهاد الأكبر وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد العدو من الهوى والشيطان فكانت ظواهره مقراً للأعمال الذميمة وباطنه مستقراً للأحوال الدنية فيصير محل الهوى مسكن الرضا ومقر الشهوات والمنى مسلماً لما يرد عليه من مطالبات المولى فتصير النفس مستلبة ممن أسر الشهوات والقلب مختطفاً من وصف الغفلات والروح منتزعة من أيدي العلاقات والسر مصوناً عن الملاحظات وتصبح غاغة النفس منهزمة وراية الحقوق بالاستجابة لله خافقة وكما أن من جملة الغنيمة سهماً لله وللرسول وهو الخمس فمما هو غنيمة على لسان الإشارة سهم خالص لله وما لا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم العقبي ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رق كل نصيب خالصاً لله بالله بمحو ما سوى الله كما قيل:

من لم يكن بك فانياً عن حظه وعن الهوى والأنس والأحباب
فلأنه بين المراتب واقف لمنال حظ أو لحسن ثواب⁽²⁾

1/348 / ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوِّ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 42] العدو بالحركات الثلاث شط الوادي قرأ بها في الموضعين إلا أن الفتحة شاذة والكسرة لابن كثير وأبي عمرو ﴿وَهُمْ بِالْمُدَوِّ الْقُصُوءِ﴾ [الآية: 42] البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو كالدينا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر

(1) تفسير البغوي (5/402)، وتفسير أبي السعود (6/122)، وتفسير البيضاوي (1/241)،

وكشف الخفا (1/424) رقم (1362).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/121).

استعمالاً من القصيا ولعل السبب قله استعماله بخلاف الدنيا والعليا ﴿وَالرَّكْبُ﴾ [الآية: 42] أي: العير أو قوادها ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 42] في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبدلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين واختلاط أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدو الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بالتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدو القصوى وكذا قوله: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ﴾ [الآية: 42] أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم ﴿لَا خَلَفْتُمْ﴾ [الآية: 42] أنتم ﴿فِي الْوَعْدِ﴾ [الآية: 42] هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنيعاً من الله خارقاً للعادة فيزادوا إيماناً وشكروا بزيادة العبادة ﴿وَلَكِنْ﴾ [الآية: 42] جمع بينكم على هذه الحالة ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الآية: 42] أي: حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه.

قال جعفر الصادق: ما قضا في الأزل يظهره في الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عما جرى يوم بدر من القتال وما حصل من فنون الأحوال بحكم التقدير لا بما يحصل للخلق من التدبير وحكم ما يقتضيه رؤية التفكير بل لو كان ذلك عن اختيار وتواعد كنتم عن تلك الجملة عن استكراه وتباعد فجرى ما جرى ﴿لَيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الآية: 42] له مقضياً فحصل من الأمور ما سبق به من التقدير / ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ﴾ [الآية: 42] وقرأ نافع والترمذي وأبو بكر من حين ﴿عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: 42] أي: ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لثلا يكون لأحد حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الباهرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينه على استعارة الهلاك والحياة للغواية والهداية أو المراد بهما المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه.

وقال الأستاذ: ليضل من زاغ عن الحق بعد لزوم الحجة ويهتدي من أقام على الحق بعد وضوح المحجة ويقال الحق أوضح السبيل ونصب الدليل ولكن سد بصائر قوم عن شهود الرشد وفتح بصائر آخرين لإدراك طريق الحق والهلاك من عمه في أودية التفرقة والحي من اكتحل بنور المعرفة ويقال الهالك من كان بحظه مربوطاً والحي من كان من أسر كل نصيب مستلباً مجذوباً ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَكَنَّا عَلِيمٌ﴾ [الآية: 42] بكفر من كفر وشقائه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لشمول الأمرين من الإقرار والاعتقاد في الحالين.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية: 43] أي: يقللهم حال رؤياك في عينك لتختبر به أجلة أصحابك فيكون تيناً لهم وتشجيعاً على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرْسَلْنَاهُمْ كَثِيرًا﴾ [الآية: 43] كما في الحال لا في المال إذ لا عبرة بكثرة عدوهم مع قلة مددهم ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾ [الآية: 43] جنيتهم علي حسب العادة ﴿وَلَلْتَنَزَعْتُمْ فِي الْأُمُورِ﴾ [الآية: 43] أي: اختلفتم في أمر الحرب مع الكفار وتفرقت آراؤكم بين القرار والفرار ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَنَ﴾ [الآية: 43] أي: أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والمنازعة في المقاتلة ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَدَاتِ الضُّدُورِ﴾ [الآية: 43] ليعلم ما فيها وما سيكون منها وما يغير أحوالها مما يفترها بعدها.

قال الأستاذ: وكيف أي لا يعلم التغيير ولا منه لصد المقادير.

﴿وَإِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ إِذْ أَلْقَيْتُمْ فِيَّ أَعْيُنَكُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية: 44] الضميران مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حين قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال: أراهم مائة تشبهاً لهم وتصديقاً لرسولهم ﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِيَّ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية: 44] حتى قال/ أبو جهل: أن محمداً وأصحابه أكلة جزور قتل المسلمين في أعينهم قبل التحام القتال يتجبروا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثلهم حتى لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظام آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد

الله الأبصار عن إِبصار بعض دون بعض مع التساوي في شروط الرؤية والإدراك.

وأفاد الأستاذ: أن الله إذا أراد أمراً هياً أسبابه فقلل الكفار في أعين المسلمين فزادوا جسارة وقلل المسلمين في أعين الكفار فزادوا نشاطاً على القتال صغراً في حكم الله وخسارة ﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الآية: 44] كرهه لاختلاف الفعل المعلن به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه الحكمي وهنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال المشرك وحزبه ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [الآية: 44].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد نصرة عبد فلو كاده جميع البشر أو أراد الكافة بكل ضرر لا ينفع من شاء مضرت كد ولا يحصل بينه وبين متاح لطفه سد وإذا أراد بعبد سوء فليس له رد ولا ينفعه جد ولا ينفعه بعد ما أسقط حكمه جهد.

﴿يَتَأْتِيهَا الْذَّبِكُ ءَامُومًا إِذَا لَقِيَتْهُ فَكَةٌ﴾ [الآية: 45] حاربتم جماعة مخالفة في أمر الديانة ﴿فَاتَّبِعُوا﴾ [الآية: 45] للقاء ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] بالثناء والدعاء مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ [الآية: 45] تفوزون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه نبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن لا يلتجئ عند الشدائد إلا إلى مولاه ولا يدعو إلا إياه ولا يرجو ولا يخاف سواه ويتوجه إليه فارغ البال كامل الإقبال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأحوال وسائر الأحوال.

وأفاد الأستاذ: إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ولا يكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة والتحقيق بالله وشهود الحادثات كلها منه فعند ذلك يستسلم لله ويرضى بحكمه ويتوقع منه حسن الإعانة ولهذا أحالهم على الذكر فقال: ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] ويقال: إن جميع الخيرات في ثبات القلب وبه يتبين أقدار الرجال وإذا أورد على الإنسان خاطر يزعجه وهاجس في نفسه 349/ب يهيجه فمن كان صاحب بصيرة توقف ريثما يتبين له حقيقة الوارد فيثبت لكونه رابط الجأش ساكن القلب صافي اللب وهذا نعت الأكابر مع الرب.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ [الآية: 46] ولا تتنازعوا في اختلاف الآراء بعد حكم الأمر ﴿فَنَفْسُكُمُ﴾ [الآية: 46] جواب النهي ﴿وَيَذْهَبَ بِكُمْ﴾ [الآية: 46] أي: دولتكم ففيها استعارة أو المراد بها الحقيقة فإن النصر لا تكون إلا بريح يبعثها الله في تلك الساعة وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿وَأَصْبِرُوا﴾ [الآية: 46] على محاربة الأعداء ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 46] بالمعونة والحفظ والإعلاء.

وأفاد الأستاذ: أن الموافقة بين المسلمين أصل الدين وأول الفساد ورأس الضلال الاختلاف في الأفعال وكما يجب الموافقة في الدين والعقيدة تجب الموافقة في الرأي والعزيمة قال الله تعالى في صفة الكفار ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر، الآية: 14] وإنما تتحد عزائم المسلمين لأنهم كلهم يجمعهم التبري من حولهم وقوتهم ويتمحضون في رجوعهم إلى الله وشهودهم التقدير فيتحدون في هذه الحالة الواحدة وأما الذين توهموا الحادثات من أنفسهم وصلوا في مناهات حساباتهم وأجروا الأمور حتى (يسمح) لرأيهم فكل يبني له على ما يقع ويختار، فإذا تنازعوا تشعبت بهم الآراء وافتقرت بهم الطرق فيضعفون وتختلف طرقهم وكما يجب في الدين طاعة الرسول ﷺ يجب طاعة أولي الأمر ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام للمسلمين ثم لا يجوز مخالفته وقال عليه السلام أطيعوه ولو كان عبداً مجذوعاً⁽¹⁾ وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أمر عليهم أميراً وقال: عليكم بالسواد الأعظم⁽²⁾ فإجماع المسلمين حجة والصلاة بالجماعة سنة مؤكدة والاتباع محمود والابتداع ضلالة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [الآية: 47] كأهل مكة حين خرجوا لحماية غيرهم بعد عبورهم بخيرهم ﴿بَطْرًا﴾ [الآية: 47] أي: أشراً وفخراً ﴿وَرِشَاءَ النَّسَائِ﴾ [الآية: 47] للثناء عليهم بالشجاعة والسخاوة ﴿وَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 47] حال كونهم معرضين عن طريق الحق ورضاه ومانعين الخلق عن اتباع

(1) ذكره القشيري في تفسيره (30/3).

(2) أخرجه أحمد في المسند (4/278) رقم (18473)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/71-283)، كشف الخفا (1/333).

هده ﴿وَاللَّهُ يَمَّا يَمْلُونُ يُحِيطُ﴾ [الآية: 47] فيجازيهم على أفعالهم بحسب/ 350/ أحوالهم.

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية: 48] في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس لهم بحسن آمالهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 48] هذه مقالة نفسانية وسوسة شيطانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم في نفوسهم أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم ولا يطاقون لقوة عددهم وعقلوا أن الله سبحانه مع المؤمنين في مددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات عند الله مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الملتين ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقُوْتَانِ﴾ [الآية: 48] تلاقى الفريقان والتقى الجمعان ﴿تَكْصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ [الآية: 48] رجع القهقري عما كان عليه وأبطل كيدهم لديه وعاد ما خيل إليه من أنه مجيرهم وخلصهم سبب هلاكهم ومناصهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 48] مبتعد عنكم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الآية: 48] مما لا طاقة لكم ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ [الآية: 48] ما لا تخافون منه لجهلكم والمعنى أنه تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة المسومين المقربين أو خاف على نفسه من أن يصيبه مكروه من جهة الملائكة المقربين.

قال الواسطي: ترك الذنوب على ضروب منها من تركه حباً كيوسف عليه السلام ومنها تركه خوفاً كإبليس حين نكص على عقبيه.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان إذا زين للإنسان بوساوسه أمراً والنفس إذا سولت له شيئاً عميت بصائر أرباب الغفلة عن شهود صواب الهداية فينجر الغافل معه في قياد وساوسه ثم تلحقه هواجم التقدير وكوامن المكر من حيث لا يرتقب ولا يحتسب في التدبير فلا الشيطان يفي له بما يعده ولا النفس شيئاً مما يتمناه تجده كما قال القائل:

أحسنْتَ ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاعتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر⁽¹⁾

(1) نسبت إلى بعض الأعراب كما نقل الأصمعي. انظر: الكشكول (1/386)، ونسب إلى=

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 48] يحتمل أن يكون من تمتة كلامه وأن يكون مستأنفاً من عنده سبحانه.

350/ب ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ [الآية: 49] أي: /شك وشبهة وقيل هم المشركون ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية: 49] يعنون المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ [الآية: 49] حين تعرضوا لما لا طاقة لهم فخرجوا ثلاثمائة وبضعة عشر إلى ألف أو أكثر فأجاب الله عنهم بما علم منهم بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 49] أي: يعتمد على قضاءه ويلتمس رضاه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 49] غالب على مراده ولا يغلب من استجار به وإن قل وذلل في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 49] يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه أصحاب الحيل.

وأفاد الأستاذ: أصحاب الغفلة وأرباب الغرّة إذا هبت رياح صولتهم في زمان غفلتهم يلاحظون أهل الحقيقة بعين الاستحقار ويحكمون لهم بضعف الحال فينسبونهم إلى الضلال ويعدونهم من جملة الجهال وكذلك أهل زمان الفترة في مدة مهلة الغيبة والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة في الدين ساكنون تحت جريان الحكم يرون الغائبات من الحواس بعيون البصيرة من وراء ستر رقيق فلا طوارق الحال تهزهم ولا هواجس الوقت تستفزهم وعن قريب يلوح لهم علم اليسر وينجلي سحاب العسر ويمحق الله كيد الكائدين ويذهب مكر المعاندين.

﴿وَلَوْ تَرَى﴾ [الآية: 50] لو يجعل المضارع ماضياً عكس أن فالمعنى ولو رأيت ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الآية: 50] وقرأ ابن عامر بالتأنيث أي: تبين بقبض أرواح ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَلْمَلَكُتْهُمْ يَضْرِبُونَ﴾ [الآية: 50] أي: حال كون الملائكة ضاربين ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ما أقبل وأدبر منهم بمقامع من حديد قائلين لهم خذوا هذا ﴿وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الآية: 50] أي: الحرق مع الحجاب الشديد وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يسليهم عندما يتأسون من اختيارات التقدير

بما يذكرهم من زوال المحنة ووشك ربح اليسر وسرعة حصول النصر وحلول النقم بمرتكبي الظلم فإن المؤمن لكريم الظفر فإذا شاهدوا بأرباب الجرائم حلول الانتقام رق قلبه لهم فلا ينخرط في سلك الشماتة بل يخلو قلبه عن شهوة الانتقام بل يحنوا على كل أحد بحسن الصفح عن الملام كما قيل:

قوم إذا ظفروا بنا جادوا بعنق رقابنا⁽¹⁾

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 51] أي: ما ذكر من الضرب والعذاب ﴿يَمَا قَدَمَتَ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 51] / أي: بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي الموحية للحجاب والعقاب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ﴾ [الآية: 51] أي: بذى ظلم ﴿لَلْعَبِيدِ﴾ لاستغنائهم عن ظلمهم ولعدم تصور الظلم في فعله بهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف ما يعاملهم به من السراء والضراء فذلك منه حسن وعدل إذ الملك ملكه والخلق خلقه والحكم حكمه.

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 52] أي: دأب هؤلاء وعاداتهم مثل دأب آل فرعون وطريقتهم التي دأبوا فيها وداموا عليها ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية: 52] أي: من قبل آل فرعون مما كان على منوال عملهم ﴿كَفَرُوا بِعَائِنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 52] تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُّوهُمْ﴾ [الآية: 52] كما أخذ هؤلاء بعيوبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ [الآية: 52] على أمره ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 52] على من كفر من عباده.

وقال الأستاذ: لما سلكوا مسلك آل فرعون في الضلال سلكنا بهم مسلكهم فيما أذقناهم من النكال وسوء الحال ووبال المال وسنة الله لا تتغير في الإنعام وعاداته لا تتبدل في الانتقام ومن لم يعتبر بما يشهده اعتبر به فيما يصنعه.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: ما حل بهم من زوال حالهم وسوء مآلهم ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾ [الآية: 53] بسبب أنه سبحانه ﴿لَمْ يَكُ مَغِيرًا يَغْمَّةً أَنْصَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ [الآية: 53]

(1) ذكره القشيري في تفسيره (5/1) و(39/3).

أي: مبدلاً للنعمة بالنقمة ﴿حَتَّى يُعْزِرُوا مَا يَنْفُسِهِمْ وَأَنْتَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 53]
 أي: ما يبدلوا بهم من الحالة الحسنی إلى الفعل السوءی أي كتغییر قریش حالهم
 فی صلة الأرحام والكف عن تعرض الأنبياء السابقين بمعادة الرسول عليه السلام
 ومن تبعه من أصحابه الكرام والسعي في إراقتهم وما أهل الإسلام إلى غير ذلك
 مما أحدثوا بعد بعثة سيد الأنام وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى
 يغيروا حالهم بل هو المفهوم الذي يقتضي ما لهم وهو جري عادته سبحانه على
 تغيير ما بهم متى يغيروا في حالهم.

قال جعفر الصادق: ما دام العبد يعرف نعمة الله عنده فإن الله لا ينزعها
 عنه حتى إذا جهل النعمة ولم يشكرها فبالتحري حينئذ أن تنتزع منه كذا ذكره
 السلمي.

وأفاد الأستاذ: فيما أطنب وأجاد وزاد في بيان المراد بقوله إذا أنعم
 الحق سبحانه على قوم نعمة وأرادوا إهمالهم أكرمهم بتوفيق الشكر لهم فإذا
 351/ ب شكروا نعمة الله قيدوها فدامت فيهم وإذا أراد الله تعالى إزالة نعمة عن عبد
 أزاله بخذلان الكفران فإذا حال عن طريق الشكر عرض النعمة للزوال فما دام
 العبد يشكر النعمة مقيماً كان الحق لإنعامه عليه مديماً فإذا قابل النعمة
 بالكفران انتشر سلك نظامه فبقدر ما يزيد في إصراره يزول الأمر عن قراره.

﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
 وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 54] بعيوبهم تكرير للتأكيد ولما نيط من الوعيد
 ﴿وَكُلٌّ﴾ [الآية: 54] أي: من الفريقين المكذبين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الآية: 54]
 فاستحقوا العذاب الشديد.

وأفاد الأستاذ: أنه تنوع من آل فرعون المعصية فنوع لهم العقوبة فكذلك
 هؤلاء عوقبوا بأنواع النقمة لما ارتكبوا من أنواع الزلة وفائدة تكرار ذكرهم
 تأكيد في التعريف لأنه لا يهمل المكلف أصلاً وإن أهمله حيناً ودهراً.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 55] أي: أصروا على كفرهم
 ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] لعدم رجوعهم عن أمرهم ولعل هذا في قول علم

الله منهم عدم الإيمان واختيار الكفر والعصيان.

وقال الأستاذ: قوله ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 55] أي: في سابق علمه وصادق حكمه فإذا كانوا في علمه شر الخلائق فكيف يسعدون باختلاف السعيات وصنوف الطوارق هيهات أن تتبدل الحقائق ولذا قال ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] وكلامه صدق وقوله حق فلم يبق للرجاء فيهم مساغ ولم ينجع فيهم نصح وإبلاغ.

﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ﴾ [الآية: 56] أي: أخذت العهد ﴿مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْوٍ﴾ [الآية: 56] أي: من المعاهدة أو المحاربة والموصول بدل من الذين كفروا بدل البعض للاحتراز بل للتخصيص في معرض البيان وهم يهود قريظة عاهدتهم رسول الله ﷺ أن يمالؤا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح [يوم أحد] وقالوا نسينا ثم عاهدتهم فنكثوا ما ولوهم عليه يوم الخندق⁽¹⁾ ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 56] تبعة العار ولا عقوبة النار.

وقال الأستاذ: أي الذين صاروا نقض العهد لهم سجية فلم يذروا من استفراغ الوسع في جهلهم بقية وأن من الكبائر التي لا غفران لها في هذا الطريق أن ينقض العبد عهداً أو يترك عقداً التزمه بقلبه مع الله/ أولئك الذين سقطوا عن عين رضاه فرفع عنهم ظل العناية وأزال عنهم حمى الحماية.

﴿فَمَا تَتَفَتَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي: تجدنهم وتظفرن بهم ﴿فِي الْحَرْبِ﴾ [الآية: 57] في وقت حربهم ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ﴾ [الآية: 57] أي: فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿مَنْ خَلَفَهُمْ﴾ [الآية: 57] من الكفرة فيما وراءهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي المشردين ﴿يَذْكُرُونَ﴾ [الآية: 57] يتعظون.

وقال الأستاذ: يريد إن صادقت واحداً من هؤلاء الذين دأبهم نقض عهدهم فاجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم لئلا يسلكوا طريقتهم فيستوجبون عقوبتهم كذلك من فتح عقده مع الله بقلبه برجوعه إلى رخص التأويلات ونزوله إلى السكون مع

العلايات يجعله الله نكالاً لمن بعده بحرمانه ما كان خوله وتنغيصه عليه ما من حظوظه أمله فيفوته حق الله ولا يكون له امتناع بما آثره على رضاه.

وتبدلت وتبدلنا واحسرتنا من ابتغى عوضاً لليلى فلم يجد

﴿وَأَمَّا تَخَافَتْ مِنْ قَوْمٍ﴾ [الآية: 58] معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ [الآية: 58] نقض عهد بأمارات تلوح عليهم ﴿فَأَنذِرْ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 58] فاطرح عهدهم إليهم ﴿عَلَى سَوَاءٍ﴾ [الآية: 58] على حالة مستوية في العلم في النقض بينك وبينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَائِزِينَ﴾ [الآية: 58] أي: من يناجز المعاهدين بالحرب قبل إعلامهم ففي الحديث من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدّها أو ينبذ إليهم عهدهم على سواء⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: يريد إذا تحققت بخيانة قوم منهم فصرح بأن لا عهد بينك وبينه وإذا حصلت الخيانة زال سمة الأمانة وخيانة كل أحد على ما يليق بحاله ومن ضمن بميسور له ولو (سمسمه) أو سينة أو لحظة عن مطالبات الحقيقة فقد خان في عهده وزاغ عن حده وعقوبته معجلة وهو أن لا يحبه الله ومن لا يحبه الله فإنه يذله ويهينه فيكون عقوبته وإذلاله وإهانته.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ [الآية: 59] أيها النبي عليه أو الحاسب العام ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ [الآية: 59] استئناف فيه معنى التعليل وفتح ابن عامر 352/ ب الهمزة والمعنى لا يحسبنهم/ سبقوا فاعتصموا وتخلصوا إنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يعارض الحق أو ينازعه من في قبضة قلبه وبقدرته تصرفه وبتصرفه إياه وعدمه وثبوته.

﴿وَأَعِدُّوا﴾ [الآية: 60] أيها المؤمنون ﴿لَهُمْ﴾ [الآية: 60] أي: لناقضي عهدهم وللكافرين بعمومهم ﴿مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الآية: 60] من كل ما يتقوى

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 231) رقم (18627)، وفي شعب الإيمان (4/ 81) رقم (4359)، وأحمد في المسند (4/ 385) رقم (19455)، وأبو داود في السنن (3/ 38) رقم (2761).

به في المحاربة وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي ثلاثاً ولعله خصه بالذكر لأنه أقواه.

وقال أبو علي الروندباري: القوة المنعة بالله ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة وأتمها قوة القلب بالله والناس فيها مختلفون فواحد يقوي قلبه بموعد نصره وآخر يقوي قلبه لتحقيقه بأنه بمشهد من ربه قال الله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور، الآية: 48] وآخر يقوي قلبه بإيثار رضا الله على مراد نفسه وآخر يقوي قلبه برضاه بما يفعله مولاه ويقال أقوى محبة للعبد تبرّيه عن حوله وقوته ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الآية: 60] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فقال بمعنى مفعول ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ﴾ [الآية: 60] أي: تخوفون بما استطعتم أو بالإعداد الذي هو سبب الإمداد ﴿عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الآية: 60] يعني كفار مكة ولو من أقاربكم ﴿وَالْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الآية: 60] من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين ومشركي الفرس والروم ونحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن لا يجاهد على رجاء غنيمة تنالها أو استشفاء صدره من قضية حقدنا لها بل قصده أن يكون كلمة الله هي العليا في حالها ومآلها ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ [الآية: 60] لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الآية: 60] بعزمهم وإصرارهم على كفرانهم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية: 60] من إنفاق مال وبذل روح ومنال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] طريق رضاه ﴿يُوفِّ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 60] أجره ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾ [الآية: 60] بنقض ثواب وزيادة عقاب ومغالطة حساب.

﴿وَإِنْ جَنَحُوا﴾ [الآية: 61] مالوا ﴿لِلسَّلَامِ﴾ [الآية: 61] وقرأ شعبة بالكسر أي: للصلح والاستسلام ﴿فَلْجَنَحْ لَهَا﴾ [الآية: 61] عاهد معهم ولا تمل عنهم وتأنيث ضمير السلم تحمله على نقيضه من الحرب قال:

السلم تأخذ منها ما رضى به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع⁽¹⁾

(1) نسب هذا البيت إلى العباس بن مرداس السلمي. انظر: خزانة الأدب (1/ 469)، وإصلاح المنطق (1/ 30).

أ/353

/ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 61] ولا تخف أحداً سواه فإنه يعصمك من كيدهم ويحيق بهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية: 61] لأقوالهم ﴿الْقَلِيمُ﴾ [الآية: 61] بحالهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم في حالهم ومآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بعث نبيه ﷺ بالرحمة والشفقة على الخليقة وفي مسالمة الكفار رجاء أن يؤمنوا بأيامهم في المستأنفة فإن أبوا فليس أحد يخرج عن قبضة العزة ويقال العبودية هي الوقوف حيث ما وقفت أو أمرت بالقتال فلا تقصر في المجاهدة وإن أمرت بالمواعدة فمرحبا بالمسالمة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 61] في كل حالة في أن يختار لك ما فيه الخيرة فيوفقك لما هو الأولى ويختار لك من قسبي الأمر في الحرب والصلح ما هو الأعلى.

﴿وَأِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ [الآية: 62] أي: محسبك وكافيك.

قال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حرَّ الثياب وتشبعوا
﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِضُرٍّ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 62] جميعهم.

﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 63] مع ما فيهم من العصية والضعينة من أدنى القضية والتهالك عن الانتقام بالجزئية حتى صاروا كنفس واحدة من كمال الإلفة والمواصلة وزوال الوحشة والفرقة وهذا من أظهر أنواع المعجزة وبيانه ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْتَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 63] لنتاهي عدوانهم البعده عن حالة الإلفة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية: 63] بقدرته البالغة ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 63] تام القدرة والغلبة ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 63] صاحب الحكم والحكمة.

وقال الأستاذ: لبسوا عليك وراموا خداعك بطلب الصلح منك ويستنبطون لك بخلاف ما يظهرون عندك فإن الله كافيك فلا تشغل قلبك بغفلتك عن شر ما يكيدونك فإني أعلم وإن لم تعلم وأقدر على ما لا تقدر وهو الذي بنصره أفردك وبلطفه أيدك وعن كل سوء ونصيب طهرك وعن رق

الأشياء حررك وفي جميع الأحوال كان لك وهو الذي أيدك بمن آمن بك من المؤمنين وهو الذي ألف بين قلوبهم المختلفة فجمعها على الدين وإيثار رضاء الحق/ولو كان ذلك بحيل الخلق لم ينتظم هذه الجملة ولو أبلغت بكل ميسور 353/ب من الأفعال وبذلت بكل مستطاع من المال.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الآية: 64] كافيك ﴿وَمَنْ أَتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 64] أي: وكافي أتباعك بسبب اتباعك أو كافيك من اتبعك من تمام الأربعين إذ روي أنه أسلم مع النبي ثلاث وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت وقد قال ابن عباس نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه فمن على الأول مجرور المحل أو منصوبه على المفعول معه وعلى الثاني مرفوعه.

وأفاد الأستاذ: إن أحسن التأويلات في هذه الآية أن يكون من هاهنا في محل النصب أي من اتبعك من المؤمنين يكفيهم الله ومن أقوى التأويلات في العربية أن من في محل الرفع أي: وحسبك من اتبعك من المؤمنين وقد علم أن استقلال الرسول ﷺ كان بالله لا بمن سوى الله أو كل من هو سوى الله فمحتاج إلى نصره الله.

﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ [الآية: 65] أي: بالغ في حثهم عليه واحرص في ترغيبهم إليه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن من لا يزداد بنفسه ضعفاً إلا ازداد بقلبه قوة لأن الاستقلال بقوة النفس نتيجة الغفلة وقوة القلب بالله سبحانه على الحقيقة ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ [الآية: 65] في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشر والوعد بأنهم إن صبروا يحصل لهم الغلبة بالعون والنصر ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ [الآية: 65] وقرأ الحرميان والشامي بالتأنيث ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 65] بسبب أنهم جهلة بالله والدار الآخرة فلا يثبتون ثبات المؤمنين لرجاء المثوبة وعلو الدرجة أو لا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان والفضيحة.

وأفاد الأستاذ: أن هذا لهم فأما النبي ﷺ فهو بتوحده كان مأموراً بأن

يُثَبِّتُ لَجْمِيعِ الْكُفَّارِ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ إِذْ كَانَتْ قُوَّتُهُ بِاللهِ ﷻ قَالَ: «بِكَ أَصُولُ»
 354/أ وفي/ تحريضه للمؤمنين على القتال كانت لهم قوة وبأمر الله كانت له قوة فقوة
 الصحابة كانت بالنبي ﷺ وتحريضه إياهم وقوته عليه السلام كانت بالله وبأمره
 فستان ما بينهما ﴿الْقَنَ خَفَفَ اللهُ عَنْكُمْ﴾ [الآية: 66].

قال النصر أبادي: التخفيف كان لهم دون الرسول ﷺ لأن من لا يثقله حمل
 أمانة النبوة كيف يخاطب بتحقيق اللقاء للأضداد وكيف يخاطب به وهو يقول:
 اللَّهُمَّ بِكَ أَجُولُ وَبِكَ أَصُولُ⁽¹⁾

ذكره السلمي ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الآية: 66] بالفتح قرأ عاصم
 وحمزة.

قال ابن عطاء: ما في السماء لا يؤخذ إلا بالافتقار وما في الأرض لا يؤخذ
 إلا بالاضطرار ذكره السلمي ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ رِجَالٌ صَابِرُونَ﴾ [الآية: 66] وقرأ
 الكوفيون بالتذكير ﴿يَقْلِبُوا مَا فِيهِمْ﴾ [الآية: 66] أي: ضعفهم ﴿وَأِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ
 يَغْلِبُوا أَلْفَيْنَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية: 66] لما أوجب الله على الواحد مقاومة العشرة
 والثبات لهم في مقام المجاهدة في الآية السابقة وثقل ذلك عليهم خوف العجز عن
 خروج العهدة خفف عنهم بمقامه الواحد للثنتين وقيل: كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم
 لما وجد فيهم كثرة خفف عنهم هنالك وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المناسبة
 للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد في القضية والضعف ضعف النية والبصيرة
 إذا كانوا متفاوتين فيها ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الآية: 66] بالنصرة والمعونة.

وأفاد الأستاذ: أن الضعف الذي علمه فيهم كان ضعف الأشباح فخفف
 الله عنهم وأما القلوب فلا يدخلها الضعف فحمل عنهم في ممارسة القتال
 بالقدرة المذكورة وفي الكتاب والعوام يحملون المشاق بنفوسهم وجثثهم
 والخواص بقلوبهم وهممهم قالوا:

حملت بالقلب ما لا يحمل البدن والقلب يحمل ما لا يحمل البدن⁽²⁾

(1) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (17/51).

(2) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (17/51).

﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى﴾ [الآية: 67] وقرأ البصري بالتأنيث ﴿حَتَّى يُثْخِرَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 67] أي: يكسر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حربه ويعز الإسلام ويكثر أهله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 67] أي: حطامها بأخذكم/الفداء من الأسرى ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الآية: 67] أي: يريد لكم ثواب 354/ب الآخرة أو سبب نيل الآخرة من إعزاز أوليائه وإذلال أعدائه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في حكمه.

قال الأستاذ: أخذ النبي ﷺ يوم بدر منهم الفداء وكان ذلك جائز لوجوب القول بعصمة الأنبياء ولكن لو قتلهم كان أولى بحسب الأغنياء فإرادتهم عرض الدنيا هو أخذ الفداء والله جعل رضاه في قتل الأعداء أو رحمة الشرع خلاف رحمة الطبع فشرط العبودية أن يرقى العبد لله وإذا كان الأمر بالغلظة فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور، الآية: 2] ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] بالانتقام من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في جميع ما يصنع بأوليائه.

﴿أَوَلَا كِتَابٌ﴾ [الآية: 68] أي: حكم مكتوب ﴿مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ [الآية: 68] إثباته في اللوح أن لا سبق وهو أن لا يعاقب المخطيء في اجتهاده بأن لا يعذب أهل بدر من عبادة أو قوة ما لم يصرح لهم بالمنهي عنه أن الفدية التي أخذوها ستسهل لهم في دينه ﴿لَسَكُمْ﴾ [الآية: 68] تنالكم ﴿فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ [الآية: 68] من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 68] روي أنه عليه السلام قال: لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وذلك لما روي أنه ﷺ أتى يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم عمه العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم وقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر: اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء ومكني من فلان لنسب له ومكن علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله ﷺ وقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وأن الله لشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وأن مثلك يا أبي بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَنَ تَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم، الآية: 36] ومثلك يا عمر

مثل نوح قال: ﴿لَا تَدْرَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح، الآية: 26] فخبر أصحابه بين القتل والفداء فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يكيان فقال: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيث وإلا تباكيث فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة بشجرة قريبة⁽¹⁾ والآية دليل على أن الأنبياء مجتهدون وأنه قد يكون خطأ منهم ولكن لا يقرون عليه وزبدة القضية أن الصديق كان مظهر نعوت الجمال وأن الفاروق مظهر صفات الجلال وأنه ﷺ متحل بأوصاف الكمال الشامل للجمال والجلال إلا أنه لكونه رحمة للعالمين مال إلى الجمال وتخلق بأخلاق الملك المتعال حيث ورد في الحديث القدسي والكلام الأنسي سبقت رحمتي غضبي⁽²⁾.

﴿كُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الآية: 69] من الفدية فإنها من جملة الغنيمة والفاء للسببية والمعنى لما أزال عنكم العقوبة أباح لكم الغنيمة ﴿حَلَالًا﴾ [الآية: 69] حال من المغنوم أو أكلاً حلالاً وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم بسبب تلك المعاينة أو بسبب حرمتها على الأمم السالفة ولذا زيد في وصفه بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾.

قال جعفر الصادق: الحلال ما لا يعصى الله فيه والطيب ما لا ينسى الله فيه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال ما كان مؤذناً فيه والطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً لك من قبله لا استحقاقاً ويقال: هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربه غافلاً عند أخذه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 69] في مخالفة أمره ونهيه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ [الآية: 69] غفر لكم ما فعلتم ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 69] أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لِّمَن فِي أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 70] أي: في تصرفكم ﴿يَت﴾

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (58/1763)، والبيهقي في السنن الكبرى (67/9) رقم (17818)، وأحمد في المسند (32/1) رقم (221).

(2) سبق تخريجه.

الْأَسْرَى﴾ [الآية: 70] وقرأ البصري من الأسارى ﴿إِنْ يَسْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] أي: عوضاً من الأشياء خيراً ﴿وَمِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 70] من العذاب ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 70] في الانتهاة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 70] للمذنبين ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 70] بالمطيعين روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال: يا محمد تركتني أتكف قريشاً ما بقيت فقال/ أين 355/ ب الذهب الذي الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا إذا حدث لي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال: وما يدريك قال: أخبرني به ربي تعالى قال: فاشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك فلي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة⁽¹⁾ أي: الموعدة.

وأفاد الأستاذ: أن الذي يعطيهم خير مما أخذ منهم يحتمل أن يكون في الآخرة من حسن الثواب ويحتمل أن يكون في الدنيا من جميل العوض ويقال ما يؤهلهم له من توفيق الطاعات وحلاوة الإيمان وهو خير مما أخذ منهم ويقال هو ما أعطاهم من الرضا بما كانوا فيه من الفقر بعدما كانوا أغنياء في حال الكفر.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ [الآية: 71] أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ [الآية: 71] نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 71] بنقض ميثاقه المأخوذ بالنقل والعقل حيث اختاروا الكفر والجهل ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 71] أي: قبل بعثتك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 71] أي: فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر بهم والمعنى وإن عادوا لخيانتك فيمكنك منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَدُّوا نَعْدُ﴾ [الأنفال: 19] ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدَاً﴾ [الإسراء: 8] ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 71] بأحوال العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] فيما دبر

(1) تفسير النيسابوري (4/ 103)، والكشاف (2/ 387)، وتفسير أبي السعود (4/ 37)، وتفسير البيضاوي (1/ 123).

وقضى وأراد.

وقال الأستاذ: يريد وإن عادوا إلى قتالك بعدما مننت عليهم بالإطلاق وخانوا عهدك بالوفاق فالخيانة لهم دأب وطريقه غالباً ثم إنا نمكنك منهم ثانياً كما مكنك من أسرهم أولاً.

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة⁽¹⁾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية: 72] أي: ثبتوا إيمانهم ﴿وَهَاجَرُوا﴾ [الآية: 72] وتركوا أوطانهم حباً لله ولرسوله وهم المهاجرون من أصحابه ﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ﴾ [الآية: 72] فصرفوها على مصالح الجهاد وأنفقوها على المحاويع من العباد ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 72] فبذلوها بمباشرة القتال مع أعدائهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 72] لأجل رضاه ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا﴾ [الآية: 72] هم الأنصار أو/ 356 أ والمهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية: 72] مجموع الفريقين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 72] بالنصرة والمظاهرة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ لَّيْتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 72] وقرأ حمزة بكسر الواو أي: فليست لهم هذه الموالاة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنَصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [الآية: 72] أي: استعانوا بكم لأجل الدين بسبب غلبة الكافرين ﴿فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الآية: 72] أي: فواجب عليكم أن تنصروهم على أعداء الدين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الآية: 72] عهد فإنه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 72] أي: عالم بأحوالكم ومطلع على جميع أعمالكم من القليل والكثير والنكير والقطمير.

وأفاد الأستاذ: أن كمال الهجرة مفارقة الأخلاق الذميمة وهجران النفس في ترك إجابتها إلى ما تدعو إليه من شهواتها الردية ومن ذلك هجران إخوان السوء والخروج والتباعد عن الأوطان التي باشر فيها الزلة ثم الهجرة من أوطان الحظوظ والنصيب إلى أوطان رضا الحق وأما قوله ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا﴾ [الآية: 74] فهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة،

(1) نسب إلى الفضل بن العباس بن عتبة. انظر زهر الأكم (1/ 127).

وعوام هؤلاء في الأمور الدنيوية وخواصهم في الكرائم الأخروية وخاص الخاص في كل ما يصح فيه الإيثار من الأحوال السنية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ لَكَ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 73] في المناصرة والمؤازرة وفي هذا تحريض للمؤمنين على المعاونة فإنهم أولى بالمعروف بمقتضى الديانة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قطع العصمة بينهم وبين المؤمنين فالمؤمن للمؤمن مجانب وللأقارب مقارب والكفار بعضهم لبعض بحسب المراتب كما قيل طير السماء على ألافها تقع ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الآية: 73] أي: ما أمرتم من قطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 73] يحصل فتنة فيها عظيمة من ضعف الإيمان وقوة أهل الكفر والعدوان ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 73] أي: عظيم أو كثير مما يترتب عليه من أمر الأديان.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا﴾ [الآية: 74] أي: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: في طريق هداه وطلب رضاه ﴿وَالَّذِينَ ءَاوُوا وَنَصَرُوا/ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ 356/ب حَقًّا [الآية: 74] أي: وهم المهاجرون والمجاهدون والناصرون عدلاً وصدقاً قال المفسرون: لما قسم الله المؤمنين ثلاثة أقسام بين الكاملين في الإيمان منهم ثم الذين حققوا إيمانهم بمقتضاه من الهجرة والمجاهدة وبذل المال ونصرة الحق في جميع الأحوال ووعد لهم الموعد العظيم بقوله: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية: 74] لا تبعة له ولا منة فيه من النعيم المقيم ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسنتهم بقوله:

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 75] أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار حيث دخلوا في ملتكم ووافقوا صفتكم وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر معنى في قضيته المرء مع من أحب⁽¹⁾ وفي رواية من أحب قوماً حشر معهم⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (165/2640).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (18/3) رقم (4294)، وكشف الخفا (2/222) رقم (2353).

هذا وتفصيل المناقب مما يعرف في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد، الآية: 10] وفي قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية: 95] ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 75] أي: في التوارث من الأجانب كما كان في صدر الإسلام أن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية: 75] أي: في حكمه وفي اللوح المحفوظ وفي القرآن المبين وهو دليل واضح على توريث ذوي الأرحام كما ذهب إليه علماؤنا الأعلام ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلِيمٌ﴾ [الآية: 75] بين الموارث بين الأنام والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام وجهة المصاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً.

وقال الأستاذ: يريد من سلك مسلكهم في الحال ومن سيلحق بهم في الاستقبال ثاني الأحوال فالألفة تجمعهم والولاية تشملهم فلهم من الله في العقبى جزيل الثواب وجميل النجاة من العذاب وفي الدنيا التناصر والولاية والتقارب والمودة.



[مدنية]

وهي مائة وثلاثون آية⁽¹⁾

وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان بها وبسم الله الرحمن الرحيم أمان فلا يلائم عنوان السورة بكتبتها وهذا توجيه علي كرم الله وجهه وقيل: لما اختلفت الصحابة في أن الأنفال/ والتوبة سورة واحدة وهي سابعة 357/ أ السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة لم تكتب بالبسملة⁽²⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد هذه السورة عن ذكر البسملة ليعلم أنه يخص من يشاء وما يشاء بما يشاء ويفرد من يشاء وما يشاء عما يشاء وليس لصنعه سبب ولا له في أفعاله عرض ولا أرب واتضح للكافة أن هذه الآية أثبتت حيث أثبتت في الكتاب لأنها منزلة وفي الأمر هنالك محصلة.

وأفاد الأستاذ: أن بعض السور المفتتح بذكر الكفار مثل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد، الآية: 1] وقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد، الآية: 1] ﴿وَبِئْسَ لِكُلِّ هُمْزَةٍ﴾ [الهمزة، الآية: 1] وأمثالها مما ثبتت البسملة في أوائلها إلا أنها ليس ذكر البراءة فيها صريحاً وإن تضمنته تلويحاً ويقال إذا كان تجرد السورة عن هذه الآية يشير إلى أنها لذكر الفراق فبالتحري أن يخشى ويمنع تجرد الصلاة عنها عن كمال الوصلة والاستحقاق.

﴿بَرَاءَةٌ﴾ [التوبة، الآية: 1] أي: هذه براءة واصلة ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 1] والمعنى أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به من المشركين وإنما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة للمسلمين الدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله

(2) تفسير النيسابوري (4/ 108).

(1) كذا في الأصل المخطوط.

لهم واتفاق الرسول معهم فإنهما برئاً منه وهم في حكمهما وتابع لصلحهما وحربهما وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا ناساً منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل الشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا بقوله:

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 2] شَوَّال وذِي الْعَقْدَةِ وذِي الْحِجَّةِ والمحرم لأنها نزلت في شَوَّال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [الآية: 2] أي: لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 2] بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب والحجاب في العقبي فلا يمهلهم ولا يتركهم سدى.

وأفاد الأستاذ: أن الفراق شديد وأشدّه أن لا يعقبه وصال وفراق المشركين كذلك لأنه قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء، الآية: 48] ب/357 ويقال من مني بفراق أحبابه فبست صحبته أنه/ كان بين رسول الله ﷺ وبين أولئك المشركين عهد ولا شك أنهم كانوا قد وطنوا أنفسهم عليه فنزل الخبر من الغيب بغتة وأتاهم الإعلام بالفرقة فجأة فقال: ﴿بَرَاءَةٌ﴾ [الآية: 1] أي: هذه براءة كما قيل:

فبتنا بخير والدنيا مطمئنة فأصبحت يوماً والزمان تقلباً

وما أشد الفرقة لا سيما إذا كانت بغتة على غير ترقب قال تعالى: ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم، الآية: 39] وأنشدوا:

فكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفئ⁽¹⁾

ثم إنه سبحانه وإن قطع عنهم الوصلة فقد ضرب لهم المدة على وجه المهلة فأمنهم في الحال ليتأهبوا لتحمل مقاساة البراءة فيما يستقبلونه من الحال والإشارة فيه أنهم إن أقبلوا في مدة الإمهال عن الغي والضلال وجدوا في المال ما فقدوا من الوصال وإن أبوا إلا التماذي في ترك الخدمة انقطع ما بينه وبينهم من العصمة وفي قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا﴾ [الآية: 2] الآية من الإشارة أنهم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345) وعنده: لليلي.

إن أصررتم على قبيح آثاركم مشيتم إلى هلاككم بقدمكم وسعيتم في عاجلكم في دمكم وحصلتم في آجلكم على خسرانكم وندمكم وما خسرتم إلا في صفتكم وما ضر جرمكم سواكم.

تبدلت وتبدلنا واحسرتنا لمن ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد ﴿وَأَذِّنْ﴾ [الآية: 3] أي: فعال بمعنى الأفعال كالعطاء والأمان وهذا إيذان وإعلام ﴿يَنْ أَللهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [الآية: 3] يوم العيد الأضحى لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه حيث قام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال: أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولما روي أنه عليه السلام وقت يوم النحر عيد الجمرات في حجة الوداع فقال: هذا يوم الحج الأكبر وإنما وصف بالأكبر/ لأن العمرة تسمى بالحج الأصغر أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ [الآية: 3] أي: بأن الله ﴿بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 3] أي: من عهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 3] أي: كذلك أو هو عطف على المستكن في برئ.

وقال الأستاذ: أي ليكن إعلام من الله ورسوله للناس بنقض عهودهم وإعلان فيهم بأنهم [ما] فطموا عن مألوفهم من الإهمال ومعهودهم فقد برح الجفاء بأن ليس لهم ولا إذا لم يكن لهم فيما عقدوا وفاء وليعلم الكافة بأنهم أعداء فمن رأى من الأغيار شظية من الآثار ولم ير حصولها بتصاريف الأقدار فقد أشرك في التحقيق واستوجب هذه البراءة ومن لاحظ الخلق تصنعاً أو طالع نفسه إعجاباً فقد جعل ما لله لغير الله وظن ما من الله من غير الله فهو على خطر من الشرك بالله ﴿فَإِنْ بُنْتُمْ﴾ [الآية: 3] من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 3] أي: الثواب ﴿حَيْثُ لَكُمْ﴾ [الآية: 3] أي: دنيا وأخرى ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾

[الآية: 3] أي: أعرضتم عن التوبة وتبتم عن الحوبة ﴿فَاعْلَمُوا أَنكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ [الآية: 3] لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً وهذا في الدنيا ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 3] في العقبى.

وقال الأستاذ: إن عادوا إلى الباب لم يقطع رجاءهم ومد إلى وضوح العذر إرجاؤهم وبين أنهم إن أصروا على عتوهم فلإلى ما لا يطيقون من العذاب منقلبهم وفي النار مثواهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 4] استثناء من المشركين في قوله ﴿بَرَاءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 3] في معنى الاستدراك مكانه قيل لهم بعد أن أمروا بنبد العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منكم ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ [الآية: 4] من شروط العهد ولم يظاهروا عليكم أحداً أي: من أعداءكم ولعل هذا تخصيص بعد تعميم للاهتمام به ﴿وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتُوا إِلَيْهِمْ عَهْدُهُمْ إِنْ مَدَّيْتُمْ﴾ [الآية: 4] أي: إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين لعهدتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 4] في ملتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من وفى بحق عقده قدره على حفظ عهده إذ لا يستوي من وفاه ومن جفاه كما قيل:

وما سؤي إذا اختلفتم ترك وفاء وحفظ عهد

358/ب / ﴿إِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ﴾ [الآية: 5] أي: التي أبيح للناكثين أن سيحوا فيها ﴿فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 5] أي: الناكثين ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [الآية: 5] من حل ومن حرم ﴿وَحُذُّوهُمْ﴾ [الآية: 5] وأسروهم ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ [الآية: 5] واحبسوهم ﴿وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [الآية: 5] كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاء ولا يفسدوا العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد إذا انسلك الحرم فاقتلوا من لا عهد له من المشركين فإنهم وإن لم يكن لهم عهد وكانوا حرمًا جعل لهم من الأمان في مدة هذه المهلة شعباً فكيف يأمر بترك قتال من أبى وكيف يرضى بقطع

وصال من أتى .

ثم أفاد فيما أجاد: أنه سبحانه أمرهم بجميع أنواع معالجة قتال الأعداء وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فسيل العبد في مباشرة الجهاد الأكبر في النفس بتضييق النفس عليه بالمبالغة في جميع أنواع الرياضات واستفراغ الوسع في القيام بصدق المعاملات ومن تلك الجملة أن لا ينزل بساحات الرخص والتأويلات أو يأخذ بالأشق في جميع الحالات ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ [الآية: 5] رجعوا عن الشرك بالإيمان ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 5] أي: وقاموا بالعبادة البدنية والطاعة المالية تصديقاً لما بهم من الإيقان ﴿فَخَلَوْا سَبِيلَهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فتركوا سبيل تعرضهم بالإساءة إليهم واشهدوا لهم بالإحسان ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 5] غفر لهم ما مضى من المعصية رحيم فيما بقي بتوفيق الطاعة وتحقيق المعصية وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلو سبيله بل يجب التعرض له بما يقتضي زجره.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوبة هي الرجوع بالكلية من غير أن يترك بقية فإذا أسلم الكافر بعد شركه ولم يقصر في واجب عليه من قسمي فعله وتركه حصل الإذن في تخلية سبيله وفكه.

إن وجدنا لما ادعيت شهوداً ولم تجد عندنا لحق حدوداً

وكذلك النفس إذا انخنست وآثار البشرية إذا اندرست فلا حرج في التحقيق في المعاملات في أوان مراعاة الخطرات مع الله عند حصول المكاشفات والجلوس/ مع الله أولى من القيام بباب الله قال الله تعالى فيما 359/أ ورد به الخبر اللدني أنا جليس من ذكرني⁽¹⁾.

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 6] أي: المأمور بالتعرض لهم ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ [الآية: 6] أي: استأمنك وطلب جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ [الآية: 6] فأمنه في ديارك ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية: 6] أي: بتدبره ويطلع على حقيقة أخباره ﴿ثُمَّ أبلغه مأمته﴾ [الآية: 6] أي: أوصله موضع أمته إن لم يسلم بطيب قلبه ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 6] الأمن

﴿يَأْتِيَهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] ما الإيمان فلا بد من الإيمان مقدار ما يسمعون ويتأملون.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن استعاذ طول عمره من الفراق حتى لا يمنع عن سماع كلام الله وحتى لا يكون في زمرة من يقول لهم ﴿أَنْشَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ [المؤمنون، الآية: 108] وإذا قال اليوم لأعدائه ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الآية: 6] وإن لم يؤمن بعد سماع كلامه نهى عن تعرضه بقوله ﴿ثُمَّ أُبْلِغَهُ مَا مَوَّعْتُهُ﴾ [الآية: 6] أترى أنه لا يؤمن أولياءه غداً من فراقه وقد عاشوا اليوم على إيمانه ووفاقه وكلا إنّه يمتحنهم بذلك قال تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَجُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء، الآية: 103] ثم قال ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَسْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] فإذا كان هذا أمره فيمن لا يعلم فكيف بأمره بمن يعلم قيل:

ومتى يضيع من ينيخ ببابنا والمعرضون لهم نعيم وافر

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 7] إنكار واستبعاد لأن يكون عهد ثابت مع وغرة صدورهم للمؤمنين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 7] استثناء منقطع أي: ولكن الذين عاهدتم عند الحرم المحترم منهم فتربصوا أمرهم وانتظروا عهدهم كما دل عليه قوله: ﴿فَمَا اسْتَقَمُّوْا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: 7] أي: فاستقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء بالوعد وهو قوله سبحانه ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [الآية: 4] غير أنه مطلق وهذا مقيد بالاستقامة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 7] ما يخالف الديانة.

وقال الأستاذ: كيف يكون المفلس من عرفانه كالمخلص في إيمانه وكيف يكون المحجوب عن شهوده كالمستهلك في وجوده وكيف يكون من

359/ب يقول أنا كمن يقول أنت/ وأنشدوا:

فأحبابنا شتان وافي وناقض ولا يستوى قط المحب وباغض⁽¹⁾

ثم إن تمسكوا بحبل وفائنا أحللناهم في ظل ولائنا وإن زاغوا عن عهدنا أبليناهم بصدنا ثم لم يربحوا على بعدنا والمتقي الذي يستحق محبته من يتقي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (68/3) و(299/3) و(6/336).

محبة نفسه فإذا اتقى محبة نفسه قال: بترك حظه وقام بحق ربه.

﴿كَيْفَ﴾ [الآية: 8] تكرر لاستبعاد ثباتهم على عهدهم ونفي حكمهم مع وعدهم ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 8] أي: وحالهم معكم أنهم إن يظهروا عليكم ويغلبوا عليكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ [الآية: 8] لا يراعوا في حقكم ﴿إِلَّا﴾ [الآية: 8] حلفاً ولا قرابة ولا تربية ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ [الآية: 8] عهداً أو حقاً أو حرمة.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بلؤم الظفر وفي هذا إشارة إلى أن الكريم إذا ظفر غفر وإذا قدر ما غدر بل ما غادر فيما سر وبرّ ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية: 8] أي: بألسنتهم والجملة استئناف لبيان حالتهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر للوعد ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 8] أي: ما يتفوه به أفواههم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ [الآية: 8] متمردون لا عقيدة تردعهم ولا مروءة تمنعهم من يتحامي عن الغدر فقليل منهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عجب من صنيعهم فإنهم في حقنا كذلك يفعلون يظهرون الإيمان ويضمرون الكفران كذلك يعيشون معكم في زي الوفاق ويستبتنون عين الشقاق وسوء النفاق.

﴿أَشْتَرَوْا بِبَايَتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 9] أي: اختاروا على طريق رضاه وسبيل هداه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 9] عرضاً يسيراً وعوضاً حقيراً من لذات الدنيا وشهوات النفس والهوى ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 9] أي: فاعرضوا بأنفسهم ومنعوا غيرهم عن الوصول إلى دينه النافع لهم في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 9] من مخالفة التقوى وموافقة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن من رضي من الله بغير رضاه أرخص في صفقته ثم إنه خسر في تجارته فلا له بما أثر على الله استماع ولا في دونه سبحانه له إقناع بقي عن الله ولم يستمتع بغير الله هذا هو الخسران المبين.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا/ وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 10] في عدم 360/أ
المراقبة ونقض المعاهدة قيل: الأول عام في المنافقين وهذا خاص باليهود والمنافقين.

وقال الأستاذ: من لا يراعي حق الله كيف يراعي حق الخلق في الله إن أخلاقهم لتشابهت في ترك الحرمة.

﴿إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَفَخَّزْنَكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

وقال الأستاذ: معناه إن قبلناهم وصلحوا لولائنا فلحمة النسب ﴿فِي الَّذِينَ﴾ [الآية: 11] بينكم وبينهم واشجة وإلا فليكن الأجانب منا على جانب منكم ﴿وَفَقَصِلُ الْأَيْتِ لِقَوْرِ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 11] جملة اعتراضية بين الشرطية الماضية والآية للتأمل على ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال التائبين.

﴿وَأَن لَّكُنَّا أَيْمَنُهُمْ﴾ [الآية: 12] أي: نقضوا ما بايعوا عليه من إيمانهم ونقضوا وفاءهم بعهودهم ﴿مَنْ بَعْدَ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ [الآية: 12] بتصريح الكذب وتقييح الحكم ﴿فَقَذَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ [الآية: 12] أي: رؤوساءهم فإن قتلهم أهم والمنع من مراقبتهم أتم وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده في الاحتكام ثم محل بيان الهمزتين للقراء كتبهم المبسوط في بيان كيفية الأداء وتواضيع تحقيق البناء ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 12] على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا العقدة وقرأ ابن عامر لا إيمان بالكسر بمعنى لا أمان أو لا إسلام أو ليس لهم إيمان فراقبوا لأجله وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ﴾ [الآية: 12] متعلق بقاتلوا أي: ليكون غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه من المخالفة لا مجرد إيصال الأذية.

وقال الأستاذ: إن جنحوا إلى الغدر ونكثوا ما قدموه من ضمان الوفاء بالعهد وبسطوا ألسنتهم فيكم باللوم فاقصدوا من رحي الفتنة عليه تدور وغصن الشر من أصله ينشعب وهم سادة الكفار وقادتهم وحق القتال أعداء القوة جهرًا والتبري من الحول والقوة سرًا.

﴿أَلَا تَقْنَلُونَ﴾ [الآية: 13] دخلت الهمزة على النفي للأفكار فأفادت المبالغة في العقل المختار والمعنى بالغوا في أن تقاتلوا ﴿قَوْمًا نَّكَبُوا أَيْمَنَهُمْ﴾

360/ ب [الآية: 13] التي حلفوها مع الرسول/ والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم ولا

على مخالفيهم المشركين فعاونوا بني بكر على خزاعة بعد صلح الحديبية ﴿وَهَكُمَا يَخْرُجُ الرُّسُولُ﴾ [الآية: 13] من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة وثم قيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة ﴿وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أُولَئِكَ مِرَّةً﴾ [الآية: 13] بالمعاداة والمقاتلة فإنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بإتيان الكتاب والتحدي به على جهة المعجزة فعدلوا على معارضته إلى المعاداة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم بالغلبة ﴿أَتَحْشَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: أتركون قتالهم مخافة أن يصيبكم مكروه منهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ [الآية: 13] فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا قضاءه ورضاه ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 13] فإن قضية الإيمان أن لا يخشى العبد إلا من مولاه ولا يلتفت إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرضهم على القتال على ملاحظة أمر الله بذلك لا على الانطواء على الحقد في أحد فإن من غضب لنفسه فمذموم الوصف ومن غضب لله فإن نصر الله قريب والخشية من الله بشير الوصلة والخشية من غير الله نذير الفرقة وحقيقة الخشية تقبض السر عن ارتكاب الزجر ومخالفة الأمر.

﴿فَنَلَّوْهُمْ﴾ [الآية: 14] أي: أمروهم بالقتال بعد بيان موجهه والتوبيخ والتوعيد على تركه ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ [الآية: 14] يذلهم ﴿وَيَضْرِبُهُمْ﴾ [الآية: 14] وعدلهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والمتمكن من قتلهم وإذلالهم ﴿وَيَكْفُفُ صُدُودَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 14] يعني بني جذاعة ﴿وَيَذْهَبُ غِظٌ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 15] لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم فالآية من المعجزات حيث تحقق ما أخبرت به من المغيبات ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 15] ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً كذلك في آخر أمره ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 15] بما كان وما سيكون من القضية ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 15] لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هون عليهم كلفة المخاطرة بالمهجة بما

361/أ وعدهم من الظفر والنصر فإن شهود خزي العدو مقاساة الضر والسوء والظفر بالأرب يذهب تعب الطلب/ وشفاء صدور المؤمنين على حسب مراتبهم في المقام ودرجات اليقين فمنهم من شفا صدره في قهر عدوه ومنهم من شفي صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفي صدره في الظفر بمطلوبه ومنهم من شفي صدره في لقاء محبوبه ومنهم من شفي صدره في درك مقصوده ومنهم من شفي صدره بلقاء معبوده وكذلك ذهاب غيظ قلوبهم تختلف أسبابه ويتنوع أبوابه وفيما ذكرنا تلويح لما تركنا ويتوب الله على من يشاء حتى يكون استقلاله بمحول الأحوال لا بصفاء الأحوال.

﴿أَمْرٌ حَسْبُهُ﴾ [الآية: 16] خطاب للمؤمنين حيث كره بعضهم القتال وأم منعطفة بمعنى بل والهمزة وهي فيها للتوبيخ على الحسبان ﴿أَنْ تَتَزَكَّوْا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ [الآية: 16] أي: ولم يتبين الخلف منكم والذين جاهدوا من غيركم ونفى العلم وأراد المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث أن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه أو المراد علم ظهوره وتنجيذه المترتب عليه الجزاء في حكمه ويشير إليه التغيير بلما المتوقع حصول منفيه ﴿وَلَوْ يَتَخَذُوا﴾ [الآية: 16] عطف على جاهدوا داخل في الصلاة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [الآية: 16] بطانة ويفشون إليهم أسرارهم ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا قَعَمَلُوا﴾ [الآية: 16] أي: بأعمالكم وبصير بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أنه يقنع منه بالدعوى دون التحقق بالمعنى فهو على غلط من حسبانته وفي غفلة من حسبانته والذي طالبهم به من حيث الأمر صدق المجاهدة في الله وترك الركون إلى غير الله والتباعد عن مساكن أعداء الله ثقة بالله واكتفاء بالله وبالتبري عن غير الله وهذا هو الذي أمرهم بأن لا يتخذوا من دون المؤمنين وليجة والمعنى في ذلك كي لا يفشوا في الكفار أسرار المسلمين وأولى من يهجره المسلم لثلا يطلع على أسرار نفسه التي هي أعدى عدوه وفي هذا المعنى قال قائلهم:

كتابي إليكم بعد موتي بليلة ولم أدر أنني بعد موتي أكتب

والذي في الحكاية أنه قال أبو يزيد فيما يخبر أنه قال للحق في بعض أوقات مكاشفته كيف أطلبك فقال: فارق نفسك ويقال: / ولا يتم ذلك بل 361/ ب يحصل منه شظية إلا بكّي عروق الأطماع والمطالبات لا في الدنيا ولا في العقبى ولا في رؤية الحال والمقام ولو بسينة والحرية عزيزة قال قائلهم: أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقلتي طلعة حر

﴿مَا كَانَ﴾ [الآية: 17] ما صح ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 17] شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقيل: هو المراد وجمع لأنه قبلة المساجد أو لكبره في المشاهدة أو لأن جهاته الأربع مساجد فعامره كعامر الجميع في خدمة الواحد ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالتوحيد ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ﴾ [الآية: 17] أي: بإظهار الشرك وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من الواد والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة ما سواه ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ [الآية: 17] حيث لم يكن على وفق رضائه ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [الآية: 17] محجوبون عن لقائه.

وأفاد الأستاذ: أن عمارة المساجد بإقامة العبادة فيها والعبادات لا تقبل إلا بخلوص النيات والمشارك فاقد الإخلاص فهو بمعزل عن مقام الاختصاص.

﴿إِنَّمَا يَحْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 18] اكتفى بطرفي المؤمن به عما بقي من أنواعه ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ [الآية: 18] خصنا بالذكر من بين الأمور الدينية لأنهما أما العبادات الدينية والمالية والمعنى إنما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للفضائل العملية والفواضل العملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وتنظيفها وتطيبها وإدامة العبادة والذكر وإفادة العلم فيها وصيانتها مما لا تبين له كحديث الدنيا ومتعلقاتها فقد روي قال الله تعالى أن بيوتي في أرض المساجد وأن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر من بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾

[الآية: 18] أي: في سبيل هداة وطريق رضاه ﴿فَمَسَّوْا أَوْلِيَّكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُتَهَدِّينَ﴾ [الآية: 18] إلى وصول لقائه وحصول بقاءه وفي التغيير بصفة التوقع 362/أ تنبيه/ نبيه للمؤمنين أن لا يغتروا بأحوالهم ولا يتكلموا على أعمالهم.

وقال الأستاذ: لا يكون عمارة المساجد إلا بتخريب أوطان البشرية فعمارة العابد المساجد بتخريب أوطان شهوته والزاهد يعمرها بتخريب أوطان منيته والعارف يعمرها بتخريب أوطان علاقته والموحد يعمرها بتخريب أوطان ملاحظته ومساكنته وكذلك رتبهم في الإيمان مختلفة فإيمان من حيث البرهان وإيمان من حيث البيان وإيمان من حيث العيان وشتانهم ما هم قال قائلهم: لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

﴿أَجْمَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْمَكْرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 19] أي: كإيمان من آمن والمعنى إنكار أن يكون أفعال المشركين المحبطة حاوية لأعمال المؤمنين المثبتة ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وزيادة تحرير فيما ألحق به ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 19] إلى طريق الحق وكيف يستوي من هدي إلى صوب بساط الصواب ومن طرد عن الباب وبعد الحجاب والآية نزلت كما روي أنه لما أسر العباس غيره المسلمون بالشرك وقطيعه الرحم وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا إنما نعلم المسجد⁽¹⁾ الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني.

وقال الأستاذ: ليس من قام بمعاملة ظواهره كمن استقام في مواصلة سرائره ولا من اقتبس من سراج معالمه كمن استبصر بشموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القرية وليس نعت من تكلف بها نفاقاً كوصف من تحقق بها وفاقاً بينهما بون بين.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 20] أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات الحميدة

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰرِقُونَ﴾ [الآية: 20] بحصول المثوبة ووصول القربة.

وقال الأستاذ: آمنوا بأن شاهدوا بأنوار بصائرهم حتى لم يبق في سماء يقينهم سحب ريب ولا/ في هواء معارفهم ضباب شك وهاجروا فلم يعرجوا 362/ب في أوطان التفرقة فتمحصت حركاتهم وسكناتهم بالله الله وجاهدوا لا لملاحظة غرض أو مطالعة عوض فلم يدخروا لأنفسهم من ميسورهم شيئاً إلا آثروا الحق به عليهم وظفروا بالبغيه من مقامهم بالحق بعد فنائهم من الخلق.

﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ [الآية: 21] وقرأ حمزة يبشرهم بضم الشين من البشارة ﴿رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَّتِ لَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية: 21] في الجنات ﴿نَقِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 21] دائم.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 22] يستحقرونه ما استوجبوه لأجله ولعله إشارة إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن البشارة من الله على قسمين بشارة بواسطة الملك عند التوفي في ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] وبشارة بلا واسطة بقول الملك ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [الآية: 21] وذلك عند الحساب يبشرهم بلا واسطة بحسن التولي فعاجل بشارتهم بنعمة الله وآجل بشارتهم برحمة الله فستان ما بينهما ويقال البشارة بالنعمة والجنة لأصحاب الإحسان والبشارة بالرحمة لأرباب العصيان فأصحاب الإحسان صلح أمرهم للشهرة فأظهر أمرهم للملك حتى بشروهم جهراً وأهل العصيان لم يصلح أحوالهم لا للمسترفتولى بشارتهم من غير واسطة ليس سترأ ويقال إن كان للمطيع بشارة بالاختصاص فإن للعاصي بشارة بالخلاص وإن كان للمطيع بشارة بالدرجات فإن للعاصي بشارة بالخلاص بالنجاة ويقال: إن القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فأراد الحق سبحانه أن يكون محبة العبد له سبحانه على الخصوص فتولى بشارتهم بعزیز خطابه من غير واسطة فقال

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 21] وفي معناه أنشدوا:

لولا تمتع مقلتي بلقائه لوهبتها لمبشري بإيابه⁽¹⁾

أ/363

ويقال بشر العاصي بالرحمة والمطيع بالرضوان ثم الكافة بالجنة فقدم العاصي في الذكر وقدم المطيع في البر فالذكر قوله وهو قديم والبر طوله وهو عميم وقوله الذي لم يزل أعز من طوله الذي حصل لا لتقديم العصاة على المطيعين ولكن لضعفهم والضعيف أولى بالرفق من القوي ويقال تقدم أمر العاصي بالرحمة حتى إذا كان يوم العرض وحضور الجمع لا يفتضح العاصي ويقال ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 21] يعرفهم أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا من نيل تلك الدرجات لسعيهم وطاعتهم ولكن برحمته سبحانه وصلوا إلى طاعتهم لا بطاعته وصلوا إلى نعمته قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد ينجي عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا نِيعٌ مُّقيمٌ﴾ [الآية: 21] قوم نعيمهم عطاء ربهم على وصف التمام وقوم نعيمهم لقاء ربهم على نعت الدوام فالعابدون لهم تمام عطائه والعارفون لهم دوام لقائه ثم قال ﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 22] الكناية في قوله: فيها كما يرجع إلى الجنة يصلح أن يرجع إلى الحالة لا سيما وقد ذكر الأجر بعدها فكما لا ينقطع عطاؤه عنهم في الجنة لا يمتنع عنهم لقاءه متى شاؤوا في الجنة قال الله تعالى: ﴿لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ﴾ [الواقعة، الآية: 33] لا مقطوعة عنهم نعمته ولا ممنوعة منهم رؤيته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 23] يمنعونكم عن الإيمان ويحملونكم على العصيان ﴿إِنْ أَسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [الآية: 23] اختار الكفر المقتضي للهجران على الإيمان الموجب للأمان ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 23] بوضع الموالاة موضع العادات.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (81/3)، وذكر في نهاية الأرب (2/416)، والمنتحل (1/

(2) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يصلح بطاعة ربك لا تستخلصه لصحبة نفسك.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [الآية: 24] أقاربكم مأخوذ من العشرة وقيل: من العشيرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم وقرئ عشايركم ﴿وَأَمْوَالٌ أُقْرَبْتُمْوهَا﴾ [الآية: 24] أي: اكتسبتموها ﴿وَتَحَرُّرٌ تَحْشُونَ كَسَادَهَا﴾ [الآية: 24] فوات وقت رواجها أو تخافون فناءها ﴿وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا﴾ [الآية: 24] ترضونها تحبون سكنها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 24] / أي: 363 ب من أمره وحكمه في دينه ﴿وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 24] خص للاهتمام بشأنه ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ [الآية: 24] انتظروا عاقبته ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [الآية: 24] إما بلية عاجلة وإما عقوبة آجلة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 24] لا يرشدهم إلى طريق المحبة الحقيقية الموحية للنعمة السرمدية والمراد بما سبق حب الاختياري دون الطبيعي الاضطراري إذ لا يدخل تحت الحكم التكليفي.

وأفاد الأستاذ: أن علامة الصدق في التوحيد قطع العلاقات ومفارقة العادات وهجران المعارف والاكْتِفَاء بالله على دوام الحالات ويقال: من نفق سوق دينه كسدت أسواق حظوظه ما لم يخل منك منازل الحظوظ لا يعمر بك مشاهد الحقوق انتهى وقد قيل: من رق ثوبه رق دينه.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: أوقات متعددة كبدر وأحد والأحزاب وفتح مكة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [الآية: 25] وهو واد بين مكة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَكُم كَثَرَتُكُمْ﴾ [الآية: 25] إذا المسلمون يومئذ اثنا عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف فلما التقوا قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ لن تغلب اليوم من قلة إعجاباً بكثرتهم فانهمز أكثرهم وكان عمه العباس أخذ بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان وابن الحارث أخذ بركابه وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس صح بالناس يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فقالوا: يا عباد الله هلموا إلى رسول الله ﷺ فكروا بعدما فروا قائلين ليك لييك ونزلت الملائكة نصرة للمؤمنين فالتقوا مع المشركين ثم أخذ كفاً من التراب فرماها في وجوههم

فقال: شأته الوجوه ثم قال: انهزموا ورب الكعبة فانهمزموا⁽¹⁾ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ [الآية: 25] أي: كثرتم شيئاً من الأغنياء أو من أمر الأعداء ﴿وَصَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [الآية: 25] أي: ببرحها وسعتها لا يجدون فيها مقرأً يشبتون بها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ﴾ [الآية: 25] أي: الكفار ظهوركم ﴿مُذْرِبِينَ﴾ [الآية: 25] أي: قاصدين الفرار منهزمين والإدبار بالذهاب إلى خلف خلاف الإقبال.

وأفاد الأستاذ: أن النصره من الله في شهود القدرة والمنصور من يأخذ الحق سبحانه بيده/ فيخرجه من مهواة تدبيره ويوقفه على وصف التبصر بقضاء 364/ أ شهود تقديره.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ﴾ [الآية: 26] رحمته التي سكنوا إليها واطمأنوا بها وآمنوا فيها ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا﴾ [الآية: 26] من الملائكة ﴿لَوْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 26] بأعينكم ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 26] بالقتل والأسر والسبي ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 26] في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه، الآية: 127] قال بعضهم: السكينة التي أنزلها على رسوله وهو سكون قلبه مع ربه بلا علاقة غيره والسكينة التي أنزلها على المؤمنين هو سكون قلوبهم بما يأتيه نبيهم من عند ربهم من وعد ووعد وترغيب وترهيب ذكر السلمي.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية: 27] منهم بتوفيقه للإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 27] بالتجاوز عنهم ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 27] بالتفضل عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة هي الطمأنينة والخمود آثار البشرية بالكلية والرضا بما بدا من عالم القضاء من غير معارضة اختيار ودعوى اقتدار وأنزل جنوداً لم تروها وفود اليقين وزوائد الاستبصار في أمر الدين وعذب الذين كفروا بالتطوح في متاهات التفرقة والسقوط في وهدة ضيق التدبير ومحنة الغفلة والغيبة عن شهود التقدير ثم يتوب الله بأن ردهم من الجهل عن حقائق

(1). أخرجه مسلم في الصحيح (76/1775)، والدارمي في السنن (2/289) رقم (2452)، - وابن حبان في الصحيح (14/450) رقم (6520).

العلم ثم نقلهم من تلك المنازل إلى مشاهد اليقين ثم رقاهم عن تلك الجهلة بما لقيهم به من عين الجمع.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [الآية: 28] لخبث بواطنهم ولو نطقت ظواهرهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الآية: 28] لنجاستهم أو للمنع في دخول الحرم أو المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن مطلق الدخول وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع والنهي عن الاقتراب للمبالغة ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَكَذَا﴾ [الآية: 28] يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل: سنة حجة الوداع قيل: فيه دليل على الكفار يخاطبون بالقروع وقد يقال المعنى لا تمكنوا الكفار بأهل الإسلام من دخول الحرم الحرام ولو بقصد الإحرام ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] فقراً وحاجة بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والانتفاع/ بأنواع الرفق من 364/ ب الجوانب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 28] أي: عطاءه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ [الآية: 28] أي: على وفق قضائه ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 28] في منعه وعطاءه.

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا طهارة الأسرار بماء التوحيد فبقوا في قدرات الظنون والأوهام فمنعوا قربان المساجد التي هي مشاهد القرب وأما المؤمنون فطهرهم عن التدنس بشهود الأغيار فطالعوا الحق فرداً فيما يبينه من الأمر ويمضيه من الحكم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] توقع الإفقار من الأسباب من قضايا انغلاق باب التوحيد ومن لم يفرد معبوده بالقسمة بقي في فقر سرمد يقال: من أناخ بعفوة كرم مولاه واستمطر سحاب جوده، أغناه عن كل سبب وكفاه كل تعب وقضى له كل سؤل وأرب وأعطاه من غير طلب.

﴿فَتِلْكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 29] فإيمانهم كلاً إيمان للنقصان في مراتب الإيقان ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 29] أي: ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة على الأعيان ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [الآية: 29] أي: الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [الآية: 29]

[29] بيان للذين لا يؤمنون ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ [الآية: 29] ما تقرر عليهم أن يعطوه من الكلية والجزئية ﴿عَنْ يَدٍ﴾ [الآية: 29] قاهرة عليهم بالغلبة ﴿وَهُمْ صَبِرُونَ﴾ [الآية: 29] في غاية من المذلة.

وأفاد الأستاذ: أن من استوجب الهوان لا ينجيك من شره غير ما يستحقه من الإذلال على صغره ومن داهن عدوه فالتحري أن يلقي سوءه ومن أشد الناس عداوة لك نفسك المجبولة على الشر فلا تفلح معها إلا بذبحها بمدية المجاهدة فإنها لا تؤمن بالتقدير ولذلك تخلد إلى التدبير ولا يسكن إلا بوجود المعلوم يعني ومن المعلوم شؤم فإنه في الحقيقة مجهول وموهم.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [الآية: 30] قرأ عاصم والكسائي بتنوين عزيز على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى بمنع صرفه بالعجمة والعلمية ﴿وَقَالَتِ الْنَصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية: 30] لأنه مجرد قول خال عن بيان البرهان يوجد في الأفواه ولا يوجد مفهومه في الأعيان ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 30] المضاهاة المشابهة والهمزة فيه لغة وبه قرأ عاصم أي: يضاهي قولهم قول الكفار من قبلهم والمراد قدماً وأهم على معنى أن الكفر قديم فيهم ﴿فَنَلَّاهُمُ اللَّهَ﴾ [الآية: 30] دعا عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو أنشأ للإخبار بسوء حالهم في مآلهم أو تعجب من شناعة أقوالهم ويؤيده قوله: ﴿أَنَّهُ يُؤْفِكُونَ﴾ [الآية: 30] كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل المحق.

﴿اتَّخَذُوا أَجْنَادَهُمْ﴾ [الآية: 31] علماءهم ﴿وَرَبَّهُمْ﴾ [الآية: 31] عبادهم ﴿أَزْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية: 31] بأن أطاعوهم في سبيل هداه وطريق رضاه ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 31] بأن جعلوا أنبياء الله ﴿وَمَاءَ أُمُرُوا﴾ [الآية: 31] أي: المتخذون والمتخذون أجمعوا ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ [الآية: 31] ليطيعوا ﴿إِنَّهَا وَجَدَ اللَّهُ﴾ [الآية: 31] وهو الله وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 31] استئناف منذر بالتوحيد ومحرر للتقرير ﴿مُبَحِّثُكُمْ عَنْهَا يَشْرِكُونَ﴾ [الآية: 31] قال بعضهم سكنوا

إلى أمثالهم وطلبوا الحق من غير مظانه وطريق الحق واضحة لمن كحل بنور التوفيق وبصر سبل التوفيق ومن عمي عن ذلك كان مردوداً من طريق الحق إلى طريق الأجناس من الخلق ذكره السلمي.

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾ [الآية: 32] يخمدوا ﴿تُورَ اللَّهُ﴾ [الآية: 32] حجة الإله على وحدانيته المقرونة بصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته ﴿بِأَفْوَهِهِمْ﴾ [الآية: 32] بأقوالهم الباطلة وحججهم الداحضة ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ﴾ [الآية: 32] أي: يمتنع ولا يرضى ﴿إِلَّا أَنْ يُسِّرَ تَوْرَهُ﴾ [الآية: 32] بإعلاء التوحيد وإعذار أهل التفريد ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية: 32] الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله أو لو بمعنى أن الوصلية.

وأفاد الأستاذ: أن من رام أن يستر شعاع الشمس بدخان ما يوقده من نيرانه أو عالج أن يمنع حكم السماء بمحن تدبيره أو يسقط نجوم الفلك بسهام قوسه أظهر رعونته ثم لم يحظ بمراده كذلك من توهم أن سنة التوحيد يعلوها وهج شبهة فقد أخل في ظنه وافتضح في وهمه.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ [الآية: 33] ليعلي دينه أو يغلب رسوله ﴿عَلَى الَّذِينَ/ كُفِرُوا﴾ [الآية: 33] أي: الآيات جميعها بنسخ 365/ ب أحكامها أو بنصر رسوله على جميع أهلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 33] والمراد بالكافرين ثمة أهل الكتاب وقدموا لكونهم أهل الخطاب أو تخصيص بعد تعميم باب الإطناب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح العلل بما ألاح من الحجج وأزال الشبهة بما أوضح من النهج فشموس الحق طالعة وأدلة الشرع لامعة كما قال:

هي الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب⁽¹⁾
﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ﴾ [الآية: 34] أي:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 92) و(3/ 194) و(3/ 494).

العلماء والمشايخ من اليهود والنصارى ﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية: 34] يأخذونها بالرشى في الأحكام ويسائر مآكل الحرام ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 34] دينه الإسلام.

وأفاد الأستاذ: أن العالم إذا ارتفق بأموال الناس عرضاً مما يعلمهم زالت بركات علمه ولم يطب في طريق الزهد مطعمه والعارف إذا انتفع بخدمة المريد أو ارتفق بشيء من أحواله وأعماله زالت آثار همته ولم تجد في حكم التوحيد أسرار حالته ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [الآية: 34] منهم ومن غيرهم ﴿وَلَا يُفْقِدُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لا يصرفون ما يتعلق بها من الحق في مصارفه من الخلق لقوله ﷺ ما أدي زكاته فليس بكنز⁽¹⁾ أي: مما أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه بالاتفاق والضمير إلى أجناس الذهب والفضة أو إلى الدنانير والدرهم أو الكنوز المستفادة من الفعل أو الأموال بقرينة الحال والفضة وتخصيصها لقربها وإدلاله حكمها على ما سواها أو لكونها أكثر إنفاقاً مما عداها ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 34] في الدنيا والعقبى.

وقال الأستاذ: فلهم في الآجل عقوبة والذين لا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فلهم في العاجل حجة وقليل من عباده من سلم من الحجاب في محتضره ومن العتاب في منتظره.

﴿يَوْمَ يُخَيَّرُ﴾ [الآية: 35] يوقد ﴿عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [الآية: 35] لأن جمعهم وإسماهم كان بطلب الوجهة الرضية والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنها أشرف الأعضاء/الظاهرة أو لأنها أصول الجهات الأربع في مقادير البدن ومؤخره وجنبيه أو لأنهم ازوروا عن السائل بجنوبهم وأعرضوا عنه بوجوههم وولوه بظهورهم.

1/366

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 547) رقم (1438)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 281) رقم (613)، وابن ماجه في السنن (1/ 569) رقم (1787)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 83) رقم (7025).

وأفاد الأستاذ: أنهم لما طلبوا الجاه عند الخلق بمالهم وبخلوا بإخراج حق الله عنه شان الله وجوهمهم ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم قال تعالى: ﴿فَتَكُونُ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [الآية: 35] ويقال: عبسوا في وجوه العفاة وعقدوا في وجوههم حواجبهم فوضعت الكية (غداً) على تلك الجباه المقبوضة على الفقراء ولما طووا كشحهم دون الفقراء إذا جالسوهم وضع المكواة على جنوبهم ﴿هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 35] أي: يقال لهم هذا ما جمعتم ومنعتم لمنفعتيها وكان عين مضرتها وسبب وبالها في مالها ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [الآية: 35] أي: جزاءه.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ [الآية: 36] أي: مبلغ عددها ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي في حكمه ﴿أَتَيْنَا عَشْرَ شَهْرًا﴾ [الآية: 36] تمييز تأكيد ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي: كائنة في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية: 36] أي: ثابت منذ خلق الله الأجرام العلوية والسفلية والأظهر الأيام والليالي الزمانية ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [الآية: 36] واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذي القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما علم أنهم لا يداومون على ملازمة القرب والعبادات منها أفرد بعض الشهود بالتفضيل ليخصوها باستكثار الطاعة فيها فأما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شعبان ورمضان وكذلك جميع الأيام لهم جمعة وجميع البقاع لهم كمكة وجميع المشاهد كالمساجد وفي معناه أنشد بعضهم:

يا رب إن جهادي غير منقطع وكل أرض لي ثغر طرسوس⁽¹⁾

﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الآية: 36] أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم والطريق القديم وملة إبراهيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 36] بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولو الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام إلا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (95/3) و(233/5).

366/ب أنه كيفية لا كمية ومما يدل على نسخها أن غزوة/ حنين وقعت في ذي القعدة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال للعوام لا تظلموا في بعض الشهور أنفسكم يعني بارتكاب الزلة وأما الخواص فمأمورون أن لا يظلموا في جميع الشهور قلوبهم باحتقاب الغفلة ويقال: الظلم على النفس أن يجعل العبد زمامه بيد شهواته فتورده مواطن هلكاته ويقال: الظلم على النفس بخدمة الخلق بدل طاعة الحق ويقال: من ظلم على نفسه بارتكاب المحظورات بلي بالفترة في الطاعات ومن ظلم على قلبه بمضاجعات امتحن بعدم الصغرة في مرور الأوقات ﴿وَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّ كَفَّارٍ كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ [الآية: 36] جميعاً وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 36] بشارة بمعية المعونة وضمن بالنصرة بسبب التقوى عن المعصية والغفلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا سلاح أمضى على عدوك من تبريك عن حولك وقوتك.

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ [الآية: 37] كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العقد والمعنى أنها تأخر حرمة الشهر إلى شهر آخر ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [الآية: 37] لأنه تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 37] ضلالاً زائداً وقرأ حمزة والكسائي وحفص يُضِلُّ عن بناء المفعول وعن يعقوب يُضِلُّ على أن الفاعل هو الله ﴿يُجِلُّونَهُ﴾ [الآية: 37] المنسي من الأشهر الحرام ﴿عَامَاً﴾ [الآية: 37] سنة ويحرمون مكانه شهراً آخر ﴿وَيُحَرِّمُونَهُ عَامَاً﴾ [الآية: 37] فيتركونه على حرمة والجملتان حال وتفسير للضلال ﴿لِيُؤَاطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية: 37] ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ﴿فِيَحْلُلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [الآية: 37] بمواطأة العدة من غير موافقة الأزمنة ﴿زَيْنٌ لَهُمْ سَوْءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ [الآية: 37] وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى فإنه المزين الحقيقي وقد تنسب إلى الشيطان بالإسناد المجازي والمعنى أضلهم حتى حسبوا قبيح

أعمالهم حسناً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 37] إلى تحسين حالهم/ في 367/ أ الدنيا وتزيين مآلهم في العقبى .

وأفاد الأستاذ: أن الدين ملاحظة الأمر ومجانبة الوزر وترك التقدم بين يدي الله ورسوله في جميع أحكام شرعه ورسوم دينه فالآجال في الطاعات مضروبة والتوفيق في عرفانه متبع والصلاح في الأمور بالإقامة على نعت العبودية فالشهر ما سماه الله شهراً والحول ما أعلم الخلق أنه قدم ما بينه شرعاً .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 38] أخرجوا إلى الجهاد في طريق رضاه ﴿أَنفَلْتُمْ﴾ [الآية: 38] ومعنى تشاقلتم على الأصل والمعنى تباطأتم وتمايلتم ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ [الآية: 38] بالتخلف فيها والتوقف بها عن الصعود إلى مكارم الأخلاق ومعالها كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهـا واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي⁽¹⁾

وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وشدة حرارة وبعد مسافة وكثرة أعداء بشوكة فتشق على المنافقين وبعض الضعفاء من المؤمنين ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 38] وغرورها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 38] أي: بدلها من نعيم قصورها وحورها وسائر سرورها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 38] أي: التمتع بها أو ما ينتفع منها ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية: 38] في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 38] يسير حقير .

وقال الأستاذ: عاتبهم على ترك البدار عن توجه الأمر وانتهاز فرصة الرخصة وأمرهم بالجد في العزم والقصد في الفعل فالجنوح إلى التكاثر والاسترواح إلى التناقل إمارات ضعف الإيمان إذ الإيمان غريم لازم ولا يرضى من العبد بغير ممارسة الأشق وملابسة الأحق ثم قال ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 38] من الآخرة أي: وهل يحمد بالعباد أن يختار دنياه على عقباه أم هل يحسن بالعارف أن يؤثر هواه على رضا مولاه فغيبية يوم من الزاهد

(1) نسب إلى الحطيئة . انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16) .

عن الباب تعدل شهوراً وغيبة لحظة من العارف عن البساط تعدل دهوراً ﴿إِلَّا
تَنْفِرُوا﴾ [الآية: 39] أي: أن لا تنفر إلى ما استقرتُم إليه مديماً ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا﴾ [الآية: 39] بإهلاككم في الدنيا بسبب فظيع ونوع شنيع كقحط وظهور عدو
وقد ورد اللّهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية⁽¹⁾.

367/ب وأفاد الأستاذ: / أن العذاب الأليم هو أن لا يعاتبه على تأخير الرجوع أو
إذا أعرض العبد عن الطاعة لا يبعث وراءه من جند التوفيق ما يرده إلى الباب
أو هوان يسلبه حلاوة النجوى إذا آب وهو الصدود يوم الورود وهو الوعيد
بالفراق فأما نفس الفراق فهو تمام التلف للعشاق وأنشدوا:

وزعمت أن البين منك غداً هدد بذلك من يعيش غدا⁽²⁾

ويقال: من تلك النصرّة إبقاؤه إياه فيما لقاءه به من كشوفاته في تلك
الحالة ولولا نصرته لتلاشى تحت سطوات كشفه من الحضرة ﴿وَسَتَبَدِّلَ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ﴾ [الآية: 39] أي: يستبدل بكم جمعاً آخرين مطيعين خيراً منكم كأبناء
فارس واليمنين.

وقال الأستاذ: أي يصرف ما كان عليه من إقباله إلى غيره من أشكاله
وليس كل من حفر بئراً يشرب من معينها.

أسقى رياحين الحفاظ مدامعي وسواي في روض التواصل يرتع⁽³⁾

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [الآية: 39] فإنه الغني عن كل شيء في كل أمر ولا
تضرّوا دينه أو رسوله فإن الله وعدله بالغلبة والنصرة وكلامه حق ووعدده صدق
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 39] ومنه التغيير والتبديل على وفق
التقدير.

﴿إِلَّا تَضُرُّوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 40] إلا تنصروه فسينصره الله كما
نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 40] أي: يتسببون لإذن الله له بخروجه

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 725) رقم (1986).

(2) و(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 98).

وهموا بإخراجه ثاني اثنين حال كونه لم يكن معه إلا رجل واحد موحد ليس له ثان في الوجود من الكرم والجود ﴿ثَانِيَانِ﴾ [الآية: 40] سبقاً في ميدان الشهود وفي هذا منقبة عظيمة للصديق في تخصيص مقام التوفيق.

وقال السلمي: أي نصرة الله حين أغناه عن نصرتكم بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة، الآية: 67] فمن كان في ميدان العصمة كان مستغنياً عن نصرة المخلوقين.

وأفاد الأستاذ: أن من عزيز تلك النصرة أنه لم يستأنس بثانيه الذي كان معه بل رد الصديق إلى الله ونهاه عن مساكنته إياه فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما⁽¹⁾ ويقال: كان ﷺ ثاني اثنين بظاهر شبحه ولكن كان مستهلك الشاهد في الواحد بسره ﴿إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ﴾ [الآية: 40] وهو نقب في أعلى جبل 368/أ ثور بمكة على مسافة ساعة نجومية مكثا فيه ثلاثة أيام.

قال ابن عطاء: أي في محل القرب وكهف الأنوار وغار الأسرار.

وقال الأستاذ: صحيح ما قالوه للبقاء دول ما خطر ببال أحد أن ذلك الغار يصير مأوى سيد الأبرار وسيد الأخيار ولكن يختص بقسمته من يشاء كما ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: 105] ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [الآية: 40] وهو أبو بكر بإجماع المفسرين فمن أنكر صحبته صار من الكافرين⁽²⁾ ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ [الآية: 40] أي: على أو عليك أو علينا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] بالعصمة والمعونة لنا.

وقال ابن عطاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] في الأزل حيث وصل بيننا وصلة الصيحة وما انفصل.

وقال الفارسي: إنما نهى عن الحزن لأن الحزن لا يحل بمثله لأنه في محل قرينة.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3653)، ومسلم في الصحيح (1/2381).

(2) باعتبار أنه أنكر ما في القرآن من صريح الآية.

وأفاد الأستاذ: أنه علقت قلوب قوم بالعرش فطلبوا الحق منه وهو تعالى يقول ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ [الآية: 40] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] إنه سبحانه وأنه قدس عن كل مكان ولكنه في هذا الخطاب حياة لأسرار أرباب المواجهين وينشد: يا طالب الله في العرش الرفيع به لا تطلب العرش إن المجد في الغار⁽¹⁾ أقول ولعل هذا الغار حصل له تجلي الجمال فثبت في مقامه تبعاً لأصحابه مرامه بخلاف الطور حيث ما أطاق النور فإنه لما وصل له تجلي الجلال ﴿جَعَلَكُمْ ذَكَاً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَوِقًا﴾ [الأعراف، الآية: 143] مع أحكامه وأيضاً في تسميته بالغار إشارة إلى أنه سبحانه غار على حبيبه حتى ستره عن أعين الأغيار.

ثم قال الأستاذ: في الآية دليل على تحقيق صحبة الصديق حيث سماه الله صاحبه وعده ثانياً ولما كان في الإيمان تالية كان من جملة أصحابه في الغار ثانياً ثم في القبر ضجيعه وفي الجنة يكون رفيقه ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ [الآية: 40] أَمَنَهُ الذي يسكن عنده القلوب وطمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ [الآية: 40] أي: على النبي زيادة في كماله أو على صاحبه لأنه كان منزجاً في حاله ولا يبعد أن يقال على كل منهما بما يليق في مقامهما لاحتياجهما إلى تسكين خاطرهما واطمئنان قلبهما في كل لحظة ولمحة إلى ربهما فتقدير الآية فأنزل الله سكينته على النبي ب/368 بحسب الأصالة وعلى الصديق بسبب التبعية فإنهما كانا في مقام الضيافة/ الإلهية وفي خصوصيته الحالة المعية وقال بعضهم: السكينة سكون القلب إلى ما يبدو من محل الأقدار ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الكناية في الهاء من عليه تعود إلى الرسول ﷺ ويحتمل أن يكون عائدة إلى الصديق فإن حملت على الصديق يكون خصوصية من بين المؤمنين على الانفراد قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح، الآية: 4] للصديق على التخصيص ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ كما قال عليه السلام «إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 99).

خاصة» وإنما كان حزن الصديق ذلك اليوم لأجل الرسول ﷺ إشفافاً عليه لا لأجل نفسه ثم أنه نفى عليه السلام عنه حزنه وسلاه بأن قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] وحزن لا يذهب إلا بمعية الحق لا يكون إلا لحق الحق ﴿وَأَيُّكُمْ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 40] يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار عن عين الأغيار وليعينوه يوم بدر والأحزاب وحينئذ على أعدائه من الكفار فتكون الجملة حينئذ معطوفة على قوله نصره.

وقال جعفر الصادق: ذاك جنود اليقين والثقة بالله والتوكل عليه والإعراض عما سواه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ [الآية: 40] يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْفُلْكَ﴾ [الآية: 40] يعني التوحيد أو دعوة الإسلام ولا يخفى نكتة اختلاف الجملتين حيث يدل الجملة الفعلية على الحدوث في المقام والإسمية على الاستمرار والدوام على وفق المرام والمعنى وجعل ذاك بتخليص سيد الأبرار عن أيدي الكفار بهجرته من مكة إلى المدينة أو بتأييده إياه بالملائكة في المواطن المذكورة المشهورة وبحفظه ونصره حيث حضر من السفر والحضر⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: بإظهار حجج دينه وتمهيد سبيل حقه وبقينه فرايات الحق إلى الأبد عالية وتمويهات الباطل واهية وحزب الحق منصورون ووفد الباطل مقهورون ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 40] في قدره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 40] في أمره.

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا﴾ [الآية: 41] حال نشاطكم له ﴿وَيَقَالَا وَجْهَدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 41] حال مشقته عليكم أو لقلّة عيالكُم ولكثرتها أو ركبناً أو مشاتناً أو خفافاً وثقلاً من السلاح أو صحاحاً ومراضاً ولذا لما قال ابن/ أم مكتوم لرسول الله ﷺ أنفر قال: نعم حتى 369/أ نزلت ﴿يَتَسَّ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ [النور الآية: 61].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بالقيام بحقه والبدار إلى أداء أمره على

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (3/ 83) رقم (4463)، وانظر: تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي (1/ 42).

جميع أحوالهم ﴿خَفَافًا﴾ [الآية: 41] يعني في حال حضور قلوبكم فلا يمسنكم نصب المجاهدات ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا أردتم إليكم في مقاساة تعب المكابدات فإن البيعة أخذت عليهم في المنشط والمكروه ويقال: ﴿خَفَافًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم محمولين في حال الجمع ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم متحملين في إيوان الفرق.

﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية: 42] ما دعوه إليكم فرضاً وتقديراً ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ [الآية: 42] نفعاً دنيوياً قريب المأخذ وسهلاً يسيراً ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ [الآية: 42] متوسطاً ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 42] لوافقوك أو رافقوك ﴿وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [الآية: 42] المسافة التي تقطع بالمشقة.

قال الأستاذ: يريد به المتخلفين عنه في غزوة تبوك بين سبحانه أنه لو كانت المسافة قريبة والأمر هيناً لما تخلفوا عنك وهكذا من كان غير متحقق في قصده كان غير مبالغ في جهده يعيش على حرف وينصرف بحرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج، الآية: 11] وإذا رأيت المرید يتبع الرخص وينجح إلى الكسل ويتعلل بالتأويلات فاعلم أنه منصرف عن الطريق متخلف عن السلوك وأنشدوا:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكاناً⁽¹⁾

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 42] أي: المتخلفون إذا رجعت من تبوك حيث يعتذرون ويقولون: ﴿لَوْ أَسْتَطَعْنَا﴾ [الآية: 42] لو كان لنا استطاعة العدة أو طاقة البدن والبنية ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 42] سد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه من الحادثات ﴿يُحْلِفُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 42] بإيقاعها في العذاب لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك والحجاب.

وأفاد الأستاذ: يمين المتعلل والمتأول بمعنى فاجرة يشهد بكذبها عيون

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/415) و(2/426) و(3/102، 152) و(4/204) و(4/309) و(6/54)، وذكر في محاضرات الأدباء (1/338) ونسب إلى أعرابي.

الفراسة ونفرت قلوب أرباب الكياسة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية: 42] في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين للخروج هنالك.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ [الآية: 43] حسن خطاب في مبدأ عتاب بينه بقوله: ﴿لَمْ أَذَنْتَ لَهُمْ﴾ [الآية: 43] أي: لأي شيء أذنت لهم حتى استأذنوك واعتلوا بأكاذيب فيما أظهروك وهلاً توقفت/ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [الآية: 43] في 369/ب الاعتذار ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الآية: 43] حال الاختبار.

وقال الأستاذ: لما لم يكن منه عليه السلام خرق حد محذور ولا تعاطي أمر محذور وإنما بدر منه ترك ما هو الأولى قدم الله تعالى ذكر العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب بقوله: ﴿لَمْ أَذَنْتَ لَهُمْ﴾ [الآية: 43] ومن جوز الزلة على الأنبياء إذا لم يكن ذلك في تبليغ أمر وتمهيد شرع يقول قابله بالعفو قبل أن وفقه للعذر وكذا سُنَّةُ الأحباب مع الأحباب قال قائلهم:

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا⁽¹⁾

ويقال: حسنات الأعداء وإن كانت حسنات فكالمرودة وسيئات الأحباب وإن كانت سيئات فكالمغفورة كما قيل:

من ذا يؤاخذ من يحب بذنبه وله شفيع في الفؤاد مشفع⁽²⁾

﴿لَا يَسْتَنْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 44] ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلف عنك ﴿أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ [الآية: 44] أي: كراهة أن يجاهدوا ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 44] وإنما قد يستأذنوك لعذر بهم ومانع لهم من أحوالهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 44] أي: بأمورهم وأعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المخلص في عقدة غير مؤثر شيئاً على أمره ولا مدخر مستطاعاً في استفراغ وسعه وبذل جهده من مقاسات كده واستعمال جده.

(1) نسب إلى أبي نؤاس. انظر: ربيع الأبرار (1/ 170)، والمتحل (1/ 61).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 103).

﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ [الآية: 45] في التخلف عن الجهاد ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 45] أي: بالمبدأ أو المواد وخُصًّا فإن الإيمان بهما باعث على المجاهدة وعدمه حامل على نفي المكيدة ﴿وَأَزَاتَبَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ﴾ [الآية: 45] أي: في ميادين شكوكهم وظنونهم يتحذرون.

وأفاد الأستاذ: أن من رام من عهده الإلزام فرجة وانتهز في التأخر والتخلف فرصة فلعدم إيمانه وتصديقه ولما استكن من الريبة في قلبه وسره أولئك الذين يتقلبون في ريبهم ويترددون في شكهم.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ [الآية: 46] في الغزوة ﴿لَأَعَدُّوا لَكُمْ﴾ [الآية: 46] للخروج ﴿عُدَّةً﴾ [الآية: 46] أهبة ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] والمعنى ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه سبحانه كره نهوضهم للخروج وقيامهم عن الولوج ﴿فَتَثَبَّطُوا﴾ [الآية: 46] فحبسهم بالجبن والكسل ومنعهم بالخوف والفشل 1/370 ﴿وَقِيلَ أَفَعَسَدُوا/ مَعَ الْقُنُودِينَ﴾ [الآية: 46] تمثيل لقاء الله كراهة الخروج إليهم أو تصويراً لوسوسة الشيطان بحكم القعود عليهم أو حكاية قول بعضهم لديهم والقاعدين يتحمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سقمت إرادتهم فحصلت دون الخروج بلادتهم ولذا قيل:
لو صح منك الهوى أرشدت للحيل⁽¹⁾

وقوله: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] ألزمهم الخروج من حيث التكليف والامتحان ولكن ثبتهم في بيوتهم بالخذلان فبأمر الإلزام دعاهم وبأمر

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

لكن حبك لي قول بلا عمل

انظر: التمثيل والمحاضرة (٤٨/١).

ونسب إلى أبي حفص الشطرنجي وهو عجز البيت وصدره:

اتبعت لما ملكك الوعد بالعلل

انظر: مصارع العشاق (١١٩/١)، وقالوا أنه من الأمثال. انظر: جمهرة الأمثال (١/١٨٥).

التكوين أقصاهم.

﴿لَوْ خَرَجُوا﴾ [الآية: 47] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فِيكُمْ﴾ [الآية: 47] أي: فيما بينكم أو في وقت خروجكم ودخلوا في طريقكم معكم ﴿مَّا زَادُوكُمْ﴾ [الآية: 47] بخروجهم شيئاً ﴿إِلَّا خَبَالًا﴾ [الآية: 47] فساداً وشرّاً ودغلاً وضرّاً فالاستثناء متصل وما زادوكم خيراً ولكن زادوكم ضيراً فالاستثناء منفصل ﴿وَلَا وَضَعُوا لَكُمْ﴾ [الآية: 47] ولا أسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والهزيمة ﴿يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ [الآية: 47] يطلعون لكم إيقاع المخالفة حال المخالطة وترك الموافقة حين المخالفة ﴿وَفِيكُمْ سَمْعُونَ لَهُمْ﴾ [الآية: 47] جماعة ضعفة يسمعون قولهم ويطيعون أمرهم أو جمع يسمعون حديثكم للنقل إليهم واطهار حالكم اليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 47] فيعلم ضمائرهم كما يعلم ظواهرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر نبيه النبيه عن سابق علمه بهم وذكر ما علم أن لا يكون إن لو كان كيف يكون فقال: لو ساعدوكم في الخروج لكان ما يلحقكم من سوء سيرهم في التضريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوؤكم أكثر مما نالكم بتخلفهم من نقصان عددكم ومن ضره أكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ومن لا يحصل من شيء غير ضروره فتخلفه أنفع من حضوره.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ﴾ [الآية: 48] أي: طلبوا تشتيت أمرك وتفريق قومك ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 48] أي: يوم أخذ قال ابن أبي وأصحابه: كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول ﷺ أي: ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أخذ ﴿وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ [الآية: 48] أي: دبوا الحيل والمكائد لأجلك ودوروا الآراء في إبطال أمرك/ ﴿حَقُّ جَاءَ الْحَقُّ﴾ [الآية: 48] الأمر السلطاني والفتح السبحاني لنصرك ﴿وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [الآية: 48] بأعلى دينك ﴿وَهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الآية: 48] ظهور شأنك فوق الأمر على رغم أنفهم وفضاحة حالهم وكشف عملهم الإتيان لتسليته عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان حسن اختيار الله لهم في تشييط مخالفهم وكراهة انبعاثهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة

أعذارهم وإزالة اقتدارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن ظهروا وفاقكم فقد استبطنوا نفاقكم واعلموا أنهم يؤازرونكم ويعاونونكم ويناصرونكم وراموا بكيدهم تشويش أموركم حتى كشف الله عوراتهم وأخبارهم وفضحهم حتى تحذرتهم عنهم بما تحققتهم من أسرارهم.

﴿وَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 49] أي: من المنافقين أو المتخلفين ﴿مَنْ يَكْفُلُ أَذَنَ لِي﴾ [الآية: 49] في القعود عن المجاهدة ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ [الآية: 49] أي: توقعني في الفتنة من العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي في التخلف عن هذه الغزوة أو في الفتنة بسبب فساد المال وضياع العيال إذ لا كافل لهم بعدي في حال الترحال أو في الفتنة بنساء الروم لما رووا أن جد ابن قيس قال: لقد علمت الأنصار أنني مولع بالنساء فلا تفتني بنات الأصفر ولكن أعينك بمالي ما تركتني في حالي وفي رحالي ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [الآية: 49] انتبهوا على الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف بها ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [الآية: 49] جامعة لهم يوم القيامة وهذه الساعة لأن إحاطة أسبابها كوجود ما بها.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبرزوا قبيح أفعالهم في معرض التخرج لمعذرتهم وراموا أن يلبسوا على الرسول والمؤمنين خبث سيرتهم وسريرتهم فبين الله أن الذي منه فروا بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم وكذا المتجلد بما يهواه متطوح في وادي بلواه وسيلقى في الآخرة من الهوان ما يغني عن الحاجة إلى البرهان.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ [الآية: 50] في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 50] نصرة وغنيمة كما في بدر ﴿تَسُوْهُمْ﴾ [الآية: 50] تحزنهم لفرط حسدهم ﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ﴾ [الآية: 50] في بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾ [الآية: 50] شدة ومحنة كما أصاب يوم أحد ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 50] يتبجحوا بانصرافهم ويخدموا/ في التخلف لرأيهم ﴿وَيَكْتُولُوا﴾ [الآية: 50] أي: ينقلبوا عن متحدتهم

بذلك وعن محبتهم هنالك ﴿وَهُمْ قَرْحُونَ﴾ [الآية: 50] مسرورون فيما بدا لك. —

وأفاد الأستاذ: أنه هكذا صفة الحسود يتصاعد أنين قلبه عند شهود

الحسنى ولا يسر قلبه غير حلول البلوى ولا دواء لجروح الحسود فإنه لا يرضى بغير زوال النعمة عن صاحبه ولذا قالوا:

كل العداوة قد ترجى إماتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وأن الله عجل عقوبة الحاسد وذلك حزن قلبه بسلامة محسوده فالنعمة للمحسود فقدر الوحشة للحاسد تُعد.

﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [الآية: 51] أي: ما قدره وقضاه علينا أو أثبت في اللوح المحفوظ لأجلنا لا يتغير بموافقتكم ولا يتبدل بمخالفتكم أو ما اختصنا بإثباته من النصرة أو إيجابه من الشهادة.

قال إبراهيم ابن آدم: من رضي بالمقادير لم يقم ذكر السلم.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن لا يلحقه شماته عدوه لأنه ليس يرى إلا مراد وليه فهو يتحقق أن ما يناله مراد مولاه فيسقط عن قلبه ما يهواه ويستقل بروح رضاه فيعذب عنده ما كان يصعب من بلواه وأنشدوا في معناه:

إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما بجرح إذا أرضاکم ألم⁽¹⁾

ويقال: شهود جريان التقدير يخفف عن العبد كل عسير ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ [الآية: 51] ناصرنا ومتولي أمرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ [الآية: 51] لا على ما سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 51] أي: ليعتمدوا عليه ويلتجئوا في جميع أمورهم إليه بل وليكونوا كالميت بين يديه.

وأفاد الأستاذ: إن قوله هو مولانا تعريف للعبيد أن له [سبحانه] أن يفعل ما يريد لأنه تصرف مالك الأعيان في ملكه وهو يبدي ويجري ما يريد بحق حكمه وأول التوكل هو الثقة بالله بوعده ثم الرضا باختياره ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره ويقال: التوكل سكون السير عند حلول الأمر ونهايته التفويض فهو يساوي الحل والمر والنفع والضرر والنعمة والمحنة.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ﴾ [الآية: 52] ما تنتظرون لنا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ الْمُسْلِمِينَ﴾

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: سر الفصاحة (1/63)، وشرح ديوان المتنبي (1/243).

[الآية: 52] أي: العاقبتين اللتين كل منهما حسني العواقب ويمني المراتب من النصر والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَرْتَبِصُ بِكُمْ﴾ [الآية: 52] أي: إحدى السوايف/ ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ [الآية: 52] كقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيِّدِنَا﴾ [الآية: 52] أي: أو بعذاب على أيدينا وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرْتَبِصُوا﴾ [الآية: 52] أي: ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [الآية: 52] ما هو عاقبتكم.

وأفاد الأستاذ: أن سبحانه في هذه الآية بيّن الفرق بين الفريقين من المؤمنين والكافرين فقال الذي تنتظرون أيها الكفار من شأن الأبرار وقوع الدائرة عليهم في القتال أو القتل ينالهم في الحال وأي واحد منهما تولهم من الله نعمة لأننا إن ظفرنا بكم فنصر وغنيمة وإعزاز للدين ورفعة وإن قتلنا فشهادة ورحمة ورضوان من الله وزلفة وإن كان الذي يصيبنا في الدنيا هزيمة ونكبة فذلك موجب لأجر ومثوبة فإذا لن يستقبلنا إلا ما هو حسنى ونعمة وما أنتم فإن ظفرنا بكم فتعجيل ذل لكم ومحنة وإن قتلتم فعقوبة من الله وسخطة وإن كانت اليد لكم في الحال فخذلان من الله وسبب عذاب وزيادة نقمة ويقال ﴿هَلْ تَرْتَبِصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [الآية: 52] إما قيام بحق الله في الحال فيكون بوصف الرضا وهي في التحقيق الجنة الكبرى وإما وصول إلى الله في المآل بوصف الشهادة ووجدان الزلفة في العقبى وهي الكرامة العظمى.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا﴾ [الآية: 53] بحسب الظاهر ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية: 53] بحسب الباطن فأو للتنويع ويضم الكاف الكوفيون ﴿لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ﴾ [الآية: 53] وهو أمر في معنى الخبر أي: لمن تقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً وفائدته مع أنهم لا يتفقون إلا وهم كارهون هو المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول ولو وقع طوعاً فرضاً ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤاخذ منهم أو أن لا يثابوا عليه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [الآية: 53] خارجين عن الطاعة والجملة استئناف بيان وتعليل برهان لما قبله.

وأفاد الأستاذ: أن المردود لا يقبل منه التوسل ولا يغير حكم شقاوته بتكثير التكلف والتعمل ويقال تقرب العدو يوجب زيادة المقت له وتحجب

الحبيب يقتضي زيادة العطف عليه قال تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان، الآية: 70].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَّلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ﴾ [الآية: 54] وقرأ حمزة والكسائي تقبل بالتذكير أي: وما منعهم قبول نفقاتهم ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 54] أي: إلا كفرهم بها ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [الآية: 54] متثاقلون ﴿وَلَا يُفْقُونَ/ إِلَّا وَهُمْ كَاهِنُونَ﴾ [الآية: 54] حيث لا يرجون بفعلهما ثواباً ولا 372/أ يخافون على تركها عقاباً.

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا الإخلاص في أعمالهم فعدموا الاختصاص في أحوالهم وحرموا الخلاص في عاجلهم ومآلهم ومن أطاع في العبادة من حيث العادة من غير أن تحمل عليها لوعة الإرادة لم يجد لطاعته راحة وزيادة ويقال: من لاحظ الخلق في الهجر من أعماله وركن إلى الكسل في السر من أحواله فقد وسم بالخذلان وختم بالحرمان وهذه هي أمانة القطيعة وعلامة الفرقة الموجبة للحرقة.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: كثرة مآلهم وسعة جاههم وزيادة رجالهم فإن ذلك استدراج لهم في مبدأ حالهم ومعادهم ومآلهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 55] بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وَنَزَهَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: تخرج أرواحهم بصعوبة عن أشباحهم لتعلقهم بأموالهم وأولادهم ولقلة زادهم في رحلة معادهم ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الآية: 55] بنعمة العافية مصروفون عن النظر في العاقبة وطلب حسن الخاتمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين ما حسبه نعمة واعتدوه من الله منة فهو في التحقيق محنة وسبب شقاء وفرقة وإنما دس التقدير سموم الصاب فيما استلذوه من الشراب ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ ۞ شَارِعٍ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلَىٰ لَا يَبْرُرُونَ﴾ [المؤمنون، الآيتان: 55 - 56].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 56] يعني المنافقين ﴿إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ [الآية: 56] من

جملة المؤمنين المنافقين ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 56] في السيرة ولو كانوا معكم في الصورة ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ [الآية: 56] يخافون أن يكون للمشركين دولة فيظهرون الإسلام تقية.

وأفاد الأستاذ: أن إظهار التلبس من أشعار إبليس لا يكسو الأسرار برد السكون ولا يشفي البصائر برد الثقة واليقين ما لا يكون فلا يكون بجلة إبداءه وهو كائن سيكون.

﴿لَوْ يَحْذَرُونَ مَلَجَةً﴾ [الآية: 57] حصناً يلوذون إليه أو يلتجئون إليه ﴿أَوْ مَخْرَجَةٍ﴾ [الآية: 57] جمع مغارة وهي مكان الغار أي: مكاناً عالياً يصعدون عليه ﴿أَوْ مَدْخَلًا﴾ [الآية: 57] أي: نفقاً وسرباً يختبئون لديه ﴿لَوْ لَوْأَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 57] ب/372 لأقبلوا إلى نحوه ومالوا إلى صوبه ﴿وَهُمْ يَجْمَعُونَ﴾ [الآية: 57] أي: يسرعون/ إسرعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح في عدوه.

وأفاد الأستاذ: أن الممارق في الخلعة ينسل عن سلكها بأضعف خلعة إن وجد مهرباً آوى إليه رجعة وإن أمل أن ينال ما يتعلل به عد ذلك فرصة.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ [الآية: 58] بكسر الميم للسبعة وضمها يعقوب من العشرة أي: ومن المنافقين من يعينك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 58] أي: في قسمها باختلاف الحالات ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: شيئاً كثيراً ﴿رَضُوا﴾ [الآية: 58] أي: استحسنتوا وأحبوا ومدحوا ﴿وَلَنْ لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: مطلقاً وأعطوا يسيراً ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [الآية: 58] أي: كرهوا وغضبوا وذموا.

وقال الأستاذ: أولئك أصحاب الأطماع يتملقون في الظاهر ما دامت الصدقات إليهم واصله فإن انقطعت انقلبوا كأن لم يكن بينكم وبينهم مودة ويقال من كان رضاه بوجودان سببه وسخطه في عدم ما يؤمله من نصيبه فهو ليس من أهل الولاء إنما هو قائم بحظه غير صالح لصحبه وأما المتحقق فكما قيل: فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش⁽¹⁾

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 43)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 182).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 59] من النعمة ﴿وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 59] من الغنيمة والصدقة أو ذكر الله للتعظيم والتنبيه على أنما فعله النبي النبى إنما كان بحكمه وأمره وعلى وفق قضائه وقدره ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ [الآية: 59] كافينا ووافينا وإنعامه دائم فينا ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 59] أي: نعمة أخرى ترضينا ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ [الآية: 59] فهو يغنيننا فيما يقينا ويهيننا فيما يميننا وجواب الشرط مقدر أي: لكان خيراً لهم في دنياهم وأخراهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو وقفوا مع الله بشرط الرضا لآتتهم فنون العطاء وتحقيق المني ولو حفظوا مع الله الأدب لسعدوا بوجودان مالمهم من الأدب من غير معاناة تعب ولا مقاساة نصب لكنهم عرجوا في أوطان الطمع فوقعوا في الذل والحرب.

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [الآية: 60] أي: الزكاة فهو لاء المعدودين دون غيرهم من الطماعين المردودين والفقير من ليس له مال يغنيه ولا كسب يكفيه من الفقر كأنه يصيب فقاره الكسر والعار والمسكين من لا شيء له من/ 373 أ المال مأخوذ من السكون كأن العجز أسكنه عن طلب معاشه ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ﴾ [البلد، الآية: 16] وقيل: بالعكس لقوله تعالى ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ [الكهف، الآية: 79] وأجيب بأنهم كانوا عملة لها واستدلوا أيضاً بأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقراء أجيب أنه كان يتعوذ من فقراء القلب أو الافتقار إلى غير الرب ويسأل السكون والسكنة اللازمة للسكنة بأنه كان دائماً بصفة الفقر لكن لا من قلة المال بوصف المسكنة ولا من فقد المال في جميع الحال بل لأن الله تعالى أثبت الافتقار ولما سواه من الأنبياء والأصفياء بقوله: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد، الآية: 38] وقد أورد الفقر فخري⁽¹⁾ وإن لم يصح إسناده عند المحدثين لكنه معتبر في المعنى عند المحققين.

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 128) رقم (207)، والموضوعات للصغاني (1/ 52) رقم (77).

ولذا قال سهل التستري: الفقر معزة والمسكنة مذلة ﴿وَالْمَلِئِينَ عَلَيَّهَا﴾ [الآية: 60] الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 60] وهم قوم ضعاف أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف قلوبهم بنية تقوية يقينهم أو جمع أشرف يترقب بإعطائهم إسلام نظائهم وكان سهم المؤلفة لتكثير سواد الأمة فلما أعز الله المسلمين وكثرهم سقط سهم المؤلفة ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] أي: وللصرف من فك الرقاب بأن يعاون المكاتب لشيء منها على أداء نجومه أو بأن تبتاع الرقاب فتعتق قرية قال مالك وأحمد أو بأن يفدي الأسارى ﴿وَالْفَرَمِينَ﴾ [الآية: 60] أو المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات بين وإن كانوا أغنياء لحديث لا تحل الصدقة لغني⁽¹⁾ إلا لخمسة لغار في سبيل الله أو لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جار مسكين فيتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] أو منقطع الغزاة عند أبي يوسف ومنقطع الحاج عند محمد والمراد الفقراء منهم وعند الشافعي يجوز التصرف إلى أغنياء المتطوعة الذين يتطوعون الجهاد لظاهر الحديث المذكور ﴿وَأَفْنِي السَّبِيلَ﴾ [الآية: 60] المسافر المنقطع عن ماله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] مصدر لما دل عليه الآية أي: فرض الله لهم الصدقات 373/ ب فريضة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 60] يعلم أحوال الكائنات بأسرها/ ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 60] يضع الأشياء في مواضعها وقد روي عن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قالت الأئمة الثلاثة خلافاً للشافعي وقد أفتى بعض أصحابه على خلافه على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج لإيجاب قسمها عليهم وأخذ الشافعي بظاهر الآية المقتضية تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم مفضية للاشتراك وهولاً يخفي ما فيه من الحرج المرفوع من هذه الأمة.

وأفاد الأستاذ: أن الفقهاء تكلموا في صفة الفقير والفرق بينه وبين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 565) رقم (1477)، وابن ماجه في السنن (1/ 589) رقم (1839)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 43).

المسكين لما احتاجوا إليه في قسم الزكاة المفروضة والشافعي رحمه الله يقول الفقير الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش وأبو حنيفة رضي الله عنه يقول بالعكس وأهل المعرفة اختلفوا فيه فمنهم من قال بالأول ومنهم من قال بالثاني واختلافهم ليس كاختلاف الفقهاء وذلك لأن كل واحد منهم أشار إلى ما هو حاله أو وقته ووجوده وشربه ومقامه فمن أهل للمعرفة من رأى أخذ الزكاة المفروضة أولى وقالوا: لأن الله سبحانه جعل ذلك ملكاً للفقراء فهو أحل له مما يتطوع به عليه ومنهم من قال الزكاة المفروضة مستحقة لأقوام ورأوا الإيثار على الإخوان أولى فلم يزاحموا أرباب السهمان وتخرجوا من أخذ الزكاة وقالوا الأولى تسليم ذلك لهم ومنهم من قال: إن ذلك وسخ الأموال وهو لأصحاب الضرورة وقالوا: نحن أثرنا الفقراء اختياراً فلم يأخذوا الزكاة المفروضة ثم على مقتضى أصولهم في الجملة لا في أخذ الزكاة للفقراء مراتب أولها الحاجة ثم الفقر ثم المسكنة فذو الحاجة من يرضى بدياه وتسد الدنيا فقره والفقير هو الذي يكتفي بعقباه وتجبر الجنة فقره والمسكين هو الذي هو لا يرضى بغير مولاه لا إلى الدنيا يلتفت ولا بالآخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي قال ﷺ «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرنى في زمرة المساكين»⁽¹⁾ وقال عليه السلام: «وأغننا من الفقر» لأن عليه بقية فهو ببقيته محجوب عن ربه⁽²⁾ ويحسن أن يقال الفقر المستعاذ منه 374/أ أن لا يكون له شيء والمسكنة المطلوبة أن يكون له بلغة ليتفرغ بوجود تلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة ليتفرغ بوجود ذلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة شغله فقر عن أداء حقه فلذلك استعاذ منه، وقوم سمت همهم عن هذا الاعتبار وهذا أولى بأصولهم فالفقير الصادق عندهم من لا سماء تظله ولا أرض تقله ولا سمة تتناوله ولا معلوم تشغله فهو عبد بالله الله يرد إلى التمييز في أوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1381) رقم (4126)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 577) رقم (2352)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 12) رقم (12930).
(2) أخرجه مسلم في الصحيح (61/ 2713).

واقف بربه منشق عن جملته ويقال الفقير من كسر فقاره وهذا في العربية والفقير عندهم من سقط اختياره وتعطلت عنه دياره فاندرست في استيلاء من اصطلمه آثاره وكأنه لم يبق منه إلا أخباره وأما المسكين فهو الذي أسكنته حاله بياب مقصوده لا يبوح عن سره فهو معتكف قلبه لا يغفل لحظة عن ربه وأما العاملون عليها فعلى لسان العلم من يتولى جميع الزكاة على شرائطها معروفة على لسان الإشارة أولى الناس التعاون عن أخذ الزكاة من صدق في أعماله لله فإنهم لا يرجون على أعمالهم عوضاً ولا يطلعون في مقابلة أحوالهم غرضاً كما قيل :

وما أنا بالباجي على الحب رشوة قبيح هوى يرجى عليه ثواب⁽¹⁾

وأما ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 60] فعلى لسان العلم من يستمال قلبه بنوع إرفاق معه ليتوفر في الدين نشاطه فلهم من الزكاة سهم استعطافاً لهم وحاشا أن يكون في القوم من يكون حضوره بسبب طمع أو لنيل ثواب أو لرؤية مقام أو لتطلع حال وذلك في صفة العوام وأما الخواص فكما قالوا:

من لم يكن بك فانياً عن حظه وعن الهوى والأنس بالأحباب
أو تيمته صباية جمعت له ما كان مفترقاً من الأسباب
فلأنه بين المراتب واقف لمنال حظ أو لحسن مآب⁽²⁾

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم المكاتبون وهؤلاء القوم لا يتحرون ولهم تعريج على سبب أو بقي لهم في الدنيا والعقبى أرباب أو لا يستفزههم طلب فمن كان ببقية من هذه الجملة فهو بعد لم يتحرر قال 374/ ب ﴿المكاتب عبد ما بقي عليه درهم⁽³⁾ وأنشد/ بعضهم:

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حر⁽⁴⁾

(1) نسب إلى المتنبى. انظر: يتيمة الدهر (1/ 59)، وشرح ديوان المتنبى (1/ 341).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 121). (3) سبق تخريجه.

(4) نسب إلى أبي الحسن البديهي الشهرزوري. انظر: المنتحل (1/ 37)، ولباب الألباب (1/ 63).

وأما قوله تعالى: ﴿وَالْفَكْرِمِينَ﴾ فيهم على لسان العلم من ركبهم دين وهؤلاء القوم لا يقضي عليهم ما ألزمهم أملاك الخلق ولهذا قيل: المعرفة غريم لا يقضي دينه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 60] فعلى طريق العلم من سلك سبيل الله وجب له في الزكوات سهم وعلى هذه الطريقة من سلك سبيل الله يتوجه عليه المطالبات فيبذل أولاً ماله ثم جاهه ثم نفسه ثم روحه وهذا في أول قدم له.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلَ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم من وقع في القرية وفارق وطنه على أوصاف مخصوصة وعند القوم إذا تقرب العبد عن مآلوفات أوطانه فهو في قرى الحق فالجوع طعامه والخلوة مجلسه والمحبة شرابه والأنس منشوده والحق تعالى مشهوده ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] لقوم وعد بالجنة والآخرين فقد في الوقت وهو شراب المحاب وعذاب شراب الثواب وفي معناه أنشدوا:

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا وأعمى سقيناها ثلاثاً فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثلاثين حجة أدركنا عليه الكأس يوماً فأخبراً⁽¹⁾

﴿وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ [الآية: 61] أي: يخالفونه قولاً وفعلًا وينكرون عليه حالاً يكون كمالاً ﴿رَبُّهُمْ هُوَ أَذُنٌ﴾ [الآية: 61] أي: يسمع كلما يلقي إليه ويصدق كلما يقال لديه وسمي بالجارحة كرجل عدى للمبالغة كأنه من فرط استماعه جملة آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لهذا المعنى بلا نزاع روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة تقول ما شئنا ثم نأتيه بعذرنا فيصدقنا ﴿قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 61] يسمع الخير ويقبله ويعرض عن الشر وينكره كما فسر به بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: يصدق به لما قام عنده من الأدلة على موجب تصديقه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 61] أي: ويصدقهم لما علم من خلوصهم به واللام مزية للترقية بين الإيمان الذي بمعنى التصديق والتسليم وإيمان الأمان الذي بمعنى

(1) نسب إلى الأقيشر السعدي. واسمه المغيرة. انظر: حماسة القرشي (1/ 35)، ونهاية الأرب (1/ 423)، ونسب إلى أبي نؤاس. انظر: المحب والمحبوب (1/ 124).

تحقيق التكريم ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 61] أي: وهو رحمة للعالمين عموماً وخصوصاً
 375 أ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: لمن ظهر الإيمان حيث يقبله/ ولا يكشف
 سره ولا يهتك ستره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً
 بكم وتكلفاً لأمثالكم وقرأ حمزة بجر رحمة عطفاً على خير والباقون برفعها عطفاً
 على ﴿أُذِّنُ﴾ [الآية: 61] أي: هو إذن ورحمة للذين آمنوا منكم ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ
 اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 61] أي: في الدنيا والفرقة وفي العقبي بالحرقة.

وأفاد الأستاذ: إن عين العداوة بالمساوىء موكلة وعين الرضا عن
 المعايب كليله بسط الأئمة اللسان في صاحب الرسالة فعاوبه بما هو إمارة
 كرمه ودلالة فضله فقالوا إنه لحسن خلقه يسمع ما يقال له فقد قال ﷺ
 «المؤمن عزّ كريم والمنافق خب لئيم»⁽¹⁾ وقد قيل من العاقل قالوا: الفطن
 المتغافل وفي معناه أنشدوا:

وإذا الكريم أتيت به بخديعة فرأيت في ما تروم يسارع
 فاعلم بأنك لم تخادع جاهلاً إن الكريم بفضله يتخادع⁽²⁾

﴿يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ لَكُمُ﴾ [الآية: 62] على معاذيرهم في مقالهم أو تخلفهم
 ﴿لِيَرْضَوْكُمْ﴾ [الآية: 62] أي: لترضوا عنهم أيها المؤمنون الغافلون منهم ﴿وَاللَّهُ
 وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [الآية: 62] أولى للأرض بالطاعة ورعاية الموافقة وتوحيد
 الضمير لتلازم الرضا بين القضية ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 62] في إيمانهم
 صادقين وفي تصديقهم موافقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن من تزين للخلق وتقرب إليهم وأدام
 رضاهم واتبع في ذلك هواهم فإن الله تعالى يسقط به عند الخلق حياءهم
 ويشينهم بما توهموا أنه يزينهم وأن الله لا يضيع ما كان لله فأما ما كان لغيره
 فوبال من أصابه ومحال من طلبه ويقال: إن الخلق لا يصدقك وإن حلفت له

(1) تفسير الطبري (7/ 293).

(2) نسب إلى علي بن الجهم. انظر: بهجة المجالس (1/ 138)، ونسب إلى أبي شراة.
 انظر: المتحلل (1/ 66)، ونسب إلى محمد بن حازم الباهلي. انظر: البصائر والذخائر
 (2/ 2)، ودواوين الشعر (83/ 316).

والحق يقبلك وإن تخلفت عنه فلا اشتغال بالخلق محنة غير مأجور عليها والإقبال على الحق نعمة وأنت مشكور عليها فالمغبون من ترك ما يشكر عليه ويؤثر ما لا يؤجر عليه.

﴿الَّذِينَ يَسْلَمُونَ أَنَّهُمْ﴾ [الآية: 63] أي: الشأن ﴿مَنْ يُكَادِرُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 63] أي: يشاققهما ويخالفهما ﴿فَأَبْكَ لَهُمْ نَارَ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا﴾ [الآية: 63] على حذف الخبر أي: فحق أن له نار جهنم ﴿ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 63] أي: العذاب المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنه يعجل عقوبته في الحال بالفرقة وفي المآل بالخلود في الحرق.

﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 64] على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّهُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 64] تنبههم بأسرارهم وتكشف على أستارهم ﴿قُلِ اسْتَهْزَؤُا﴾ [الآية: 64] أمر تهديد ووعيد شديد ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 64] أي: مظهر ما تحذرونه من إنزال السورة وأظهار السريرة أي: عن سبب استهزائهم.

﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَقُوصُ﴾ [الآية: 65] أي: في الكلام ﴿وَنَلَسَبُ﴾ [الآية: 65] في مقام المرام ﴿قُلِ أَيْلَهِ وَآلِهَتُهُ وَرَسُولُهُ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية: 65] توبيخ على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء في حقهم وسبب نزوله أن ركبا من المنافقين مروا على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله نبيه فدعاهم فقال: قلت كذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الراكب ليقصر بعضنا على بعض وعشاء السفر فصدق في حقهم أن السفر قطعة من سقر⁽¹⁾.

﴿لَا تَحْذَرُوا﴾ [الآية: 66] أي: لا تشتغلوا باعتذاراتكم المؤكدة فيأيمانكم ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [الآية: 66] أي: أظهرتم الكفر الذي في طويتكم بعد إظهاركم

(1) تفسير البضاوي (1/ 155)، تفسير الثعالبي (2/ 139).

الإيمان بالسنتكم ﴿إِنْ نَقُفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ﴾ [الآية: 66] لتوبتهم وإخلاصهم في الالتجاء أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿نَعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 66] أي: مصرين على النفاق أو مقدمين على الشقاق وقرأ عاصم بالنور فيهما على صيغة المعلوم ونصب طائفة الثانية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد العفو والعذاب عن علة الجرم وسبب الفعل على العبد حيث أحال على المشيئة إذ لو كان الموجب لعفوه وتعذيبه صفة العبد السوي بينهم عند تساويهم في الوصف فلما اشتركوا في الكفر بعد الإيمان وعفا عن بعضهم وعذب بعضهم دل على أنه يفعل ما يشاء ويختص من يشاء أقول هذا إن كان المراد عذاب الدنيا فهو ظاهر وإن كان عذاب العقبي فصرف بعضهم عن الكفر دون بعض إنما هو من باب الفضل والعدل ولا يسأل عما يفعل فتأمل فإنه موضع زلل وخطل ومحل ووحل وخلل.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ﴾ [الآية: 67] متشابهة في النفاق كأبعض الشيء الواحد في الوفاق ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ [الآية: 67] بالكفر والمعصية ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 67] عن الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] عن الصلة والبرّة وقبض اليد كناية عن الشح والخسة ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 67] أي: أغفلوا ذكره وتركوا شكره ﴿فَلَسِيحُهُمْ﴾ [الآية: 67] أي: تركهم من لطفه وفضله ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الآية: 67] الكاملون في الخروج عن دائرة الخير والإحسان حيث صدرت صفاتهم على خلاف نعت الإيمان.

قال أبو بكر الوراق: يستر المنافق المنافق عن عوراته والمؤمن مرآة المؤمن يبصره عيوبه ويدله على سبيل نجاته.

وقال سهل: نسوا نعم الله عندهم فأنبأهم شكر النعمة لهم.

وأفاد الأستاذ أن المؤمن بالمؤمن يتقوى والمنافق بالمنافق يتعاضد وطير السماء على آلافها تقع فالمنافق لصاحبه أسر به قوامه وأصل به قيامه بعينه على فساده ويعمي عليه طريق رشاده والمؤمن ينصر المؤمن ويبصره عيوبه ويبغضها لديه ويقبح في غيبته ذنوبه فهو على السداد يتخذة ومن الفساد يعده

ومعنى ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] لا ينفقون في سبيل الله ولا يجدون في إعانة عباد الله ولا يأخذون بأيدي الضعفاء لأجل الله ثم لا يرفعون أيديهم في طلب الحوائج إلى الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] أي جازاهم في نسيانهم وتركوا طاعته وآثروا مخالفته فتركهم وما اختاروه لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَرَكَّهْمَ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ﴾ [البقرة، الآية: 17] .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾ [الآية: 68] أي: وسائر الكفار الفجار ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 68] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 68] مقدرين الخلود في دار البوار ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ [الآية: 68] أي: عقاباً وجزاءً ووفاقاً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 68] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 68] وحجاب جسيم.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: أنتم كمن قبلكم أو فعلكم مثل ما فعل الذين من قبلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ [الآية: 69] أي: في أنفسهم أو شوكة وغلبة في جاههم ﴿وَأَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا﴾ [الآية: 69] أي: أتباعاً وأجناداً والجهلة بيان لتثيبتهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ [الآية: 69] نصيبهم الذي خلق لهم من ملاذ الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: على طبق أخلاقهم ﴿كَأَمْ اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾ [الآية: 69] ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الناقصة من الشهوات الفانية واشتغالهم بها عن النظر في العقوبة والسعي في تحصيل الملاذ الحقيقية الباقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء سيرتهم واتباع طريقتهم ﴿وَحُضُّنْهُمْ﴾ [الآية: 69] أي: دخلتم في الباطل 376/ ب واستغرقتم فيما لا طائل فيه ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [الآية: 69] أي: كالقوم الذين خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴿أَوَّلَيْكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 69] أي: الصورية ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 69] لم يستحقوا عليها ثواباً لا في الدنيا ولا في الجزاء في العقبى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 69] الذي خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وحالة الندامة.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الآية: 70] أغرقوا بالطوفان

﴿وَعَادُوا﴾ [الآية: 70] أهلكوا بالريح ﴿وَتَمُودُ﴾ [الآية: 70] عوقبوا بالرجفة ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 70] أهلك نمرود ببعض ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 70] أهلكه وقوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ﴾ [الآية: 70] أي: قرى قوم لوط أي: اتفتكت بهم وانقلبت عليهم فصارت عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضودة مسومة ﴿أَنَّهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: كلهم ﴿رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 70] أي: بالمعجزات الواضحات والحجج الطاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ يَظْلِمَهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: لم يكن من عادته سبحانه ما يشاء به ظلم الناس كالعقوبة من غير الجريمة ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 70] حيث عرضوها للعقاب ووقعوا في ظلمة الحجاب.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليهم خبر القرون الماضية ونبا الأمم الخالية كيف دمرنا جمعهم وكيف بددنا شملهم وقضينا فيهم بالعدل وحكمنا عليهم باستئصال الكل فلم يبق منهم نافخ نار ولم يخلصوا إلا على عار وشنار.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 71] .

قال أبو عثمان: المؤمنون يتعاونون على العبادة ويتبادرون إلى الطاعة وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويقوم على سبيل مرضاة ربه كما قال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً⁽¹⁾ ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 71] في سائر أنواع العبادة فهم كاملون مكملون في أمر الطاعة وطريق أهل السعادة ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 71] لا محالة فإن السير مؤكدة لوقوع الحالة أو أراد الرحمة الخاصة الواقعة بهم يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 71] غالب في حكمه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمنين يعين بعضهم بعضاً على الطاعات ويتواصون بينهم بترك المحظورات فتحابهم في الله وقيامهم بحق الله وصحبته لله/ 377 أ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (481)، ومسلم في الصحيح (65/2585).

وعداوتهم لأجل الله تركوا حظوظهم بحق الله وآثروا على هواهم رضا الله أولئك الذين عصمهم الله في الحال وسيرحمهم الله في المال.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ﴾ [الآية: 72] ستطيبها النفس المطيبة وتطيب فيها المعيشة وفي الخبر أنها قصور من اللؤلؤ الزبرجد والياقوت الأحمر⁽¹⁾ ﴿فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ [الآية: 72] أي: بساتين إقامة ونزهة دائمة وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولا يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون⁽²⁾ والشهداء يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك⁽³⁾ ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 72] لأنه المبدأ لكل كرامة وسعادة والمؤدي إلى حصول الأصول والفوز باللقاء والريادة ففي الحديث أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا أن لا نرضى وقد أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيك أفضل من ذلك قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية: 72] الرضوان ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 72] الذين يستحقرونه كل نعيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعدهم جميعهم الجنة ومساكن طيبة ولا يطيب المسكن إلا برؤية المحبوب وكل محب يطيب مسكنه برؤية محبوبه ولكنهم يختلفون في الهمم فمن مربوط بحظ مردود إلى خلق ومن مجذوب إلى حق موصول بحق وفي الجملة الأمر كما قيل:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم إذا غبتم عنها ونحن حضور⁽⁴⁾

ويقال: قوم يطيب مسكنهم بوجود عطائه وقوم يطيب مسكنهم بشهود لقائه ثم أماراة أهل الرضوان وجدان طعمه نقداً فهو في روح الأنس وروح الأنس لا تنقاصر عن راحة دار القدس بل هو أتم وأعظم والله أعلم.

(1) الدر المنثور (8/ 649).

(2) تفسير الطبري (21/ 221)، وتفسير القرطبي (15/ 295)، جامع الأحاديث (1/ 229).

(3) تفسير الطبري (14/ 351) رقم (16943) و(16944)، والكشاف (2/ 447).

(4) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133) و(7/ 423).

﴿يَأْتِيهَا أَتَىٰ جَهْدُ الْكُفَّارِ﴾ [الآية: 73] بالسيف الحادة ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الآية: 73] بإقامة الحدود وإلزام الحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 73] بعدم المحاباة والملايمة ﴿وَمَا أَوْهَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ [الآية: 73] مصيرهم دار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دعا الخلق كافة إلى حسن الخلق ودعا 377/ب نبينا ﷺ/ عن حسن الخلق قال لموسى عليه السلام ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [طه، الآية: 44] وقال لنبينا ﷺ ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 73] أقول ذلك لأن موسى عليه السلام كان يغلب عليه صفة الجلال فأمر بالتليين والتهوين لحصول الاعتدال وكان نبينا ﷺ يغلب عليه نعت الجمال فأمر بالتغليظ والتشديد لوصول الكمال ونظيره أنه ﷺ أمر الصديق برفع بعض الصوت في القراءة والفاروق بحفظ بعضه في تلك الحالة بناءً على هذه الحكمة الجليلة والنكته العلية ثم قال: ويقال إنما قال بعض إظهار الحجة لما أراح عدوهم بأيام المهلة ففي الأول أمرهم بالرفق حيث قال: قل إنما أعظكم بواحدة فلما أصروا واستكبروا أمره بالغلظة فإن المجاهدة أولها باللسان بشرح البرهان وإيضاح الحجج والبيان ثم إن حصل من العدو جحد بعد إزالة العذر فبالوعيد والزجر فإن لم ينجع الكلام ولم يتبع الملام فالقتال والخراب وبذل الوسع في هذا الباب.

﴿يَخْلِفُونَكَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [الآية: 74] روي أن عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله ﷺ فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته⁽¹⁾ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ [الآية: 74] وهي شكهم في أمر دينهم ﴿وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [الآية: 74] أي: أظهروا الكفر بعد إظهار إيمانهم ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ [الآية: 74] من قتله عليه السلام وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى البوادي إذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف

(1) تفسير الرازي (97/8)، الكشف (2/449).

الإبل وقعقة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو من إخراجهم وإخراج المؤمنين من المدينة أو ما سولت لهم أنفسهم أنه يخرج الأعز منهم الأذل⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: وتمنوا زوال [دولة] الإسلام فأبى الله إلا إعلاء أمرها بالإتمام ﴿وَمَا تَقْضُوا﴾ [الآية: 74] أي: ما أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمْ/ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ 378/أ فَضْلِهِ﴾ [الآية: 74] فإن أكثر أهل المدينة قبل الهجرة النبوة كانوا محاييج في ضيق من جهة المعيشة فلما قدم رسول الله ﷺ كثر مالهم بالغنيمة مع زيادة النماء والبركة والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو أشمل التعاليل ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا إِلَيْكَ﴾ [الآية: 74] أي: التوب من الحوب ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 74] في الدارين ﴿وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ [الآية: 74] بالإصرار على فعل الكفار ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 74] بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية: 74] بل أمرهم بأن ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرَ﴾ [الآية: 74] ينصرهم بدفع الضرر عنهم.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلٍ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الآية: 75] نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي ﷺ وقال: ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعته فقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقبل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ فقال: يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله ﷺ مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بشعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية؟ ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ: قبل أن كلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت هذه الآية فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام: إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي

(1) تفسير الرازي (8/97)، تفسير النيسابوري (4/181)، تفسير أبي السعود (4/84)، تفسير البضاوي (1/158).

بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان⁽¹⁾.

﴿فَلَمَّا ءَاتَنَّهُمْ مِن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾ [الآية: 76] منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ [الآية: 76] أعرضوا عن طاعة الله بسببه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 76] أي: والمنافقون 378/ ب قوم عادتهم الإعراض ودأبهم حصول الأعواض ووصول/الأغراض سئل أبو حفصة ما البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة والاضطرار. وقال حمدون: من رأى لنفسه ملكاً فقد بخل لأنه قصر عنه أيدي الآخرين كذا تفسير السلمي. وأفاد الأستاذ: أن ثعلبة تطلب إحسان ربه وتقرب إليه بإبرام عهده فلما حقق الله سؤاله وصدق مأموله فسخ ما أبرمه وانسلخ عما ألزمه واستولى عليه البخل وضمَّ بإخراج حقه فله حقه شؤم النفاق بما بقي إلى الأبد في أسرهِ وجد البخل على لسان العلم مع الواجب وبخل كل أحد على ما يليق بحاله وكل من أثر شيئاً دون رضا ربه فقد اتصف ببخله فمن بخل بخل بماله فيزول البركة عنه حتى يؤول إلى وارث أو يزول بحادث ومنهم من بخل بنفسه فتقاعس عن طاعته فتفارقه الصحة حتى لا يستمتع بحياته والذي بخل بروحه عنه عوقب بالخذلان حتى يكون حياته سبب شقائه.

﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: فجعل الله عاقبة فعلهم سوء اعتقاد في صدورهم أو فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ﴿إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ﴾ [الآية: 77] أي: الله بالموت أو عملهم بمعنى جزائه وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 77] بسبب إخلالهم إياه ﴿مَا وَعَدُوهُ﴾ [الآية: 77] من التصديق والتصديق وصلاح أعمالهم ﴿وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [الآية: 77] ويكونهم كاذبين فيه وفي غيره.

وأفاد الأستاذ: أن من نقض العهد في نفسه رفض الود من أصله وكل من أظهر في الجملة خيراً واستبطن شراً فقد نافق بقسطه والمنافق في الصف الأخير في دنياه وفي الدرك الأسفل من النار في عقابه.

(1) تفسير الطبري (14/ 371)، تفسير ابن كثير (4/ 184)، تفسير أبي السعود (4/ 85)، تفسير البياضوي (1/ 159).

﴿أَلَمْ يَكُنْ أَنتَ اللَّهُ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ [الآية: 78] ما أسروه في أنفسهم
 ﴿وَنَجَّوْنَهُمْ﴾ [الآية: 78] وما يتناجون فيما بينهم ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [الآية:
 78] فلا يخفى عليه شيء من العيوب فقد خوفهم بعلمه كما خوفهم في مواضع
 بفعله.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ﴾ [الآية: 79] أي: يعيبون المتطوعين ﴿مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي الصَّدَقَاتِ ﴿[الآية: 79] إِنْ كَانَ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً رَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَقَالَ: كَانَ لِي
 ثَمَانِيَةُ آلَافٍ/ فَأَقْرَضْتُ رَبِّي أَرْبَعَةً وَأَمْسَكَتُ لِعِيَالِي أَرْبَعَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَارَكَ 379/أ
 اللَّهُ لَكَ فِيمَا أُعْطِيتَ وَفِيمَا أَمْسَكَتَ فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ حَتَّى صَوْلَحَتْ إِحْدَى امْرَأَتَيْهِ عَنْ
 نِصْفِ الثَّمَنِ عَلَى ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَتَصَدَّقَ عَاصِمُ بْنُ عَدِي بِمِائَةِ وَشَقَّ تَمْرَ
 وَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ الْأَنْصَارِيُّ بِصَاعٍ تَمْرٍ فَقَالَ: بَتَ لَيْلَتِي أَجْرَ بِالْجَرِيرِ عَلَى صَاعَيْنِ
 فَتَرَكْتُ صَاعاً لِعِيَالِي وَجِئْتُ بِصَاعٍ فَأَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْثَرَهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ
 فَلَمْزَهُمُ الْمَنَافِقُونَ وَقَالُوا: مَا أُعْطِيَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَاصِمٌ إِلَّا رِيَاءً وَلَقَدْ كَانَ اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ لَغْنَيْنِ عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يَذَكَرَ بِنَفْسِهِ لِيُعْطَى مِنَ
 الصَّدَقَاتِ فَنَزَلَتْ (1) ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [الآية: 79] أي: وسعهم
 وطاقتهم ووجدتهم ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 79] يَسْتَهْزِؤْنَ بِهِمْ ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾
 [الآية: 79] جَازَاهُمْ عَلَى سَخَرِيَّتِهِمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 79] عَلَى كُفْرِهِمْ
 وَمَعْصِيَتِهِمْ.

وأفاد الأستاذ: أن قليل أهل الإخلاص في الوفاق أفضل من كثير أهل
 النفاق قلت: وقد ورد: سبق درهم مائة ألف درهم (2) ثم قال: ولما أوحشوا
 المسلمين بسخريتهم وصف الله سبحانه بما يستحيل في وصفه على التحقيق
 من السخرية بأحد تطيلاً لقلوب أوليائه وأن تقدس عن ذلك العزة بكبريائه.

(1) تفسير الطبري (14/ 391)، وتفسير البغوي (4/ 78)، الكشف (2/ 452).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 576) رقم (1519)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 181) رقم (7568)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 32) رقم (2306).

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 80] يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم في الدارين كما أوضحه بقوله: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية: 80] روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له النبي النبي فنزلت⁽¹⁾ فقال عليه السلام: لأزيدن على السبعين فنزلت ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون، الآية: 6] لأنه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حد يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ب/379 ونحوها في التكثير لاستعمال السبعة على جملة أقسام العدد/ بأسره ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 80] فيه تنبيه على أن يأسهم من المغفرة عنهم وعدم قبول استغفارهم لهم ليس ببخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن مجاوزتهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 80] الخارجين عن الطاعة المتمردين في المخالفة. وأفاد الأستاذ: أن من غلبته شقوته لم ينفعه تضرعه ودعوته ويقال: صريع القدر لا ينعشه الجهد والحيلة.

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ [الآية: 81] بقعودهم عن العز ﴿خَلَفَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الآية: 81] أي: خلفه أو لمخالفته ﴿وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 81] إشاراً للدعة والسعة على العبادة والطاعة بخلاف المؤمنين حيث أحبوا المجاهدة ببذل المال والمهجة ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 81] للمؤمنين أو لبعض أحد من المنافقين ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [الآية: 81] في شدة الحرارة وكثرة العثرة ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [الآية: 81] فينبغي دفعها في العقبي بالمجاهدة في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 81] إن ما يهم إليها وممرهم عليها تركوا ما بهم من إثار الدعة على الطاعة مع أن الدنيا في جنب طول القيامة كساعة.

وقال الأستاذ: استقرهم سرورهم بتخلفهم ولم يعلموا أن ثبورهم في تأخيرهم وما آثروه من راحة نفوسهم على أداء حق الله والخروج في صحبة

(1) تفسير الرازي (8/ 107)، تفسير أبي السعود (4/ 87)، تفسير الثعالبي (4/ 305).

رسول الله نزع الله الراحة منهم بما عاتبهم وسيصلون سعيراً في الآخرة بما قدموه من نفاقهم وعاقبهم.

﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] إحياء عما يؤول إليه أمرهم في الدنيا والأخرى وقد أخرجهم عن صيغة الأمر للدلالة على أنه حتم واجب الوقوع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبدل خبرتهم بحسرة وفرحتهم بترحة وراحتهم بعبرة حتى يكثر بكاءهم في العقبى كما كثر ضحكهم في الدنيا وذلك ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 82] من كفر بربه وعصى.

﴿إِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ردك إلى المدينة وفيها طائفة المتخلفين من المنافقين فإن بعضهم كانوا مؤمنين أو من بقي منهم على حياته أو على نفاقه فإن منهم من مات ومنهم من تاب ﴿فَأَسْتَدْثِقُكَ لِلْخُرُوجِ﴾ [الآية: 83] إلى غزوة أخرى يعذبوك ﴿فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [الآية: 83] إخبار في/ النهي للمبالغة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 83] وهي 380/أ

الخرجة إلى غزوة تبوك والجملة تعليل لما قبله وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم تخلفهم ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَائِفِينَ﴾ [الآية: 83] أي: المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والأولاد وقد قال الفرزدق:

دع المكارم لا ترحل لبغيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي⁽¹⁾

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يقول: بعد ما ظهرت خيانتهم وشقاقهم وتقرر كذبهم ونفاقهم لا تنخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا تمكنهم من صحبتك فيما يظهرونه من وفائك وإذا وهى سلك العهد فلا يحتمل بعده الشد وإذا اتسع الخرق فلا ينفع بعده الرقع.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا﴾ [الآية: 84] روي أن ابن أبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه فلما دخل عليه سألته أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي

(1) هذا البيت للحطينة وقد سبق التعليق عليه. ولم يثبت إطلاقاً في مرجع أنه للفرزدق.

عليه فنزلت: وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلاً بالكرم أو لأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر ولأنه لم يمنعه عن عذابه بخلاف الصلاة عليه بالدعاء والاستغفار منه ﷺ فإنه مظنة المغفرة ومينة لاستحقاق الرحمة.

وقد طلب مزيد من أبي يزيد أن يعطيه فروته ليتكفن به فقال له: لو لبست جلدتي ما نفعتك إلا تبعيتي ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَرْبَةٍ﴾ [الآية: 84] ولا تقف عليه حال دفنه أو وقت زيارته لعدم منفعة دعوته ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [الآية: 84] تعليل للنهي عما تقوم ذكره.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾ [الآية: 85] واكتفى هنا بنفي زيادة لا للتأكيد لما تقدم فيه من المزيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الآية: 85] وفيما سبق ليعذبهم إيماء إلى الإيجاز بعد الإطناب وقد كرر للتأكيد في هذا الباب وجوز أن يكون هذه في فريق غير الأول وهو أقرب إلى الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول: لا تحسبن أن يمكن أهل النفاق من 380/ ب تنفيذ/ مرادهم وتكثير أموالهم وأولادهم إسداء معروف منا إليهم أو إسباغ إنعام من لدنا عليهم إنما ذلك مكربهم واستدراج لهم وإمهال لا إهمال وسيلقونه غبه عن قريب في المآل.

﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ﴾ [الآية: 86] أي: كلها أو بعضها وفيها ﴿أَنْ آمَنُوا﴾ [الآية: 86] أي: آمنوا أو بأن آمنوا ﴿بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعِذْكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 86] ذو الفضل في المال والسعة في رخاء الحال ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا﴾ [الآية: 86] دعنا في الدعة ﴿نَكُنْ مَعَ الْفَاعِلِينَ﴾ [الآية: 86] بحسب الضرورة ووفق المعذرة.

قال الأستاذ: أولئك الذين خصهم الله بخذلانه وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه.

﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [الآية: 87] جمع خالفة وهن النسوان ولعل فيه تغليبا لهن على الصبيان ﴿وَطُيْعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 87] أي: ختم لهم بالشقاوة

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 87] ما في المجاهدة وموافقة الرسول من السعادة وما في الخلف عنه من فوت الزيادة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبعادوا عن بساط الطاعة واستطابوا الدعة ورضوا بالتعريج في أوطان الفرقة ومنازل الفرقة ولو أنهم رجعوا إلى الله بصدق الندم لقابلهم ربهم بالفضل والكرم ولكن القضاء غالب والأمر لازب.

﴿لَنَكِينِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية: 88] أي: إن تخلف هؤلاء الأغنياء فقد جاهد سيد الأنبياء مع أصحابه الأصفياء ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ [الآية: 88] النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 88] الفائزون بالمطالب العليا أو ببقاء المولى.

وقال الأستاذ: ليس من أقبل كمن صد ولا من قبل أمره كمن رد ولا من وخذ كمن جحد ولا من عبد كمن عند ولا من أتى كمن أبى فلا جرم ربحت تجارتهم وجلت ربتهم.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 89] بيان لمالهم من الخيرات الأخروية والنعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تشير إلى أن راحتهم في المال موعودة فتدل على أن الآلام والأتعاب في الحال لهم موجودة مشهودة ويقال صادق يقينهم بالثواب يهون/ عليهم مقاساة ما يلقونه إلى الوقت من الأتعاب.

أ/381

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ [الآية: 90] أي: المعتذرون ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [الآية: 90] كأسد وغطفان ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 90] حيث استأذنوا في التخلف معتذرين بقله المال وكثرة العيال وكان اعتذارهم تصنعاً لقوله تعالى ﴿وَقَدْ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 90] في دعوى الاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 90] أي: أصروا على كفرهم ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 90] وحجاب جسيم.

﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ [الآية: 91] كالهرمى الزمنى ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 91] كالفقراء ﴿حَرَجٌ﴾ [الآية: 91] إثم في

التأخر عن المجاهدة ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 91] أي: أخلصوا لهما بالإيمان والطاعة في السر والعلانية.

وأفاد الأستاذ: أن قيمة الفقر تظهر عند سقوط الأمر ولو لم يكن في القلة خير إلا هذا لكفى لها بذلك فضيلة بقوا في أوطانهم لم يتوجه عليهم في الجهاد أمر ولا بمفارقة المنازل امتحان وخير اكتفى عنهم بنصحة القلب واعتقاد أن لو قدروا لخرجوا وأصحاب الأموال امتحنوا اليوم بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شقت عليهم الغيبة عنها ثم ينزجر اللوم عليهم في ترك إنفاقهم ثم ما يتعقبه غداً من الحساب والعذاب يربو على الجميع ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الآية: 91] ليس عليهم جناح ولا تبعة ﴿وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ﴾ [الآية: 91] للمسيء فكيف للمحسن ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية: 91] بجنس المؤمن قبل المحسن من رأى إحسان الله إليه ولا يرى نفسه محسناً لديه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن هو الذي لا يكون للشرع منه مطالبته لا في حق الله ولا في حق الخلق حتى لو كان خير في حكمه وقصر في أمره لم يكن محسناً في نفسه.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [الآية: 92] أي: لتعينهم بدابة ونحوها في سفرهم ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 92] جملة حالية من المفعول في أتوك بتقدير قد وجواب إذا قوله تعالى ﴿تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [الآية: 92] أي: يسيل دمعها فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت بدمعاً فياضاً ﴿حَزَنًا﴾ [الآية: 92] نصب على العلة ﴿أَلَّا يَحْذَرُوا﴾ [الآية: 92] لثلاث/381 تجدوا متعلق بحزناً أو تفيض ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ [الآية: 92] في سبيل مرضات ربهم والمراد بهم البكاؤون وهم سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عتمة وعبد الله بن معقل وعليه بن زيد أنتم رسول الله ﷺ وقالوا: نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نفروا معك فقال: لا أجد فتولوا وهم يكون وقيل: هم أبو

موسى وأصحابه وأميرهم⁽¹⁾ كما قال قائلهم:

قال لي من أحب والييين قد حلّ ودمعي موافق لشهيق
ما ترى في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق⁽²⁾

﴿إِنَّمَا السَّيْلُ﴾ [الآية: 92] أي: باللوم والمعاتبة ﴿عَلَى الَّذِينَ يَسْتَلِدُونَكَ﴾
[الآية: 92] أي: بلا معذرة ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ﴾ [الآية: 92] واجدون الأهبة والمكنة ولهم
الاستطاعة والقدرة فإن من صدق في الولاء لم يحتشم من مقاساة العناء والذي
هو في الولاء مماذق وللصدق مفارق يتعلل بما لا أصل له لأنه حرم الخلوص
فيما هؤلاء أهل له:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملّ الوصال وقال كان وكانا
﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [الآية: 93] استئناف بيان لما هو سبب
استئذانهم من غير علة وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إثار
للدعة ﴿وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 93] حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿فَهُمْ لَا
يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 93] تبعية المعتبة.

وقال الأستاذ: قيل في تفسير مع الخوالف مع النساء في البيوت
والإسلام يثني على الشجاعة وفي الخبر أن الله تعالى يحب الشجاعة ولو على
قتل حية⁽³⁾ وفي معناه أنشدوا:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذبول⁽⁴⁾
ومن استوطن مركب الكسل واكتسى لباس الفشل وركن إلى مخاريق
الحيل فلا جرم حرم استحقاق القرية ومن أراد الله تعالى هوانه وأذاق خذلانه
فليس له عن حكم الله مناص ولا عن عذابه خلاص.

(1) تفسير النسابوري (4/ 194)، تفسير أبي السعود (4/ 92).

(2) سبق التعليق عليه.

(3) تفسير القرطبي (1/ 315)، تفسير القشيري (3/ 152).

(4) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر: العقد الفريد (2/ 147)، والكامل في اللغة (1/

أ/382

﴿يَعَذِّرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 94] في التخلف عنكم ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 94] من هذه السفرة لديهم ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا﴾ [الآية: 94] بالمعاذير الكاذبة منكم لأنه ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 94] / لن نصدقكم لأنه ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ [الآية: 94] أي أخبرنا بأخباره بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو السر والفساد مما في أسراركم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 94] فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشَأُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 94] فيجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وحسب أعمالكم.

﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 95] بأن لا تعاتبوهم وتقبلوا العذر منهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 95] بعد توبيخهم وإظهار تفضيهم ﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ [الآية: 95] لا ينفع فيهم التغيير فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وقبول التغيير وهؤلاء كأنهم عين النجاسة فلا يتصور فيهم الطهارة فالجملة علة الإعراض وترك المعاتبة ﴿وَمَا أَوْثَقَهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 95] نصبه على المصدر والعلة.

﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِرَضَوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 96] بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تصنعون بهم ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 96] فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط ربهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاعتراض بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن من كان مسخوط الحق لا ينفعه أن يكون مرضي الخلق وليست العبرة بقبول غير الله إنما المدار على ما سبق من السعادة حكم الله.

﴿الْأَعْرَابُ﴾ [الآية: 97] أي: سكان البادية ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَفَسَاقًا﴾ [الآية: 97] من أهل القرية لتوحشهم وقساوتهم وغلظتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم والمعرفة وقلة استعمالهم للكتاب والسنة ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ [الآية: 97] وأحق بأن لا يعرفوا ﴿حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 97] من تفاصيل الشريعة ﴿وَاللَّهُ

عَلَيْكُمْ ﴿[الآية: 97] يعلم حال أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 97] فيما خلق ودبر ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ [الآية: 98] أي: بعدما يصرفه في سبيل الله ﴿مَقَرَّمًا﴾ [الآية: 98] أي: غرامة وخسارة حيث لا ينفعه إلا رياء وتقية ولا يحتسب له عند الله أجراً ومثوبة ﴿وَيَرْزُقُ يَكُورٌ﴾ [الآية: 98] أي: ينتظر لكم دوائر الزمان لينقلب الأمر/ فيتخلص من الهوان ﴿عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ أَلْسُو﴾ [الآية: 98] جملة 382/ب اعتراضية للدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه لهم أو إخبارية عن وقوع ما يتربصون به عليهم والدائر من الأصل مصدر واسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان ونوبة الدوران والسوء بالفتح مصدر ضيف إليه للمبالغة كقولهم رجل سوء وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم السين هنا وفي مثاني سورة الفتح ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 98] لمقالهم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 98] بأحوالهم.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [الآية: 99] فليسوا سواء في السرائر ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ﴾ [الآية: 99] هي ثاني مفعولي يتخذ أي سبب ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية: 99] صفتها أو متعلق بعاملها ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ [الآية: 99] أي: وسبب دعواته لأنه كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق وهو أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق عند أخذ الصدقة ﴿أَلَا إِنَّا﴾ [الآية: 99] أي: نفقتهم ﴿قُرْبَةً لَهُمُ﴾ [الآية: 99] شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم وقرأ ورش بضم الراء ﴿سَيَذِلُّهُمْ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الآية: 99] أي: مكان رحمته من جنته والسين لتحقيق قضيته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 99] لتقرير محبته التي هي موجبة لجنته ورحمته.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الآية: 100] وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرأ والذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَالْأَخْسَارُ﴾ [الآية: 100] أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين أو الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [الآية: 100] يعني اللاحقين بالسابقين من القبلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى قيام الساعة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 100] بتوفيق الطاعة وقبول العبادة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 100] بما نالوه من النعمة الدينية والدنيوية.

وقال ابن عطاء: السابق من سبق له في الأزل من الحق حسن العناية وقد ظهر عليه في وقت إيجاده أنوار تلك السابقة ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قدمه ومن سابق بصدق هممه ويقال السابق من سعادته القسمة بالتوفيق وأسعدته القضية بالتحقيق فسبق عنايته بهم/ سبقوا بطاعته لهم أقول ولعل هذا المعنى هو المراد بقوله سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة، الآيتان: 10 - 11] ويقال: جمع الرضا صفيهم السابق منهم واللاحق بهم ويقال ليس اللاحق كالسابق فالسابق في روح الطلب واللاحق في مقاساة التعب ومعاناة النصب حال الطلب ويقال رضاهم عن الله قضية رضي الله عنهم ولولا أنه رضي عنهم في آزاله وإلا فمتى وصلوا إلى رضاهم عنه في آباهه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية: 100] وقرأ ابن كثير من تحتها الأنهار ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 100] والحظ الجسيم والنعيم المقيم.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ﴾ [الآية: 101] أي: حول بلدتكم وهي المكنية وهي المدينة السكينة ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مُتَلَاقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ [الآية: 101] أي: وقوم من سكانها ﴿مَرَدُّوا عَلَى الْأَنْفَاقِ﴾ [الآية: 101] أي: أصروا واستمروا على ترك الوفاق ودوام الشقاق ﴿لَا تَقْلَقُهُمْ﴾ [الآية: 101] أي: لا تعرفهم بأعيانهم ﴿مَخْنُوعَةً لِّمَنَّهُمْ﴾ [الآية: 101] نطمع على سرائرهم وضمائرهم والمعنى أنهم أن قدروا أن يلتبسوا عليك لم يقدروا أن يلتبسوا علينا.

وقال الأستاذ: تشاكل المخلص والمنافق في الصورة فلم يتميز بالخبث والمباني وإن تباينا في الحقائق والمعاني ﴿سَتُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 101] بالفضيحة والقتل وبأحدها وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهكة البنية وإن مرض المؤمن كفارة ومرض المنافق عقوبة أو إتعاب أبدانهم بكثرة الطاعة وعدم المثوبة ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 101] وحجاب عن كريم.

﴿وَأَخْرَجُوا عَنْ دِينِهِمْ﴾ [الآية: 102] ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة لهم وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما

بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكروا له أنهم أقسموا أنهم لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أؤمر فيهم فنزلت فأطلقهم.

وقال الأستاذ: إن اتصفوا بعيوبهم فلقد اعترفوا بذنوبهم والإقرار يؤكد الحقوق فيما بين الخلق في مشاهد الحكم ولكن الإقرار بحق الله سبحانه يوجب إسقاط الجرم في مقتضى سنة كرم الحق سبحانه وفي معناه أنشدوا: 383/ب
 قيل لي قد أساء فيك فلان وجلوس⁽¹⁾ الفتى على الضيم عار
 قلت قد جاءني فأحسن عذرا دية الذنب عندنا الاعتذار⁽²⁾

﴿خَاطُؤُاْ عَمَلًا صَالِحًا وَّآخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] أي: خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندامة والاعتراف بالخطيئة بعمل آخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل المخالفة والواو بمعنى الباء كما في قوله بعث الشاء شاة ودرهماً أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر وهذا هو الأظهر فتدبر ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 102] أي: يرجع بالرحمة إليهم فيعتبر توبتهم ويغسل حوبتهم وفيه إيماء إلى أن اعترافهم كان مقروناً بالندامة مع العزم على تأييد تلك الجناية ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 102] لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ [الآية: 102] لمن آب إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله تعالى ﴿وَّآخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] بعد قوله ﴿عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الآية: 102] دليل على أن الزلة لا تحبط ثواب الطاعة إذ لو حبطته لم يكن العمل صالحاً ويؤكد ذلك قوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى كما قيل من الله واجب وقد يحب من الله الشيء ولا يجب عليه شيء فتجب منه لأن قوله صدق فإذا أخبر أنه يفعل شيئاً يجب أن يفعل ويقال قوله: ﴿خَاطُؤُاْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن معناه أنهم يتوبون والتوبة عمل صالح وقوله ﴿وَّآخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن نقضهم التوبة فيكون الإشارة في قوله ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 102] إلى أنهم إن نقضوا توبتهم وعادوا إلى ما تركوه من زلتهم

(1) في تفسير القشيري: سكوت، وفي بهجة المجالس وقعود، وفي رسائل الثعالبي: ومقام.

(2) نسب إلى ابن المعتز. انظر: رسائل الثعالبي (1/ 22).

فواجب منا أن نتوب عليهم فلئن بطلت بنقضهم توبتهم لما اختلفت بفضلنا توبتنا عليهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ [الآية: 103] تشهد على صدق أحوالهم روي أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها عنا وطهرنا عنها فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم⁽¹⁾ شيئاً فنزلت ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [الآية: 103] أي: عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى العيوب ﴿وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [الآية: 103] وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين ودرجاتهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 103] أي: أدع لهم واستغفر لذنوبه ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ﴾ [الآية: 103] وقرأ/ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [الآية: 103] سكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتحديد المدعو لهم وإفرادها لإرادة جنسها الشامل لكلهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 103] لأقوالهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 103] بأحوالهم. قال رويم: تطهر قلوبهم وتزكي أنفسهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ﴾ [الآية: 104] أي: ادع لهم فإن دعاك يكون سكناً لهم إلى العقبى وانقطاعاً بهم عن الدنيا ذكر السلمي.

وقال الأستاذ: تطهرهم من طلب الأعواض عليها تزكيتهم عن ملاحظتهم إياها وتطهرهم بها عن شح نفوسهم وتزكيتهم بها بأن لا يتكبروا بأموالهم بل يتعززون بالتجرد عنها ويرون عظيم منة الله عليهم بوجودان التحذر منها وقوله ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [الآية: 103] أي انتعاشهم بهتك معهم أتم لهم من استقلالهم بأموالهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ [الآية: 104] الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقهم وإما لغيرهم والمراد به التخصيص على التوبة وعدم الشك في قبولها بعد حصول شرائط الصحة والهمزة استفهام تقرير وإعلام تحرير فكأنه قال ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ [المائدة، الآية: 98] أي: لا غيره

(1) تفسير الطبري (14/ 454) رقم (17152)، تفسير القرطبي (8/ 242)، تفسير الرازي (8/ 135)، تفسير ابن أبي حاتم (7/ 400) رقم (10769).

﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الآية: 104] أي: بالتجاوز عن السيئات والتبديل بالحسنات ﴿وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 104] أي: يقبلها ليزيد لهم في الدرجات وتقربهم إلى علو الحالات والمقامات ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ [الآية: 104] أي: بتوفيق التوبة وقبولها ﴿الرَّحِيمُ﴾ [الآية: 104] بثبوتها بعد حصولها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تمدح بقبول توبة العاصين إذ به يظهر كرمه كما تمدح بجلال عزه ونبهم عن أن يعرفوا به جلاله وقدمه وكما تؤخذ باستحقاق كبريائه وعظته تفرد بقبول توبة العبد عن جرمه وزلته فكما لا شبيه له في جلاله وجماله لا شريك له في أفضاله وإقباله ويأخذ الصدقات قلت أو كثرت فقدر الصدقة وخطرها بأخذه لها لا بكثرتها وقلتها قلت في الصورة صدقتهم ولكن أخذها وقبلها حلت بقبوله لها كما قيل:

يكون أجاباً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب⁽¹⁾

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ [الآية: 105] بما شئتم جهراً أو سراً ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [الآية:

105] خيراً أو شراً ﴿وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 105] بأطلاعه سبحانه إياهم على 384/ ب الأعمال كما رأيتم وتبين لكم من الأحوال ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الآية: 105] برجوعكم عند الموت إليه ﴿فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 105] حين المجازاة عليه قيل اعمل وأصلح العمل واخلص النية فإن الله سيريك وضميرك والرسول يراه رؤية المشاهدة والمؤمنون يرون رؤية الفراسة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّعِينَ﴾ [الحجر، الآية: 75] ذكره السلمي ويؤيده حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عز وجل⁽²⁾ وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خوفهم برؤيته تعالى أعمالهم فلما علم أن فيهم من يتقاصر حالته على الاحتشام لا اطلاع الحق قال ورسوله ثم قال: ولمن نزلت رتبته والمؤمنون وقد خسر من لا يمنعه الحياء ولا يردعه الاحتشام وسقط عن عين الله من هتك جلباب الحياء كما قيل إذا قل

(1) نسب إلى ابن الدمينه. انظر: العقد الفريد (2/ 418)، وإلى العباس بن الأحنف. انظر: بهجة المجالس (1/ 173)، وزهر الآداب (1/ 400)، والأشباه والنظائر (1/ 3)، والحماسة المغربية (1/ 99). ونسب إلى المجنون. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 199).

(2) سبق تخريجه.

ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه ومن لم يمنعه الحياء عن تعاطي المكروهات في العاجل يلقي غب ذلك حسراته عن قريب في الآجل.

﴿وَالْأَخْرُوتَ﴾ [الآية: 106] من المتخلفين ﴿مَرْجُونَ﴾ [الآية: 106] وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون وهما لغتان أي: مؤخرون وفي أمرهم موقوفون ﴿لَا تَمُرُّ لَكُمْ﴾ [الآية: 106] في شأنهم بأحد الحكمين ﴿إِنَّمَا يُعَذِّبُهُمُ﴾ [الآية: 106] أي: أصروا ﴿وَلِئَلَّا يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 106] أي: يرحمهم إن تابوا والترديد بالنسبة إلى العبيد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة المريد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 106] بأحوالهم كلهم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 106] فيما يفعل بهم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن الربيع ومرارة بن الربيع يجمع أوائل أسمائهم حرون مكة لأجل إيمانهم وسيأتي عند قوله سبحانه وعلى الثلاثة الذين خلفوا تنمة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يصرح بقبول توبتهم ولم يسمهم باليأس عن مغفرتهم بل وقفوا على قدم الخجالة متميلين بين الرغبة والرغبة مترددين بين المخافة والمهابة أخبر الله سبحانه أنه إن عذبهم فلا اعتراض يتوجه عليه وإن رحمهم فلا سبيل لأحد إليه وقد قال بعضهم:

ويشبعني من الآمال وعد ومن علمي/بتقصيري وعيد

أ/385

﴿وَالَّذِينَ أَخَذُوا مَسْجِدًا﴾ [الآية: 107] عطف على ﴿وَالْأَخْرُوتَ مَرْجُونَ لِمُرِّ اللَّهِ﴾ [الآية: 106] أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو على الاستئناف ﴿ضِرَارًا﴾ [الآية: 107] المضارة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾ [الآية: 107] أي: وتقوية للكفر الذي تضمروا ﴿وَتَقَرُّبًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 107] الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء من المصلين روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم فيصلي فيه فأتياه فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه ابن عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتوه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا قد بنينا مسجداً لذى الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذوه مصلى فأخذ ثوبه

ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل فاتخذ⁽¹⁾ مكانه كناسة ﴿وَرِصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 107] أي: ترقباً وانتظاراً للراهب الذاهب إلى الشام الهارب عن مقام المرام فإنه قال رسول الله ﷺ يوم أُحُد لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين وانهزم مع هوازن وذهب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ﷺ ومات بقنسرين وحيداً ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية: 107] متعلق بحارب أو باتخذوا أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء المذكورون سابقاً بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ﷺ بأن يأتيه فقال: أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه ﴿وَلْيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَ﴾ [الآية: 107] أي: ما أردنا بهذا البناء إلا الخصلة الحسنى وهي إرادة الصلاة والذكر والتوسعة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية: 107] في هذا اليمين.

وأفاد الأستاذ إن من لم يكن مخلصاً في ولائه لم يأنس القلب بكده/ 385/ب وعنايه فتودده بالظاهر ينادي عليه بالنوائه ويقول بالتكليف شهادة صدق على عدم صفائه.

من لم يكن للوصل أهلاً فكل طاعاته ذنوب⁽²⁾

﴿لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُتِيَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [الآية: 108] من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [الآية: 108] أولى بأن تصلي ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 108] قال جماعة من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهم أنه يعني مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بيننا من الإثنين إلى الجمعة وقال آخرون: ومسجد رسول الله ﷺ لقول أبي سعيد سألت رسول الله ﷺ فقال: هو مسجدكم هذا مسجد المدينة والقول الأول وهو الأوفق للقصة والثاني هو اللاحق بالقضية

(1) تفسير القرطبي (8/ 253)، وتفسير البغوي (4/ 94)، الكشف (2/ 473)، تفسير النيسابوري (4/ 204)، تفسير أبي السعود (4/ 102)، تفسير البضاوي (1/ 171).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 166)، واللفظ عنده (فكل إحسانه).

فإنه رواه مسلم في صحيحه ومع بيانه عليه السلام لا عبرة بقول غيره ولو كانوا من الصحابة الكرام فإن قيل لا منافاة لأنه إذا كان في مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المدينة بالأولى والأحرى فليكن المراد من قوله: المسجد أي مسجد موصوف بهذه الصفة ويكون الحديث الصحيح مبيناً للفرد الأكمل منه فالجواب أنه يأتي هذا الجمع ما رواه الترمذي والنسائي وغيرهما أن رجلين تخاصما في أن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد المدينة أو قباء فأتيا رسول الله ﷺ وسألاه فقال رسول الله ﷺ: مسجدي هذا⁽¹⁾ إلا أن فيه إشكالا⁽²⁾ حيث اتفق المفسرون على أن قوله سبحانه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [الآية: 108] نزل في أهل قباء لكن يمكن الجمع بأن يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فما رواه الترمذي وأبو داود أن هذه الآية نزلت في أهل قباء⁽³⁾ لا يعارض ما تقدم مما صح عنه ﷺ أعلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن هذه الآية لما نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [الآية: 108] قال عليه السلام واقفاً على مسجد قباء يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهروكم⁽⁴⁾ الحديث فلا يدل على اختصاص أهل قباء ولا ينافي على أهل مسجده من الأنصار أيضاً ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ [الآية: 108] أي: المتطهرين من الأحداث والنجاسة أو من الذنوب والسيئات والمعنى يرضى عنهم ويقربهم تقرب المحب إلى الحبيب.

أ/386

وأفاد الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الآية: 108] إن المقام في أماكن العصيان والتعريب في أوطان أهل الجحود والطغيان من علامات الممالة مع أربابها وسكانها وموالات أصحابها وقطانها والتباعد عن مساكنهم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 207) رقم (6025)، وانظر: جامع الأصول (9/ 6955) رقم (6955).

(2) تفسير ابن كثير (4/ 214).

(3) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 128) رقم (357)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 142) رقم (1632).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرک (1/ 257) رقم (554)، وابن ماجه في السنن (1/ 127) رقم (355)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 18) رقم (2747).

وهجران من جنح إلى مسالكهم علم لمن أشرب قلبه مخالفتهم وباشر مسرهم عداوتهم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [الآية: 108] أي: يتطهرون عن (وهر) المعاصي وذلك سمة العابدين ويتطهرون عن الشهوات والأمانى وذلك صفة الزاهدين ويتطهرون عن محبة المخلوقين عن شهود أنفسهم فيما به يتصفون وذلك نعت العارفين ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ [الآية: 108] بأسرارهم عن المساكنة إلى كل مخلوق أو ملاحظة كل محدث مسبق.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ﴾ [الآية: 109] أي: بنى دينه وحيطان يقنه ﴿عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ﴾ [الآية: 109] أي: على قاعدة محكمة وهي التقوى وطلب مرضاة المولى ﴿خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [الآية: 109] أي: على طرف بئر ساقط والمعنى على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهنها وأرخاها وأوهاها ﴿فَأَنهَارٌ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 109] أي: فآدى به لخوره وقلة استمسাকে أي: السقوط في النار وقيل: ضميره راجع إلى الباني واصل الجرف ما جرفه الوادي الهائر ولما جعل الحرف الهاير مجازاً عن الباطل قيل: ﴿فَأَنهَارٌ بِهِ﴾ [الآية: 109] على معنى فصاخ الباطل في نار جهنم وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة بسكون الراء تحقيقاً وقرأ نافع وابن عامر أسس بالبناء للمفعول ورفع بنيانه ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 109] إلى ما فيه نجاة وصلاح في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن المرید يجب أن يؤسس بنيانه على يقين صادق فيما يعتقد ثم على خلوص في العزيمة أن لا ينصرف قبل الوصول على الطريق الذي يسلكه ثم على انسلاخه من جميع مناه وشهواته ومآربه ومطالباته ثم يبنى بناء أمره على دوام ذكره بحيث لا يعترضه/ نسيان يمنعه عن شكره ثم على 386/ ب ملازمة حقوق المسلمين وتقديم جمهورهم بإيثار على نفسه والذي ضيّع الأصول في ابتدائه حرم الوصول في انتهائه والذي لم يحكم الأساس في بنيانه سقط السقف بجدرانته.

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ [الآية: 110] أي: بنيانهم الذي بنوا مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله: ﴿رَبِّبَةً فِي

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 110] أي: شكاً ونفاقاً والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال بسبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدم الرسول ﷺ أثر ما هنالك رسخ الشك ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 110] وازداد النفاق في قلوبهم صدورهم بحيث لا يزول رسمه ورسمه عنهم ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 110] قطعاً قطعاً بحيث لا ينفي لها قابلية الإدراك أصلاً وقطعاً وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأحوال أو الأزمنة وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة تقطع بمعنى ينقطع ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 110] بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 110] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن عروق النفاق لا تقلع عن عرصات اليقين إلا بمنجل التحقيق بصحيح البرهان فمن أيد لإدامة المسير ووفق لتأمل البرهان وصل إلى ثلج الصدور وروح العرفان ومن أقام على معتاد التقليد لم يسترح قلبه عن كد التردد وظلمة التجويز وجولان الخواطر المشككة بالقلب.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [الآية: 111] تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الجنة.

قال أبو عثمان: ﴿اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية: 111] كيلا يخاصمون عنها فإنها ليست لهم والإنسان لا يخاصم عما ليس له كذا ذكر السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان من المؤمنين تسليم النفس والمال لحكم الله ومن الله الجزاء والثواب شبه الشرى الذي فيه العوض والمعوض فلما بينهما من المشابهة أطلق لفظ الاشتراء فهو كما قال ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَخْرَجٍ تُجَرِّمُ﴾ [الصف، الآية: 10] وقال ﴿فَمَا رِيحَتِ بِخَبَرَتِهِمْ﴾ [البقرة، الآية: 16] وإلا ففي الحقيقة لا يصح في وصف الحق سبحانه الاشتراء لأنه لا مالك سواه وللمقال في هذه الآية مجال فيقال البائع لا يستحق الثمن إذ امتنع من تسليم المبيع ويقال: لا يجوز في الشرع أن يبيع ويشتري شيئاً واحداً ويكون/واحداً بائعاً أو مشترياً إلا إذا كان أباً أو جدّاً ذلك لفرط الشفقة وانتفاء التهمة والتحقق بأنه نظر له واحتياط في أمره وللمولى عليه في ذلك غبطة ولما كانت رحمته سبحانه بالعبد أتم ونظره

له أبلغ وأعم وكان للمؤمن فيه من الغبطة ما لا يخفى صح تلك الصفقة وإن كان حكمه لا يقاس على حكم غيره ويقال: إنما قال ﴿أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية: 111] ولم يقل قلوبهم لأن النفس محل الآفات وجعل الجنة في مقابلتها وجعل ثمن القلب أعلى من جنته وهو ما يخص به أولياءه فيها من عزيز رؤيته ويقال النفس محل العيب والكريم يرغب في شري ما يزهد فيه غيره ويقال: من اشترى شيئاً لينتفع به اشترى خير ما يجده ومن اشترى شيئاً لينتفع به غيره يشتري ما رد على صاحبه لينفعه بثمنه وفي بعض الكتب المنزلة يا بني آدم ما خلقتكم لأربح عليكم وإنما خلقتكم لتربحوا عليّ.

وكان الشيخ أبو علي الدقاق يقول: لم يقل اشترى قلوبهم لئن القلب وقف على محبته والوقف لا يشتري ويقال: الطير في الهواء والسمك في السماء لا يصح شراؤه لأنه غير ممكن التسليم كذلك القلب صاحبه لا يمكنه تسليمه قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال، الآية: 24] في التوراة الجنة جنتي والمال مالي فاشترؤا جنتي بمالي فإن ربحتم فلکم وإن خسرتم فعليّ ويقال أخبر أنه اشتراها لثلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا يلاحظها ولا يعجب بها ﴿يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 111] استثناف بيان ما لأجله الشري وقيل: يقاتلون في معنى الأمر ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [الآية: 111] وقرأ حمزة والكسائي تقديم المبني للمفعول فإن الواو لا تفيد الترتيب وفعل البعض قد يسند إلى الكل.

قال الأستاذ: وسيان عندهم أن يقتلوا أو يقتلوا قال قائلهم:

وإن دماً أجريته لك شاكر وأن فؤاداً رعته لك حامد⁽¹⁾

﴿وَعَدَا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 111] مصدر مؤكد لما تدل عليه اشترى فإنه بمعنى الوعد وقوله: ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 111] نعت له ﴿فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 111] مذكوراً فيها كما أثبت في الفرقان ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 111]

(1) نسب إلى المتنبي .. انظر: شرح ديوان المتنبي (1/ 233)، والمنتحل (1/ 70)، وعنده بدل لك شاكر بك فاخر.

مبالغة في إيجازه وعداً وتقريراً لكونه حقاً والمعنى لا أحد أوفى بعهده منه ﴿فَاسْتَبِشْرُوا لِيَتَّبِعَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُكُمْ بِهِ﴾ [الآية: 111] أي: فافرحوا به غاية الفرح 387/ ب والطرب فإنه أوجب لكم عظيم/المطلب ولذلك حال ﴿وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الآية: 111] فإنه يشتمل على النعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال: لم يكن منا بيع وأنه أخبر عن نفسه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 111] فجعل بيعه بيعنا وهذا مثل ما قال في نعت نبينا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكَ اللَّهُ رَحْمَةً﴾ [الأنفال، الآية: 17] وهذا عين الجمع الذي أشار إليه جميع القوم التائبون رفع على المدح أي: هم.

﴿الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 112] والمراد بهم المؤمنون المذكورون الذين تابوا من الكفر وسائر المناهي ورجعوا عن الغفلات والملاهي ﴿الْمُكِيدُونَ﴾ [الآية: 112] لله المخلصون في طريق رضاه ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 112] أي: الشاكرون للنعماء ﴿الْمُسْتَكْبِحُونَ﴾ [الآية: 112] روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعاً السائحون هم الصائمون شبه الصوم بالسياحة من حيث أنه تفوق عن جنس الشهوات وقيل: هم السائرون للجهاد أو لتحصيل العلم في البلاد ﴿الْمُزَكَّيْنَ﴾ [الآية: 112] في الصلاة أي: المصلون ﴿الْمُزَكَّيْنَ﴾ [الآية: 112] بالإنفاق ﴿الْمُزَكَّيْنَ﴾ [الآية: 112] أي: عن الكفر والسيئات وزيد العاطف فيه للدلالة على أنه عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكأنه قال الجامعون بين الوصفين أو لتلازمها باعتبار منطوقها ومفهومها وأما العاطف في قوله: ﴿وَالْمُحْفَظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: فيما بينه وعينه من العقائد والشرائع فلتنبه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا محل الشكائل ﴿وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الموصوفين بما يجعل عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام قال بعضهم: التائب الراجع إلى الله من كل ما سواه فالعابد المداوم على الخدمة مع رؤية التقصير في العبودية والحامد الذي يحمده سبحانه على الضراء والسراء والسائح الذي يسبح في طلب الأولياء والراكم الساجد في الخاضع لله في جميع الأحوال والآمرون بالمعروف هم المتحابون في الله والناهون عن المنكر هم المتباعدون في الله والحافظون لحدود الله العاملون معه على آداب الكتاب والسنة كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى مدحهم بعدما أوقع عليهم سمة الاشتراء بقوله: ﴿الْكَاثِبُونَ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية: 112] ومن رضي ببيع ما اشتراه فليس له حق الرد ويقال من اشترى شيئاً فظهر بالبيع له عيب فله حق الرد إذا لم يعلم العيب وقت الشراء فأما إذا كان عالماً به فليس له الرد ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْأَعْلَيْنَ﴾ [الدخان، الآية: 32] ويقال: من اشترى شيئاً فوجد به عيباً فله حق الرد فإذا رده رده على من اشتراه منه فاشترى هو نفوسنا منه سبحانه فإذا أراد الرد فلا يرد إلا على نفسه وكما أن الرد إليه فلو ردنا كان الرد عليه ثم التائبون الراجعون إلى الله فمن راجع يرجع عن زلته إلى طاعته ومن راجع يرجع عن متابعة هواه إلى موافقة رضاه ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه ومن راجع يرجع عن الإحساس بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق في حقائق حقه ويقال: تائب يرجع من أفعاله إلى تبديل أحواله فيجد غداً فنون أفضاله وصنوف لطفه ونواله وراجع يرجع عن كل غير وضد وند إلى ربه بره لربه بمحو كل أرب وعدم الإحساس والخبر عن كل طلب ويقال: تائب يرجع لحظ نفسه من جزيل ثوابه أو حذاراً عن نفسه من أليم عقابه وتائب يرجع لأمره له برجوعه وإيابه وتائب يرجع طلباً لفرح نفسه حيث نجا من أوضاره وتخلص من شؤم أوزاره وأما قولهم العابدون فهم الخاضعون بكل وجه للمولى الذين لا يستر فهم كرائم الدنيا ولا يستبعدهم عظام العقبي ولا يكون العبد عبداً له على الحقيقة إلا بعد تحرره عن كل شيء حادث في الطريقة وكل أحد فهو له عبد من حيث الخلقة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنِّي الرَّحْمَنُ عَبْدًا﴾ [مريم، الآية: 93] ولكن صاحب العبودية عزيز بالخصوصية الحامدون الشاكرون له على وجود أفضال المثلون عليه عند شهود جلاله وجماله ويقال: الحامدون بلا اعتراض على ما يحصل بقدرته ولا انقباض عما يجب من طاعته ويقال: الحامدون على منعه وبلائه كما يحمدون على نفعه وعطائه ويقال: الشاكرون له إن أدناهم والحامدون له إن أقصاهم السائحون الصائمون ولكن عن شهود غير الله الممتنعون عن خدمة غير الله المكتفون من الله/ بالله ويقال: السائحون الذين 388/ب يسيحون في الأرض على جهة الاعتبار طلباً للاستبصار ويسيحون بقلوبهم في

مشارك الأرض ومغاربها بالتفكر في جوانبها ومناكبها والاستدلال بتغيرها على مشيئها يسيحون بأسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال ويعيشون بنسيم الأنس للتحقق بشهود الحق ذي الجمال والكمال الراكعون الخاضعون لله في جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان تجلي الجلال وفي الخبر أن الله إذا تجلى لشيء خشع له⁽¹⁾ وكما يكون في الظاهر راعياً يكون في الباطن خاشعاً ففي الظاهر لإحسان الحق إليه بحسن تولى وفي الباطن كالعيان للحق بأنوار تجليه الساجدون في الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية وفي الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية والسجود على أقسام سجود عند صحة القصد فيسجد بنعت التذلل على بساط الافتقار ولا يرفع رأسه عن السجود إلا عند تبشير الوصال وسجود عند الشهود إذا تجلى الحق لقلبه فلم ينظر بعده إلى غيره في جميع الأحوال وسجود في حال الوجود وذلك بخموده عن كليته وفنائه عن الإحساس بجميع أوصافه وجملته وهذا نهايات مقام أرباب الكمال ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الآية: 112] هم الذين يدعون الخلق إلى الله ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالإقبال على الله وترك الأشغال بغير الله ويأمرون نفوسهم بالتزام الطاعة لحملهم إياها على سنن الاستقامة وينهون نفوسهم عن المني واتباع الشهوة بترك التقريح في أوطان الغفلة وما تعودوه من المساكنة والاستنابة ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون إذا حركهم ويسكنون إذ أسكنهم ويحفظون مع الله أنفاسهم.

﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الآية: 113] بأن ماتوا على الكفر روي أنه عليه السلام قال لعمه أبا طالب حين حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك عند الله فأبى فقال: لا أزال استغفر لك ما لم أنه عنه/ فنزلت⁽²⁾ وروي أنه لما فتح مكة أخرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام باكياً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أُمِّي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ الآيتين⁽³⁾

(1) سبق تخريجه .

(2) تفسير أبي السعود (4/ 10)، وتفسير البيضاوي (1/ 175).

(3) تفسير أبي السعود (4/ 107).

ومفهوم الآية السابقة يدل على جواز الاستغفار لإحياء الكفار فإنه طلب توفيقهم للإيمان وعمل البر به رفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال:

﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ لِإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ [الآية: 114] أي: وعدما إياه كما قرىء به حيث قال له: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة، الآية: 4] أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان ولأطلبن ما يستحق به المغفرة والإحسان أو وعدما أبوه بالرجوع على الكفران ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ [الآية: 114] بأن مات على الكفر أو أوحى إليه فيه بأنه لن يؤمن ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [الآية: 114] وقطع استغفاره عنه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ [الآية: 114] كثير التأوه والقائل آو وإو وهو الكناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 114] صبور على أذى أبيه وسوء خلقه.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين هو التبري من الأعداء والتولي للأولياء والولي لا حميم له ولا قريب ولا صديق له ولا نسيب ثم لما أمر الله سبحانه المسلمين بالتبري عن المشركين والإعراض عنهم والانقباض من الاستغفار لهم يبين أن هذا سبيل الأولياء وطريق الأنبياء وأن إبراهيم وإن استغفر لأبيه فإنما كان من قبل تحققه بأنه لا يؤمن فلما علم أنه عدو لله أظهر البراءة عنه.

﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا﴾ [الآية: 115] أي: لينسبهم إلى الضلال ومؤاخذهم مؤاخذه الضلال ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتُهُمْ﴾ [الآية: 115] للإسلام وطريق أهل الكمال ﴿حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 115] أي: خطر ما يجب اتقاؤه في جميع الأحوال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 115] ومنه أمرهم قبل البناء وبعده فالجملة كالتييم.

قال السلمي: أي ما كان الله ليضل قوماً في الأبد بعد إذ هداهم في الأزل.

وأفاد الأستاذ في معناه أن الله لا يحكم بضلالكم وذهابكم عن طريق الحق باستغفاركم للمشركين إلا بعد أن يبين لكم أنهم منتهون عنه فإذا علمتم أنكم نهيتهم عن استغفاركم لهم فإن أقدمتم على ذلك فحينئذ ضللتهم عن الحق

ب/389 بعقلكم بعد ما نهيتم من استغفارهم هذا بيان التفسير والتأويل للآية والإشارة
ب/389 فيها لأنه لا سلب لعطائه/إلا بترك أدب منكم ويقال من أهله لبساط الوصلة
ما مني بعده بعذاب الفرقة إلا لمن سلف عند ترك الحرمة.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَمَّ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] أي: جميع الموجودات من
العلويات والسفليات ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾
[الآية: 116] فتوجهوا إلى الله تعالى وتبرأوا عما عداه حتى لا يبقى لكم مقصود
سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص
بعدم مخلوقاته فقيل: إن أوجد شيئاً من الحدثان كان ملكاً وملكاً أكثر مبالغة
من مالكاً وملكه قدرته على إبداع ما هو ملكه فالمدوم مقدوره ومملوكه فإذا
وجده فهو في حال حدوثه مقدوره ومملوكه فإذا أعده خرج عن الموجود ولم
يخرج عن كونه مقدوراً له ثم يحيي من يشاء بعرفانه وتوحيده ويميت من يشاء
بكفره وإلحاده وترديده ويقال: يحيي قلوب العارفين بأنوار المواصله ويميت
نفوس العابدين بآثار المنازلة ويقال: يحيي من أقبل عليه بفضلّه ويميت من
أعرض عنه بتكبره بعدله.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الآية: 117] من أذن المنافقين للتخلف عنه في
غزوة تبوك ﴿وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [الآية: 117] أي: الذين كانوا قد خرجوا معه
حين هموا بالانصراف عنه لما أصابهم العسرة من الجوع والعطش والإعياء في
تلك الغزوة والمعنى أنه سبحانه وفقهم للتوبة وقبل توبتهم من تلك الحوبة وفيه
توطئة لتوبة الثلاثة وتسلية لهم في هذه البلية وإيماء إلى أن ما من أحد إلا وهو
محتاج إلى التوبة لقوله تعالى: ﴿وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور، الآية: 31] لأنه
ليس أحد إلا وله مقام يتنقص دونه ما هو فيه من الرتبة والترقي إليه توبة من تلك
النقيصة مع ما فيه من الإشارة إلى إظهار فضيلة التوبة بأنها مقام أرباب النبوة
وأصحاب الولاية ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ﴾ [الآية: 117] أي: في وقت
الشدة والمعنة حتى يعتقب على بغير واحد عشرة ويقسم الرجلان تمرة وشرب

بعضهم ماء الكرش من كثرة العطش وشدة الحرارة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ [الآية: 117] وحمزة وحفص بالتذكير أي: بعدما قارب للقوم أن يميل ﴿فَلَوْبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 117] عن الثبات على الإيمان/ أو عن اتباع الرسول في ذلك الشأن 390/أ وأراد بالفريق المتخلفين أو بعض الضعفاء من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فتوبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تنزع وهكذا سنة الحق سبحانه مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب وقاربوا من التلف واستمكن اليأس في قلوبهم من النصر ووطنوا أنفسهم أن يذوقوا أليم اليأس يمطر عليهم سحائب الجود بوجود الإجابة فيعود عود الحياة بعد يسه طرياً ويرد إلى الأنس عقب ذبوله غصاً جنيماً ويصير أحوالهم كما قال بعضهم.

كنا كمن ألبس أكفانه وقرب النعش من اللحد
فحال ماء الروح في وحشة ورده الوصول إلى الورد
تبارك الله سبحانه ما كل هم هو بالسرم⁽¹⁾

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 117] أي: أثبت التوبة لديهم ولم يكل حالهم إليهم ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَءَوْفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 117] وبأحوالهم حكيم وبأعمالهم عليم.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ﴾ [الآية: 118] أي: وتاب على الثلاثة ﴿الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [الآية: 118] تخلفوا عن الغزو وخلف أمرهم فأنهم آخرون مرجون ﴿حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [الآية: 118] أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ [الآية: 118] وسببه أنه ﷺ أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وطهروا طوياتهم ﴿وَوُطِّنُوا﴾ [الآية: 118] علموا ﴿أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية: 118] لا مخلص من سخطه ولا مهرب من عقابه ﴿إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [الآية: 118] أي: إلى طلب رضاه والاستغفار عن رؤية ما سواه ففرضوا أمرهم إلى الله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 118] أي: قبل توبتهم بعد توفيقهم لها ﴿لِيَتُوبُوا﴾ [الآية: 118] ليعدوا من جملة التوابين أو أثبت التوبة عليهم ليدوموا ورجع عليهم بالرحمة ليستقيموا ﴿إِنَّ اللَّهَ

هُوَ النَّوَّابُ ﴿[الآية: 118] لَمَنْ تَابَ وَآبَ وَلَوْ عَادَ فِي الْيَوْمِ بِلَا حِسَابٍ ﴿الرَّجِيمُ﴾
[الآية: 118] بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ لَهُ فِي الْمَأْبِ.

وأفاد الأستاذ: أنه لما صدق منهم اللجوء سبق إليهم الشفاء وسقط عنهم
البلاء وكذلك الحق يكور نهار اليسر على ليال العسر ويطلع شمس المنّة
على نحوس الفتنة ويدير فلك السعادة فيمحق تأثر طوارق النكادة سُنّة منه
تعالى لا يبدلها وعادة منه في الكرم يجريها ولا يحولها.

390/ب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية: 119] في/ إيمانهم
وأيمانهم وتوبتهم وإنابتهم والصدق كما يكون في الأقوال يكون في الأحوال بل
هو أتم أقسامه عند أرباب الكمال ففي الزبور كذب من ادعى محبتي فإذا جنة
الليل نام عني أي اختار على حضوري غيبتني.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾
[الآية: 120] أي: عن أمره وحكمه وهو نهى عبر عنه للمبالغة بصيغة النهي ﴿وَلَا
يَرْغَبُوا﴾ [الآية: 120] أي: ولا أن يميلوا ﴿بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الآية: 120] بأن يصرفوا
أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه والحاصل أنهم أمروا بأن يصحبوه عن البأساء
والضراء ويكابروا معه الأهوال في الأحوال برغبة ونشاط من غير فتور وملال
روي أن أبا خيثم بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت
له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال: ظل ظليل ورطب يانع
أي: ناضج وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح⁽¹⁾ والريح ما هذا
بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله ﷺ طرفه
إلى الطريق فإذا ركب يزها السراب أي: يدفعه فقال: كن أبا خيثمة فكان ففرح
به رسول الله ﷺ واستغفر له⁽²⁾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 120] أي: وجوب المتابعة
﴿بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية: 120] سبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ [الآية: 120] أي: شدة عطش

(1) الكشاف (2/ 483)، تفسير أبي السعود (4/ 110)، تفسير البياضوي (1/ 178)، وانظر:

ما أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (8/ 493) رقم (2769).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2769/ 53)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 85) رقم (173)، وابن حبان في الصحيح (8/ 155) رقم (3370).

من فقد الماء ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ [الآية: 120] تعب من الإعياء ﴿وَلَا حَمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: مجاعة في سبيل الأعداء ﴿وَلَا يَطْفُوتُ مَوْطِنًا﴾ [الآية: 120] أي: لا يدوسون مكان وطيفة ﴿يَفِيضُ الْكُفَّارَ﴾ [الآية: 120] يغضبهم ﴿وَلَا يَأْلَوْنَ مِنْ عَذْوٍ نِيْلًا﴾ [الآية: 120] كالجرح والقتل والأسر والنهب ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [الآية: 120] يستوجبون به الثواب في دار المآب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 120] أي: منهم ومن غيرهم على إحسانهم.

﴿وَلَا يُفْقُوتُ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: قليلة ولو علاقة أو ثمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: كثيرة كمثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ [الآية: 121] من الأودية ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [الآية: 121] أي: أثبت لهم ذلك هنالك ﴿يَجْزِيهِمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 121] بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَسْمَلُونَ﴾ [الآية: 121] أي: جزاء حسن أعمالهم أو حسن جزاء أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز لهم أن يؤثروا على النبي ﷺ شيئاً من نفس وروح ومال وولد وأهل وليسوا يخسرون على الله وأنى ذلك وأنهم لا يرفعون لأجله سبحانه خطوة إلا/ قابلهم بألف خطوة ولا ينقلون فيه قدماً إلا لقاهم 391/أ لطفاً وكرماً ولا يقاسون فيه عطشاً إلا سقاهم من شراب محابه كأساً ولا يتحملون لأجله مشقة إلا لقاهم لطفاً وإيناساً.

﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [الآية: 122] أي: وما استقالهم أن ينفروا جميعهم لنحو غزو وجهاد وطلب علم واجتهاد فإنه يخل بأمر المعاش كما لم يستقم لهم أن ينشطوا عن ذلك جميعاً فإنه يخل بأمر المعاد ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [الآية: 122] أي: فهلاً أخرج من كل جماعة كثيرة قبيلة وأهل بلده جماعة قليلة ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [الآية: 122] ليتكلفوا الفقاها فيه ويتعلموا ما يناسبه وما ينافيه ليكملوا في أنفسهم ويكملوا غيرهم كما أشير إليه بقوله ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 122] أي: ليحفوهم ويرغبوهم فهو من باب الاكتفاء وخص الإنذار بالذكر لأنه أهم الأشياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 122] أرادهم أن قومهم يحذرون عما منه ينذرون وفيه دليل على أن الجهاد وتعلم

الفقه وتعليمه من فروض الكفاية وأن أخبار الأحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة النفقة لتندر فرقتها فلو لم يعتبر الخبر ما لم يتواتر لم يفد ذلك عموم ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل المسلمين على مراتب أمر الدين ومقامات اليقين فعوامهم كالرعية للملك وكتبة [الحديث] كخزان الملك وأهل القرآن كحفاظ الدفاتر ونفائيس الذخائر والفقهاء بمنزلة الوكلاء للملك إذ الفقيه يوقع عن الله وعلماء الأصول كالقواد وأمراء الجيوش والأولياء كأركان الباب وأرباب القلوب وأصحاب الصفاء كخواص الملك وجلسائه فيشتغل قوم بحفظ أركان الشرع وآخرون بامضاء الأحكام وآخرون بالرد على المخالفين وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل قوماً مفردين بحضور القلب وهم أصحاب الشهود ليس لهم شغل يراعون مع الله أنفاسهم وهم أصحاب الفراغ لا يستفزههم طلب ولا يهزهم أرب فهم بالله الله وهم محو عما سوى الله وأما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون وإنما يفهم الخلق ب/391 عن الله إذا كان/ يفهم عن الله قلت والجامع لهذه المقامات والحاوي لتلك الحالات أمة ولو كان واحداً من الأمة كما قال قائل:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد⁽¹⁾

ثم اعلم أن العالم العامل هو الإنسان الكامل فإن الخلق كلهم هلكى إلا العالمون.

والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم⁽²⁾ في الخاتمة من تعبير اللاحقة بتقدير السابقة فسأل الله الحماية والعافية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قِيلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ﴾ [الآية: 123] من الكفار أي: أمروا

(1) نسب إلى أبي نؤاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (89/1)، وبيمة الدهر (44/1).

(2) تفسير النيسابوري (173/1)، كشف الخفا (312/2) رقم (2796)، والموضوعات

للصغاني (38/1) رقم (39).

بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين فإن الأقرب أحق بالشفقة في حقه واصطلاح أمره وقد ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك⁽¹⁾ وفي حديث آخر أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك⁽²⁾ رواه الديلمي.

وأفاد الأستاذ: إن أقرب الأعداء إلى المسلم ﴿مِنَ الْكُفَّارِ﴾ [الآية: 123] الذين يجب عليه منازعته أعدى عدوه وهو نفسه فيجب أن يبدأ بمقاتلة نفسه ثم بمجاهدته للكفار قال عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر⁽³⁾ ﴿وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [الآية: 123] أي: شدة على المجاهدة وقوة على المكابدة.

وأفاد الأستاذ: إن من حابي عدوه قهر فكذلك المريد في حال مجاهدته يجب أن لا يجنح إلى رخص التأويلات ويأخذ في الأمور بأشق الحالات فإن نزول المريد عن مطالبات الحقيقة إلى ما يطلبه من التأويل فسخ لعهدته ونقض لعهدته وذلك كالردة لأهل الظاهر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 123] بالحراسة والإعانة ومعية جميعة المحبة.

﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ﴾ [الآية: 124] / أي: فمن المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ﴾ 392/أ [الآية: 124] لأمثالهم إنكاراً واستهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هِذِهِ﴾ [الآية: 124] السورة ﴿إِيمَانًا﴾ [الآية: 124] أي: إيقاناً ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الآية: 124] بزيادة العلم الحاصل من تدبر الصورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم فالزيادة باعتبار المؤمن به لا في نفس الإيمان لأنه عند المحققين غير قابل للزيادة والنقصان ﴿وَهُمْ يَسْتَشِيرُونَ﴾ [الآية: 124] وهم يفرحون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالانهم ورفعة درجاتهم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 125] شك وكفر ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [الآية: 125] أي: كفرأ بها متضمن إلى الكفر بغيرها ﴿وَمَا تَأْوُوا لَهُمْ﴾

(1) سبق تخريجه.

(2) جامع الأحاديث (47/5) رقم (3709)، كنز العمال (16/283) رقم (44483)، والمقاصد الحسنة (1/120)، كشف الخفا (1/13) رقم (382).

(3) سبق تخريجه.

كَفَرُونَ﴾ [الآية: 125] لاستحكام ذلك فيهم حتى انتقلوا إلى الآخرة إلى حالهم فسبحان من جعل بحر القرآن الجليل كنهر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ [البقرة، الآية: 26] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْفُرْقَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء، الآية: 82] .

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه جعل إنزال القرآن لقوم شفاء ولقوم شقاء فإذا ما أنزلت سورة جديدة زاد شكهم وتحيرهم فأسقام بعضهم حال بعض ثم لم تزدادوا إلا تحيراً قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى﴾ [فصلت: 44] وأما المؤمنون فزادتهم السورة إيماناً فليرتقوا من حد تأمل البرهان إلى روح البيان ثم من روح البيان إلى روح العيان فشموس العرفان طالعة على أسرارهم وأنوار التحقيق لامعة لأسرارهم فلا لهم نعت الطلب ولا لهم حاجة إلى السير ولا عليهم سلطان للكفر.

﴿أَوَّلًا يَرَوْنَ﴾ [الآية: 126] المنافقون وقرأ حمزة بالخطاب فالمعنى أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ [الآية: 126] ليتلون بأنصاف البليات ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 126] ولا يبعد أن يراد بالثنائية التكثير المقصود به المرات ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ [الآية: 126] لا يرجعون عن النفاق وخبث الطويات ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [الآية: 126] أي: لا يعتبرون/ بأنواع الموعظات. 392/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يخل أرباب التكليف عن دلائل التعريف والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتكليف في كل أوان بضرب الامتحان وكما لم يردد لهم إلا إيضاح البرهان ولم يتجدد لهم من الله إلا زيادة الخذلان والحجة عن البيان وأما أصحاب الحقائق فما للأغيار في كل عام مرة أو مرتين فلهم في كل نفس مرات لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب بصائر وخواطر وزواهر تتضمن بتكليفات وأوامر.

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [الآية: 127] تغامزوا بعيونهم غيظاً لما فيها من عيوبهم أو إنكاراً وسخرية فيما بينهم قائلين لبعضهم ﴿هَلْ

يَرْزُقْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴿[الآية: 127]﴾ إِنْ قُمْتُمْ مِنْ خِدْمَةِ الْحَضْرَةِ فَإِنْ لَمْ يَرْحَمْ أَحَدٌ قَامُوا وَإِلَّا فَاقَامُوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ [الآية: 127] عَنْ الْحَضْرَةِ مَخَافَةَ الْفُضِيحَةِ ﴿صَرَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية: 127] عَنِ الْإِيمَانِ وَالْجَمْلَةِ اخْتِبَارِيَّةٍ أَوْ دَعَائِيَّةٍ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ [الآية: 127] بِسَيِّئَاتِهِمْ ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 127] لِسَوْءِ فَهْمِهِمْ وَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية: 128] مِنْ جَنْسِكُمْ عَرَبِيٌّ أَوْ بَشَرٌ مِثْلَكُمْ وَقَرَأَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَي: أَشْرَفَكُمْ ﴿عَزِيزٌ عَلَيَّو﴾ [الآية: 128] شَاقٌّ شَدِيدٌ ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 128] مَا مَصْدَرِيَّةٌ أَي: عَنْتَكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 128] أَي: عَلَى تَحْصِيلِ إِيْمَانِكُمْ وَتَصْحِيحِ شَأْنِكُمْ ﴿يَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 128] مِنْكُمْ ﴿رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية: 128] وَالرَّأْفَةُ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ فَتَقْدِيمُ الْأَبْلَغِ مَعَ أَنْ التَّدرِجَ أَنْسَبُ مَحَافِظَةً لِلْفَاصِلَةِ أَوْ مَرَاعَاةً لِلنَّعِيمِ فَيَكُونُ كَالذَّلِيلِ، وَالتَّعْمِيمِ قَالَ بَعْضُهُمْ: حَرِيصٌ عَلَى هِدَايَتِكُمْ لَوْ كَانَتْ الْهَدَايَةُ إِلَيْهِ مَشْفُقٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ نَزْغَةٌ مِنْ نَزْغَاتِ الشَّيْطَانِ الرَّحِيمِ يَسْتَجْلِبُ بِرَحْمَتِهِ لَهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ إِيَّاهُ.

وَأَفَادَ الْأُسْتَاذُ: أَنَّ الْمَعْنَى جَاءَكُمْ رَسُولٌ يَشَاكِلُكُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ لَكِنَّهُ يَبَايِنُكُمْ فِيهَا أَفْرَدَنَاهُ بِهِ مِنَ الْخُصُوصِيَّةِ أَلْبَسْنَاهُ لِبَاسَ الرَّحْمَةِ عَلَيْكُمْ وَأَقْمَنَاهُ بِشَوَاهِدِ الْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ عَلَى جَمَلَتِكُمْ قَدْ وَكَلْ هِمَّتَهُ بِشَأْنِكُمْ أَكْبَرَ هُمُومِهِ/ هُمْ 393/أ إِيْمَانِكُمْ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية: 129] أَعْرَضُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الآية: 129] فَإِنَّهُ يَكْفِيكَ وَيَعِينُكَ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 129] كَالذَّلِيلِ لَمَّا قَبْلَهُ ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية: 129] أَي: اعْتَمَدْتُ فِيهِمَا أَخَافَهُ وَأَرْجُوهُ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: 129] أَي: الْمَلِكِ الْفَخِيمِ أَوْ الْجَسِيمِ الْأَعْظَمِ الْمَحِيطِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ الَّذِي تَنْزِلُ مِنْهُ الْأَحْكَامُ الْمَقْدَرَاتُ.

وَأَفَادَ الْأُسْتَاذُ: أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَالَ لَهُ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ﴾ [الأنفال: 64] وَمَنْ ثُمَّ أَمَرَ بِأَنْ يَقُولَ ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الآية: 129] لِقَوْلِهِ حَسْبُكَ اللَّهُ عَيْنَ الْجَمْعِ وَقُلْ ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الآية: 129] فَرَقَ أَقُولُ بَلْ هُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ أَي: قُلْ وَلَكِنْ بِنَا تَقُولُ

فنحن المتولي عنك وأنت مستهلك في عين التوحيد منك فأنت بنا ومحو عن
غيرنا انتهى.

فنحمده شاكرين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن مرام حضورنا
صابرين وقد ختم الجزء الأول الشريف بالحمد المنيف كما ابتدأ به وسيداً
بنا الجزء الثاني من تفسير السبع المثاني المسمى بأنوار القرآن وأسرار الفرقان
لظهور نور العبارة وسرور حبور الإشارة وكان الفراغ من كتابته يوم الأربعاء
المبارك ثاني عشرون جمادي أول من شهور سنة ألف ومائة تسعة وثلاثون من
الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل.



[مَكِّيَّة]

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله: أي باسم المعبود واجب الوجود المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة جلالها ودقائقها، عمومها وخصوصها.

وقال الأستاذ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ كلمة سماعها يوجب شفاء كل عائد، ضياء كل قاصد، غذاء كل فاقد، بل كل واحد هو كل خائف، سلوى كل عارف، أمان كل تائب، بيان كل طالب، قلوب العارفين لا تفرح إلا بسماع بسم الله، كرب الخائفين لا تبرح إلا عند سماع بسم الله.

﴿الرَّءِ﴾ [الآية 1] فتحها نافع وابن كثير وحفص وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء، قيل: معناه إن الله أري، ذكره السلمي.

﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [الآية 1] إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي، والمراد من الكتاب أحدهما فإنه يطلق عليها، ووصفه الحكيم لاشتماله على الحكم أو الحكيم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها.

وأفاد الأستاذ أن الألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والراء مفتاح اسمه الرحيم، أقسم بهذه الأسماء أن هذا الكتاب هو الموعود لكم يوم الميثاق.

والإشارة فيه إنما خلقنا لكم الميعاد، وصعدنا لكم غناج الوداد، وانقضى لكم زمان الميعاد، فالعصاة ملقاة والأيام بالسرور متلقاة، فبادروا إلى شرب كاسات المحاب، واستقيموا بالباب على نهج الأحباب.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [الآية 2] أو استفهام إنكار للتعجب، وعجباً خبر كان واسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رَمْلًا مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] أي لإظهار التوحيد أو تحقيق التفريد حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: الآية 5]، أو تعجبوا أن يبعث الرسول بشراً، وجوزوا أن يكون الإله حجراً ﴿أَنْ أَنْذِرَ النَّاسَ﴾ [الآية 2] أن مفسرة، والمعنى: خوفاً للكفار والفجار بالنار ﴿وَيَذَرُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 2] أي خص البشارة أن لا يصح للكفرة ما يصح أن يبشروا به وعمم الإنذار لأنه قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه أو لأن في الإنذار ولم يكن بوجود الكفار.

وأن الاستناد أن تعجبهم كان من ثلاثة أشياء: من جواز البعث بعد الموت، ومن إرسال الرسل إلى الخلق، ثم من تخصيص محمد ﷺ بالرسالة ب/2 من بين الخلق، ولو عرفوا كمال قدرته لم ينكروا جواز البعث، ولو علموا كمال ملكه لم يجحدوا إرسال الرسل إلى خلقه، ولو عرفوا أن له أن يفعل ما يريد لم يتعجبوا من تخصيص محمد ﷺ بالنبوة من بين الخليقة ولكن سدت بصائرهم فتأهوا في أودية الحيرة وعثروا من الضلالة في كل هدة.

﴿أَنْ هُمْ﴾ [الآية 2] أي بأن لهم ﴿قَدَّمَ صِدْقِي عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 2] مسابقة منيعة ومنزلة رفيعة، وسميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها يعطى بها، وأضافها إلى الصدق لتحقيقها وللتنبية على أنهم إنما ينالوا هذا بصدق البينة في طلبها.

وحاصله: إن لهم أجراً حسناً بما قدموا من العبادات أو بما سبقت لهم من الله السعادة.

وأفاد الأستاذ أن ما قدموه لأنفسهم من صنوف طاعات أخلصوا فيها وفنون عبادات صدقوا في القيام بتحقيقها، ويقال هو ما قدم الحق لهم يوم القسمة من مقتضى عنايته بشأنهم وما حكم لهم من أنواع إحسانه بهم وأجناس ما أفردهم به من إمتاعهم. ويقال: قدم صدق عند ربهم هو ما رفعوه من أقدامهم في بدايتهم أيام إرادتهم، فإن لأقدام المريدين المرفوعة لأجل الله

حرمة عند الله، ولأيامهم الخالية في حال ترددهم ولياليهم الماضية في طلبه، وهم في حرقه تحيرهم حقاً يرهه الله .

﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّا هَذَا الْكِتَابُ الْحَكِيمُ أَوِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ﴾ [الآية 76] وقرأ ابن كثير والكوفيون: لساحر، على أن الإشارة للرسول ﷺ وفيه إشارة إلى اعترافهم في الجملة بأنهم شاهدوا أموراً خارقة معجزة إياهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية 3] أي أصول الموجودات ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية 2] أي أوقات أو في مقدار ستة أيام كهذه الأيام أو كل يوم ألف سنة مما يعده الأنعام للعباد أن يدرجوا في أمر المعاش والمعاد ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ﴾ [الآية 3] أي أمره وحكمه ﴿عَلَى الْمَرْثَى﴾ [الآية 3] المحيط للعلو والعرش ﴿يُدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ [الآية 3] يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ومضت به مشيئته، وأصل التدبير النظر في دبر الحادثة لتجيء / محموددة العاقبة. 3/ أ وقال بعضهم: يختار للعباد ما هو خير له من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

﴿مَا مِنْ شَيْعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [الآية 3] تقرير لعظمته وتحرير لعزته وغلبته ورد على من زعم منهم أن آلهتهم تشفع له وإثبات الشفاعة لمن حصل إذن من ربهم ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ﴾ [الآية 3] أي الموصوف بتلك الصفات العلية المقتضية للالوهية والربوبية ﴿رَبِّكُمْ﴾ [الآية 3] لا غيره إذ لا يشاركه أحد في ذلك ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 3] وحُدوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في أمركم أيها المشركون تتعرفون أنه المستحق للعبادة لا ما تعبدونه من الصقر والشبه والحجارة التي هي أحسن مراتب جنس الأشياء الحادثة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لا يحتاج فعله إلى مدة ولا إلى عدة وكيف ذلك ومن جملة أفعاله الزمان والمدة فخلق السماوات والأرض في ستة أيام وتلك الأيام أيضاً من جملة ما خلق الله سبحانه كما خلق سائر الأنعام ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْثَى﴾ [الآية 3] توحيد بجلاله الكبرياء بوصف الملكوت وإليها فلو كنا إذا أراد، والتجلي والظهور لرعيته وحشمهم يروا لهم على سرير ملكهم

في إيوان مشاهدهم، فأخبر الحق سبحانه بما يقرب من لهم الخليفة بما ألقى إليهم من هذه الكلمة، ومعناه: اتصافه بعز الصمدية وجلال الأودية وإفراده بنفي الجبروت وعلاء الربوبية وتقدس الجبار عن الأقطار والمعبود عن الحدود.

﴿يُذِيرُ الْأَمْرَ﴾ [الآية 3] أي الحادثات صادرة عن تقديره حاصلة بتدبيره فلا شريك يصده وما قضاه فلا أحد يرده، ﴿مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [الآية 3] هو الذي ينطق من يخاطبه وهو الذي يحقق ما يشاء على مَنْ يشاء إذا التمس مطالبه ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 4] تعريف، وقوله: ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ [الآية 4] تكليف، فحصول التفريق بتحقيقه ووصول ما به التكليف بتوفيقه ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 4] بالموت والنشور لا إلى سواه فاستعدوا للقاءه ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لنفسه، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 4] وعد من الله ﴿حَقًّا﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله.

وأفاد الأستاذ أن الرجوع يقتضي ابتداء الأرواح، قبل حصولها في الأشباح كان لها في موطن التسبيح والتقديس إقامة والغائب إذا رجع إلى وطنه/ من سفره فلقدومه أثر عند مجيئه ورؤيته، ويقال المطيع إذا رجع إلى الله ب/3 فله الزلفى والمثوبة والحسنى، والعاصي إذا رجع إلى ربه رجع بنعت الإفلاس في الطريق والخسران فيلقى لباس الغفران وحلة الصفح والأمان ورحمة مولاه خير له من نسكه وتقواه ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [الآية 4] فموعود المطيع الفراديس العلى، وموعود العاصي الرحمة والرضا والجنة لطف الحق والرحمة وصف الحق، فاللطف فعل لم يكن ثم حصل الوصل، والوصف نعت لم يزل.

﴿إِنَّهُمْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الآية 4] بعد بدئه وإهلاكه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ [الآية 4] أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في مرامهم أو بما كتب لهم من نصيبهم وحظهم أو بحسب أعمالهم ومقتضى أحوالهم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 4] أي بأنواع كفرهم وأصناف شركهم.

وأفاد الأستاذ أن مَنْ كان له في جميع عمره نفس على وصف ما ابتدأه

الحق سبحانه ففي الإشارة يكون لذلك إعادة ولقد أنشد قائلهم:
كل نهر فيه ماء قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود⁽¹⁾

قلت: ويؤيده ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها، والله در القائل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. ويناسبه ما قال بعضهم: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً﴾ [الآية 5] أي ذات ضياء أو وصف بالمصدر بالغة، وقرأ قبل ضياء بهمزتين ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [الآية 5] أي ذات نور أو سمي نوراً للمبالغة وهو أعم من الضياء فإن الضياء أقوى النور. وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبّه سبحانه بذلك على أن خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً يعرض مقابلتها، والاكْتِسَابُ بها الاكتساب منها ﴿وَقَدَرَهُ﴾ [الآية 5] أي مسير كل واحد منهما أو القمر ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 5] أو قدر القمر ذا منازل، وتخصيصه بالذكر لتعلق أحكام الشرع به ولذا علله بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ﴾ [الآية 5] أي حساب الأوقات من الأشهر والأيام/ في المعاملات 4/أ والتصرفات في الأحكام.

﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ [الآية 5] أي جميع ما ذكر ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الآية 5] متلبساً بالحق مراعيّاً فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 5] وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون بها أو القوم يقبلون بمعنى يستعملون عقولهم بالتأمل فيها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفصل الياء.

وقال الأستاذ: العقول نجوم وهي للشياطين رجوم، وللعلوم أقمار وهي أنوار واستبصار، وللعارف شمس ولها على أسرار العارفين طلوع واستظهار، كما قيل: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب، وكما أن في السماء كوكبين شمس وقمر فالشمس أبداً بضياؤها والقمر في الزيادة والنقصان كما يستمر بمحافه، بدأ بعد ذلك حتى يكمل بداراً بنعت

(1) لم ينسب لأحد، ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98)، وانظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (1/ 3)، والتدوين في أخبار قزوين (1/ 113).

إشراقه ثم يأخذ في النقص إلى أن لا يبقى شيء منه لتمام امتحاقه ثم يعود جديداً وكل ليلة يجد مزيداً، فإذا صار بديراً تماماً لم يجد أكثر من ليلة لكمالها مقاماً ثم يأخذ في النقصان إلى أن يخفى شخصه ويتم نقصه، كذلك من الناس من هو متردد بين قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وإيابه لإفنائه فيستريح لإقباله دوام صحيح. وقيل:

كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني فأوثقوا المسمارا⁽¹⁾

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الآية 6] ظلمة ونوراً وبرداً وحرّاً وطولاً وقصراً ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 6] أي فيما أوجده من أنواع الكائنات في جهة العلويات والسفليات أو في اختلاف ما أبرزه من المصنوعات ﴿لَا يَكُنْ﴾ [الآية 6] أي لدلالات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 6] يحذرون من مخالفته ويخافون من عقوبته أو يتقون عواقب الأمر فإنه يحملهم على النذير والفكر.

وأفاد الأستاذ أن في اختصاص النهار بضيائه وانفراد الليل بظلماته من غير استيجاب لهذا، أو غير استحقاق عتاب مع هذا، دلالات على أن الرد والقبول والمنع والوصول ليس بمعلول بسبب، ولا بحاصل الأمر مكتسب، كلا إنها إرادة ومشئنة وحكم وقضية، والنهار وقت حضور أهل الغفلة في/ أوطان كسبهم ووقت أرباب القربة والوصلة بانفرادهم لشهود ربهم، قال قائلهم: هي الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب⁽²⁾

والليل لأحد الشخصين إما للمحبين فوقت النجوى، وإما للعاصين فبث الشكوى، وفي المثل: «لا يعرف قدر الليل إلا صديق صادق أو عاشق فاسق».

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الآية 7] لا يتوقعونه لا رجاء ولا خوف لإنكارهم البعث أصلاً ﴿وَرَضُوا بِأَلْهِيَةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 7] لجهلهم بها وغفلتهم عن

(1) هذا البيت منسوب للشبلي. انظر محاضرات الأدباء (2/ 49).

(2) لم ينسب لأحد. ذكره القشيري في تفسيره (3/ 194)، وانظر روح المعاني (11/ 91).

كثرة عنائها وقلة غنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها ﴿وَأَطَاعُوا يَئِهَا﴾ [الآية 7]
 سكنوا إليها قاصرين همهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها لانهم اكهم
 فيما يضادها وينافيتها ولاشتغالهم بحب العاجل عن التأمل في أمر الآجل
 ﴿أُولَئِكَ مَاؤُهُمُ الْكَارُ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية 8] بما واطبوا عليه من
 المناهي وتمزقوا به من الملاهي.

وأفاد الأستاذ أنهم أنكروا جواز الرؤية فلم يرجوها والمؤمنون آمنوا
 بجوازها فأملوها. ويقال: لا يرجون لقاءه لأنهم لم يشتاقوا إليه ولن يشتاقوا
 إليه لأنهم لم يحبوه ولن يحبوه لأنهم لم يعرفوه ولن يعرفوه لأنهم لم يطلبوه
 ولن يطلبوه لأنه أراد أن لا يطلبوه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَبَيِّنُ﴾
 [النجم: الآية 42]، ويقال: لو أراد أن يطلبوا لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا
 لأحبوا ولو أحبوا لاشتاقوا ولو اشتاقوا لرجوا ولو رجوا لبروا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ
 شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: الآية 13]. ثم أصحاب الدنيا رضوا بالحياة
 الدنيا فحرموا الجنة، والزهاد والعباد ركنوا إلى الجنة ورضوا بها فبقوا عن
 الوصلة.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۚ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لِيَهْدِيَهُمْ رَبُّهُم بِإِذْنِهِ﴾ [الآية 9] أي
 يدلهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لما يريدونه فيها من
 أنواع اللذة، وهذا بالنسبة إلى الآخرة. وأما في الدنيا فإلى أحوال الطريقة ومقامات
 الحقيقة. فقد ورد عنه ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»⁽¹⁾. وفي
 الاكتفاء بنسبة الإيمان لدخول الجنان من غير فرض لعمل/ الإحسان الموجب 5/أ
 لزيادة الامتنان. رد على المعتزلة حيث دل على استقلال الإيمان بالسببية وأن
 العمل الصالح كالنعمة والتكلمة في القضية.

﴿يَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ﴾ [الآية 9] أي من تحت تصرفهم أو تحت قصورهم
 ﴿الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ مِنْ جَوَانِبِ دَوْرِهِمْ﴾ [الآية 9] أي جَنَّتِ النَّعِيمُ

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية. انظر الدرر المنثورة في الأحاديث المشهورة (20/1)،
 وتذكرة الموضوعات (20/1)، وتخريج أحاديث الإحياء (168/1).

[الآية 9] أي النعيم المقيم ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية 10] أي دعاءهم في الجنة ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ [الآية 10] أي نسبحك من المنقصة في الممدحة ﴿وَنَحْمَدُكَ﴾ [الآية 10] أي ما يحيي بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم ﴿فِيهَا سَلَّمٌ﴾ [الآية 10] أو تحية الله لهم في مقام التكريم كما قال تعالى: ﴿سَلَّمٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ [يس: الآية 58]، ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ [الآية 10] أي غاية دعائهم وتمام مدعائهم ﴿أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 10] أي قولهم هذا الكلام لحصول جميع المرام في ذلك المقام وأن هي المحققة من النقلة في قراءة شاذة، وعن كثير من السلف إن أهل الجنة كلما اشتهاوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلم عليهم فيردون عليه وذلك تحيتهم، فإن أكلوا حمدوا وذلك قوله: ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ﴾ [الآية 10].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ [الآية 11] أي لو يسرع إليهم الضرر ﴿أَسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ [الآية 11] أي بالنفع المقرر وعدل عن تعجيله لهم بالخير للإشعار بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم. وتوضيحه: أنهم يستعجلون بالخير فيجيب الله لهم أسرع إجابة حتى كان استعجالهم نفس تعجيله تعالى لهم، فاستعجاله لهم مثل استعجالهم صفة محذوف ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجَلَهُمْ﴾ [الآية 11] أي لأميتوا وأهلكوا ولكن بفضله يستجيب لهم سريعاً في الخير لا في الشر، وفيه إيحاء إلى أنه سبحانه يجيب دعاءهم بسرعة في منفعتهم بخلاف دعائهم في مضرتهم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ مَجْهُولًا﴾ [الإسراء: الآية 11] أي لكونه ظلوماً جهولاً، وفي هذه تسلية لأرباب الأدعية وتقييد لقوله سبحانه: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: الآية 60] الآية. وقرأ ابن عامر: (لقضي) على البناء للفاعل وهو الله سبحانه، وفي قراءة شاذة: لقضينا.

وأفاد الأستاذ: أن المراد لو أجبناهم إذا دعوا على أنفسهم وأعزتهم من
 5/ ب أهلهم عند غيظهم وضجرهم لعجلنا إهلاكهم/ ولكننا بحلمنا لا نجيبهم وبرحمتنا
 عليهم لا نسمع بالإجابة فيهم دعاءهم، وإنما يشكو العبد بأنه لا يجيب دعاءه
 ويوجب رجاء لجهله بأن ترك إجابته لطف منه بحاله لما علم الله أن في ذلك بلاء

لو أجابه كما قيل:

أناس أعرضوا عنا بلا جرم ولا معنى
أسأؤوا ظنهم فينا فهلاً أحسنوا الظننا

﴿فَنَذِرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 11] أي في ظلمات
ظلالهم يتحIRON، وفيه إيماء إلى أن مَنْ يَرْجُو اللقاء لم ييأس من قبول الدعاء
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا﴾ [الآية 12] لإزالته مخلصاً بجانبه ملقياً عليه
مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ [الآية 12] أو للتنوع مشيراً إلى نعيم الدعاء في
جميع الأحوال أو في أصناف المضار والأحوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرُّهُ مَرَّ﴾
[الآية 12] ذهب على طريقته قبل الضر ونسي الأمر واستمر على الكفر أو مر على
موقف الدعاء ونزّ عن مقام اللقاء ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا﴾ [الآية 12] أي كأنه لم يدعنا
قبل ذلك ﴿إِنِّي ضَرُّهُ مَسَّ﴾ [الآية 12] أي إلى كشف ضر أصابه ﴿كَذَلِكَ﴾
[الآية 12] أي مثل ذلك التزيين ﴿زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 12] من
الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات وترك الدعوات. وقد قال سيد
الأنبياء: «من سرّه أن يستجيب الله له في البلاء فليكثر الدعاء في الرخاء»⁽¹⁾.

وقال الأستاذ: إذا امتحن العبد وأصابته الضرورة وأزعجته الحال إلى
التخلص مما ناله فيعلم أن غير الله لا ينجيه فتحمله الضرورة على صدق
الالتجاء إلى الله وإذا كشف الله عنه ما يدعو له لأجله، شغلته راحة الإخلاص
عن تلك الحالة وزايله ذلك الاتباع ومداركاته لم يكن في بلاء قط:

وكان الفتى لم يعر يوماً إذا اكتسى ولم يك صعلوكاً إذا ما تمولا⁽²⁾

ويقال: بلاء يلجئك إلى الانتصاب بين يدي معبودك أجدى لك من عطاء
ينسيك ويقصيك. قلت: ومن حكم ابن العطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما
منعك فأعطاك.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ [الآية 13] الأمم الماضية ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 13] يا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 200) و(5/ 492)، وابن عجيبة في البحر المديد (4/ 388).

(2) نسب إلى جابر بن ثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48).

أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المناهي واكتساب الملاهي ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 13] حال من الواو أو عطف على ظلموا. 1/6

قال ابن عطاء: أي لما اعتمدوا سوانا. وقال الصادق: لما قابلوا نعمنا بالكفران.

وقال أبو عثمان: لما لم يعرفوا حقوق أكابرهم ولم يتباينوا بأدائهم، ذكره السلمي.

﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الآية 13] وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم باختيار كفرهم وعلمه بأنهم يموتون على ضلالهم ﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 13] أي مثل ذلك الجزاء، وهو إهلاكهم، بسبب تكذيب الأنبياء ﴿يَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 13] أسوأ الإجزاء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قد أجرى سنته بإهلاك الظالمين وكما في الخبر: لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلط الله عليه الخراب⁽¹⁾، والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع العبد قصده عند حوائجه إلى المخلوقين فيعلق قلبه بهم في الاستعانة وطلب المأمول، فقد وضع الشيء في غير موضعه وهو ظلم فعقوبة هذا الظلم خراب القلب وهو انسداد طريق رجوع ذلك القلب إلى الرب لأنه لو رجع إلى الله لأعانه وأغاثة وكفاه ولكنه يصر على تعلق قلبه بالمخلوق فيبقى عن الله ولا ترتفع حاجته من غير الله، فكان من فقره وحاجته في مضرة فإنصاف إلى معرفة المذلة وحاجة الكريم إلى اللئيم، ثم لا يرتفع محنة عظيمة، وعلى هذا القياس إذا أحب مخلوقاً فقد وضع محبته في غير موضعها وهو ظلم، فعقوبته خراب روحه لعدم صفاء وده ومحبته لله وذهاب ما كان يجده من الإنس بالله، ثم إذا بقي عن الله يذيقه الخلق طعم المخلوقين فلا له مع الحق سلوة ولا منه إلا الجفوة بينه وبين الله استيلاء القسوة وعدم الصفوة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَم خَلْيفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 14] أي استخلفناكم فيها

(1) سيأتي تخريجه لاحقاً.

بعد القرون التي أهلكناهم استخلاف من نختبر ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] أتعملون خيراً أو شراً فيعاملكم على مقتضى أعمالكم وبحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ أن معناه: عرفناكم سير من كان قبلكم وما أصابهم بسبب ذنوبهم فإن اعتبرتم بهم نجوتم وإن لم تعتبروا أحللتنا بكم من العقوبة ما يعتبر بكم غيركم لأن من لم يعتبر بمن سبقه اعتبر به من لحقه ومن لم يعتبر بما يسمعه اعتبر به من يتبعه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ [الآية 15] أي حال تلك الآيات/ واضحة 6/ ب الدلالات ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ [الآية 15] من المشركين ﴿أَنْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ [الآية 15] أي بكتاب آخر ليس فيه ما نكرهه من معائب آلهتنا أو ما نستبعده من البعث بعد موتنا ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ [الآية 15] أي غيره أو حوله بأن يجعل مكان الآية المشتملة على ما لا نحبه آية أخرى يكون فيها ما نقول، وأو للتخيير بين الأمرين أو للتنويع باختلاف القائلين ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ [الآية 15] ما يتصور لعصمتي ﴿أَنْ أُبَدِّلَ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ [الآية 15] أي من قبلها إذ ليس الأمر باختيارها وإنما أكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الآخر منهما أو لمفهوم القضية الأخرى بالأولى والأخرى، أو المراد بالتبديل بل ما يشملها كما يدل عليهما قوله: ﴿إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 15] أي وتقديراً ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 15] وفيه تعريض بأنهم استوجبوا باقتراحهم العذاب الأليم.

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 16] أي غير ذلك ﴿مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهٖ﴾ [الآية 16] أي ولا أعلمكم الله به على لسان غيري، ثم قرره بقوله: ﴿فَكَذَّبْتَ فَيَكُفُّ عَنْكُمْ عُمْرًا﴾ [الآية 16] مقدار أربعين سنة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 16] أي قبل القرآن لأنلوه عليكم ولا أعلمه بكم ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 16] أفلا تستعجلون عقولكم بالتدبر والتفكر في أمركم لتعلموا أنه ليس إلا من الله إليكم فما لكم تعرضون، وفي أمركم ما تنظرون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 17] فيه براءة مما أضافوا إليه

بالكفافية ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ [الآية 17] تعريض لهم في القضية ﴿إِنَّهُمْ﴾ [الآية 17] أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 17] بالكذب والتكذيب ونحو ذلك مما يعقلون.

وأفاد الأستاذ أن من المفترين على الله الذين يظهرون من الأحوال ما ليسوا فيها صادقين، وجزاؤهم أن يحرموا ذلك أبد الأبدين ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ [الآية 18] في أشياء لا يقدرُونَ على دفع ضر ولا جلب نفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 18] الأصنام ﴿شُفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 18] تشفع لنا في أمورنا العارضة في الدنيا، وهذا من فرط جهالتهم وشدة غباوتهم وحمافتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يُعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنها ربما تشفع ﴿قُلْ أَتَنْفَرُونَ إِلَهُ﴾ [الآية 18] أي أتخبرونه/ بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض إن هؤلاء شفعاء، وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات الكائنة في عالم العلويات والسفليات لا يكون له تحقق ما في الموجودات والممكنات، فنفي العلم وأراد نفي المعلوم.

﴿سُبْحَنَهُمْ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 18] أي عن إشراكهم أو عن الذين تشركونهم به، وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب بناء على أن الالتفات في الباب.

وأفاد الأستاذ أن من فرط غباوتهم أنهم انتظروا الشفاعة في المآل من لا يوجد فيهم الضر والنفع في الحال. أخبر أنهم يخبرون عما ليس على الوجه الذي قالوه معلوماً لله ولو كان كما قالوه لعلمه الحق سبحانه لأنه لا يغرب عن علمه معلوم.

ومعنى قوله ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ أي يعلم بخلافه ومن تعلق قلبه بالمخلوقين في استدفاع المعتاد واستجلاء المسار، فكالسالك سبيل من عبد الأصنام إذ المنشئ والموجد للشيء من العدم هو الله الملك العلّام ﴿وَمَا كَانَ الْكَاشِ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 19] موحدين على الفطرة أو متفقين على طريقة الحنيفية وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان أو على الضلالة في فترة من أصحاب الرسالة فاختلفوا باتباع الهوى وإيضاع الهدى أو بنبيئة الأنبياء

فتبعتهم طائفة وكفرتهم أخرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 19] بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل ووقت الجزاء والعقوبة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 19] بإهلاكهم عاجلاً في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 19] بأنني المبطل وإنني المحق.

وأفاد الأستاذ أنهم إنما اختلفوا لأن الله خص قوماً بقبوله وعنايته، وآخرين بإبعاده وإهائته، ولولا تلك الإرادة لما وقفت هذه المخالفة.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا آيَةٌ مِنْ رَبِّنَا﴾ [الآية 20] أي من الآيات التي اقترحوها حيث أعرضوا عن الآيات التي شاهدوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [الآية 20] أي هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفسد مانعة عن إنزالها ومنها نختم العذاب منكرها عند ظهورها ﴿فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية 71] لما يفعل الله بي وبكم.

وأفاد الأستاذ أن الآية تشير أنه ﷺ في ستر الغيب وخفاء/ الأمر عليه 7/ ب في الجملة فكما اهتم في الانتظار لما يحدث في المستأنف من التغيير، فهو أيضاً في انتظار ما يوجد من المقادير، والفرق بينه وبينهم أنه يشهد ما يحصل به ومنه على حسب الإرادة وهم متطرحون في أودية الجهالة يحيلون الأمر مرة على الدهر ومرة على النجم ومرة على الطبع وكل ذلك حيرة وعمى خارجة عن طريق العقل والشرع.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 21] صحة وسعة ﴿فَمِنْ بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسْتَهْمٍ﴾ [الآية 21] كبلية وشدة ﴿إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية 21] بالطنع فيها والاحتيال في دفعها وإطفائها ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [الآية 21] منكم حيث دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم واحفلوا حقاً الكيد وهو من الله سبحانه، إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [الآية 21] حيث يطلعون على ما يمكرون فيجازون بما يفعلون.

وقال الأستاذ: يعني إذا أصابهم مضرة ومحنة فرحمناهم وكشفنا عنهم

أحالوا الأمر على غيرنا ونزهوه من سواها بقولهم مطرنا بنو كذا، وقولهم إن هذه بسعادة نجم ومساعدة دولة ووقاية فلك وحيرات وسر، فهذا كان مكرهم ومكر الله بهم جزاؤهم على مكرهم، والإشارة في هذا أنه ربما يكون لكم يد أو للطالب حجة أو فترة إذا أحاله الحق بكشف وتجل وإقبال فمن حقهم أن لا يلاحظوها فضلاً من أن يساكنوها فإذا لم يرتفعوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق لهم، مكر الله بهم بأن ينبئهم في تلك الأحوال من غير ترق عنها ووجود الزيادة عليها فهذا مكره بخواصهم وما سبق في حق عوامهم.

﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ﴾ [الآية 22] يحملكم على السير ويمكنكم من السفر، وقرأ ابن عامر: ينشركم من النسر أي بينكم ويفرقكم ﴿فِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الآية 22].

قال ابن عطاء: سير الأولياء بقلوبهم وسير الأعداء بنفوسهم، ذكره السلمي. ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ﴾ [الآية 22] أي السفن وأريد بهذا الجمع لقوله: ﴿وَجَرَيْنَ بَيْنَهُمَا﴾ [الآية 22] بمن فيها ولعل حكمة العدول عن الخطاب إلى الغيبة وهو أنه تذكير لغيرهم على وجه العبرة ليتعجب من حالهم وينكر عليهم في مآلهم بريح عاصف أي ذات عصف شديدة الهبوب ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ﴾ [الآية 22] اضطراب الماء ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 22] يتصور منه مجيء/ 8 الموج ﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أهلكوا بأن سدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿دَعَاُ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ [الآية 22] أي الانقياد والطاعة، والجملة بدل مما قبله، والمعنى أنهم رجعوا إلى أصل الفطرة لزوال العارض من جهة الشدة ﴿لَئِنْ أَجِئْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الآية 22] على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه بمعنى قالوا: ﴿فَلَمَّا أَجْتَهُمُ﴾ [الآية 23] عما أبلاهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الآية 23] أي يطلبون فيها الفساد بل بالظلم في حق العباد والبلاد.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ﴾ [الآية 23] أي ظلمكم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [الآية 23] فذلك وباله عليكم وضرره راجع إليكم ﴿مَتَكُ الْخَبِيرَةُ الَّذِينَ﴾ [الآية 23] أي

منفعة الحياة الدنية حاصلة لديكم حيث ينكشف بقاؤها ويطول حسابها ويبقى عقابها، ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أي يتمتعون متاع الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 23] أي رجوعكم في العقبي ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 23] فيجازيكم بما تدرون وبما تفعلون.

وقال الأستاذ: يريد أنهم يصبحون في النعم يجرون أذيالهم ثم يمسون يبيكون بلباليهم وقد يبيتون والصحة ملكهم ثم يصبحون وخفايا التقدير أهلكتهم هـ. وأنشدوا:

أقمت زماناً والعيون قريرة وأصبحت يوماً والجفون سوافك⁽¹⁾

فلذا رجعوا إلى الله بإخلاص الدعاء يجود عليهم بكشف البلاء، فلما أنجاهم وبالإجابة أراهم إذ أنهم إلى غيهم يرجعون وعلى مناهجتهم في تمردهم يسلكون، ثم قال: ﴿يَتَأْتِيَا النَّاسَ﴾ [البقرة: الآية 21] إلى آخره، أي نمتعكم زماناً قليلاً ثم تلقون غب ذلك وبيلاً وتقاسون عذاباً طويلاً.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 24] أي حالها العجيبة وصفتها الغريبة في سرعة زوالها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بمنالها وغفلتهم عن مآلها ﴿كَلِمَةً أُنزِلَتْ مِنْ أَسْمَاءَ﴾ [الآية 24] أي وأنبتنا به الأشياء ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ [الآية 24] فاشتبك بسببه حتى تخالط بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ﴾ [الآية 24] من أصناف الزرع والثمار وأنواع الكلا والحشيش والأشجار ﴿وَإِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [الآية 24] أي زينتها بأجناس أزهارها ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ [الآية 24] بنفائس أنوارها وأشكالها المختلفة/ وألوانها المؤتلفة كعروس أخذت الثياب^{8/ب} الملونة وأنان الحلبي المزينة فتزينت بها، وأصل ﴿وَأَزْيَنْتَ﴾ تزينت وقد قرئ بها ﴿وَوَطَّرَ أَهْلُهَا﴾ [الآية 24] أي أصحاب الأرض المائلون إليها ﴿أَنَّهُمْ قَلْدُرُونَ عَلَيْهِمَا أَنَّهُمَا أَمْرُنَا﴾ [الآية 24] أي جاءها أمرنا بإفنائها فضرب زرعها بما يجتاحها ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] لاستوائها في أمرها ﴿فَيُطْلَنُّهَا﴾ [الآية 24] أي نباتها ﴿حَصِيدًا﴾ [الآية 24] شبيه زروع حصودها ﴿كَأَن لَّمْ تَرَ بِالْأَمْسِ﴾ [الآية 24] أي

(1) نسب إلى عبد الكريم بن هوازن. انظر مرآة الجنان (1/ 439).

كأنه لم يلبث ولم ينبت زروعها فيما سبق من حالها ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ [الآية 24] أي نبيِّنُها الكُرَّات والمَرَّات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] في المصنوعات وعجائب المخلوقات.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه شبه الحياة الدنيا بالماء المنزل من السماء ينبت به النبات وتخضر الأرض بالأزهار وتظهر الثمار ويوطن أربابها نفوسهم عليها فتصيبها جائحة سماوية بغثة وتصير كأن لم تكن، كذلك الإنسان بعد كمال سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنية وتبطل أموره المنتظمة كما قيل:

فقدناه لما تمّ واعتمّ بالعلّا وكذاك كسوف البدر عند تمامه⁽¹⁾

ومن وجوه نسبة الأموال الدنيوية الماء المنزل من السماء أن المطر لا يستنزل بالحيلة كذلك الدنيا لا تساعد إلا بالغنيمة، ثم إن المطر وإن كان لا يجيء إلا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وإن كان بالغنيمة فقد يلتبس من الله ويستعطي، ومنها أن الماء في موضعه سبب حياة الناس وفي غير موضعه سبب الخراب. كذلك المال لمستحقه سبب سلامته وانقطاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب بلاء من هو متصل به كما قيل:

نعم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على إنسان⁽²⁾

وقد ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح⁽³⁾، ومنها أن المال إذا كان بمقدار كان سبب الصلاح وإذا جاوز الحد أوجب الكفران والطغيان والنقم،

(1) قاله أبو الفتح البستي في رثاء أبي القاسم صاحب. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 162)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 52) وانظره في تفسير القشيري (3/ 211).
(2) ذكر بلفظ:

نعمه الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام

قاله عمر بن إبراهيم بن عمر بن حبيب البصري في عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير. انظر الوافي بالوفيات (7/ 127)، وطبقات الشعراء (1/ 126).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 91) رقم (1248)، وفي الآداب (3/ 86) رقم (791). وانظر كشف الخفا (2/ 320) رقم (2823).

وقد ورد: قليل يكفيك خير من كثير يطغيك⁽¹⁾. ومنها أن الماء ما دام جارياً كان طيباً فإذا طال مكثه تغير كذلك المال إذا أنفقه صاحبه كان محموداً فإذا أذخره صاحبه وأمسكه كان معلولاً مذموماً، ومنه قولهم: اصرف ما/ في 9/ أ الجيب يأتيك ما في الغيب⁽²⁾، ويشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سَبَأُ: الآية 39]، ومنها أن الماء إذا كان طاهراً يصلح للشرب وللظهور وإذا كان غير طاهر فبالعكس كذلك المال إذا كان حلالاً وبعسكه إذا كان حراماً، ويومئ إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ وَالْغَنِيُّ﴾ [المائدة: الآية 100]. ويقال: كما أن الربيع ينوره أشجاره ويظهر أزهاره ويخضر ريعه ويتزين بالنبات وهاده وتلاعه ثم لا يؤمن أن تصيبه آفة من غير الارتقاب وينقلب الحلال بما لم يكن في الحساب كذلك من الناس من يكون له أحوال صافية وأعمال بشرط الخلوص زاكية وغصون أنسه متدلية ورياض قربه موفقة ثم تصيبه عين فيذبل عود وصاله وتنسد أبواب عوائد إقباله كما قيل:

عين أصابتك إن العين صائبة والعين تسرع أحياناً إلى الحسد⁽³⁾

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [الآية 25] أي دار السلامة من الآفة والملامة أو دار الله، ولا يخفى ما في تخصيص هذا الاسم من المناسبة الميينة لوجه التسمية، أو دار يكثر فيما بين أهلها السلام أو يحصل لهم تحية الملائكة الكرام من عند الملك العلّام، والمراد بها الجنة ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 25] بالتوفيق للهداية ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 25] أي في غاية من الاستقامة المؤدية إلى وصول الجنة وحصول الوصلة وهو الإيمان والإسلام والتدرّع بلباس التقوى في جميع الأحكام وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دلالة على أن الأمر غير الإرادة وأن المصير على الضلالة لم يرد الله له الهداية، ويمكن أن يقال والله يدعو من يشاء إلى صراط مستقيم وإلى دار السلام هو اعتناق أوامره والانتهاز عن

(1) نقل عن ابن مسعود بلفظ: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك. انظر إحياء علوم الدين (4/ 436).

(2) هذا قول وليس بحكم شرعي لأنه يجوز الادخار لا عن بخل أو شح به.

(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 211).

الزواج، فالدعاء من حيث التكليف والهداية تفريق والتكليف على العموم والتفريق على الخصوص، ويقال: التكليف بحق سلطانه والتقريب بحكم إحسانه. ويقال: الدعاء قوله، والهداية طوله، دخل الكل تحت قوله وانفرد الأولياء بتخصيص طوله. ومعنى ﴿دَارُ السَّلَامِ﴾ [الآية 25] أن أهلها فيها سالمون من الحرقة والفرقة، / سلموا من الحرقة فحصلوا في لذة عطائه، وسلموا من الفرقة فوصلوا إلى عزيز لقائه. ويقال: تلك الدار درجات للأبرار فالذي يسلم قلبه عن محيد الأغيار درجته أعلى من درجة من سلم نفسه من الذنوب والأوصار، ويقال: قوم سلمت صدورهم من الغل والحسد والحقد والجور، وقوم سلم الحق منهم فليس بينهم وبين أحد محاسبة وليس لهم على أحد مناقشة، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمحسن من سلم الخلق بأجمعهم من قلبه. ويقال: الصراط المستقيم طريق المسلمين، فهذا للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو للخواص بشرط عين اليقين، ثم طريق المحسنين وهو الخاص الخاص بشرط حق اليقين، فهو ثبوت العقل أصحاب البرهان وهؤلاء بكشف العلم أصحاب البيان وهؤلاء بضياء المعرفة بالوصف كالعيان وهو الذي قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»⁽¹⁾.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ [الآية 26] أي في مراتب الإيمان والإسلام والإحسان ﴿أَلْحُسْنَى﴾ [الآية 26] المثوبة، الحسنی: وهي الجنة العليا ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية 26] أي وما يزيد على المثوبة الشاملة للدونية لكنها لما كانت على نهاية الوصلة وغاية الفرقة فسر بها ﷺ كما في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه وثبت عن الصديق الأكبر وأكثر أكابر الصحابة وأئمة أهل السنة خلافاً للمعتزلة وسائر المبتدعة المحرومين من هذه الرتبة العلية ولعل تسميتها بالزيادة لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الآية 26]، ولقوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: الآية 35] وهذا العموم الذي اخترناه لا ينافي ما روي عن ابن عباس من أن الحسنی مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى أضعافها، ولعله مقتبس من مقابلة قوله الآتي:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/5).

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ [الآية 27] ولكن رفعه بأن هذا في مقابلة الحسنى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا﴾ [الروم: الآية 10] السوء المقابل للزيادة الموجبة لكمال العزة قوله: ﴿وَنَزَعْنَاهُمْ ذُلَّهُ﴾ [الآية 27] ويؤيده تعالى: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ تَاضِرُهُ﴾ [٢٢] إِلَى رَبِّهَا / نَاطِرُهُ ﴿٢٣﴾ [الْقِيَامَةِ: الآيتان 22 - 23] الآية. 10/أ
وأما ما نقل عن مجاهد أن الزيادة هي المغفرة والرضوان ففيه أن المغفرة مقدمة على دخول الجنة والرضا هو الموجب للقاء.

وأفاد الأستاذ أن الحسنى التي لهم في الجنة وما فيها من صنوف النعمة، وقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية 26] فعلى موجب الخير وإجماع السلف النظر إلى الله، ويحتمل الحسنى الرؤية والزيادة دوامها، ويحتمل أن تكون الحسنى اللقاء والزيادة البقاء في حال اللقاء.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ [الآية 26] لا يغشيها ﴿قَرَرٌ﴾ [الآية 26] سواد وغبرة ﴿وَلَا ذُلٌّ﴾ [الآية 26] مهانة، والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل الحرقة ولا يلحقهم سوء حالة من جهة الفرقة كما لتلك الفرقة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الآية 26] ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 26] دائمون لا انفراض لها ولا زوال لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها.

وأفاد الأستاذ في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَرَرٌ وَلَا ذُلٌّ﴾ [الآية 26] لا يقع عليها غبار الحجاب وبعبكسه حديث الكفار ولو من أهل الكتاب حيث قال: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِدُ عَلَيْهَا غَبَرٌ﴾ [عبس: الآية 40]، قلت: وسيأتي قوله: ﴿وَنَزَعْنَاهُمْ ذُلَّهُ﴾ [الآية 27] قال: والذلة التي تصيبهم أن لا يردوا من غير شهوده إلى رؤية غيره ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 26] أي في فنون إفضالهم في جميع أحوالهم.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 27] أي اللمم وجزاؤهم ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ [الآية 27] لا يزداد عليها، وفيه تنبيه نبيه أن الزيادة هي الفضل وإن تركها هو العدل ﴿وَنَزَعْنَاهُمْ ذُلَّهُ﴾ [الآية 27] أي مذلة يصيبهم منها فترة وغبرة ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِرٍ﴾ [الآية 27] أي أحد يعصمهم من السخط والعقوبة.

وقال الأستاذ: والذين كسبوا السيئات وعملوا الذلات لهم جزاء سيئة مثلها والباء صلة أي للواحد واحد بلا زيادة، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 27] آثار الحجاب على وجوههم لائحة فإن الأسرة تدل على السريرة ﴿مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَّ عَاصِرٍ﴾ [الآية 27] أي ما لهم عاصم من العذاب ومانع من ذل الحجاب ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [الآية 27] لفرط سوادها، وقرأ ابن كثير والكسائي: قطعاً بالسكون ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 27] ولعل 10/ ب المراد بالسيئات أنواع الكفر وأصناف الشرك لتختص الآية/ بالكفار ولا تعم الفساق والفجار كما عليه أئمة أهل السنة خلافاً للخوارج والمعتزلة.

والظاهر أن الله سبحانه قد اقتصر على بيان حالة الفريقين من المؤمنين والكافرين من جهة الوعد والوعيد من جميع القرآن الحميد وسترى بيان حال الفاسقين حتى يبقوا بين الرجاء والخشية ولا يعفو في اليأس والأمانة وليعلموا أنهم تحت المشيئة مع أن بعضهم لهم عقوبة سابقة ونقمة لاحقة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 28] أي الفريقين ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية 28] أي جميعهم أو مجتمعين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [الآية 28] أي لجميع المشركين ﴿مَكَانَكُمْ﴾ [الآية 28] أي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما نفعل بكم ﴿أَنْتُمْ﴾ [الآية 28] تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ [الآية 28] عطف عليه وقرىء بالنصب على المفعول معه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 28] الضمير للمشركين أو لهم وللمعبودين ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت عندهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِلَّا نَا سَبِّدُونَ﴾ [الآية 28] قيل هذا إيجاز عن براءة ما عبده من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الأمرة بالإشراك لا ما أشركوا والأظهر أن القول على حقيقته، فالمراد بالشركاء الملائكة والمسيح ونحوهم، أو أنه سبحانه ينطق الأصنام فنشأ فهمهم بذلك الكلام مكان الشفاعة التي كانوا تفرقوا منها في ذلك المقام، أو المراد بالشركاء الشياطين وهو الأظهر ويؤيده خطيئة رئيسهم كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [إبراهيم: الآية 22] الآية، ولا يبعد أن يراد بشركائهم من حملهم على الشرك من

رؤسائهم كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ أُتُّيُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: الآية 166] الآية. وفي الجملة يتبرأ بعضهم من بعض بقوله: ويدوق كل وبال فعله.

قال الأستاذ: وفائدة هذا التعريف أن ما ليس لله فهو وبال عليهم فاشتغالهم اليوم بذلك من المحال ولهم في المآل من ذلك الوبال التمني. ثم لا يخفى أن إرادة الأصنام أو الملائكة الكرام أولى بالمقام لقوله سبحانه حكاية عن جوابهم: ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا يَبْنَا وَيَبْنِكُمْ﴾ [الآية 29] فإنه العالم بالحال والمآل ﴿إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَفِيلِينَ﴾ [الآية 29] فإن متحققة واللام فارقة ولا يبعد أن يكون الحكم مجملًا والقول مفصلاً.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية 30] / في ذلك المكان أو الزمان ﴿تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أُسْلِفَتْ﴾ [الآية 30] تختبر ما قدمت من خير وشر، فتعاین ما يترتب عليها من نفع وضرر. وقرأ حمزة والكسائي: تلووا من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت من صحيفة عمله أو من التلوأ أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى العقوبة، وقرأ يتلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى يعاملها معاملة المختبر بحالها المعترف بسعادتها وشقاوتها بتفرق ما أسلفت من عبادتها وخطيئاتها.

وفي تفسير السلمي قيل: المعنى تطلب كل مدع بحقيقة ما ادعى، قلت: وما يسر الدعوى وما أعسر المعنى.

﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 30] أي ارجعوا إلى جزائه وانقلبوا إلى رضائه ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ [الآية 30] أي متولي أمورهم على الحقيقة ﴿وَصَلَّ﴾ [الآية 30] أي ضاع وبطل وغاب ﴿عَنَّهُمْ مَّا كَانُوا يَفْعُرُونَ﴾ [الآية 30] من دعوى بشفاعة الآلهة أو من دعوى الصلاح والديانة.

وقال الأستاذ: إنما يقفوا على خسرانهم إذا ذاقوا طعم هوانهم وإذا ردوا إلى الله لم يجدوا إلا البعد من الله والطرده من قبل الله وذلك جزاء من أثر على الله.

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 31] أي منهما جميعاً فإن الأرزاق

تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من لبيان من على تقدير مضاف أي من أهل السماء والأرض ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [الآية 31] أم من يستطيع خلقهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انتقالها من أدنى شيء مما يضرها ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الآية 31] أي من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ [الآية 31] أي أمر العالم كله وهو تعميم بعد تخصيص له.

قال الواسطي: إذا قال من يدبر الأمر كيف يجوز لقائل يقول فعلي وعملي أي بتدبري وتحقيق هذا التغيير في التنوير لإسقاط النذير ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [الآية 31] أي لا يقدرون على المكابرة والعناد لفرط وضوح الأمر أنه لا خالق سواه للعباد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية 87].

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 31] مخالفته أو معاقبته بإشراككم إياه ما لا وجود له إلا بإيجاد الله.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه كما توحد بكونه خالقاً تفرد بكونه رازقاً وكما
11/ب لا خالق سواه فلا رازق سواه، ثم إن الرزق/ على أقسام، فللأشباح رزق: وهو لقوم توفيق الطاعات، ولآخرين خذلان الذات. وللأرواح رزق: وهو لقوم حقائق الوصلة ولآخرين في الدنيا الغفلة وفي العقبى العقوبة والمهانة. وقوله: ﴿أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾ [الآية 31] فيكحل بعض الأبصار بالتوحيد وبعضها بعميها عن التحقيق والتأييد، ﴿وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الآية 31] المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [الآية 31] ولكن ظناً لا عن تحقق بصيرة ونطقاً لا عن تصديق سريرة.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ [الآية 32] أي المتولي لهذه الأمور وهو المستحق للعبادة هو ربكم بالربوبية حيث أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أمركم على وفق المشيئة والإرادة ﴿فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [الآية 32] ليس بعد الحق إلا الباطل، فمن يخطئ الحق الذي هو عبادة الحق وقع في تيه الضلال الموجب

لإلعالل والإنكار ﴿فَأَنَّى تُصِرُّونَ﴾ [الآية 32] عن الحق إلى الباطل مع وضوح أن ليس تحته طائل.

وأفاد الأستاذ أن للكون موضوعات الحق ومتعلقات الإرادة ومتناولات التشبيه ومحسبات التقدير ومصرفات القدرة فهي أشباح خالية وأحكام التقدير عليها جارية.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 33] أي كما حقت الربوبية له حقت كلمة الله وحكمه وعدله ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ [الآية 33] تمردوا في خروجهم عن طاعة ربهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 33] علة أو بدل من الكلمة، والمراد بها العدة بالعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَنَمَتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ﴾ [هود: الآية 119] ﴿وَلَكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ﴾ [السجدة: الآية 13] الآية.

وأفاد الأستاذ أنه سبق منه الحكم وصدق فيهم القول فلا لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل وأن العلل لا تغير الأزل.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 34] جعل الإعادة كآية في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا على بيانها ولذلك خص الرسول ﷺ في الخطاب بأن ينوب عنهم في الجواب فقال: ﴿قُلْ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الآية 34] عن طريق الحق وسبيل الصدق.

قال ابن عطاء: يبدىء الخلق بإظهار القدرة فيوجد المعدوم ثم يعيدها بإظهار الهيبة فيفقد/ الموجود، ذكره السلمي.

أ/12

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [الآية 35] بنصب الآيات وإرسال الرسل ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [الآية 35] يقال هداه للحق وإلى الحق، فجمع بينهما تفنناً في العبارة واقتصر عليه الزمخشري ويؤيده أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: الآية 9]، وفي موضع آخر: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية 52] لكن قد يقتدي بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: الآية 6]. وحقق ابن قيم الجوزية الفرق في مقام الجمع بقوله: اللام تكون للمفاعل في المعنى نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال: لزيد، فيأتي

باللام⁽¹⁾. وأما إلى فيكون للمفعول في المعتبر نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال لزيد، إلى من يصل هذا الكتاب؟ فيقال في الجواب: إلى عبد الله، وسر ذلك أن اللام في الأصل للملك أو الاختصاص أو الاستحقاق، والملك والاستحقاق إنما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق وإلى انتهاء الغاية، والغاية: منتهى ما يقتضيه العقل فهو بالعقول أليق لا عن تمام بمقتضى الفعل. والله أعلم بأسرار كتابه.

وأفاد الأستاذ أن الحق اسم الله سبحانه فهو حق ومعناه أنه موجود وأنه هو الحق ومحق الحق وأما الحق من أوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به ﴿اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [الآية 35] أي إلى الحق. هدايته وهداه له وهداه الجنة بمعنى، فمن هداه الحق للحق وفقه للحق وعزیز من هداه الحق إلى الحق للحق فلا نصيب له ولا حظ انتهى. ولا يخفى أن قوله للحق له مزية على قوله: إلى الحق، على ما نطق به أهل الحق فينبغي أن يكون التقدير ﴿أَفَنَ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ﴾ [الآية 35] للحق لأن الهداية للحق من خواص الحق بخلاف الهداية المطلقة وتوضيحه: أن المراد بهدايته الحقيقية في الهداية الموصلة بخلاف هداية غيره من الأنبياء والكتب المنزلة، وهذا هو المعنى الحقيقي في حق الحق وهو لا ينافي استعمال الهداية في حقه أيضاً على الطريقة المجازية كما حقق في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ﴾ [فُصِّلَت: الآية 17] فإنه بمعنى الدلالة بالوجه ب/12 المطلق إلى الحق، لا بمعنى الدلالة إلى الحق المقيد بكونه للحق. فتدبره/ تحقق.

والحاصل أن الهداية بنوعها منتفية عن الشركاء في الألوهية وثابتة لله سبحانه بالنسبة الحقيقية والمجازية، وقد يوجد إسناد المجازية إلى غيره سبحانه من الأنبياء والعلماء والكلمات القرآنية ﴿أَفَنَ يَهْدَىٰ إِلَىٰ الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدَىٰ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ﴾ [الآية 35] أي أم الذي لا يهتدي من قوله هدي بنفسه إذا اهتدى وهو الموافق لما عليه جمهور القراء، ولا يهدي غيره إلا أن

يهديه الله وهذا حال أشرف الشركاء كالملائكة وبعض الأنبياء، وقرأ ابن كثير وورش وابن عامر يهدي بفتح الياء وتشديد الدال، وحفص بكسر الياء والتشديد، وأصله يهتدي، وأدغم وفتح الهاء بحركة التاء المنقولة إليها أو كسرت لالتقاء الساكنين، وقالوا باختلاس فتحة الهاء، وأبو بكر باتباع الياء الهاء المكسورة لما سبق والباقي وهو حمزة والكسائي أي بتخفيف الدال كما تقدم.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الآية 35] بما يقتضي صريح العقل بطلانه وأظهر العقل والشرع برهانه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 36] في معتقدهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] مستنداً إلى خيالات كاسدة ومقدمات فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بأكثرهم جميعهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُفْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية 36] من العلم الحق والاعتقاد الصدق ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 36] من الاعتبار أو لا ينفع شيئاً من الأشياء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] وعيداً على أتباعهم الظنون وإعراضهم عن اليقين في القرون.

قال أبو جعفر: كيف يجوز لنا أن نتكلم في حقائق الأصول والله يقول ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] ذكره السلمي.

فأفاد الأستاذ أن العبد يجب أن يكون على ظن في مآل حاله إذ لا يعرف أحد غيب نفسه في مآله وفي صفة الحق يجب أن يكون على قطع وبصيرة، فالظن في الله معلول، والظن فيما من الله غير محمود، ولا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون أهل المعرفة به سبحانه فيما يعود إلى صفته على الظن كيف وقد قال تعالى فيما أمر نبيه عليه السلام أن يقول: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ﴾ [يوسف: الآية 108] وكما قلت:

طلع الصباح/ فلات حين سراج	وأتى اليقين فلات حجاج
حصل الذي كنا نؤمل نيله	من عقد ألوية وحل رجاج
فالبعد قوض بالدنو خيامه	والوصل وكذا سجله معنجاج
قد حان السرور فحيلا	لهواجم الأحزان بالإنزعاج

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾ [الآية 37] أي افترى أو مفتري ﴿مِنْ دُونِ

اللَّهُ ﴿[الآية 36] أي مما سواه ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 37] أي ولكن كان تطبيقاً أو مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية وموافقاً لما سبقه من كلمات الرسل الماضية ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ [الآية 37] أي وتبيين ما حقق وأثبت من العقائد الدينية والأحكام الشرعية ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 37] أي منهياً عنه الشك عند أرباب اليقين ﴿مَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية 37] أي كائناً من عند أرحم الراحمين.

وأفاد الأستاذ أن أبصارهم انسدت فلم يزدادوا بكثرة سماع القرآن إلا عمى على عمى كما أن أهل الحقيقة ما ازدادوا إلا هدى على هدى، فسيحان من جعل خطابه لقوم سبب لخيرهم ولآخرين موجب لضرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الآية 38] بلى أتقولون اختلقه محمد، فأم منقطعة وبلى للانتقال والهمزة لإنكار المقال ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [الآية 38] في بلاغة المبنى وجزالة المعنى فإنكم مثله في العربية والفصاحة وأشد تمرناً منه في النظم والقيادة ﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ﴾ [الآية 38] أي استعينوا مع ذلك بمن أمكنكم من الاستعانة ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] أي مما سواه فإن له القوة العالية والحجة البالغة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 38] في تكذيب صاحب الرسالة.

وقال الأستاذ: اعترف كل خطيب بليغ فصيح بالعجز على معارضته وما أراد معارضته إلا من افتضح في مقاله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِحِلْمِهِ﴾ [الآية 39] أي بل سارعوا في تكذيبهم بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتأملوا ما فيه ويعلموه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [الآية 39] ولم يتفقهوا بعد على تأويل معانيه ولم يبلغ أذهانهم تحسين معانيه ولم يتبين حقيقة أخبار ما فيه ولذا تكلموا بما ينافيه ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 39] المرسلين ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 39] فيه وعيد للمكذبين، ووعد للمصدقين.

ب/13 وأفاد الأستاذ أنهم قابلوا الحق بالتكذيب لتقاصر/ علومهم عن التحقيق فإن التحقيق من شرط التصديق وإنما يؤمن بالغيب من لوح بقلبه حقائق

البرهان وصرف عنه دواعي الريب في جميع الأزمان.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [الآية 40] أي ومن المكذبين من يصدق به في باطنه ولكن يعاند في ظاهره أو من مرية ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ [الآية 40] لكثرة جهالته وغلبة ضلالته فيموت على كفره ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 40] أي المصرين والمعاندين، ولا يبعد أن يكون ضمير منهم راجع إلى الخلق جميعهم كقوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُ كَوْنَكُمْ كَافِرٌ وَيُنَكِّمُ مَنَّهُ الْمُؤْمِنُ﴾ [التغابن: الآية 2].

واختاره الأستاذ حيث أفاد بقوله: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة: الآية 26] فممنهم الذين كحل الحق أبصار قلوبهم بنور اليقين، وأما الذين لم يؤمنوا فهم الذين وسم قلوبهم بالعمى وزالوا بالضلالة عن الهدى تلك سنة الله في الطائفتين ﴿وَلَنْ نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: الآية 43] ، ﴿وَلَنْ نَّجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: الآية 62] .

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [الآية 41] أي فتبرأ منهم فقد أزلت عذرهم، والمعنى قل مختص لي جزء عملي ولكم جزء عملكم حقاً كان أو باطلاً وهذا إرخاء العنان في معرض البيان ﴿أَنْتُمْ بَرِئُونَ مِمَّا أَعْمَلُوا وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 41] أي لا تؤاخذون بعملي ولا أواخذ بعملكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُزِدُّكُمْ إِزْدًا وَآزِرَةً وَآزِرَةً﴾ [الأنعام: الآية 164] ولما فيه إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم، قيل إنه منسوخ بأمر القتال معهم.

وأفاد الأستاذ أنه اختار الطريقتين واستبان حقائق العرفان فلا المحسن بجرم المسيء معاقب ولا المسيء بجرم المحسن معاتب كل على حدة مما يعمل أو على ما يفعله يحاسب.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 42] إذا قرأت القرآن وأوضحت الشرائع بالبرهان ولكن لا يقبلون فصلاً كالأصم الذي لا يسمع أصلاً ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ [الآية 42] أي تقدر على إسماعهم العلم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 42] ولو انضم إلى صممهم عدم تفكيرهم.

وأفاد الأستاذ أن من استمع بتكليفه ازداد في تخلقه بزيادة تصرفه ومن

أسمعه الحق تفضله استغنى عن إدراكه عن فعله، والحق سبحانه يسمع أوليائه بما يناجيهم به في أسرارهم فإذا سمعوا دعاء الوسطة قابلوه بالقبول لما سبق لهم من/ إسماع الحق ومن عدم إسماع الحق إياه من حيث التفهيم لم يردده 14/أ سماع الخلق إلا جحداً على جحد ومن لم يحط به إلا بعداً على بعد.

﴿وَرَبُّهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] فاعينوا دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون برسالتك ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْأَعْمَى﴾ [الآية 43] أي تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 43] أي وإن انضم إلى عدم بصرهم عدم بصيرتهم فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمد في تلك البصيرة ولذلك بحدس الأعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الأحمق حين يتحمق، والآية كالتعليل بالهمز للتبريء منهم والإعراض عنهم.

وأفاد الأستاذ أن من سُدت بصيرته بالغفلة والغيبة لم يزد إدراك البصر إلا حجة على حجة ومن لم ينظر إلى الله بالله ولم يسمع من الله بالله فقصاراه العمى والصم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الْأُصْدُورِ﴾ [الحج: الآية 46]، وقد قال عليه السلام فيما أخبر عن الله: «فبي يسمع وببي يبصر»⁽¹⁾. وأنشد قائلهم:

تأمل بعين الحق إن كنت ناظراً إلى منظر منه إليه يعود⁽²⁾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [الآية 44] بسبب سمعهم وبصرهم وعقيدتهم ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ﴾ [الآية 44] وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف والرفع ﴿أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 44] بإفساد حواسهم وتفويت منافعهم وفيه دلالة على أن العبد ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه نفى عن ذاته ما يستحيل تقديره في نعته، وكيف يوصف بالظلم وكما يتوهم أن لو فعله لكان له ذلك إذ الحق حقه والملك

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (4/ 590).

--(2) نسب إلى غلام تحدث إليه أبو الحسن النوري فأنشد هذا الشعر: انظر طبقات الصوفية (1/ 58)، وحلية الأولياء (10/ 254)، والوافي بالوفيات (1/ 119)، وتاريخ بغداد (5/ 133).

ملكه ومن لا يصح تقدير فتح فعل منه أنى يوصف بالظلم جوازاً أو وجوداً.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالياء ﴿كَأَن لَّزَّ يَلْبِثُوا﴾ [الآية 45] أي جميعهم مشبهين بمن لم يلبثوا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ [الآية 45] يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لطول هول ما يشاهدونه في العقبي ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] أي أول ما حشروا ثم يتقطع التعارف لشدة الأمر عليهم حين نشروا.

وأفاد الأستاذ أن الأيام والشهور والأعوام والدهور بعد مضيتها في حكم اللحظة لمن تفكر فيها، ومتى يكون لها أثر بعد تقضيها، والآتي من الوقت قريب فكأنه مر، والماضي من الدهر كأن لم يعهد.

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ [الآية 45] / أي بالبعث والجزاء ﴿وَمَا كَانُوا بِ/ب مُّهْتَدِينَ﴾ [الآية 45] إلى طريق الأولياء في تصديق الأنبياء ﴿وَلِمَا زُيِّنَ لَكَ﴾ [الآية 46] بنصرتك ﴿بَعْضَ الَّذِي نَوَدُّهُمْ﴾ [الآية 46] أي من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ تَوَفَّنَا﴾ [الآية 46] قبل أن نريد فنري أصحابك في الدنيا ﴿فَلِإِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 46] في الدنيا والأخرى فنريكه في العقبي فهو جواب لهما، وقيل هو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف أي فذاك وأو للتنويع أو التخيير ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 46] أي مطلع على أفعالهم ومجازاتهم بحسب أحوالهم.

وقال الأستاذ: معناه أن خبره صدق ووعدته ووعيده حق وبعد النشر حشر وفي ذلك الوقت مطالبة وحساب ثم على الأعمال ثواب وعقاب وما أسرع ما يكون المعلوم مشاهداً موجوداً.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 47] أي جماعة من الأمم الماضية ﴿رَسُولٌ﴾ [الآية 47] يبعث إليهم ليدعوهم إلى ما يعود نفعه عليهم ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ [الآية 47] بالبينات فكذبه أكثرهم ﴿فُتُوعَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 47] أي الرسل ومكذبيهم ﴿وَالْقِسْطَ﴾ [الآية 47] بالعدل فأنجي الرسول والمؤمنون وأهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لَا يَظُنُّونَ﴾ [الآية 47].

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لم يخل زماناً من شرع ولم يخل شرعاً من

حكم ولم يخل حكماً مما يتعقبه من ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الآية 48] استبعاداً له واستهزاءً به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 48] خطاب منهم للنبي والمؤمنين أو لمجموع المرسلين.

وأفاد الأستاذ أن الاستعجال بهجوم الموعود من أمارات أصحاب التكذيب وأما أهل التصديق والتحقيق فليس لهم وارِدٌ يَرُدُّ عليهم استقباله قبل وروده ولا استعجال على حين كونه ووجوده ولا إذا أورد استعمال لما تضمنه من حكمه فهم مطروحون في أسر حكمه لهم لا يتحرك عرق عنهم باختيارهم.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 49] أي دفع ضرر ولا جلب نفع ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الآية 49] أن أملكه منهما ومن غيرهما أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لا محالة.

وأفاد الأستاذ أن الملوك متى يكون لهم ملكه وإذا كان سيد البرايا لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً فمن نزلت رتبته وفقرت حالته متى يملك أمره أو يكون باختياره نسمة ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية 49] مضروب/ لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ [الآية 49] أي قارب وقت إهلاكهم ﴿فَلَا يَسْتَفْزِحُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيلُونَ﴾ [الآية 49] أي لا يتأخرون ولا يتقدمون لمحطة، وإذا تحقق انتهاء زمان من هو هالك فلا يستأخرون ساعة هنالك ولا يستقدمون. قيل: ولكن كذلك أو كما لا يتصور وجود تقدمهم بعد تحقق مجيء أجلهم بالفعل لا يتصور وقوع تأخرهم بالفعل والمعنى أنكم لا تستعجلوا إهلاككم فإنه سيجيء وقتكم وينجز وعدكم.

﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ﴾ [الآية 50] الذي تستعجلونه ﴿يَتَنَبَّأُ﴾ [الآية 50] وقت ببيتوته واشتغال بنوم راحة ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] حين كنتم مشغولين بطلب معاشكم في غفلة ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 50] أي أي نوع من العذاب يستعجلونه وكل أنواعه تكرهونه وهو جواب الشرط كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ والجملة متعلقة بأرايتم فإنه بمعنى أخبروني.

وأفاد الأستاذ أن من عرف كمال القدرة لم يأمن فجأة الأخذ بالشدة ومن

خاف البيان لم يمتلك بالسباق، ويقال من توسد الغفلة اختطفته فجأة العقوبة ومن استوطن مركب الزلة عثر به في وهدة من المحنة.

﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [الآية 51] أي أبعد وقوعه ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ﴾ [الآية 51] حين عدم نفعه ﴿أَلَنْتُمْ﴾ [الآية 51] أي قيل لهم في تلك الحالة في هذا الزمان آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 51] قبل مجيئه، وقرأ نافع الآن بالقصر.

وقال الأستاذ: لا حجة بعد إزاحة العلة ولا عذر بعد وضوح الحجة. ويقال بعد انتهائك ستر الغيب لا يقبل تضرع المعاذير في الغيب.

﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ [الآية 52] عطف على قيل المقدر ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 52] بالكفر والآثام ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [الآية 52] أي الإيلام والآثام على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 52] في الليالي والأيام فإن الدنيا مزرعة الغني.

وقال الأستاذ: لا تكلف نفس إلا تجرّع ما سقت ولا تحصد إلا سنابل ما زرعت.

﴿وَيَسْتَبِشِرُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ [الآية 53] يستخبرونك أحق ما تقول من الوعيد وحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادسه خبره ﴿قُلْ إِي وَرَقِي﴾ [الآية 53] أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ [الآية 53] أي أن العذاب لكائن ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 53] فابتين العذاب الواقع.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ [الآية 54] على نفسها أو غيرها، والمعنى لو ثبت لنفس عصت/ برّتها ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 54] من أموالها وخزائنها 15/ ب ﴿لَأَفْتَدَتْ بِهِ﴾ [الآية 54] أي لجعلته فدية من العذاب بخلاصها.

وقال الأستاذ: لا يقبل منهم عدل ولا صرف ولا يحصل فيما سبق لهم من الوعيد خلف ولا ندامة تنفعهم وإن صدقوها ولا كرامة تنالهم وإن طلبوها ولا ظلم يجري عليهم ولا حيف كلا بل هو الله العدل في قضائه العز في علائه بنعت كبريائه ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ [الآية 54] أي أخفوها لأنهم بهتوا بما

عابنوا فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل أظهروها، وقيل أخلصوها ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُتِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ [الآية 54] أي بالعدل أو بحسب الفعل ﴿وَهُمْ لَا يُطْلَبُونَ﴾ [الآية 54] ولا تكرر، فإن الأول قضى بين المرسلين والمكذبين والثاني حكم بين الظالمين والمظلومين وتشير إليهم دلالة الظلم عليهم.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 55] تقرير للقدرة على المشيئة والعقوبة ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف في هذا الباب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 55] أمور العقبي لقصور نظرهم على ظاهر الدنيا، قيل المعنيون من رجع إلى غير ربه في سؤاله لأن الكل له فمن طلب بعضها من غيره فقد أخطأ في طريقه ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي يحرم سائل غيره ويبعد عليه وجه طلبه ولا يخيب مقصود سائله ويبلغه إلى قضى مسأله ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الحادثات بأسرها معه ملكاً وبه ظهوراً وملكاً ومنه ابتداء وإليه انتهاء فقوله حق ووعد صدق وأمره حتم وقضاؤه جزم وهو عليّ وعلى حالنا قوي.

﴿هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [الآية 56] في الدنيا فهو قادر عليها في العقبي لأن القادر لذاته لا تزال قدرته ولا تحول قوته والمادة القابلة للحياة والممات قابلة لهما في جميع الأوقات ﴿وَالَّذِي تُرْمَعُونَ﴾ [الآية 56] في جميع الحالات. وقال بعضهم: هو يحيي القلوب بإماتة النفوس بحياة النفوس، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يحيي القلوب بأنوار المشاهدة ويميت النفوس بأنواع المجاهدة فنفس العابدين أتلها فنون المجاهدات وقلوب العارفين سرّ منها عيون المشاهدات. ويقال: يحيي/ من أقبل عليه ويميت من غفل عنه ولم يمل إليه.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 57] أي جاءكم كتاب ناصح جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال وجمائح الأحوال المرغوبة وفي مستحسناتها والمنفرة عن

مستقبحاتها وحاوٍ نافع للحكمة العلية التي هي شفاء لما في الصدور من سوء العقائد وأخلاق الشرور وهداية للمتقين إلى الحق واليقين ورحمة شاملة لأنواع نعمة المؤمنين والتذكير فيها لتعظيمها.

وقال ابن عطاء: الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب والهدي للأسرار والرحمة لمن هذه صفته من الأبرار، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الموعظة للكافة أجمعين لكنها لا تتجمع في قوم تمتنع في آخرين فمن أصغى ليسمع سره اتضح نور التحقيق في صدره ومن استمع إليه بنعت غيبته ما اتصف إلا بدوام حجبته. ويقال الموعظة لأرباب الغيبة ليتوبوا والشفاء لأصحاب الحضور ليطيبوا، ويقال: الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدي لخاص الخاص والرحمة لجميعهم، وبرحمته وصلوا إلى جميع ذلك. ويقال: شفاء كل أحد على حسب ذاته، فشفاء المذنبين بوجود الرحمة، وشفاء المطيعين بوجود النعمة، وشهود العارفين بوجود القربة، وشفاء الواجدين بوجود الحقيقة. ويقال: شفاء العاصين بوجود النجاة، وشفاء المطيعين بوجود الدرجات، وشفاء العارفين بالقرب والمناجات.

﴿قُلْ يَفْضَلُ اللَّهُ﴾ [الآية 58] بإعطاء الإيمان ﴿وَيَرْحَمَهُ﴾ [الآية 58] بإيجاد القرآن فافرحوا ﴿فَذَلِك﴾ [الآية 58] أي لا بغيره ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ [الآية 58] وفائدة التكرير التأكيد والبيان بعد الإجماع للتأيد مع ما فيه من عموم الحكم للخاطئين والغائبين على ما أخبرناه من التقدير المفيد للتقيد. وعن يعقوب من القراء العشرة: فلتفرحوا بالخطاب على الأصل المتروك في هذا الباب، وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرئ فافرحوا وهما يقويان ما قدرنا على نهج ما قررنا.

وأفاد الأستاذ: أن الفضل هو الإحسان الذي ليس بواجب على فاعله والرحمة إرادة النعمة. وقيل هي النعمة أي بمعنى الإنعام، فعلى الأول هي من صفات الذات، وعلى الثاني من صفات الأفعال، والإحسان/ على أقسام، 16/ب وكذلك النعمة ونعم الله أكثر من أن تحصى. ويقال: فضل الله ما أكرمهم به من أجر الطاعات ورحمته ما عصمهم من ارتكاب الزلات. ويقال: فضل الله دوام

التوفيق ورحمته تمام التحقيق. ويقال: فضل الله ما يخص به أهل الطاعات من صنوف إحسانه ورحمته ما يخص به أهل الزلات من وجوه غفرانه. ويقال: فضل الله الرؤية ورحمته إبقاؤه في تلك الحالة. ويقال: فضل الله المعرفة في البداية ورحمته المغفرة في النهاية. وقوله: ﴿فَإِذْكَ فَتَفَرَّحُوا﴾ [الآية 58] أي بما أهلكم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم وتصلون إليه بنوع من تكلفكم ﴿هُوَ﴾ [الآية 58] أي ذلك الفضل والرحمة العليا ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 58] من حطام الدنيا وأمثالها، فإن مآلها إلى زوال. وقرأ ابن عامر بالخطاب أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعون أيها المخاطبون.

وقال الأستاذ: أي مما يتصفون به من الأحوال الزاكية الباقية مما تجمعون من الأموال الوافية الفانية، ويقال الذي تكرمته فهو سابق النعمة خير لك مما تكلفته من صنوف الخدمة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الآية 59] جعل الرزق منزلاً لكونه بأسباب من السماء مقدراً ومحصلاً ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ [الآية 59] أي بعضه حراماً عليكم أو على بعضكم وبعضه حلالاً لكم من عندكم لقولكم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿قُلْ أَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 59] أي في ذلكم فيحمله تقولون ﴿أَنزَلَ عَلَى اللَّهِ تَقَرُّوتَ﴾ [الآية 59].

﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية 60] أي بغير ظنهم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 60] بزعمهم أيحسبون أن لا يجازوا بذنبهم وفي إتمام الوعيد تهديد شديد ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 60] حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بالرسل والكتب إلى طريق الفضل.

وقال الأستاذ: إن الله لذو فضل على الناس في إهمال من أجرم والعصمة لمن لم يجرم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 60] بل هم بنعمة ربهم يكفرون.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ [الآية 61] أي في أمر من الأمور مما يظهر شأنه أو يستتر في الصدور ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ [الآية 61] / أي من عند الله أو من أجله ﴿مِنْ

﴿قُرْءَانٍ﴾ [الآية 61] متعلق بـتتلو، أي بعض قراءة ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 61] تعميم للأعمال والخطاب بعد تخصيص الحكم بالرسول والكتاب ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [الآية 61] مطلعين مراقبين مع الكرام الكاتبين ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 61] أي تدخلون فيه وتخرجون منه.

قال شقيق: على العبد أن يلزم قلبه دوام نظر الله عز وجل إليه وقربه منه وقدرته عليه لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [الآية 61].

وقال بعضهم: من شهد شهود الحق إياه قطعه ذلك عن مشاهدة ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: خوّفهم بما عرفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته ما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم، وهذه حال المراقبة لهم، فالعبد إذا علم أنه يراه مولاه يستحي منه ويترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه. وأنشدوا في معناه:

كأن رقيباً منك حال بهجتي إذا رمت تسهلاً عليّ تصعباً⁽¹⁾

﴿وَمَا يَزُبُّ عَنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 61] وقرأ الكسائي بكسر الزاي أي لا يبعد عن علمه ولا يغيب عن حكمه ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 61] أي بعض موازن نملة أو هباء صغيرة ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [الآية 61] أي في السفليات والعلويات الشاملة بجميع الموجودات والممكنات، وقدمت الأرض لأن الكلام في أهلها أو المقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها ﴿وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 61] كلام برأسه مقرر لما قبله، ولا نافية، وأصغر اسمها، وفي كتاب خبرها.

وقرأ حمزة برفعهما على الابتداء وجوّز عطفه على لفظ ﴿مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 61] وفتح بدل الكسرة لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار لما قرأ به

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 185، 247).

رفعه وجعل الاستثناء منقطعاً. والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو علم الله المسمى بأَم الكتاب والأول أولى لأنه يفهم منه الثاني بالأحرى بل علم من 17/ ب القضية الأولى ولما فيه/ من الإشارة إلى أن جميع الأمور الحادثة قد دخلت تحت أحكام الكتابة فجف القلم والله سبحانه أعلم.

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يخفى ذلك عليه أو يتقاصر عنه علمه وهو منشئه وموجده وببعض أحكامه الجائزة مخصصة، وإنما قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 61] ردهم إلى كتابه ذلك عليهم لعدم اكتفائهم في الامتناع عما نهوا عنه برؤيته وعلمه بما لديهم.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ [الآية 62] الذين يتولون بالطاعة أو يتولاهم بالكرامة، ولا يخفى ما بينهما من الملازمة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 62] من لحوق كراهة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 62] بملامة وندامة ولا خوف عليهم من لحوق عقاب وعتاب ولا هم يحزنون من فوات ثواب. والآية كالجمله يفسرها ما بعدها ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 63] أو بيان لتوليهم من الله أو توليهم إياه، والمعنى الذين آمنوا بترك الشرك الجلي وكانوا يتقون الشرك الخفي.

وأفاد الأستاذ: إن المولى على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو من توالى طاعاته من غير أن يتخللها عصيان، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول فيكون الولي من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله أو يكون بمعنى كونه محفوظاً من المعاصي في عامة أحواله، فكما أن النبي لا يكون إلا معصوماً فالولي لا يكون إلا محفوظاً، والفرق أن المعصوم لا يلم البتة بالسيئات والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في النذرة زلات ولكن لا يكون له إصرار عليها وثبات فأولئك يتوبون من قريب ويبدل الله سيئاتهم حسنات فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون في العاقبة وهو أحسن مما قيل في الآية إلا أن الأولى أن يقال في الخواص منهم مَنْ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 62] لا في الحال ولا في المال لأن حقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل أو ترقب محبوب يزول في

المستأنف فإنهم في حكم الوقت ليس لهم يطلع إلا الاستقبال، والحزن هو أن يناله حزونة في الحال وهم في روح الرضا بكل ما يجري عليهم من الأحوال ولا يكون ولياً إلا كان موفقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات محفوظاً بكل وجه عن جميع الزلات، وكل خصلة حميدة يمكن أن يعبر بها فيقال: هي صفة الأولياء. ويقال: الولي/ لا يقصر في حق الحق ولا يؤخر القيام بحق الخلق، يطيع لا 18/أ لخوف عقاب ولا لنفع ثواب ولا على ملاحظة حسن مآب أو تطلع لعاجل اقتراب ويقضي لكل أحد حقاً يراه واجباً ولا يقتضي من أحد حقاً له لازماً، ولا ينتقم ولا يتتصف ولا يشمت ولا يحقد ولا يقلد أحداً منه ولا يرى لنفسه ولا لما يعمل وعلمه قدراً ولا قيمة، الذين آمنوا في الحال وكانوا يتقون الشرك في المآل، ويقال: لو آمنوا بقلوبهم من حيث المعارف واستقاموا بنفوسهم في أداء الوظائف. ويقال: آمنوا بتلقي التصريف واتقوا بالتوقي عن المحرمات بالتكليف.

﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 64] وهو ما بشر الله به المتقين في كتابه على لسان نبيّه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسبح لهم من المكاشفة ويلمح لهم من المشاهدة وما يبشرون به عند النزاع على لسان الملائكة كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فُصِّلَت: الآية 30] أي هم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة في دار المقامة. وقيل: هذه الآية بيان لقولهم من قبل الله وما قبلها برهان لتوليهم إياه. قيل: وفي الأخرى تصديق تلك البشرى.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر يدل على الصحة فإذا قاموا بما أمروا به واستقاموا بما أخبروا بشرتهم الشريعة بالخروج عن عهدة الإلزام وبشرتهم الحقيقة باستيجاب الإكرام بما كوشفوا به من الإعلام، وهذه البشرى في عاجلهم وأما البشرى في آجلهم فالحق سبحانه يتولى ذلك التفريق والبيان بقولهم: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ﴾ [التوبة: الآية 21]. ويقال: البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم بسقوط مآربهم وأي تلك أتم هي البشرى الكبرى. ويقال: الفرق بين هذه البشارة التي لهم وبين البشارة التي لغيرهم أن التي لهم نقد تحصيل وأن التي لغيرهم وعد جميل. ﴿لَا يَبْدِيلُ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿[الآية 64] لا تغيير لأحكامه ولا خلف لمواعيده ﴿ذَلِكَ﴾
[الآية 64] إشارة إلى كونهم في الدارين من أهل البشارة ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾
18/ ب [الآية 64] فإنه الظفر بالنعيم المقيم ولا يحزنك قولهم/ أي في جانبنا أو فيك أو
في كتابنا أو إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم.

﴿إِنَّ أَلَمْرَةَ لِلَّهِ جَمِيعاً﴾ [الآية 65] استئناف فيه معنى التعليل. والقراءة
الشاذة بالفتح كالدليل كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبالي بفعلهم ولا تهتم
لأمرهم لأن الغلبة لله جميعاً فهو يغلبك عليهم ويعليك لديهم ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾
[الآية 65] لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 65] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن العبد ما دام متفرقاً يضيق صدره ويستوحش قلبه بما
يسمع ويشاهد من الأغيار بما يتقدس عنه صفة الجبار فإذا صار عارفاً فإن
زالت عنه تلك الصفة لتحقيقه بأن الحق سبحانه وراء كل طاعة وذلة فثناء
المثنين وتسييحهم لا يوجب في وصفه زينة، ومقالات الكفار في نعته لا
توجب شيئاً فلا له من هذا استيحاش ولا بذلك استئناس. ثم يتحقق للعارف
بأن المجري لطاعة أرباب الوفاق الله والمنشئ لأحوال أصحاب الشقاق الله
فكما لا يبالي الحق بوجود ما يجري لا يبالي العبد بشهود ما يجري كما
قيل:

بنو حق غدوا بالحق صدقاً ونعت الحق فيهم مستعار⁽¹⁾

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 66] خلقاً وملكاً ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾
[الآية 66] من الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين وإذا كان هؤلاء الذين هم
أشراف الممكنات في رتبة العبودية ولا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل من
الموجودات أولاً بأن لا يكون سبحانه شركة في مراتب الكمالات فهو كالتوطئة
المتضمنة للحجة على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾
[الآية 66] على النعت الحقيقي وإن كانوا يسمونها شركاء بالوصف المجازي كما
يدل عليه قولهم: ﴿وَمَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: الآية 3]، ويقولون:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

﴿هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الآية 18] سبحانه وتعالى.

﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ [الآية 67] ما يتبعون اليقين وإنما يتبعون الظن في الدين، وقد سبق أن الظن لا يغني من الحق شيئاً وأما قول من قال إنما يتبعون ظنهم إنها شركٌ فبعيد لأنه يبعد هذا الظن من العقلاء ولو كانوا جهلاء. ولما تقدم عنهم من أنهم شفعاء.

قال الأستاذ: ﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 66] ملكاً جزماً ويبيدي/ عليهم ما يريد حكماً حتماً فلا لقبوله علة ولا لموجب رده زلة، 19/أ كلا إنما أحكام سابقة لم يوجبها أجرام لاحقة ولا طاعات ولا عبادات صادقة ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْيَلَّ لَتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ [الآية 67] أي مسكناً ومقرراً ﴿وَالْتَهَاجَرُ مُبْصِرًا﴾ [الآية 67] أي لتبصروا فيه تنبيهاً على جلال قدرته وتنوياً على كمال نعمته. قال بعضهم: جعل الليل سكناً لتسكنوا فيه إلى المناجاة والخلوة والنهار مبصراً لتبصروا فيه عجائب القدرة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 67] سماع التدبير والعبرة.

وأفاد الأستاذ: أن الليل لأهل الغفلة بعد وغيبة ولأهل الندم توبة وأوية وللمحبين زلفة وقربة، فالليل هو لصورته غير ما مؤنس لكنه وقت القربة لأهل الوصلة كما قيل شعر:

وكم لظلام الليل عندي من يد تخبر أن المانوية⁽¹⁾ تكذب⁽²⁾
﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [الآية 68] أي تبناه ﴿سُبْحَنَهُ﴾ [الآية 68] أنزهه أو نزهوه عن التبني فإنه لا يتصور إلا ممن يصح أن يكون له الولد وهو في مرتبة التمني.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز له التبني لتفرده وأنه لا شبيه له في وصفه

(1) قوم من المجوس ينتسبون إلى رجل اسمه ماني وهم يقولون: إنَّ النور مطبوع على الخير والصلاح والظلمة مطبوعة على الشر والفساد. انظر معجز أحمد (1/ 391).
(2) هذا البيت لأبي الطيب. انظر كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام (2/ 520)، والكشكول (1/ 302).

﴿هُوَ الْعَزِيزُ﴾ [الآية 68] الجملة لتنزّهه كالعلة وإن اتخذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 68] تقدير لمعناه أو تحرير لعقبي كون المملوك ولداً لمولاه ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ﴾ [الآية 68] ما عندكم ﴿مَنْ سُلْطَنٌ بِهَذَا﴾ [الآية 68] أي برهان بمبدأ البيان فثبت أن قولكم من البطلان الناشئ من قبل الشيطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية 28] توبيخ على اختلافهم وتقرير على جهلهم في شقاقهم.

﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الآية 69] باتخاذ الولد وإضافة الشرك ونحو ذلك ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ [الآية 69] لا ينجون من الحرقة والفرقة ولا يفوزون بالجنة والتوبة ﴿مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا﴾ [الآية 70] أي لهم تمتع في الحياة الدنية الفانية ﴿ثُمَّ إِنَّا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 70] أي بالموت والبعث والحشر والنشر فيلقون العقوبة القائمة البائنة ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ [الآية 70] بإيقاع الحجاب الأكيد ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [الأنعام: الآية 70] بسبب كفرهم وترك شكهم الناشئ عن عدم فكرهم.

19/ ب وأفاد الأستاذ: إن ما فيها من الاستمتاع إنما هي أيام قليلة ثم يتبعها/ آلام طويلة فلا قدم لهم بعد ذلك ترفع ولا ندم بهم ينفع.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [الآية 71] أو خبر أمره مع قومه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ [الآية 71] أي شق وعظم ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ [الآية 71] أي قيامي على الدعوة أو إقامتي بينكم طول المدة ﴿وَتَذَكِّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية 71] للنصيحة والموعظة ﴿فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 71] أي اعتمدت فيها بتوكتي من المعصية ﴿فَاجْمَعُوا﴾ [الآية 71] أي فاعزموا ﴿أَمْرَكُمْ﴾ [الآية 71] بالمكيدة ﴿وَشُرَكَاءَكُمُ﴾ [الآية 71] أي معهم، ويؤيده قراءة يعقوب بالرفع عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير المؤكد بالمتصل لوجود الفصل أو منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم، وقد قرأه يعقوب أيضاً في رواية رويس، وفي قراءة: فاجمعوا من الجمع، وفي قراءة شاذة، والمعنى أنه أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم نفية بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ﴾

[الآية 71] حالكم في قصدي ﴿عَلَيْكُمْ غَمَةٌ﴾ [الآية 71] مستوراً ومكسوفاً بل أحيلوه ظاهراً مكسوفاً ﴿ثُمَّ أَقْضُوا﴾ [الآية 71] أدوا ﴿إِلَيَّ﴾ [الآية 71] وامضوا على ذلك الأمر الذي يريدونه بي ﴿وَلَا تُظْهِرُونَ﴾ [الآية 71] ولا تمهلون ولا تأخروا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل هذه الآية على وجه التسلية لنبيه عليه السلام والتحية لما كان يصيبه من قومه من مقاساة الشدة فإن أيام نوح في المحنة وإن طالَت فما لبثت كثيراً إلا وقد زالت كما قيل:

وأحسن شيء من النوائب أنها إذا هي نابت لم تكن خلداً⁽¹⁾

ثم بين أنه بتوكله على ربه [مهما فعلوا] صَبَرَ ولم يحتشم عبد عندما وثق بربه من كل ما به نزل، ثم إن نوحاً عليه السلام قال: إني توكلت على الله، وهذا عين التفرقة. وقال لنبينا ﷺ: ﴿يَأْتِيهَا النَّوْءُ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال: الآية 64] وهذا عين الجمع فبانت المزية وظهرت الخصوصية.

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 72] أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 72] يوجب لكم الإعراض أو يجب عليّ الاعتراض بالحمل على تهمة الإعراض ﴿إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [الآية 72] إذ لا تعلق لي بما سواه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 72] أي المخلصين في طلب رضاه أو من المنقادين لحكمه لا أخالف في أمره/ ولا أرجو من غيره.

أ/20

وأفاد الأستاذ: أن من كان عمله لله لم يطلب الأجر عليه من غير الله وهكذا جرت سنته في جميع أولياء الله.

﴿تَكْذُوبُهُ﴾ [الآية 73] أي فأصروا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَاهُ﴾ [الآية 73] من الغرق ومن تلك الفرق ﴿وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلَيْنِ﴾ [الآية 73] ونجيناهم وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا﴾ [الآية 73] من الهالكين ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 73] بسبب الطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكِبِينَ﴾ [الآية 73] المخوفين عن

(1) لم ينسب لأحد وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 255).

الكفران بالنيران.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أغرق قومه بأمواج القطرة وفي الحقيقة أغرقهم بأمواج القدرة وحفظ نوحاً وقومه في السفينة وفي الحقيقة نجاهم في سفينة السلامة، كان نوحٌ في سابق حكمه من المحروسين وكان قومه في قديم قضائه من المغرقين فجرت به الأحوال على ما جرت به القسمة في الأزل.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ﴾ [الآية 74] أي أرسلنا من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ [الآية 74] كل رسول إلى قومه ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 74] بالمعجزات الواضحة المبينة له صحيح الدعوة ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ [الآية 74] فما استقام لهم أن يؤمنوا ﴿يَمَّا كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 74] بسبب تفردهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل إلى طريق الصدق.

وقال الأستاذ: جروا في التكذيب على منهاجهم في خلافهم فأجرى سنته من غير تحويل في إتلافهم ﴿كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُتَعِدِّينَ﴾ [الآية 74] لانهماكهم في الضلالة وإهمالهم أمر الدين، وفي أمثال هذه الآية دلالة لامعة على أن الأفعال بقدرة الله واقفة وأن للعبد فيها بحسب الكسب نسبة جامعة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمُ﴾ [الآية 75] أي من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الآية 75] وَمَلَايِكَةً بِآيَاتِنَا ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 75] أي للإجرام معتادين فلذلك تهاونوا في أمر الدين وصاروا من المعتدين.

وقال الأستاذ: قص عليه ﷺ نبأ الأولين وشرح له جميع أحوال الغابرين ثم فضله على كافتهم أجمعين فكانوا نجوماً وهو البدر وكانوا أنهاراً وهو البحر ثم به انتظم عقدهم وبنوره أشرق نهارهم وبظهوره ختم عدوهم كما قيل، شعر:

20/ ب /يومك وجه الدهر من أجله حنَّ غد والتفت الأمس⁽¹⁾

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 258) و(6/ 349) من دون نسبه لأحد وقد ورد في نفس القافية مع اختلاف في صدر البيت.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾ [الآية 76] وتبين لهم الباطل بإظهارنا ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 76] أي واضح في هذا الأمر أو ظاهر أنه من نوع السحر.

﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ [الآية 77] إنه لسحر فحذف المكي للقول لدلالة ما قبله عليه أو إشارة من بعده إليه ﴿أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ [الآية 77] من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحر لامتتح سريعا ولم يبطل سحر السحرة جميعا.

وقال الأستاذ: ما زادهم الحق بيانا إلا ازدادوا طغيانا وكذلك تعالى أجرى سنته في المردودين عن معرفته إنه لا يزيد في الحج هذا إلا ويزيد في قلوبهم عمي، ثم خفي عليهم مقصود النبيين صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: ﴿أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ [الشعراء: 35] فنظروا من حيث كانوا ولم يعرفوا طيباً غير ما ذاقوا صفة من قصته السابقة وردته المشيئة.

﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِنَا﴾ [الآية 78] لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [الآية 78] من عبادة الآلهة ﴿وَتَكُونُ لَكُمْ الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 78] أي الملك والرياسة فيها، وسمي بها لاتفاق الملوك بالكبر والتكبر على أتباعهم وأرباب أطماعهم ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 78] أي فلسنا فيما جئتنا به مصدقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى التقليد فيما دانوا واستحبوا استدامة ما عليه كانوا فلحقهم شؤم العقيدة وسوء الطريقة حتى توهموا أن الأنبياء عليهم السلام إنما دعوهم إلى الله ليكون لهم الكبرياء على عبادة الله ولم يعلموا أنهم إنما دعوهم إلى الله بالله بأمر الله.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَقْتَوْنَ بِكُلِّ مَسْجِدٍ عَلَيْهِ﴾ [الآية 79] وقرأ حمزة: بكل سحر عليم بالغ في علمه حاذق في بثه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون لما استغاث في استدفاع ما استقبله بغير الله لم

يلبث إلا يسيراً حتى تبرأ عنهم، ويقول: لأفعلن ولأصنعن وتوعدهم وكذا قصارى كل محبة وولاية في غير الله فإنما تؤول إلى العداوة والبغضة. قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: الآية 67].

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ [الآية 80] أي لا نبالي / بسحركم وإننا على ربنا متوكلون.

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أمرهم أمراً إظهاراً لبطالانهم ليدخل الحق ما أتوا به من التمويه في شأنهم لنظر سلطانهم ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَ﴾ [الآية 81] أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سمي فرعون وقومه سحراً. وقرأ أبو عمرو: والسحر بهزمة استفهام ممدودة على ما استفهامية مرفوعة بالابتدائية وجئتم خبر والسحر بدل مما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَبَّطِلَهُ﴾ [الآية 81] سيمحقه ويمحو شأنه ويظهر بطلانه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 81] أي لا يبينه صيانة لأمر الدين، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة فيه.

وقال الأستاذ: لما التقم عصا موسى عليه السلام جمع ما جاؤوا به من حبالهم وعصبيهم علموا أنه أبطل تلك الأعيان وأفناها عن دائرة المكان.

﴿وَيُخَيِّئُ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ [الآية 82] أي يبينه ﴿يَكْمِئْتِهِ﴾ [الآية 82] أي بإجراء أمره في قضائه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 82] كلياته وجزئياته.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة ما أحقه إيمان السحرة وكان عندهم أنهم لفرعون ينصرون وبحياته كانوا يقسمون حيث قالوا لفرعون: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: الآية 44]، وقال سبحانه: بعزتي إنكم لمغلوبون⁽¹⁾، فكان على ما قال الله تعالى دون ما قالوا. وفي معناه أنشدوا:

كم رمتني بأسهم صائبات فتعمدتها بسهم فطاشا⁽²⁾

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَى﴾ [الآية 83] في مبدأ أمره ﴿إِلَّا دُرِيَّةً مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [الآية 83]

(1) انفرد به القشيري في تفسيره (263/3).

(2) أورده القشيري في تفسيره (2/417) و(263/3).

إلا طائفة من أولاد بني إسرائيل دعاهم فلم يظهروا الإجابة من المخافة، أو إلا طائفة من أهل الفتوة وأرباب الفطنة وأصحاب الفطرة فإنهم آمنوا ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ [الآية 83] أي مع خوف منه من إشراف عسكرهم والإضافة لأدنى الملابس ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [الآية 83] أي يعذبهم فرعون والاكتفاء بضميره للإيمان أن الخوف من الملاما كان إلا بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 83] لمتكبر جبار أو غالب قهار ﴿وَإِنَّ لَكُم مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 83] في الكبر والمعصية حتى حملته الجرأة على ادعاء الربوبية واسترقاق أسباط أرباب النبوة.

وأفاد الأستاذ: في صدر الآية إن أهل الحقيقة في كل وقت قليل عددهم ولكنه كثير عند الله خطرهم ومددهم. قلت وقد قال مقالي وقليل ما هم.

وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ بِآمَنَتُمْ بَآلَهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [الآية 84] أي إليه التجنوا وعنده فافرحوا ﴿إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ﴾ [الآية 84] منقادين لأمره ومستسلمين لحكمه ومخلصين في دينه.

وقال الأستاذ: إنه سبحانه يبين أن الإيمان ليس من حيث الأقوال فرداً بل لا بد فيه من صدق الأحوال قصداً، وحقيقة التوكل توسل ينفذ منه تفضل ثم يعلم أنه بفضل سبحانه نجاته تحصل لا بما يأتي به من التكلف والتحمل، هذا هو حقيقة التوكل.

﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية 85] لأنهم كانوا مسلمين فصاروا في دعائهم مقبولين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [الآية 85] أي موضع فتنة ومحل محنة ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 85] والمعنى لا تسلطهم علينا فيفتنوننا.

﴿وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 86] من لؤم مكائدهم وشؤم مشاهدتهم.

وقال الأستاذ: تبرأنا مما منا من الحول والمنة وتحققنا بما منك من الطول والمنة فلا تجعلنا عرضاً لسهام أحكامك في عقوبتك وانتقامك وارجحنا بلطفك وإكرامك ونجنا ممن غضبت عليهم فأذللتهم وبكّي فراقك وسمتهم.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَلْيَدِهِ أَنِّيَوْنَا﴾ [الآية 87] أي اتخذنا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ يُوْنَا﴾ [الآية 87] تسكنون فيها أو ترجعون للعبادة إليها ﴿وَأَجْعَلُوا﴾ [الآية 87] أنتما وقومكما ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ [الآية 87] أي تلك البيوت ﴿قِتْلَةً﴾ أي ذوات قيلة، يعني مواضع صلاة وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى يصلي إليها ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 87] بالخلة في الدنيا وبالجنة في العقبى.

﴿وَقَالَكَ مُوسَىٰ﴾ [الآية 88] أي هي لهم بعبادتنا منازل وهي نفوسهم ولمعارفنا محال وهي قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهي أرواحهم ولمشاهدتنا معاهد وهي أسرارهم، فنفس العابدين بيوت الخدمة وقلوب العارفين أوطان الحشمة وأرواح المهيمين مشاهد القربة وأسرار الموحدين منازل الهيبة ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً﴾ [الآية 88] ما تزين به من اللباس والمركب ونحوهما من أنواع الجمال ﴿وَأَمَّا لَآ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 88] أي أصنافاً من الأموال ﴿رَبَّنَا يُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ [الآية 88] دعا عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير/ الضلال في أموالهم. وقرأ الكوفيون بضم الياء فاللام 22/ أ للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ﴿رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيْنَا أَمْوَالَهُمْ﴾ [الآية 88] أهلكتها بذنوبهم ﴿وَأَشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ﴾ [الآية 88] أي واقسمها واطبع عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الآية 88] جواب للدعاء أو دعاء بلفظ التمني.

قال مشايخ ما وراء النهر⁽¹⁾: الرضا بكفر العدو مع استقباح نفس الكفر لا يكون كفراً. قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَأَشْدُدْ عَلَيْنَا قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا﴾ [الآية 88]، وإنما الرضا بالكفر مع استحسان الكفر كفر كذا في كشف الكشاف، وبه ينكشف ما أشكل من القول بأن الرضا بالكفر كفر والرضا بالقضاء إيمان، وإن أوجب أيضاً بأن الرضا واجب بالقضاء من حيث إنه مقضي وتعلق به تقدير الحق، والكفر كفر من حيث إنه فعل الخلق وإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر. --- ومحل القضية اختلاف الحيشة.

(1) يراد بذلك في الأغلب من بخارى وسمرقند وهم المقابلين لعلماء العراق.

وقال الأستاذ: لما أيس من إيمانهم حين دعاهم إلى الله دعا عليهم بإنزال السخطة وإدامة الفرقة، ومن المعلوم أن الأنبياء من حقهم العصمة فإذا دعا عليهم بمثل هذه لم يكن ذلك إلا بإذن من الله في الحقيقة.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا﴾ [الآية 89] يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن حال الدعاء ﴿فَأَسْتَوِيَمَا﴾ [الآية 89] فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزما الحجة ولا تستعجلا في تحصيل الطلبة فقد روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلَا نَنْفَعَا سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 89] أي طريق الجهلة في العجلة، وفي رواية لابن ذكوان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين. وفي رواية ضعيفة عنه أيضاً بإسكان التاء وفتح الباء وتثقل النون.

وأفاد الأستاذ: أن الاستقامة في الدعاء بترك الاستعجال في حصول المقصود ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا بوجودان السكينة فيه ولا تكون تلك السكينة إلا بحسن الرضا بجميع ما يبدو من الغيب. ويقال: من شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء، ثم حسن الانتظار في الانتهاء، وكمال هذا الرضا ومجريات الأقدار فيما يبدو من المسار والمضار. / ويقال: في الآية إشارة إلى أن 22/ب للأمور آجالاً معلومة فإذا جاء الوقت فلا تأخير للمقدم في الوقت المعلوم.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الآية 90] أي وجوزناهم في البحر حتى يلقوا الساحل حافظين لهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمكم الكلمات التي تكلم بها موسى حين جاوز البحر ببني إسرائيل، فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: قولوا اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»⁽¹⁾.

قال عبد الله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، رواه الطبراني في معجمه الصغير بإسناد جيد.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ [الآية 90] أي فتبعهم ولحقهم ﴿فَرَعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَيْئًا وَعَدُوًّا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394)، وفي المعجم الصغير (1/ 221) رقم (339).

[الآية 90] أي للبغي والمجاوزة عن الحد ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 90] وقرأ حمزة والكسائي بكسر على أنه استئناف بدل أو تفسير لآمنت أو على إضمار قلت: فتنكب على الإيمان أوان القبول وبالف فيه حين لا ينفع الوصول.

وقال الأستاذ: حملت العزة فرعون على تقحم البحر في أثرهم فلما تحقق الهلكة حملته ضرورة الحيلة على الاستفادة فلم ينفعه ذلك الافتقار لفوات وقت الاختيار. ويقال: لما شهد صولة القدرة أفاق من سكرة الغلظة لكن بعد شهود اليأس لا ينفع التخاشع والإلباس.

﴿أَلَمْ تَكُنْ﴾ [الآية 91] أتؤمن الآن حين آيست من نفسك ولم يبق اختيار لك ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [الآية 91] أي قبل ذلك مدة عمرك ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 91] الضالين المضلين، وفيه إيماء إلى أن حال اليأس يقبل أي المرتدين بسبقهم في أمر الدين ولذا قال بعض علمائنا: توبة اليأس مقبولة وإيمان اليأس مردودة ولكن مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [النساء: الآية 18] الآية.

وقال الأستاذ: أبعد طول الإمهال والإصرار على ذميم الأفعال والركض في ميدان الاغترار وانقضاء وقت الاعتذار هيئات/ لقد استوجبت أن ترد في وجهك إذ لا لعذر قبول ولا لك إلى ما ترومه وصول.

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ [الآية 92] ننقذك مما وقع فيه قومك من غرق البحر بأن نجعلك طافياً على وجه النيل ليراك بنو إسرائيل ﴿بِيَدِكَ﴾ [الآية 92] أي مقروناً ببدنك عارياً عن زوجك أو لباسك ﴿لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً﴾ [الآية 92] لمن وراءك من بني إسرائيل علامة يحصل لهم اطمئنان وسكينة، أو لن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا حال أمرك ممن شاهدك نكالا عن الطغيان وموعظة وعبرة أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما يكون عليه من عظم الملك وكبرياء الشأن مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَاتِنَا لَفَقِلْتُونَ﴾ [الآية 92] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدْ يُونَنَّا بِقِيَّ إِسْمَاعِيلَ مُبَوَّأً صِدْقٍ﴾ [الآية 93] منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر ﴿وَوَرَقْنَهُمْ مِّنَ الْطَّيِّبَاتِ﴾ [الآية 93] أي المستلذات الحلالات ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ [الآية 93] في أمر دينهم من الحكومات ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ [الآية 93] أي الأمن بعدما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها وعرفوا حلالها وحرامها، أو في أمر محمد عليه السلام إلا بعد ما علموا صدق نبوته بظهور تفوقه وصفاته ومظاهر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 93] بإنجاء المحقين وإهلاك المبطلين.

وقال الأستاذ: أدلنا لهم الأيام وأكثرنا لديهم الأنعام وأكرمنا لهم المقام وأتحنا لهم فنون الحسنات وأدمننا لهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران وأصروا على البغي والعدوان أذقناهم سوء العذاب وسددنا عليهم أبواب ما فتحت لهم من التكريم والإيجاب وذلك جزاء من حاد عن طريق الوفاق وجنح إلى جانب الشقاق.

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ [الآية 94] أي فرضاً وتقديراً ﴿مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 94] مجملًا وتفصيلاً ﴿فَسَلِّ الْدِّينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 94] فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم والمراد تحقيق المقدمة والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيه من الأصول المجملة والمقصود نهج الرسول وزيادة تثبيته لإمكان وقوع شك له ولذا قال عليه السلام: «لا أشك ولا أسأل»⁽¹⁾، وفيه / تنبيه على أن من خالجه شبهة في الدين ينبغي أن يسارع في 23/ب حلها بالرجوع إلى العلماء من أهل اليقين.

وقال الأستاذ: أي فإن تنزلت منزلة أهل الأدب في ترك الملاحظة إلى ما خصصناك به فاسأل من أرسلنا قبلك هل بلغنا أحداً منزلتك وهل خصصنا أحداً بمثل تخصيصك ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 94] واضحا لا مدخل فيه للمزية لاشتماله على الآيات القاطعة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية 94] أي المزلزلين عما ألقىت عليه من الجزم واليقين.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا يَعَايَنَتِ اللَّهُ فَتَكُونُ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٥٥)
[الآية 95] وهذا نظير قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِلْكَافِرِينَ﴾ [الفصل: الآية 86] والمراد بهما التثيت على أمر الدين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 96] بأنهم على الكفر يموتون ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 96] إذ لا ينتقض قضاءه ولا يتغير حكمه.

﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ مَا يَدْعُونَ﴾ [الآية 97] فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به منقود في شأنهم ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الآية 97] وحيثية لا ينفعهم الإيمان إذا خرجوا من مقام البرهان وشاهدوا بالعيان.

وأفاد الأستاذ: إن الأعداء حقت عليهم كلمة العقاب والأولياء حقت لهم كلمة الثواب فالكلمة أزلية والأحكام سابقة والأفعال في المستأنف على ممر الأوقات على موجب القضية لاحقة فالذين نصيبهم من القسمة الشقوة لا يؤمنون وإن شاهدوا كل دلالة وعانوا كل معجزة.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الآية 98] فهلا ﴿كَانَتْ قَرْيَةً﴾ [الآية 98] من القرى التي أهلكناها ﴿ءَامَنَتْ﴾ [الآية 98] قبل معاينة العذاب ولما تأخر الإيمان إليها كما أخر فرعون إلى مشاهدة العقاب ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ [الآية 98] بأن يتقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ﴾ [الآية 98] أي قوم يونس ﴿لَمَّا ءَامَنُوا﴾ [الآية 98] أول ما رأوا أماره للعذاب ولم يؤخروا إلى حلول العقاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 98] أي إلى حين انتقالهم إلى العقبى.

روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، وقيل إلى أربعين، فلما دنا الموعد غامت السماء غيماً أسوداً ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم/ فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدّة وولدها ليكون أرق لقلوبهم وأخلص للدعاء وأقرب إلى الإجابة فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات وأخلصوا التوبة

وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الرحمن فرحمهم وكشف عنهم وكان عاشوراء يوم الجمعة⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن قوم يونس تداركتهم الرحمة الأزلية بما أجري عليهم توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب وصرف عنهم ما أظلم عليهم من العقوبة بعدما عاينوا من تلك الأبواب فبرحمته وصلوا إلى تضرعه لا بتضرعهم وصلوا إلى رحمته.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ [الآية 99] بحيث لا ينفرد واحد منهم جميعاً مجتمعين على اليقين غير مختلفين في أمر الدين ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَقَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 99] روي أنها نزلت لما كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به ولذلك قرره بقوله: ﴿وَمَا كَأَنْتَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية 100] أي بإرادته سابقاً وتوفيقه لاحقاً ﴿وَيَجْعَلُ الْيُسْرَى عَلَى الْغَيْرِ لَا يَغْلِبُونَ﴾ [الآية 100] الدين ولا الشرع لما على قلوبهم من الطبع. وقرأ أبو بكر: ونجعل بالنون.

وقال الأستاذ: لا يمكن حمل الإذن في هذه الآية إلا على معنى المشيئة لأنه أمر للكافة بالإيمان والذي هو مأمور بالشيء لا يقال إنه غير مأذون فيه ولا يجوز حمل هذه الآية على أن معناها: لا يؤمن أحد إلا إذا ألجأه الحق إلى الإيمان واضطره لأنه لا يوجب إذاً أن لا يكون أحد مؤمناً في العالم بالاختيار وذلك خطأ فدل على أنه أراد به إلا أن يشاء الله أن يؤمن هو طوعاً وبمقتضى هذا أن يريد من أحد أن يؤمن طوعاً ثم لا يؤمن به لأنه يبطل فائدة الآية فصح قول أهل السنة: إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿قُلْ أَنْظَرُوا﴾ [الآية 101] أي تفكروا ﴿مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 101] من عجائب صنعته لتدلكم على جلال وحدته وكمال قدرته ﴿وَمَا تُفْنِي الْآيَاتُ

(1) انظر تفسير الرازي (8/350)، وتفسير النيسابوري (4/282)، وتفسير ابن أبي حاتم (8/

وَالنُّذُرُ ﴿[الآية 101] أي ما تنفع ولا تدفع الكتب والرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 101] في علم الله وحكمه، وما نافية أو في موضع النصب استفهامية. قال ب/24 بعضهم: لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة / الباقية إذ ما يغني ضياء النقل مع ظلمة الخذلان وإنما ينفع أنوار الفقر في التحقيق مَنْ كان مؤيداً بأسرار التوفيق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الأدلة وإن كانت لامعة فما تغني إذا كانت البصائر مسدودة كما أن الشمس وإن كانت طالعة فما تغني إذا كانت الأبصار عن الإدراك بالعمى مزودة كما قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذ استوت عنده الأنوار والظلم⁽¹⁾
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ [الآية 102] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا مِثْلَ آبَارِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 102] أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون إلا مثل ما نزل عليهم ﴿قُلْ فَانظُرُوا﴾ [الآية 102] هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظِرِينَ﴾ [الآية 102] أي نهلك الأمم المكذبين ثم نخلص المؤمنين المخلصين.

﴿ثُمَّ نَتَجَّى رُسُلَنَا﴾ [الآية 103] أي وجب وعدنا ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] أي مثل ذلك الإنجاء ننجي محمداً وصحبه حين نهلك أهل الشرك وحزبه، وحقاً نصب بفعله المقدر، والجملة اعتراض مقدر. وقرأ الكسائي وحفص: ننج تخفيفاً ورسمه بحذف الياء اتفاقاً.

وأفاد الأستاذ: أن حروف الصلاة يقوم بعضها مقام بعض بقوله تعالى: ﴿عَلَيْنَا﴾ [الآية 103] وسمعنا بمعنى منا والأشياء تجب من الله إذا أخبر أنها لكون كلامه صدقاً ولا يجب عليه شيء لكونه إلهاً ملكاً فيجب الشيء من الله لصدقه ولا يجب عليه لعزه.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ [الآية 104] أي من جهة صحبتي

(1) أورده القشيري في تفسيره (284/2)، (280/3)، (337/5)، (70/8)، والماوردي في الحاوي الكبير (552/12).

فلا أشك في بطلان دينكم ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمُ﴾ [الآية 104] أي يحييكم ويميتكم وخص التوفي بالذكر للنذير في الوعيد ﴿وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 104] بما دل عليه العقل وطائفة النقل، والمعنى إن هذا خلاصة ديني من اعتقادي وعملي وهو أنني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه بل إنما أعبد خالقكم وقابضكم فانظروا بعين الإنصاف واتركوا طريق الاعتساف لتعلموا صحة ديني وبطلان دينكم وتركوا الخلاف.

وقال الأستاذ: إن كنتم في غطاء الريب فأنا في ضياء الغيب، أنتم في ظلمة الجهل وأنا في شمس الوصل. ويقال: قد تميزنا على مفترق الطريق وأنتم وقعتم في وهدة العوج وأنا ثابت على سواء النهج.

/ ﴿وَأَنْ أَفَرَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الآية 105] أي وأمرت بالاستقامة في الدين 25/أ بامتثال الأوامر والانتهاز عن الزواجر ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية 105] حال من الدين أو الوجه أو من ضمير أقم ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 105] لا شركاً جلياً ولا خفياً.

قال ابن عطاء: صحح معرفتك بالله ولا تكونن من الناظرين إلى ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أخلص قصدك للدين وجرد قلبك عن إثبات كل ما لحقه قهر التكوين وكن مائلاً عن الزيف والبدعة داخلاً في جملة من أخلص على الحقيقة.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ [الآية 106] بنفسه إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [الآية 106] إن خذلته ﴿فَإِنْ فَعَلَتْ﴾ [الآية 106] أي دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 106] جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعه الدعاء.

قال شقيق: الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك [نفع] نفسه واستدفع الضرر مما لا يملك الدفاع عن نفسه ومن عجز عن إقامة حاله كيف يقيم أمر غيره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ألا تعبد ما لا ينفعك عبادته ولا يضررك ترك عبادته وتلك صفة كل ما يُعبد من دون الله. واستعانة الخلق بالخلق تحقيق الوقت بلا طائل ومَن لا يملك ضرراً ولا نفعاً لنفسه كيف يستعين به مَن هو في مثل حاله.

﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 107] أي يصيبك به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ [الآية 107] يرفعه إلا هو بفضلته ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 107] بنفع من أنواعه ﴿فَلَا رَادَّ﴾ [الآية 107] لا دافع ﴿لِفَضْلِهِ﴾ [الآية 107] الذي أراد به، ولعل تخصيص الإرادة بالخير والشر للصبر مع تلازم الأمرين للتفنن في العبادة أو للتنبيه على أن الخير مراد بالذات والضرر إنما مسهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يزيد به من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ [الآية 107] من الخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ [الآية 107] للمذنبين ﴿الزَّجِيمُ﴾ [الآية 107] للمحسنين فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من مغفرته بالمعصية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كان تفرّد بإبداع الضرّ واختراعه فلا شريك يعضده كذلك توخّد بكشف الضرّ وصرفه فلا نصير ينجده، ويقال: هوّن على المؤمن الضرّ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 107] حيث الفاقة إلى نفسه والحنظل يستلذ من كف من تحبه.

25/ ب ﴿قُلْ يَتَّابِعَا النَّاسُ/ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الآية 108] أي رسوله أو كتابه فلم يبق لكم عدو عن جنبه ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ [الآية 108] بالإيمان والطاعة ﴿فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ [الآية 108] لأن نفعه لها ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ [الآية 108] أي بالكفر والمعصية ﴿فَأِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ﴾ [الآية 108] لأن وبال ضلالها راجع إليها فهذا دواءه وبلاؤه اكتسب وهذا ضياؤه وشقاؤه اجتلب ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [الآية 108] بحفيظ موكل إليّ أمركم وإنما أنا بشير ونذير لكم.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ﴾ [الآية 109] على دعوتهم وتحمل أذيتهم ﴿حَتَّىٰ يَخُصِّمَ اللَّهُ﴾ [الآية 109] بالنصرة أو بالأمر بالمجاهدة ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾

[الآية 109] إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر واطلاعه على الظواهر.

وقال الأستاذ: قف عند جريان أحكامنا الحقيقية وانسلخ عن مرادك بالكلية ليجري عليك ما يريد لا كما تريد. قلت: لله در القائل في مقام المزيد:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد⁽¹⁾

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ. انظر الوافي بالوفيات (6/ 105).

سورة هود عليه السلام

[مَكِّيَّة]

وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: هذه كلمة استولت على عقول قوم فبصّرها وعلى قلوب آخرين فحيرها، فالتى بصّرها فبنور برهانه، والتي حيرها فبقهر سلطانه، فعالم سلك سبيل بحثه واستدلّاه فسكن لما طلع نجوم عقله تحت ظلال إقباله، وعارف يغوص لنيل وصاله فطاح لما لاح لمعة من تقدسه من الإعلال باستحقاق جلاله.

﴿الرَّ﴾ [الآية 1] أي أنا الله أرى وأرى فيا حسرة كبرى لمن لا يرى
﴿كِتَبُ﴾ [الآية 1] أي مضمون هذه السورة كتاب جامع ولباب لامع ﴿أُحْكَمَتْ﴾
﴿إِنْتُمْ﴾ [الآية 1] أي نسجت نسجاً لا يعتريه خلل من جهة المبنى ولا طريقة
المعنى أو منعت نسختها من النسخ في المنتهى أو أحكمت بالحجج والدلائل
الدينية أو جعلت حكمية أو حاكمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية
والأحكام العلمية ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [الآية 1] بفرائد الفوائد وزوائد العوائد من المواعظ
والعقائد ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ [الآية 1] ولذا أحكمت ﴿خَيْرٌ﴾ [الآية 1] ولذا فصلته
وبيّنت باعتبار شأنه ولمع برهانه.

قال الواسطي: أحكمت بالحلال والحرام وفصلت بالوعد والوعيد
للأنام/ من لدن حكيم فيما أنزل خبير بمن أقبل على أمره وأعرض عنه. وقال
بعضهم: أحكمت آياته في قلوب العارفين وفصّلت أحكامه على أبدان الظالمين،
ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنَّ الألف إشارة إلى انفراده بالوحدانية، واللام إشارة إلى لطفه بأهل توحده، والراء إشارة إلى رحمته بكافة البرية وهي في معنى القسم أي بانفرادي بالربوبية ولطفي بمن عرفني بالأحدية ورحمتي على كافة البرية إن هذا ﴿كَتَبْتُ أُحْكِمْتُ أَيْنُتُمْ﴾ [الآية 1] أي حُفِظْتُ عن التبديل والتغيير ثم فصلت ببيان لقوة الحق فيما يتصف به من جلال الصمدية وما تعبد به الخلق من أحكام العبودية ثم ما لاح بقلوب المحبين فيه من لطائف القرية في عاجلهم والبشرى بما وعدهم به من عزيز لقائه في آجلهم وخصائصهم التي امتازوا بها عن مَنْ سواهم في منازلهم.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ [الآية 2] أي لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 2] لأن لا تعبدوا إلا إياه أو هي بغير الآيات ألا تعبدوا إلا الله أو تقديره الزموا عبادة ما سواه ﴿إِنِّي لَكُرْهِيَّةٌ﴾ [الآية 2] أي من لدن حكيم خبير ﴿نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ بالعقاب، والحجاب على الكفر والكفران، وبالثواب وحسن المآب على الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إنني لكم منه نذير من الله بالفرقة بشير بدوام الوصلة فالفرقة لمن في عاجله جحدوا والوصلة لمن في آجله وجدوا.

﴿وَأِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكَ﴾ [الآية 3] عطف على أن لا تعبدوا أي اعبدوا الحكيم الخبير واستغفروا ربكم عن رؤية العباد وقضيته التقصير ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ [الآية 3] أي ارجعوا إليه بالاعتماد عليه في جميع الأمور من النقيير والقطمير وثم لتراخي الرتبة وترقي الرتبة قيل: استغفروا من الدعاوي المذمومة وتوبوا إليه من الخطرات الملوثة.

وقال الأستاذ: أي توبوا عن توهم أن نجاتكم بتوبتكم لعلمكم بأن نجاتكم بكرمه لا بعبادتكم ﴿يَمِيعُكُمْ مَتْنَعًا حَسَنًا﴾ [الآية 3] متيقناً مستحسنًا بحصول العيشة في أمن وسعة وحياة طيبة في قناعة وطاعة ﴿إِلَّا أَجَلٍ مُّسَيَّ﴾ [الآية 3] وهو آخر الأعمال المقدرة قبل قيام الساعة.

قال الواسطي: المتاع الحسن هو طيب النفس وسعة/ الرزق والرضا 26/ ب بمقدور الحق فيما قسم بين الخلق.

وقال الأستاذ: يعيشكم عيشاً طيباً مباركاً فيه وفي عمركم. ويقال: هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص في البداية والنهاية. ويقال: هو القناعة بالموجود والاعتماد على المعبود. ويقال: هو أن لا يحوجه إلى مخلوق فلا يحيل لأحد عليه منة لا سيما للكبير وقليل المروة. ويقال: هو أن يوفقه لاصطناع المعروف إلى من يعرف حاله من أرباب الحاجة. ويقال: هو أن لا يلم حال شبابه في زلة وفي حال مشيبه لا ينصف عن الله بغفلة. ويقال: هو أن يكون راضياً عليه بما يجري عليه من نوع العسر واليسر وصنفي الحلو والمر وجنسي النفع والضرر.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ [الآية 3] أي يعطي كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في دنياه وأخراه.

وقال الجرجاني: مَنْ قدر عليه الفضل في السابق يوصله إلى ذلك عند إيجاده اللاحق.

وأفاد الأستاذ: أن من زادت حسناته على سيئاته أعطاه جزاء ما فضل له من الطاعات، ومن زادت سيئاته على حسناته كافأه بما يستوجبه من زيادة الخيبات. هذا بيان التفسير. ويقال: من فضله بحسن توفيقه وتأنيده أوصله إلى ما يستوجبه من لطفه ومزيده وثبته.

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية 3] أي تعرضوا ﴿فَإِنِّي﴾ [الآية 3] أو إن أعرضوا فقل ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [الآية 3] يوم القيامة ووقت الملامة حين لا ينفع الندامة.

﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 4] رجوعكم في الدنيا والآخرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 4] ومنه المثوبة والعقوبة.

وقال الأستاذ: تنقطع الدواعي عند الرجوع إلى الله بنفي الظنون ويحصل اليأس من غير الله بكل وجه من الفنون ويبقى العبد بنعت الاضطرار في وصف الانتظار والحق يجري ما سبق به القسمة من أنواع الأقدار.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يُلْتَوْنَ صُورَهُمْ﴾ [الآية 5] يصرفونها عن الحق ويجرفونها عن

الصدق أو يعطفونها على الباطل وعلى تحصيل ما ليس تحته طائل ﴿لَيْسَتْخَفُوا مِنْهُ﴾ [الآية 5] أي من الله ليسرهم/ فلا يطلع رسوله والمؤمنين على سرهم. 27/أ

وقال الأستاذ: أي يستسرون ما ينطوي عليه عقائدهم ويضمرون للرسول ﷺ والمؤمنين خلاف ما يظهرون والحق سبحانه مطلع على قلوبهم فهو يعلم ما في صدورهم فتليسه لا يغير من الله شيئاً عنهم، فالله سبحانه أطلع رسوله على ما أخفوه إما بتعريف وحي أو ملك أو مكاشفة بقوة نور النبوة والمؤمنين بضياء الفراسة فكل مؤمن فله بقدر حاله من الله هداية. قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله»⁽¹⁾، ولذا قال قائلهم: أبعينني أراك أم بفؤادي كل ما في الفؤاد للعين بادي⁽²⁾

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَفْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [الآية 5] أي وقت يأوون إلى فراشهم ومآبهم ويتغطوا بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ﴾ [الآية 5] في قلوبهم ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ [الآية 5] بأفواههم يتغنون في علمهم سرهم وعلنهم.

وفي تفسير السلمي: يعلم ما تسرون من أحوالكم وما تعلنون من أفعالكم ﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾ [الآية 5] بالأسرار ذات الصدور وما بها أو بالقلوب وأحوالها وما بها.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [الآية 6] غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضلاً ورحمة لها، وأتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملها على التوكل في حصوله ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [الآية 6] أي أماكنها في حياتها ومماتها أو يعلم بما في أصلاب آبائها وأرحام أمهاتها، أو يعلم مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد حين كانت بعد القوة ﴿كُلُّ﴾ [الآية 6] من الدواب وأحوالها ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الآية 6] مذكور في اللوح المحفوظ المكين، وفي هذه الآية إشارة إلى كونه عالماً بالمعلومات كلها وفي ما بعدها إلى

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (312/3) رقم (3254) والمعجم الكبير (8/102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/298) رقم (3127).

(2) أورده القشيري في تفسيره (3/293).

برهان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقديرًا للتوحيد وتحريراً لما سبق من الوعد والوعيد.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر إذا أحيل أحدكم على قلبي فليحتل، ويقال: إذا كان الرزق على الله فمن المحال طلبه مما سواه، والأرزاق مختلفة فرزق كل حيوان على ما يليق بصفته ويناسب بشاكلته لم يقل ما يشتهي ومقدار ما يكفيه فإنه موكول إلى مشيئته. وقيل: أراد بمستقرها ومستودعها الدنيا/ 27 ب والأخرى. ويقال: مستقر المريد بأن شيخه كمستقر الصبي بباب وليه. ويقال: مستقر الفقراء سدة الكرماء. ويقال: مستقر العابدين المساجد ومستقر العارفين المشاهد، فالمساجد مستقر نفوس العابدين والمشاهد مستقر قلوب العارفين. ويقال: الكل له مثوى ومستقر إلا الموجد فإنه لا مستقر له ولا مأوى ولا منزل ولا مثوى.

قلت: لأنه وصل إلى مقام المحو والفناء وحلّ له حال البقاء من غير حلول واتحاد كما توسمه أهل الجفا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْتُنْهَىٰ﴾ [التَّجْم: الآية 42]. ويقال: النفوس مستودع التوفيق والقلوب مستودع التحقيق. وقيل: القلوب مستودع المعرفة والأرواح مستودع المحبة والأسرار مستودع المشاهدة.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةَ﴾ [الآية 7] أي خلقها وما فيها أو خلق العلويات والسفليات وقدم السموات لسبق وجودها أو لشرفها في اعتبار شهودها، وأفرد الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات ﴿وَكَاثَ عَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ﴾ [الآية 7] أي قيل خلقهما لم يكن حائل بينهما إلا أنه كان موضوعاً على الماء، ففيه دليل على إمكان الخلاء. وقيل: لما كان الماء على متن الريح والله أعلم بالصحيح ﴿لِيَبْلُوكُمُ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 7] متعلق بخلق بينهما اعتراض، والمعنى ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم في كيفية أعمالكم واختير أحسن على الحسن للتحريض على أحسن المحاسن والتخصيص على الترقى دائماً في مراتب المكارم من العلم والعمل، فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذا ورد عنه ﷺ في تفسير: «أيكم أحسن عملاً وأورع عن

محارم الله وأسرع في طاعة الله»⁽¹⁾، فالمعنى أيكم أكرم عملاً وعلماً.

وأفاد الأستاذ: أن الابتداء من قبله سبحانه تعريف للملائكة حال من يتبليه في الشكر عند اليسر والصبر عند العسر، ولم يقل أيكم أكثر عملاً إذ أحسن العمل بموافقة الأمر. ويقال: أحسنهم عملاً أبعدهم عن ملاحظة عمله ووجوده بأن يستغرق في شهود معبوده.

﴿وَلَيْتَ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الآية 7] أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا 28/أ كالسحر في تخديعه. وقرأ حمزة والكسائي: إلا ساحر، على أن الإشارة إلى القائل به.

وقال الأستاذ: استبعدوا النصر لتقاصر علومهم عن التحقيق بكمال قدرة الحق ولو عرفوا ذلك لأيقنوا أنه ليس بمستحيل في الإيجاد والتقدير لأنه على كل شيء قدير.

﴿وَلَيْتَ أَخْرَجْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ [الآية 8] أي الموعود لأرباب الجحود ﴿إِلَّا أَمْثَلُوْهُمْ مَعْدُودَةً﴾ [الآية 8] إلى جماعة من أزمان قليلة محدودة ﴿لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُ﴾ [الآية 8] أي ما يمنعه عن وقوعه ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 8] كيوم بدر ونحوه ﴿لَيْتَ﴾ [الآية 8] العذاب ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [الآية 8] ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه ﴿وَحَافٍ﴾ [الآية 8] أي وأحاط ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [الآية 8] أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون، ووضع المضامين موضع المستقبل مبالغة في التحقيق وتأكيد للتهديد فإن ما هو آت فكأنه الآن كان.

﴿وَلَيْتَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّْا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] أي أعطيناه نعمة يجد لها بعض اللذة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا﴾ [الآية 9] سلبنا تلك النعمة ﴿مِنْهُ إِنَّهُ﴾ [الآية 9] أي في حالة له من المخالفة ﴿لَيَتَوَّسَّ كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مقطوع رجاءه من فضله لقلة الصبر وعدم الثقة ﴿كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مبالغ في كفران النعمة.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 408) رقم (10788)، وانظر زوائد الهيثمي (2/ 804) رقم (820)، والمطالب العالية (8/ 183) رقم (2853).

قال أبو سعيد الخراز: من أذيق حلاوة الذكر وصفاء السر ثم نزع ذلك منه ولم يظهر عليه الاهتمام لفقده ولا يرى مطالبته من سره فليحكم بالموت لقلبه وسره بالعمى عن طريق الهدى، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] وهو محل القربة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ [الآية 9] وهو حجاب النعمة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن تغير ما صفا من النعمة حالة معهودة فلا أحد إلا وله منه حصة فمن لم يرجع بالتأسف قبله ولم يتضاعف في كل نفس تلهفه وكربه أدرج في ديوان النسيان وأنبت اسمه من جهة أهل الهجران، ومن استمسك بعروة الضراعة واعتكف بعتوة المذلة وتحسى كأس الحسرة عللاً بعد نهل مرة بعد مرة طالعه الحق بنعت الرحمة وجدّد له ما اندرس من أحوال القربة وأطلع عليه شمس الإقبال بعد الأفول والغيبة، كما قيل:

28/ ب / تقشع غيم الهجر عن قمر الحب وأشرق نور الصبح في ظلمة الغيب⁽¹⁾

وليس للأحوال الدنيوية كثير خطر في التحقيق ولا يعد زوالها وتكدرها من جملة المحن عند أرباب التوفيق لكن المحنة الكبرى والرؤية العظمى ذبول غصن الوصال وتكدر مشرب القرب وأفول شوارق الأنس ورمد بصائر أرباب الشهود فعند ذلك تقوم القيامة وهنالك تكسب أنواع العبرة وهي أرواح تذوب عندها فتقطر من العيون بتصاعدها فإذا نعق في ساحة هؤلاء غراب البين ارتفع إلى السماء نواح أسرارهم بالويل.

﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَةً بَعْدَ ضَرْبٍ﴾ [الآية 10] أي نعمة بعد شدة كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ﴿مَسْنَةً لِيَقُولُوا ذَهَبَ اللَّيْلُ نَائِثٌ﴾ [الآية 10] أي المصائب التي هي ساءتني ﴿إِنَّهُمْ لَفُجَرٌ﴾ [الآية 10] بطر وبالنعيم مغتر ﴿فَخُورُ﴾ [الآية 10] مفتخر لا شاكر في السر ولا صابر في الضر. وفي لفظ: الإذاقة والمس إيماء إلى أن ما يجده الإنسان من المنن والمحن في الدنيا أنموذج لما يجده في العقبى وإشارة إلى أن الإنسان يقع في الكفران بأدنى شيء من الإحسان لأن الذوق إدراك طعم

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 297).

المحصول والمس مبدأ الوصول.

وقال القاسم: لو رددنا عليه ما قبضناه عنه ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ [الآية 10] آمناً من مكري مطمئناً بغيري ﴿إِنَّهُ لَفِجْ﴾ [الآية 10] مفروح به ﴿فَخُورُ﴾ [الآية 10] بما لا يفتخر به، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أمنا بفتات مكرنا ولم يخافوا فجأة ما يأخذهم من قهرنا.

﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 11] على الضر استسلاماً بالرضا للقضاء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الآية 11] شكر السابق لإيلاء حق النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ [الآية 11] لما صدر عنهم من المعصية ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 11] أي مثوبة عظيمة لما ظهر منهم من الطاعة والاستثناء منفصل إن أريد بالإنسان الجنس فإنه إذا كان محلّ باللام أفاد استغراق العام ومن حمّله على الكافر وجعل اللام للعهد سبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً.

﴿فَلَمَّا لَكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ [الآية 12] بترك تبليغ بعض ما أنزل عليك وهو ما يخالف دين المشركين وقرنائهم مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه بجواز أن يكون ما يصرف/ عنه وهو 1/29 عصمة صاحب النبوة عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ.

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا عليه من ضلالتهم بأن يأتي بكتاب ليس فيه سب آلهتهم فيبين الله سبحانه أنه ﷺ لا يترك تبليغ ما أنزل إليه لأجل كراحتهم ولا يبدل ما يوحى إليه لأجل رعايتهم ﴿وَضَاقُوا بِهِ صَدْرُكَ﴾ [الآية 12] أي وعارض لك أحياناً ضيق صدر لأجلهم بأن تتلوه عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ﴾ [الآية 12] ينفعه في الاتباع كما للملك ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [الآية 12] يصدق في القليل والكثير ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ [الآية 12] ليس عليك إلا إنذارك بما أوحى إليك ولا عليك غير ذلك، ردوا أو اقترحوا أو قبلوا واعتقدوا فما بالك يضيق صدرك ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية 12] فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه عالم بحالهم وحالك وفاعل بهم وبك ما يناسبهم ويناسبك، ولعله كان يحصل له ضيق الصدر قبل تيسير الأمر وتكميل القدر فلما ترقى من مقام

التفرقة إلى مقام الجمع ثم إلى جميع الجمع وهو الحالة التي لا تمنع الوحدة عن الكثرة ولا تدفع الكثرة عن الوحدة استراح في أجر الشهود واستغرق عن الشهود بغير وجود المعبود.

وأفاد الأستاذ: أن هذا وجه الاستبعاد أي لا يكون منك ترك ما أوحى إليك ولا يضيق صدرك بما يبدو من الغيب ومن شرح للتوحيد صدره ونور بشهود التقدير سرّه متى يلحقه ضيق صدرك أو استكراه أمرك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الآية 13] بل أنقولون اختلق القرآن الدال عليه ما يوحى إليه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ [الآية 13] في لطافة المباني وظرافة المعاني وتوحيد المثل باعتبار كل واحد، ولذا لم يقل أمثاله فخزاهم بعشر سور أولاً ثم خزاهم بسورة ثانياً ثم قال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الآية 13] أي بكلام منتظم عند أهله إظهاراً للمعجزة ودفعاً للشبهة ﴿مُفْتَرَيْنِ﴾ [الآية 13] أي مختلقات من عند أنفسكم إن اختلقته من عند نفسي فإنكم فصحاء وبلغاء مثلي بل أنتم بحسب الظاهر أقدر مني لتعلمكم القصص والأشعار دوني ﴿وَادْعُوا﴾ [الآية 13] ب/ أي للمعاونة وعلى/ المعارضة ﴿مَنْ أَسْتَظْفِقُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [يونس: الآية 38] أي ما سواه من الجن والإنس أجمعين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 13] أي من المفترين.

﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا﴾ [الآية 14] بإتيان ما دعوتهم إليه، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ﷺ ويؤيده آية: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القصص: الآية 50] أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا من المتحدّين لقوة يقينهم في الدين ولذا رتب عليه قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [الآية 14] ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الآية 14] أي منقادون، حتّى على ثبات الإسلام ويعث على الرسوخ في متابعة الأحكام.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 15] بعمله وبره بها ﴿نُوفٍ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية 15] نوصل إليهم وافياً جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ودفع المكاره ونحوها ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ﴾

[الآية 15] لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم. والآية نزلت في أهل الرياء كما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم من الكبراء⁽¹⁾. وقال أنس والحسن في اليهود والنصارى⁽²⁾، وقيل: في المنافقين، وقيل في المشركين وبرهم إلى المساكين.

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [الآية 16] في مقابلة ما عملوا من الأوزار لأنهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أثقال العزائم السببية ﴿وَحَكِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ [الآية 16] أي في الدنيا لأنه لم يبق لهم ثواب في العقبى أو لم يكن أجر في الأخرى لأنهم لا يريدوا به وجه الله تعالى فإن العمدية في اقتضاء الثواب هو الإخلاص في الاحتساب ﴿وَيَطَّلُ﴾ [الآية 16] أي في نفس الأمر ﴿مَا كَانُوا يَمَلُّونَ﴾ [الآية 16] لعدم وجود صحة العمل حيث ما كانوا يعملون.

وقال الأستاذ: أولئك الذين خابت آمالهم وظهرت لهم بخلاف ما احتسبوه مآلهم حبطت أعمالهم وحق بهم محالهم انتهى. وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه»⁽³⁾.

﴿أَفَنَنْكَانَ عَلَىٰ يَمِينَةٍ مِّن رَّيْبٍ﴾ [الآية 17] أي حجة وبرهان من عنده يدل على الحق فيما يأتيه ويذرعه والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه في العقبى هؤلاء المقصورين هم وأفكارهم على/ الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة العليا وهو الذي أغنى عن ذكر الخير هنا وتقديره: أفمن كان على بينة ودلالة على الهدى وترك الهوى كمن كان يريد الحياة الدنيا واتباع الردى وهو حكم يعم كل مؤمن. وقيل: المراد به النبي ﷺ لقوله ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ [الآية 17] أي ويتبع تلك البينة التي هي حجة العقل ﴿شَاهِدٌ﴾ [الآية 17] دليل يسمعه بصحته من النقل وهو العثرات والنعوت بالفرقان ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 17] أي من قبل الرحمن وفضله ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 17] قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق والتحقيق أو التنبيه هو القرآن ويتلوه بمعنى يغزوه والشاهد جبريل

(1) تفسير ابن كثير (4/ 311).

(2) تفسير ابن كثير (4/ 311).

(3) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 427) رقم (3483).

والضمير في يتلوه لمن آمن قبله ﴿كَتَبَ مُوسَى﴾ [الآية 17] جملة مبتدأة ﴿إِمَامًا﴾ [الآية 17] كتاباً مؤتماً به في الدين ﴿وَرَحْمَةً﴾ [الآية 17] نازلة على المؤمنين.

وقال الأستاذ: في الكلام إضمار ومعناه أفمن كان على بينة كمن ليس على بينة أي لا يستويان، والبينة لأقوام برهان العلم ولآخرين بيان الأمر بالقطع والعزم يشهدهم الحق ما لا يطلع عليه غيرهم⁽¹⁾ والشاهد الذي يتلوه هو مشاهد به، وفي الخبر: أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ فَشَأْ لَأَرَيْنَهُمْ فَلَعَرَفَهُمْ بِسْمَتِهِمْ﴾ [محمد: الآية 30]، ﴿أُولَئِكَ﴾ [الآية 17] إشارة إلى من كان على بينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الآية 17] أي بالله أو بكلامه أو برسوله والإيمان بواحد منهما إيمان بغيره، أو المعنى يؤمنون بكل واحد ممن سبق ذكره أو بجميع ما يجب الإيمان به ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 17] أي أنواع الكفار الذين تحزبوا على النبي المختار ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [الآية 17] مثوبة ومنزلة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ [الآية 17] أي في شك من الموعد أو القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 17] لقلة نظرهم واختلال فكرهم ولأنهم لا يوقفون.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ اتَّخَذَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 18] فإن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ [الآية 18] في موقف حسابهم بأن يحاسبوا على مراتب أحوالهم ويعرض عليهم سبحانه جميع أعمالهم ﴿وَيَقُولُ 30/ ب/ الْأَشْهَدُ﴾ [الآية 18] من الملائكة والنبيين/ أو من جوارحهم الناطقين ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 18] قال بعضهم: المفترى من اتخذ حال الفساد يدعيه لنفسه حالاً وأظهر من نفسه مشاهدة ما لا يشهده، ذكره السلمي.

وزاد الأستاذ: فيما أفاد أن من عقوبته أن لا ترزق تلك الحالة أبداً في الاستقبال ثم إنه يكشف للشهداء عيوبه فيفتضح بين الخلق والشهداء قلوب

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (10/320) رقم (9707)، وانظر كنز العمال (1/418) رقم (1783).

الأولياء ومن شهد قلوبهم عليه بالرد فغير مقبول عند الحق.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية 19] يعرضون بأنفسهم أو يصدون غيرهم عن دين ربهم ﴿وَيَتَوَنَّبَهَا غَوْجًا﴾ [الأعراف: الآية 45] ويطلبون سبيله أن يكون معوجاً أو يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب والإنصاف أو ينفون أهلها أو يعرجوا بالردة والخلاف ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفَرُونَ﴾ [الآية 19] أي والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم وتحقيق اختصاصهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية من جملة صفات المفترين ومن صدّ عن السبيل أن يظهروا من أنفسهم أحوالاً سنية ثم يخلون بأحكام الشريعة العلية ولا يرون ذلك كبيرة في الطريقة الرضية فيوهمون المستضعفين من أهل الاغترار بهم أن لهم في ذلك رخصة فيضلون ويضلون ويقتلون. ومن جملة صدهم الناس عن السبيل تغريهم الناس وإيقاعهم في الغلط كي يرتفقوا للشيء مما في أيديهم من حطام الدنيا ويمدحون غير أهله ويسمحون من لا يستوجهه لأخذ شيء منهم من غير وجهه ويداهنون في دين الله من أمره وغيبه.

﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 20] الله أن يعاقبهم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 20] أي يدفعون عنهم العقاب أو يرفعون عنهم الحجاب ولكنه آخر العذاب إلى يوم الحساب ليكون أشد وأبقى ﴿يُضَاعَفْ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [الآية 20] أي يزداد لهم عذاب فوق العذاب ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [الآية 20] لتصاممهم عن سماع الصدق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 20] لتعاميهم عن رؤية الحق. وقال بعضهم: كيف يستطيع السمع من لم يفتح مسامعه بسماع الحق/ وكيف يبصر من لم يكتحل بنور التوفيق إذ لا 1/31 سمع إلا عن إسماع ولا بصر إلا عن إِبصار، ذكره السلمي.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 21] باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَأْ كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 21] من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدّلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم يوم القيامة سوى الحسرة والندامة.

﴿لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسِرُونَ﴾ [الآية 22] وقال الأستاذ: أولئك الذين

هذه صفاتهم لم يربحوا في تجارتهم ولا لحقوا غاية ما طلبوا في غيهم وضلالتهم فنفوا عن الحق ولم يبارك لهم فيما اعتاضوا به من صحبة الخلق أولئك الذين خسرت صفقتهم وبارت بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا اليأس والحرمان فلا محالة أنهم في النشأة الآخرة لأشد الناس خسراناً وأوفرهم من الخيرات نقصاناً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 23] اطمأنوا إليه وخشعوا لديه ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 23] دائمون في النعمة.

قال شاه الكرمانى: علامة الإخبات ثلاثة: غم الإياس مع التوبة لكثرة العودة إلى المعصية وخوف الاستدراج في استتابة السر والمهلة وتوقع العقوبة في كل وقت وساعة حذراً وشقاقاً من العدالة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الإخبات هو التسبيح للرب بالقلب بدوام الانكسار ومن علامة المخبتين الأبرار والقبول تحت جريان الأقدار والحموم بدوام الاستقامة في الأسرار.

﴿شُلُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ [الآية 24] من المؤمنين والكافرين ﴿كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ﴾ [الآية 24] شبه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله المنصوبة وبالأصم لتصامه عن آياته المتلوة والمؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بضد مخالفه فكل منهما مشبه باثنين باعتبار وصفين متغايرين وهذا من باب اللف وصفة الطباق ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ [الآية 24] أي الفريقان مثلاً تمثيلاً أو صفة أو حالاً ﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] بضرب الأمثال والتأمل في الأحوال فتعملون بما يستوجب لكم حسن المآل 31/ ب وحصول الآمال في / الاستقبال.

وأفاد الأستاذ: أن مثل الكافر في كفره كالأعمى والأصم ومثل المؤمن في إيمانه كمثل السميع والبصير هذا بيان التفسير. وفي الإشارة الأعمى من عمي عن إِبصار رَشده والأصم الذي طرش بسمع قلبه فلا باستدلّاله شهد سر تقديره في أفعاله، ولا بنور فراسته توسم ما وقف عليه من مكاشفات الغيب بقلبه ولا بسمع القبول استجاب لدواعي الشريعة ولا بحكم الإنصاف انقاد

لما توجب عليه من مطالبات الوقت بما يلوح بسره من تلويحات الحقيقة. وأما البصير فهو الذي يشهد أفعاله سبحانه بعلم اليقين ويشهد صفاته بعين اليقين ويشهد ذاته بحق اليقين والغائبات له حضور والمستورات له كشف، والذي يسمع فصفته أن لا يسمع هواجس النفس ولا وساوس الشيطان فيسمع من دواعي العلم شرعاً ثم من خواطر التعريف قدراً ثم يخاطب بكاشف الخطاب من الحق سراً فهو لا يستويان ولا في الطريق يلتقيان، وأنشدوا:

راحت مشرقة ورحت مغرباً فمتى التقاء مشرق ومغرب (1)

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الآية 25] قال الأستاذ: كان نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمراً وأشدّهم بلاءً ولكثرته نياحه على نفسه سمي نوحاً وسبب ذلك أنه مرّ بكلب فقال: ما أقبحه، فأوحى الله إليه أن اخلق أنت أحسن من هذا، فأخذ يبكي وينوح على نفسه حتى أوحى الله إليه: يا نوح كم تنوح، فإذا كان في طول عمره فعل مرة ما لم يكن مرضياً فاحتاج أن ينوح على نفسه كل تلك النياحة فكيف حال من لم يذكر يوماً مضي من عمره في مدة تكليفاته ولم يحصل منه فيه إلا كثيراً من زلاته (2) ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ [الآية 25] أي باقي. قال الزمخشري: صلة حال يعني متلبساً بالإنذار. وقال مكّي: ثاني مفعول أرسلنا وعدل عن أنه التفاتاً. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالكسر أي قائلاً وقال: إني لكم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 25] ناصح أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص من الحجاب.

﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 26] بدل / من إني أو مفعول مبين أو إن 32/أ مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أي لا تعبدوا إلا إياه ولا تعتمدوا على ما سواه ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 26] أي مؤلم مديم.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [الآية 27] لا

(1) نسب هذا البيت إلى امرئ القيس. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 215)، وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 311)، وذكر في لفظ مختلف في عجز البيت، فستان بين مشرق ومغرب في مصادر عدة.

(2) أورده القرطبي في تفسيره (13/ 334).

مزية لك علينا في أصلنا نخصك بوجود الرسالة ووجوب الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أنكروا له صحة النبوة لمشاكلته إياهم في الصورة ولم يعلموا أن المباينة بالسريرة ﴿وَمَا زَلَّكَ أَتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِي هُمْ أَرَادُوا لَنَا﴾ [الآية 27] أخسائنا وأسافلنا ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [الآية 27] أي ظاهره من غير تعمق ومتبادرة من غير تحقق من البدو وأول الرأي من البدأة والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها في هذه الحالة، ويؤيده أنه قرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك، وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظ منها عندهم أشرف وأفضل والمحروم منها أخس وأرذل وجعلوا أن الامتياز يحصل بالمعاني لا بالمباني من استصغر أحداً ونظر بعين الحقارة إليه سلطه الله عليه وأهلكه لديه أو على يديه ﴿وَمَا زَرَى لَكُمْ﴾ [الآية 27] أي لك ولا لأتباعك ﴿عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ [الآية 27] أي مزية وخصوصية توجب أهليتك للنبوة وتقتضي لأصحابك استحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَقُذِّرْكُمْ كَذِيبِكُمْ﴾ [الآية 27] أي في دعوى النبوة وهم في دعوى العلم بصدق الرسالة فقلب المخاطب على الغائبين.

﴿قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ﴾ [الآية 28] أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَتَقُونَ مِنْ رَبِّي﴾ [الآية 28] أي على حجة شاهدة بصحة دعوتي ﴿وَأَنَا لَنْبِي رَحْمَةً﴾ [الآية 28] بإعطاء البينة أو النبوة ﴿مِنْ عِنْدِي﴾ [المائدة: الآية 52] من فضله ﴿فَعُيِّتَ﴾ [الآية 28] أي فخفيت البينة أو النبوة أو كل واحدة أو الرحمة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 28] ولم يهدكم إلى ما نفعه راجع إليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم عين فتشديد ميم أي أخفيت ﴿أَنْزَلْنَاهُمْ هَاهُنَا﴾ [الآية 28] أي ألزمكم على الاهتداء به ﴿وَأَنْتُمْ هَاهُنَا كَرِهُونَ﴾ [الآية 28] لا تختارونها ولا تتأملون فيها.

وأفاد الأستاذ: أن الصبح لا خلل في ضيائه بكون الحاضرين عمياناً
32/ ب والسيف لا خلل في مضائه بكون ضاربيه صبياناً / فكيف للبشر قدرة على هداية من أضله الله وإن كان نبياً، هيهات لا ينفع مع الجاحد نصيح ولا ينجع في المصر وعظ.

﴿وَيَقْوِرَ لَا أَتْلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 29] أي علي إظهار البينة أو على التبليغ بقرينة المقام ولو لم يجر له ذكر في الكلام ﴿مَا لَّا﴾ [الآية 29] جعلاً ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: الآية 29] لا على ما سواه فإنه المأمول منه مطلوب العبد ومتمناه.

وأفاد الأستاذ: أن سنة الأنبياء عليهم السلام أن لا يطلبوا على رسالتهم أجراً ولا أملوا لأنفسهم عند الخلق قدراً بل عملوا لله فلم يطلبوا شيئاً مما سواه فمن سلك من العلماء على طريقتهم حشر في زميرتهم ومن أخذ على صلاحه من أحد عوضاً أو اكتسب بسداده جاهاً لم ير من الله إلا هواناً وبعداً ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 29] جواب لهم حين سألوهم طردهم ﴿إِنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ﴾ [الآية 29] فيخاصمون طاردهم أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿وَلَكِنَّكَ أَرْسَلْتَ قَوْمًا فَجَهِلُوا﴾ [الآية 29] بقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم.

﴿وَيَقْوِرَ مَنْ يَصُرُّنِي مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 30] أي يدفع انتقامه عني ﴿إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ [الآية 30] عن الصحبة والمتابعة وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 30] فتعرفون أن طردهم ليس من الحكمة.

قال أبو عثمان: ما أنا بمعرض عن من أقبل على الله فقد أعرض عن الله، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن مجالسته الفقراء اليوم وهم جلساء الحق غداً أخرى وأجدي من مجالسته قوم من الأغنياء إلا أغنياؤهم من أهل الرد فطرد من قربه الله وأداناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والعقوبة في عقباه.

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ [الآية 31] أي خزائن رزقه حتى جحدتم فضلي وأنكرتم قولي ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الآية 31] عطف على عندي أي إني أعلم الغيب حتى تكذبوني وتجرموني ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ [الآية 31] حتى تقولوا ما أنت إلا بشراً مثلنا.

وقال الأستاذ: أي لا أتعدى ولا أتخطى خطي أبلغكم ما حملت من

رسالتي ولا أنقص ما كلفت ولا أزيد فيما به أمرت ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ﴾ [الآية 31] في شأن من استرذلتهم لفقرهم وعتاكهم ﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ [الآية 31] فَإِنْ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ فِي الْعَقَبَى خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ فِي الدُّنْيَا / وأبقى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 31] من قصد الهدى أو نية الردى ﴿إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 31] الواقعين في ظلمة الهوى إن قلت شيئاً من ذلك سدى، والأزدري افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه وإلا لتجانس الزاي في صفة الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة وللإشارة إلى أنهم عابوهم بادي الرؤية من غير الرؤية لما عاينوا من رثاة حالهم وقلة مالهم دون تأمل في معاني كمالهم، وفيه إيماء إلى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الإلهي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»⁽¹⁾.

﴿قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْتَنَا﴾ [الآية 32] خاصمتنا ﴿فَاكْثَرْتَ جِدْلَنَا﴾ [الآية 32] أي أطلته في نفسه أو أتيت به بأنواعه ﴿فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُّنَا﴾ [الآية 32] من العقوبة ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 32] في دعوى النبوة وإخافة المخالفة فإنه لا يؤثر فينا المناظرة ولو ظهر لك المغالبة.

وقال الأستاذ: أوضح لهم البراهين فيما لو أمعنا النظر فيه أثمر لهم اليقين ولكنهم أصروا على الجحود ولم يقنعوا من الموعود بغير المشهود.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾ [الآية 33] أي بموعوده ﴿اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ [الآية 33] عاجلاً أو آجلاً من غير وجوب عليه إلا أنه بمقتضى حكمه بوقوعه لا خلف لوعده ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 33] لدفع العذاب أو رفع الحجاب أقر بالعبودية وتبرأ من الحول والقوة وأحال الأمر على المشيئة. ولقد أنصف من لو يجاوز حده في الدعوى والأنبياء عليهم السلام وإن كانوا أصحاب التحري للناس بمعجزتهم فهم معترفون بأنهم موقوفون عند حدهم ومرتبهم.

﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ﴾ [الآية 34] شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [الآية 34] وتقديره إن

(1) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (6/455).

كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي إياكم وفيه دلالة على أن إرادة الله يصح تعلقها بالإغواء وإن خلاف مراده من محال الأشياء ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] أي خالقكم ومربيكم والمتصرف فيكم ﴿وَلِلَّهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 34] فيجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يساعده تعريف الحق بحكم العناية لم ينفعه نصح / الخلق في النهاية. ويقال: من لم يؤهله الحق للوصال في آزاله لم ينفعه 33/ ب نصح الخلق في أحواله. ويقال: من سبق الحكم بالضلال أنى ينفعه النصح وبسطه الدلالة. ويقال: ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ [الآية 34] ومن المحال اجتماع الهداية والغواية فإذا أراد بقوم الغواية لم يصح أن يكونوا من أهل الهداية، ثم بيّن المعنى فيه بقوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] ليعلم أن الرب هو من يفعل بعباده ما يشاء بحكم الربوبية أي وليس لهم إلا التسليم في مقام العبودية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ [الآية 35] أي افترى الكذب على الله ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ﴾ [الآية 35] لا يضركم ﴿فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ [الآية 35] أي وباله وقرىء بفتح الهمزة أي أنقل أعمالي ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ﴾ [الآية 35] أي من إجرامكم عليّ، إنما مصدرية أو إجرامكم عليّ إنها موصولة.

﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ﴾ [الآية 36] أي أبداً ﴿مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾ [الآية 36] وهم ثمانون ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [الآية 36] أي لا تحزن عليهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] فإنهم لما ينزل بهم مستحقون.

وقال الأستاذ: عرفه الحق أنه غني عن إيمانهم فكشف لهم أحكام ما لهم وأنهم ممن سبق لهم الحكم بشقائهم فعند ذلك دعاه بإهلاكهم.

﴿وَأَصْنَعَ أَلْفَاكًا بَاعَيْنَاكَ﴾ [الآية 37] بمرئى منا وحال حضورنا لا في غفلة عنا، والتعبير بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويصان من الخلل والنقصان للمبالغة في الحفظ والصيانة على طريقة التمثيل.

وقال الواسطي: أسقط عن نفسك تدبيرك واصنع ما أنت صانع من أفعالك على مشاهدة دون مشاهدة نفسك ومشاهدة أحد من سوانا ﴿وَوَحَيْنَا﴾

[الآية 37] إِلَيْكَ كَيْفَ تَصْنَعُهَا وَمَتَى تَرْكِبُهَا ﴿وَلَا تُخْطِئُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 37]
لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ [الآية 37]
محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه عنهم.

قال ذو النون: إن كنت أيدت بشيء من العناية فقد نجوت من الغواية
وإلا فالدعاء والنداء لا ينقذ الغرقى.

وقال الأستاذ: أي قم بشرط العبودية في صنع السفينة بأمرنا وتحقق
أ/34 بشهودنا وإن بمرأى منا ومن علم اطلاع الحق عليه / يلاحظ نظر نفسه ولا
غيره إليه لا سيما وقد تحقق بأن المجري هو سبحانه. ثم قال له: راع حد
الأدب فما لم يكن لك إذن منا بالشفاعة لأحد فلا تخاطبنا فيه، ويقال: سبق
لهم الحكم بالغرق وأمواج بحر التقدير تتلاطم وكل بحار القدرة مغرقون إلا
من أهله الحق بحكمه فحملة في سفينة العناية. ويقال: كان قوم نوح عليه
السلام من الغرقى في بحر القدرة قبل كونهم غرقى في بحر القطرة.

﴿وَصَنَعَ الْفُلَّكَ﴾ [الآية 38] حكاية حال ماضية بالنسبة إلى الأمم الآتية وإلا
فلا صباح ضده سبحانه ولا رواح ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قُوَّهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾
[الآية 38] استهزؤوا به في عمله فإنه كان يعمل السفينة في بريته التي هي بعيدة
عن الماء أوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له: صرت بحاراً بعدما كنت
نبياً.

وأفاد الأستاذ: أنه لما تحقق بما أمر الله به لم يبال في إمضاء ما كلف
بما سمع من الغير ونظر إلى الموعد بطرف التصديق وكان كالمشاهد له قبل
الوجود ﴿قَالَ إِنْ سَخِرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا سَخِرْتُمْ﴾ [الآية 38] إذا أخذكم
الغرق في الدنيا والخوف في العقبى.

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 39] في دنياهم ويعني
بالموصول إياهم ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية 39] دائم في احترامهم.

قال الأستاذ: فلا طاقة لمخلوق بمقاساة تقديره إلا من يحمل عنه بفضله
ما يحمله بحكمه.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 40] حتى هي التي يبتدئ بعدها الكلام فلا يحتاج إلى معنى لنظام المرام ﴿وَفَارَ التُّوَرُ﴾ [الآية 40] أي نبع الماء فيه كالقدر يفور، والمراد بالتنور تنور الخبز وابتداء النبع منه على خرق العادة ولأن في الكوفة في موضع مسجد وقيل غير ذلك ﴿قُلْنَا أَحْمِلْ فِيهَا﴾ [الآية 40] في السفينة من كل أي ﴿مِنْ كُلِّ﴾ [الآية 40] نوع من الحيوانات ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 40] ذكر وأنثى وهذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكراً وصنف أنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ [الآية 40] عطف على زوجين عند حفص وعلى اثنين عند الباقين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [الآية 40] بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان أو يام على خلاف في اسمه وامرأته واعلة بالعين / المهملة فإنهما كانا من الكافرين ﴿وَمَنْ ءَامَنَ﴾ 34/ب [الآية 40] عطف على أهلك أي وغيرهم من المؤمنين ﴿وَمَّا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 40] من الكثيرين وكانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة، سام أبو العرب، ويافث أبو الترك، وحام أبو السودان، واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم. وقد روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أعلاها الطير وفي أوسطها الإنس. قال بعضهم: السبق قيد العواقب فمن أجرى له في السبق السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن أجرى له في السبق الشقاوة ختم له بالشقاوة، والسنة الأنبياء والأولياء قاصرة على السؤال لمخالفة ما جرى في الأزل لأنه حكم القاهرة وسلطان الجبارية، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن إبليس جاء إلى نوح عليه السلام وقال: احملني في السفينة، فأبى نوح عليه السلام، فقال إبليس: أما علمت أنني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ولا مكان اليوم إلا في سفينتك، فأوحى الله إليه احمله يا نوح معك، ويقال: لم يكن لابن نوح معه مكان وهو أقرب الأحياء وأمر بحمل إبليس وهو أضعف الأعداء لأن أسرار تقدير الحق لا تجري على قياس الخلق كافة، قيل له: يا نوح إن ابنك لا تحمله والعدو فأدخله فإنه

سبحانه ﴿فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] من محاه وجده لم يشنه كده ومن أقصاه ربه لم يدنه نسبه ولا حسبه ولا أبوه ولا جده ﴿وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 40] بورك فيهم فلم يدخل خلل في الكون فهلك من أهلكه منهم.

﴿وَقَالَ أَزْكَبُوا فِيهَا﴾ [الآية 41] أي في السفينة ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ [الآية 41] أي ملازمين للتسمية ومستعينين بالبسملة ﴿تَجْرِئُهَا وَتُرْسِنُهَا﴾ [الآية 41] أي إجرائها وإرسائها أو مكانها على المجرى والمرسى اسما الزمان أو المكان. روي أنه عليه السلام كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسوا قال: بسم الله فرست. وقرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بالفتح من جرى وقرأ مرسيها أيضاً من رسي وكلاهما يحتمل الوجهين ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الآية 41] 35 أ بالمؤمنين من المذنبين والمطيعين.

قال الأستاذ: عرّفه أن نجاته من القطرة لما تقاطرت ليست ما يحيل وإن تنوعت وتكاثرت فبسم الله سلامته وبتوكله على الله نجاته وراحته لا بل بتفضله سبحانه خلاصه وعافيته.

﴿وَهُي تَجْرِي بِهِمْ﴾ [الآية 42] أي فركبوا فيها وهي تسري بهم ﴿فِي مَوْجٍ﴾ [الآية 42] من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطراب البحر ﴿كَالْجِبَالِ﴾ [الآية 42] أي كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها والمشهور أن الماء على شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ﴾ [الآية 42] كنعان ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ [الآية 42] عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعّل للمكان من عزله عنه أبعد منه.

وأفاد الأستاذ: أنه كان في معزل عن أبيه بظاهره وكان في سر تقديره أيضاً بمعزل مما سبق لنوح وقومه من فضله ثم إنه نطق بلسان الشفقة وقال ببيان النصيحة: ﴿يَبْنُؤْ أَزْكَبَ مَعَنَا﴾ [الآية 42] في السفينة مصاحباً لنا بالدخول في ديننا كما يدل عليه قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ [الآية 42] في الدين أو في الانعزال فإنهم من المغرقين.....

وقال الأستاذ: لم يقل له لا تكن من الكافرين لأنه كان حاله متلبسة على

نوح عليه السلام وكان ابنه ينافقه ف قيل له: يا نوح إنه مع الكافرين لأنه في سابق حكمنا من الكافرين. هذا والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة وعاصم فتح الياء هنا وحفص حيث جاء اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، وقد أدغم الياء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما.

﴿قَالَ سَآوَيْ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ [الآية 43] يحفظني من أن يغرقني.

قال الأستاذ: أخطأ من وجهين أي الهلاك من الماء وكان من الله ورأى النجاة من الجبل وهو من الله. قلت: وكذا حال من اتكل على جبل الفعل ظناً منه أن يمنعه ويعقله عن الخلل ويأبى عن ركوب سفينة الشريعة الموضوعة على متن الطريقة الجارية بين أمواج بحر الحقيقة ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِن أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ﴾ [الآية 43] أي لكن من رحم الله عصمه أو لا معصوم إلا من رحمه.

قال الأنطاكي: لا اعتصام لأحد من خلق الله إلا بالله، / ذكره السلمي. 35/ ب ﴿وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ [الآية 43] بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل الذي قصده ﴿فَكَانَ﴾ [الآية 43] أي فصار ﴿مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [الآية 43] لكونه كان في علم الله من المهلكين.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَكَسِمَاهُ أَقْلَىٰ وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ [الآية 44] نقص ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [الآية 44] أي وكمل أمر إنجاز ما وعد من إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين.

وقال الأستاذ: لما غرق ابن نوح سكن الموج ونضب الماء وأقلعت السماء فكأنه كان المقصود من الطوفان أن يغرق ابن نوح وهو كنعان كما قيل: عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر⁽¹⁾

(1) هذا البيت منسوب لأبي صخر الهذلي. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 93)، واعتلال القلوب للخراطي (2/ 336)، ونهاية الإرب (2/ 12).

﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ [الآية 44] استقرت السفينة وثبتت ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [الآية 44] جبل بالموصل أو غيره. روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ستة أيام للأنام ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 44] هلاكاً لهم.

﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ [الآية 45] أي أراد يراه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي أَبْتِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [الآية 45] لي ولغيري وقد وعدت أن تنجي بأهلي فما حاله أو فما له ينج، ولعل قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ [الآية 40] كل منهما عنده أو فهم أن المراد به امرأته فقط لا سيما وقد كان ينافقه ولده كما سبق ﴿وَأَنْتَ أَهْكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾ [الآية 45] لأنك أعلمهم وأعدلهم وأكثرهم حكمة.

﴿قَالَ يَنْتُحِ إِنْهُمْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [الآية 46] الذي وعدته فإنه داخل في المستثنى أو ليس من أهل دينك ﴿إِنَّهُمْ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [الآية 46] أي ذو عمل فاسد أو سمي بالمصدر مبالغة كرجل عدل. وقرأ الكسائي عمل بصيغة الماضي ونصب غير أي عمل عملاً غير صالح.

وقال الأستاذ: أي أنه ليس من أهل الوصل قسمة وإن كان من أهلك نسباً ولحمة أو إن خطابك في بابہ عمل غير صالح ﴿فَلَا تَتْلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الآية 46] أصواب هو أو غيره.

وقال الأستاذ: أي سترت عيني في حال أوليائي وأعدائي ولا يعلم غيري سر تقدير هذا. وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر إلا أنهما كسرا النون كغيرهما على أن أصله تسألني فحذف نون الوقاية 1/36 لاجتماع النونان وكسرت التشديد لمحافظة الياء ثم / حذفت بعد كسر ما قبلها للاكتفاء. وأثبت ورش وأبو عمرو في حال الوصل الياء.

﴿إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [الآية 46].

قال الأستاذ: تلتطف له في الجواب بقوله: ﴿إِنِّي أَعْظُكَ﴾ [الآية 46] لأنه لما لم يستجب له في ولده تدارك بحسن الخطاب قلبه. قيل: إن ابن نوح بنى من الزجاج بيتاً وقت اشتغال أبيه بالسفينة فلما ركبها نوح دخل ابنه في البيت الذي

اتخذته من الزجاج فسلط الله عليه سبحانه البول حتى أخذ يبول بما امتلأ ذلك البيت من بوله فغرق كل في ماء البحر وغرق ابن نوح في بوله ليعلم أنه لا مفر من القدر. أقول: وليعلم أن من أراد النجاة بعقله أو بفعله فهو مجنون مشحون ببوله.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْأَلَكَ﴾ [الآية 47] أي من سؤالي عنك ﴿مَا لَيْسَ لِي بِهِ﴾ [الآية 47] بصحته ﴿عَلَّمَ﴾ [الآية 47] من عندك ﴿وَالَا تَفْزِرْ لِي﴾ [الآية 47] ما صدر عني ﴿وَتَرْحَمَنِي﴾ [الآية 47] بتوفيق التوبة وقبولها مني ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الآية 47] أعمالاً والخائنين آمالاً.

قال الأستاذ: ونسي نوح حديث ابنه في حديث نفسه فاستعاذ بفضله أو استجار بلطفه فوجد السلامة من ربه.

﴿قِيلَ يَنْتُحِ أَهْطَ إِسْلَمَ مَتَا﴾ [الآية 48] أي انزل من السفينة مسلماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً عليك من عندنا وفي كلامنا وعلى السنة عبادنا حتى ينقاد الجن المردة والحيوانات المؤذية عند ذكرك المقرون بسلامنا ﴿وَبَرَكَّتْ عَلَيْكَ﴾ [الآية 48] أي أنواع بركات حاصلة لديك وراجعة إليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانياً فيمن بعدك ﴿وَعَلَى أُمِّ مَعْنٍ مَعَكَ﴾ [الآية 48] أي وعلى أمم هم الذين معك، فمن بيانية، سمو أمماً لتحزبهم أو لتشعب الأمم من نسلهم أو على أمم ناشئة ممن معك فمن ابتدائية والمراد بهم المؤمنون لقوله: ﴿وَأُمُّ سَمْتَهُمْ﴾ [الآية 48] أي في الدنيا بأنواع النعيم ﴿ثُمَّ يَسْهُمُ مَنَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 48] في الدنيا والعقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه طهر وجه الأرض من أعدائه وخص نوحاً عليه السلام بالسلامة من بلائه ومن معه من أصدقائه وأقربائه والأمم التي أخبر أنه سيمتعههم ثم يمسه العذاب هم الذين ليسوا من أهل السعادة / بل 36/ ب إنهم من أهل الشقاوة وأصحاب الحجاب.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 49] أي قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ النَّبِيِّ﴾ [الآية 49] بعض الأخبار الغيبية ﴿تُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [الآية 49] الإنباء أو الإيحاء ﴿فَاصْبِرْ﴾ [الآية 49] في السراء والضراء ﴿إِنَّ الْعَاقِبَةَ﴾ [الآية 49]

الحسنى أو الموعودة بالظفر في الدنيا وبالفوز في العقبى ﴿الْمُنْفِكَ﴾ [الآية 49] الشرك والمعصية والغفلة عن ذكر الله بل وعن تصور ما سواه.

وقال الأستاذ: أي أعلمتك بهذه الجملة وأبنائك بهذه القصة المجملة لما خصصناك بتعرفتنا إياك من غير أن نقلته من شخص أو قرأته من كتاب فإن قابلك قومك بالتكذيب فاصبر فإنه تنقلب هذه الأمور عن قريب.

﴿وَلَيْكَ عَادٍ﴾ [الآية 50] أي وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ [الآية 50] أي واحداً منهم ﴿هُودًا﴾ [الآية 50] عطف بيان لما قبله ﴿قَالَ يَنْفَوِرُ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [الآية 50] وحده ﴿مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ [الآية 50] ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [الآية 50] على الله في إشراك عبادة ما سواه.

﴿يَنْفَوِرُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 51] أي جعلاً على تبليغي ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الآية 51] خاطب به كل أمة رسول للأمة إزاحة للتهمة وتمحيصاً للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت منسوبة بالطمع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 51] أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل وخطأكم من صوابكم.

وقال الأستاذ: لم يأت نبي من الأنبياء الكرام عليهم السلام إلا من أخبر أنه ليس لهم في مالهم طمع ولا لهم مطالبة أجر وإن الذي يعمل معه لا يطلب الأجر من غير الله بل من عمل الله وعرف الله لم يطلب في الجملة أجراً لا من غير الله ولا من الله. قلت: لأن الأجر حاصل بفضل الله بل ليس لهم مقصود إلا الله ولا مشهود سواه.

﴿وَيَنْفَوِرُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ﴾ [الآية 52] أي اطلبوا مغفرته بالإيمان ﴿تُؤْتُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ﴾ [الآية 52] أي توسلوا إلى رحمته بالإحسان وترك العصيان أو استغفروا من الأوزار ثم توبوا إليه من الاستغفار كما قالت رابعة: استغفارنا يحتاج إلى كثير من الاستغفار⁽¹⁾. وقيل: لأنه متضمن الوجود والقدرة والفعل لما سوى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ولذا قيل: وجودك ذنب ولا يقاس به ذنب.

(1) إحياء علوم الدين (2/ 111).

وقال الأستاذ: أي استغفروا ربكم ثم توبوا إليه بعد الاستغفار من توهمكم بأن / نجاتكم باستغفاركم بل تحققوا بأنكم لا تجدون نجاتكم إلا^{أ/37} بفضل ربكم ففضله وتوفيقه توصلتم إلى استغفاركم لا باستغفاركم وصلتم إلى نجاتكم ولو أنه برحمته أهلككم للاستغفار وإلا لما وصلتم إلى توبتكم واستغفاركم وتنصلكم واعتذاركم.

﴿يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ [الآية 52] أي ينزل منها المطر كثير الدر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [الآية 52] أي ويضاعف قوتكم بزيادة قوتكم أو يمددكم بأموال وبنين كما في آية أخرى.

ومنه قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: مَنْ كَثُرَ اسْتَغْفَارُهُ كَثُرَ نَسْلُهُ أَي فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ. قيل: وإنما رَغِبَهُمْ بِكَثْرَةِ الْمَطَرِ وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَصْحَابَ الزَّرَاعَةِ وَالْعِمَارَةِ.

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار قرع باب الرزق والإكثار للأمطار وإذا رجع العبد إلى الله بحسن ضراسته فتح عليه أبواب رحمته ووفر عليه أسباب نعمته. وقيل: ينزل على ظواهركم أمطار النعمة وعلى ضمائركم أسرار المنّة ويزدكم قوة تحصلون بها توسعة أنواع الرزق وقوة تحصلون بها تحسين أصناف الخلق ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ [الآية 52] لا تعرضوا عما أدعوكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 52] مصرّين على إجرامكم.

﴿قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [الآية 53] بحجة تدل على صحة دعواك النبوة وذلك لفرط عنادهم وعدم اعتذارهم بما جاءهم من المعجزة.

قال الأستاذ: ما زادهم هود بسطاً لآياته وإيضاحاً لمعجزاته إلا زادهم الله عمى على عمى ولم يرزقهم بصيرة ولا هدى ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهِنَا﴾ [الآية 53] من جهة العبادة ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ [الآية 53] أي لأجل قولك في دعوى الرسالة ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 53] إقناطاً له من التصديق والإجابة.

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ [الآية 54] ما نقول إلا قولاً أصابك ﴿بِقَضِ إِلَهِنَا يَسُوءُ﴾ [الآية 54] أي جنون سبك إياها وصدك عنها.

قال الأستاذ: كيف يظنون أن آلهتهم مست أعداءهم بضر وهي لم تمسهم بخير فالأصنام لا تضر أعداءها ولا تنفع أولياءها ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ﴾ [الآية 54] أي الذي لا أشاهد سواه ﴿وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية 54].

﴿مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ﴾ [الآية 55] أي لا تهملون ولا 37/ ب تؤخروا أمري وهذا كمال نعمة الله وامتناعهم عن أضراؤه ليس إلا بعصمته إياه / ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [الآية 56] أي لا أعتد على من سواه.

قال الأستاذ: أخبر أنه بموعد الله له من نصرته واثق وأنه في خلوص طاعته وصفاء معرفته صادق ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [الآية 56] أي مالك لها وقادر عليها ومتصرفاً على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك. قال بعضهم: كيف يكون لك محل وأنت لغيرك قيامك ولذلك قيل: من قال فقد نازع القبضه، ذكره السلمي. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 56] أي إنه على العدل القويم لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم.

ومن تفسير «بحر الحقائق» في قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ [الآية 56] أي هو الذي يريني على طلب الحق ويربيكم على طلب الباطل ما من دابة تدب في طلب الخير والشر إلا هو آخذ بناصيتها يجريها إلى النفع والضرر وهي من قبضة قدرته مذللة له إن ربي على صراط مستقيم في إصلاح أهل الخير وإفساد حال أهل الشر. ومعناه من يطلبه فليطلبه على صراط مستقيم والشرعية على قدم الطريقة فإنه يصل إليه بالحقيقة وأيضاً يعني الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إليه لا إلى غيره بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمَنُومُونَ﴾ [النجم: الآية 42].

﴿إِنْ تَوَلَّوْا﴾ [الآية 57] أصله تولوا ولذا قرأ البزي بتشديد التاء وصلاً فإن تعرضوا عما نفعه عائد إليكم ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ [الآية 57] فلا تقصير مني ولا عذر لكم عني ﴿وَيَسْخَلِفُ رَبِّي﴾ [الآية 57] في دياركم وأمواكم ﴿قَوْماً غَيْرَكُمْ﴾ [الآية 57] ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونون أطوع منكم مع أن فناءكم وبقاءكم مستويان عند ربكم إذ الحق سبحانه بوجود الأعيان لا يلحقه زين

وبفقدهم لا يمسهم شين فلا فرق إن وحدوا وعبدوا أو جحدوا وألحدوا ﴿وَسَنَخْلُفُ﴾ [الآية 57] مستأنف عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة الشاذة بالجزم على المحل ولا تقرونه شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ﴾ [الآية 57] رقيب ومطلع فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم وفق أحوالكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 58] بالعذاب أو عذابنا المأمور من عندنا ﴿فَنَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية 58] وكانوا أربعة آلاف/ .

أ/38

قال الأستاذ: لم يقل باستحقاقه النجاة بوسيلة نبوته أو لحشمة طاعته ورسالته بل قال ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الآية 58] ليعلم الكل أن الأنبياء عليهم السلام ومن دونهم عتيق برحمته وغريق منته لا استحقاق لأحد ولا واجب على الله لبشر. قلت: ويدل عليه حديث البخاري وغيره: لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته⁽¹⁾ ﴿وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 58] تذكير لبيان ما نجي منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة فتقطع أمعاءهم وتخرج من أديبارهم. أو المراد به نجيهم أيضاً من عذاب الأخرى والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا فهم معذبون بالعقبى.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ [الآية 59] أي تلك القبيلة ﴿جَعَدُوا بِكَائِبَتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 59] كفروا بها وأعرضوا عنها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [الآية 59] الذين أظهروها ومن عصى رسولاً فقد عصى الرسل لأنهم أمروا بطاعة الكل ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [الآية 59] أي متكبر معاند، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دلهم على الكفران وما يرديهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال قصتهم تسلية للرسول ﷺ فيما كان يقاسيه من البلاء وتقوية للمؤمنين فيما ندبوا إليه من حسن الرجاء فالعدة في تبديل ما كانوا يلقونه من الشدة بالرخاء.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (71/2816).

﴿وَأَنْبِئُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 60] أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدنيا والآخرة فهم في محنة الفرقة وعقوبة الحرق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم خسروا في الدنيا والعقبى أما هذه الدنيا فالاستئصال بألم الشدة ثم ما أتبعوا به من اللعنة، ثم ما يلقونه في الآخرة من تأبيد الشقوة وبقاؤهم عن الرحمة أصعب من صنوف كل تلك المحنة، كما قيل:

تبدلت وتبدلنا واحسرتنا من ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد⁽¹⁾

﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [الآية 60] أي جحدوا ربوبيته أو كفروا نعمته ﴿أَلَا بُدًّا لِعَادٍ﴾ [الآية 60] دعاء عليهم بالإبعاد، وكرر ألا، وذكر أرباب البلاء تعظيماً لأمر مآلهم وتخيباً على الاعتبار بحالهم ﴿قَوْمِ هُوَ﴾ [الآية 60] عطف 38/ ب بيان لتبيين أنهم عاد/ الأولى دون عاد الثانية وهي عاد إرم والله أعلم. وقيل: ينادى يوم القيامة بقوله: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا﴾ [الآية 60]... إلى آخر الآية.

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 61] هو كونكم منها وكفكم فيها لا غيره فإنه خلقهم من آدم وآدم خلق منها. ومراد الفطن الذي خلق نسله أيضاً منها والمراد منها التراب هنا أو التقدير من ترابها ﴿وَأَسْتَفَرَّكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 61] أعمركم فيها، فاستعمر بمعنى أعر كاستهلك بمعنى أهلك أو أقدركم على عمارتها.

وعن الضحاك أطل عمركم فيها فإن الواحد كان يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة ﴿فَأَسْتَفَرَّهُ﴾ [الآية 61] لما مضى ﴿ثُمَّ تَوَبَّوْا إِلَيْهِ﴾ [الآية 61] فيما بقي يسمع كلام مناجيه ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [الآية 61] من مرام راجيه.

﴿قَالُوا بِصَلِحٍ قَدْ كُنْتَ فِينَا﴾ [الآية 62] أي بيننا ﴿مَرْجُوءًا﴾ [الآية 62] فيك الخير لنا والرشاد والصلاح فيما بين العناء من ﴿قَبْلُ﴾ [الآية 62] فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿أَلَنْهَنَّا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّ لَنَا لَكُمْ شَكَّ مِمَّا

(1) هذا البيت منسوب لأبي محمد الجوهري. انظر تاريخ دمشق (37/288)، وتفسير القشيري (3/63).

تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴿[الآية 62] من توحيد الله والتبريء عن ما سواه ﴿مُرِيبٌ﴾ [الآية 62] موقع في الريبة وموجب للشبهة.

﴿قَالَ يَنْفَقِرُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾ [الآية 63] أي فرضاً وتقديراً ﴿عَلَى يَنْفَقِرُ﴾ [الآية 63] بيان وبصيرة أو حجة ومعجزة ﴿مِنْ رَبِّي﴾ [الآية 63] من عنده ولطفه ﴿وَأَتَانِي مِنْهُ رَحْمَةٌ﴾ [الآية 63] أي نبوة من فضله ﴿فَمَنْ يَصْرِفُنِي مِنْ أَلَلِهِ﴾ [الآية 63] من يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُمْ﴾ [الآية 63] في تبليغ المنع عن إشراكه ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ [الآية 63] حينئذ باستتباعكم ﴿غَيْرَ تَحْسِيرٍ﴾ [الآية 63] غير أن تخسرون بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَنْفَقِرُ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ آيَةٌ﴾ [الآية 64] نصبها على الحالية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتكثيرها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ [الآية 64] فاتركوها ترعى نباتها وتشرب ماؤها ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ [الآية 64] بما يسوؤها ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 64] عاجل لا يتراخى عن مسكم بالسوء لها إلا سيراً وهو ثلاثة أيام ولياليها.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ [الآية 65] عيشوا في منازلكم السفلى أو في داركم الدنيا ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية 65] الأربعاء والخميس والجمعة ثم العقوبة ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ وَعْدٌ مَكْذُوبٌ﴾ [الآية 65] أي غير كذاب أو غير مكذوب فيه لأن وقوعه بالنقد في الحال لا بالوعد في المال.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أُنْمُرًا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ يَرْحَمُهُ مِنْكَ﴾ [الآية 66] كما قدمناه ﴿وَمِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ [الآية 66] أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة. وقرأ نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف إلينا من المضاف إليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ﴾ [الآية 66] القادر على إمضاء حكمه ﴿الْقَزِيرُ﴾ [الآية 66] الغالب على أمره.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْئَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثِيمِينَ﴾ [الآية 67] أي هالكين.

﴿كَانَ لَمْ يَنْفَقُوا فِيهَا﴾ [الآية 68] لم يقيموا فيها سالمين ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودًا

كَفَرُوا رَبَّهُمْ ﴿[الآية 68] قرأ حفص وحمزة بمنع صرفه للعلمية وتأنيت القبلية والباقون بالتنوين باعتبار الحي ﴿أَلَا بُدًّا لِّشُمُودٍ﴾ [الآية 68] نونه الكسائي وحده.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا﴾ [الآية 69] أي الملائكة وكانوا تسعة أو ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿إِزْهَيْمَ بِالنَّشْرِ﴾ [الآية 69] ببشارة الولد، وقيل: بهلاك قوم لوط أو بأن نسبة الخلقة ثابتة وأنها لا تنقطع. وقيل بخروج محمد ﷺ من نسله، ذكره السلمي. وقيل: كانت البشارة بإسحاق وبقائه حتى يولد له ولد لقوله: ﴿وَمِنْ وَرَثَةِ إِسْحَاقَ يُعْقُوبَ﴾ [الآية 71] يعني من نسله ذكره الأستاذ، ولا منع مع الجمع في مقام المراد. ﴿قَالُوا سَلَمًا﴾ [الآية 69] سلمنا عليك سلاماً أو اذكروا ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ [الآية 69] أمركم سلام وجوابي سلام أو عليكم سلام رفعه في إجابتهم ليكون أحسن من تحيتهم. وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بالكسر والسكون وهما لغتان.

قال ابن عطاء: قالوا لك رتبة الخلقة السالمة من الذلة قال سلام أي هذا السلام الذي يوجب السلامة من السلام.

وقال الترمذي: كان الملائكة قصدوا إهلاك قوم لوط فلما رآهم الخليل عليه السلام فزع منهم فقالوا سلاماً أي قد سلمت أنت وأهلك من قصدنا بالإهلاك فقال: سلام، أي الحمد لله الذي أمني وأهلي من الهلاك.

وأفاد الأستاذ: أن تلك البشارة هو قولهم سلاماً وإن ذلك كان من الله 39/ب وأي بشارة أتم من سلام الخليل/ على الخليل، وأن صباحاً يكون مفتتحاً بسلام الحبيب فصباح مبارك وهذا إذا كان مساء.

﴿فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [الآية 69] أي مشوي وسمين لآية أخرى، والمعنى فما أبطأ بجيبه، وفيه إشارة إلى أنه إذا أنزل الضيف يحجب المبادرة إلى تقديم السفارة.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [الآية 70] لأن الامتناع من أكل ما تقدم إلى الضيف معدود من الجفاء في مذهب أرباب الوفاء.

قال جعفر الصادق: مَنْ لَمْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْفُقَرَاءِ فَقَدْ أَظْهَرَ الْكِبْرِيَاءَ، ذَكَرَهُ السَّلْمِيُّ. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الآية 70] أي أدرك من جهتهم مخافة أو أضر من أجلهم خشية كما هو من لوازم البشرية أو خاف خوف الرحمة والخشية على الأمة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزِيلَنَّا إِلَى قَوْمٍ لُوطٍ﴾ [الآية 70].

﴿وَأَمْرَانِمْ قَائِمَةٌ﴾ [الآية 71] على رؤوسهم للخدمة أو وراء الستارة تسمع المحاورة ﴿فَضَحَكَتْ﴾ [الآية 71] سروراً بزوال الخيفة ﴿فَنَسَرْنَهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 71] نصبه ابن عامر وحزمة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام، وتقديره ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب ورفع الباقون على أنه مبتدأ خبره الظرف أي ويعقوب مولود من هذه يعقبه من صلبه.

﴿قَالَتْ يَوْنُلَيْتُ﴾ [الآية 72] أصل من التشرف أطلق في كل أمر فظيع أي يا عجباً ﴿ءَالِدٌ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [الآية 72] ابنة تسع وتسعين ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [الآية 72] ابن مائة وعشرين، ونصبه على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ﴿إِنِّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [الآية 72] وأمر غريب وهو استعجاب من حيث العادة لأنه من جهة القدرة.

والإشارة بقوله: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الآية 73] بالهمزة الإنكارية فإن خوارق العادة باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس مما يستغربه عاقلاً فضلاً عما نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، ونصب أهل البيت على المدح أو النداء ﴿إِنَّهُمْ حَمِيدٌ﴾ [الآية 73] محمود بذاته وحامد لصفاته ﴿مَجِيدٌ﴾ [الآية 73] كريم بإظهار مصنوعاته.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [الآية 74] أي ما/ أوجس من الخيفة واطمأن 40/أ قلبه بالمعرفة ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَى﴾ [الآية 74] أي بعد المخافة ﴿يَجِدُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ﴾ [الآية 74] أي يجادل رسلنا في شأنهم ويجادلنه أيام قوله إن فيها لوطاً، وهو جواب لما جيء بالصيغة المضارعة على حكاية الحال الماضية. وقال: لما كان مراجعته مع الله في حق لوط عليه السلام بحق الله لا لحظ نفسه سلم لهم

الجدال، وهذا يدل على علو شأنه حيث سُمح له في هذا الحال.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَكَلِيمٌ﴾ [الآية 75] غير متعجل على الانتقام ﴿أَوَّاهٌ﴾ [الآية 75] كثير التأوه من الآثام والتأسف على الأنام ﴿ثَنِيثٌ﴾ [الآية 75] راجع إلى ربه في جميع الليالي والأيام، وفيه إيماء إلى أن رقة قلبه وفراط مرحمته حملته على مجادلته لأنه حق؛ غير حق أنه كان يقابل ما يرد على ماله ونفسه وولده باحتمال حملة.

﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الآية 76] أي أوحى إليه ونودي به، أو قالت الملائكة له ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [الآية 76] الجدال أو عن هذا الحال أو توقع المحال ﴿إِنَّكَ قَدْ جَاءَ أَمْرُكَ﴾ [الآية 76] بعذابهم على وفق تقديره المحتم بمقتضى قضائه المبرم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ بَنِيكَ﴾ [الآية 72] غير مصروف بجدال ولا دعاء فإن الحكم بعذابهم قد نزل ووقت الانتقام منهم قد حصل.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ [الآية 77] ساعة مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم ناس ضيفان فخاف أن يقصدهم قومه فيعجز عن دفعهم بنفسه ﴿وَصَاقَ يَدَافِئَهُمْ﴾ [الآية 77] صدرأ وهو كناية عن شدة انقباض الحالة للعجز عن المدافعة ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [الآية 77] شديد مأخوذ من العصبية أو العصابة.

قال الأستاذ: مقاساة الحزن بحق الله محمود ولذا حمده المعبود.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 78] يسرعون إليه كأنهم يدفعون عليه لطلب الفاحشة من النازلين للضيافة لديه ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 78] تخيل تلك الحالة ﴿كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 78] أنواع الفاحشة فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا مهاجرين لها ﴿قَالَ يَنْفَوِرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ [الآية 78] أراد نسائهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث شفقتة وحسن تربيته. ففي قراءة ابن مسعود: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم أو هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبوهن ولا يجيبهم /40 ب لخيانتهم وعدم كفاءتهم فقد أَمَّنَ أضيافه / كرامة وحمية لمرعاتهم.

قال الأستاذ: ألقى جلاباب الحشمة وأثر حق الله ما هو مقتضى البشرية فلم يراهم حق الكفاءة بعدما كان فيه ترك المعصية ﴿هَؤُلَاءِ لَكُمْ﴾ [الآية 78]

أنطق فعلاً وأفعل المبالغة نحو كمال الطهارة لقولهم: العسل أحلى من الخل، والمعنى أنهم في غاية من الطهارة والحلية لأجلكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 78] في مخالفة أمري ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الآية 78] لا تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِي﴾ [الآية 78] في شأنهم أو لأجلهم فإن إخزاءهم من إخزائي ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [الآية 78] يهتدي إلى سبيل سديد.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [الآية 79] حاجة ولا ميل إلى النسوان ﴿وَأِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [الآية 79] من إتيان الذكران.

قال الأستاذ: أصروا على صبيانهم واستمروا على طغيانهم وزهدوا في المأذون لهم شرعاً وانجروا على ما قادم الهوى إليه طبعاً وهذه صفة البهائم لا يردعها عقل قائم، انتهى.

وقال جنيد: سمعت السري يقول: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا سري خلقت الخلق وخلقت الدنيا فذهب مع الدنيا تسعة أعشار الخلق وبقي معي عشر منهم، ثم خلقت الجنة فذهب مع الجنة تسعة أعشارهم وبقي معي منهم العشر، ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء تسعة أعشار ما بقي وبقي معي عشر العشر، فقلت: ماذا تريدون لا الدنيا أردتم ولا الجنة طلبتم ولا من البلاء فررتم، فأجابوني وقالوا: إنك لتعلم ما نريد، ذكره السلمي.

فانظر إلى اختلاف المرادين وفرق المریدين من الفريقين في فلول واحد وإنك لتعلم ما تريد وقد نودي أبو يزيد وقيل له: ما تريد، فقال: أريد أن لا أريد، فقال بعض أرباب المرید: هذا أيضاً إرادة غير لائقة من العبيد فإنه سبحانه هو المرید. والله در القائل:

أريد وصاله ويريد هجري فأتارك ما أريد لما يريد⁽¹⁾

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِی بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ [الآية 80] لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ ءَاوِیَ إِلَیَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 80] أي إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ المعري. انظر فوات الوفيات (301/2) والوفيات بالوفيات (105/6).

شدته وثباته في مرتبته، وجواب لو محذوف تقديره لدفعتمكم، أو لو للتمني.

وقال / ابن عطاء: لو أن المعرفة بيدي لأوصلتها إليكم، ذكره السلمي. ٤١/أ

وقال الأستاذ: لو أن لي بكم قوة لمنعتكم عن ارتكاب المعصية وإن أهم الأشياء على الأولياء أن لا يجري من الخلق ما ليس فيه رضا الحق، انتهى. وعن النبي ﷺ: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد»⁽¹⁾، في الحقيقة نصرة الله ومعونته فكان النبي ﷺ استغرب من لوط عليه السلام قوله: ﴿أَوْءَاوِيَ﴾ [الآية 80] وعده نادر إذ لا يمكن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه ويعتمد عليه. وروي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء بابه ففسروا جدار سطحه.

فلما رأت الملائكة ما على لوط من اضطرابه ﴿قَالُوا يَلُوطُ﴾ [الآية 81] إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [الآية 81] أي إضرارك بإضرارنا فهوّن عليك ودعنا وإياهم فخلاهم فضرب جبريل بجناحه وجوهم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون: النجاة النجاة فإن في بيت لوط سحرة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] القطع من الأسرار وقرأ نافع وابن كثير بالوصل حيث جاء في القرآن من السري وهو السير بالليل ﴿يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [الآية 81] بطائفة منه وفيه تجريد أو تأكيد ﴿وَلَا يَلْفُتْ﴾ [الآية 81] أي لا يتخلف ﴿مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [الآية 81] والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط ﴿إِلَّا أَتْرَأَكَ﴾ [الآية 81] استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴿إِلَّا أَتْرَأَكَ﴾ [الآية 81] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع على البدل من أحد والظاهر أنه استثناء منقطع فيها أي لكن امرأتك لا تسربها وإنها تسير بنفسها وتلتفت إلى ما وراءها لميلها إليهم ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الآية 81] لمشاركتها في المعصية معهم ﴿وَأَنْ مَوْعِدُهُمْ الصُّبْحُ﴾ [الآية 81] كأنه عليه الأمر بالإسراء ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [الآية 81] كأنه جواب لوط في الاستبطاء. حكى عن السري أنه قال: قلوب الأحرار لا تحتمل الانتظار. وقال بعضهم: انتظار ما هو

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (2/ 147) رقم (613).

كائن قريب خصوصاً إذا كان ذلك من قائل صدق وموعد حق.

وقال الأستاذ: لما ضاق به الأمر كشف الله عنه الضر فتعرّف إليه الملائكة فقالوا: لا عليك فإنهم / لا يصلون إلينا بسوء ولا إليك وإنّا رسل ربك جئنا بإهلاكهم فاخرج أنت وأهلك من بينهم واعلم أن من شاركهم في عملهم بنوع قلة من العذاب خصه معهم ومن جملتهم امرأتك التي كانت تدل القوم على تلك الفعل الفاحشة وأن العقوبة لاحقة بها مدركة لها فإن الجسارة على الزلّة وخيم العقابة ولا ينفع الاتصال بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقصة من جملة الأشقياء.

﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 82] عذابنا أو أمرنا به ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا﴾ [الآية 82] فقد روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 82] على الدنيا وأهلها أو على شذاذها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية 82] من طين متحجر لقوله في آية أخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذاريات: الآية 33] وأصله سكن كل معذب ﴿مَنْضُودٍ﴾ [الآية 82] نضد معداً لعذابهم.

﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ [الآية 83] معلّمة لعقابهم أو معلّمة باسم من يرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 83] في خزائنه وحكم قضائه ﴿وَمَا هِيَ﴾ [الآية 83] أي تلك العقوبة أو الحجارة ﴿مِنَ الظَّلِيلِينَ بَعِيدٍ﴾ [الآية 83] فإنهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم.

وفي تفسير السلمي: الظالم من وضع ما أمر غيره موضعه. قلت: فالظالم من وضع في قلبه غير محبة الله واعتمد في حال على من سواه، وعنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾: «أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»⁽¹⁾.

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (148/2) رقم (614).

وفي تفسير السلمي: لما أدركهم الحكم السابق الجاري في الأزل قلبنا لهم أرضهم كما حكمنا عليهم بتقليب قلوبهم وصرفهم عن طريق الحق وسبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: أنه سنة الله في عباده قلب الأحوال عليهم والانتقال من سمات الحدوث والذي لا يزول ولا يحول فهو الذي لم يزل ولا يزال بنعوته الصمدية وإن من عاش في السرور دهرًا ثم بدله بعسره عسرًا فكمن لا يرى قط خيرًا والذي قاسى طول عمره ضرًا ثم أعطي يسرًا فكمن لم ير عسرًا ولذا قيل: أي محنة آخرها الجنة وأي نعمة آخرها / النار، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية 110].

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا﴾ [الآية 84] أراد أولاد مدين ابن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ﴿قَالَ يَتْفَوِّرُ عِبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الآية 84] المعروفين نفسيهما أو أحدهما ﴿إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة تفيكم عن النجس الذي هو غاية الخسة ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحِيطُ﴾ [الآية 84] لا ينفذ منه أحد منكم والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عقاب العقبي وإضافة العذاب إلى اليوم ظرفية ونسبة الإحاطة إلى اليوم مجازية. قال بعضهم: أقرب حالك إلى الاستدراج أيام الأمن والدعة وزمان تواتر النعمة. وقال بعضهم: ﴿إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة وإنني أخاف عليكم بتقصيركم شكر النعمة. ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصتهم وما أصابهم من العذاب الأليم والبلاء العظيم وفي الظاهر إجرامهم كانت يسيرة ولعل العوام يرون أمثالها صغيرة ولا يقولون إنها كبيرة إذ ذاك تطفيف في المكيال وليس لذلك كثير أثر في نقص المال وليس قدر الإجماع لأعيانها ولكن بمخالفة الجبار حيث عظم شأنها كما قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الثور: الآية 15].

قلت: ولهذا المعنى قيل: ليس في الذنوب من صغيرة. وقيل: احتقار كل صغيرة، كبيرة.

﴿وَيَقُولُوا أَؤُفُوا إِلَيْكَ يَا إِلَهَ الْاَلَمِينَ﴾ [الآية 85] صرح الأمر بالإبقاء بعد النهي عن ضده مبالغة في الاعتبار وتشبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن نعمة طلب اللطف بل يلزمهم السعي في الإبقاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ولا يتصور بغيرها، أو المراد بالأول نقص أنفسهما وبالثاني بخس ما فيهما بالعدل، أي بالسوية من غير النقصان والزيادة فإن الزيادة فضل وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً كما في بيع مثله بمثله ﴿وَلَا يَخْشَوُا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [الآية 85] تفهيم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المكيل والموزون أو غيرهما كالمعدود والمزروع / ونحوهما، وكذا قوله ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُمْسِدِينَ﴾ [البقرة: الآية 60] فإن العتو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد. وقيل: المراد بالبخس أحد العشور من المعاملات المسمى بالمكس والعسو السرقة الكبرى والصغرى والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به إصلاح المال كما فعله الخضر عليه السلام. وقيل معناه: لا تعتوا في الأرض مفسدين أمور دنياكم ومصالح أخراكم.

﴿يَقِيَّتُ اللَّهُ﴾ [الآية 86] ما أبقاه من مال حال لكم بعد الفترة عما حرم عليكم ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية 86] مما تجمعون بالتطيف ونحوه من أعمالكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 86] مصدقين لي في تضميني لكم ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ [الآية 86] أحفظكم عن قبائحكم أو أحفظ عليكم أعمالكم وعليها أجازيكم وإنما أنا نذير وقد اعتذرت حين أذرت. وقال بعضهم: ما ادخره الله من الكرامات خير لكم مما تسألونه من المرادات أن كنتم مؤمنين إن اختيار الحق لعبده خير من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني القليل من الحلال أجدى من الكثير المعقب للوبال فلم يقابلوه نصيحته لهم إلا بالعنود وبالتمادي بما هو دأبهم من الجحود.

﴿قَالُوا يَسْخَبُ أَصْلُوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الآية 87] من الأصنام والأنداد، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: صلاتك بالإنفراد، والمعنى أصلاتك تأمرك بتكليف أن تترك، فحذف المضاف للعلم بأن الرجل لا يأمر

بالفعل غيره وتركه ﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ [الآية 87] عطف على مرادي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من تقطيع الدراهم والدنانير ونحو ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَكِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [الآية 87] تهكموا به وقصدوا وصفه بضده كما تهكموا بصلاته الزائدة على سائر عباداته.

﴿قَالَ يَفْقِرَ أَزْوَاجُكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الآية 88] أي معرفة وحكمة ونبوة من فضل ربي ﴿وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الآية 88] من المال الحلال من عنده وكرمه بلا كد مني في تحصيله أو في حصول أصله فذر ما يكفيني وعن أمثالكم يغنيني. وجواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام الكلي الجامع للسعادات الروحانية / والجسمانية أن أخونه في وحيه وأخالفه في أمره وغيبه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

وأفاد الأستاذ: أن البيئة نور يستبصر به ما خفي على من هو تحت خطر الغفلة والرزق الحسن ما به دوام الاستقلال وما ذلك إلا بمقتضى عنايته الأزلية وحسن تولية شأنه في جميع ما فيه خلاصه من إتمام النعمة ودوام العصمة. ويقال: الرزق الحسن ما كفي لصاحبه كد طلبه ولم يصبه نصب بسببه أو هو ما هو غير مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب فيصل إليه بلا تعب أو هو ما يستوفيه شهود الرزق ويختطفه من النعم بوجود الإرفاق، أو هو ما لا يشاء الرزاق ويحمل صاحبه على التوسعة في الإنفاق.

﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَكُمْ إِلَّا مَا أَنْتُمْ عَنْهُ﴾ [الآية 88] أي ما أريد أن آتي إلى ما أنهاكم عنه لا يستبد به فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً عن أن أنهى عنه.

قال أبو عثمان: ليس بواعظ من كان واعظاً دون عمله.

وقال الأستاذ: لا يمكن للناصح أن يساعد المأمور في كل ما يأمره به ولكن يجب أن لا يحول حول ما يمتناه عنه فإن الإتيان بجميع الطاعات غير ممكن والتجرد عن جميع المأزورات واجب، ويقال: من لم يكن له حكم على نفسه في

المنع عن الهوى لم يمتز له حكم على غيره فيما يرشده إليه من الهدى ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [الآية 88] ما أريد إلا أن أصلحكم بأمرى بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع إصلاحكم ﴿وَمَا تَوْفِيقِي﴾ [الآية 88] التوفيق جعل الأسباب متوافقة أي وما يكون موافقاً لإصابة الحق وسلوك صوب صواب الصدق ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الآية 88] أي إلا بهدأيته ومعرفته. قيل: مرادى إصلاحكم إن ساءكم التوفيق وما توفيقى إلا بالله في التحقيق. وقيل: التوفيق حسن عناية من الحق سبق إلى بعض الخلق ليس فيه سبب ولا منه مطلب.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوفيق ما يتفق به الشيء وفي الشريعة التوفيق ما يتفق به الطاعة وهو قدرة الطاعة ثم كل ما يقرب العبد من الطاعة من توفير الدواعي وفنون التنبيهات يعد من جملة التوفيق على التوسع والاستفادة والتوفيق بالله / ومن الله وهو سبحانه متفضل بإعطائه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ﴾ 43/ ب [الآية 88] فإنه القادر على كل شيء وما عداه عاجز في حذف أنه بل معدوم ساقط عن درجة اعتباره. وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أنضر مراتب العلم ﴿وَإِلَيْهِ أُتِيبُ﴾ [الآية 88] إيماء إلى معرفة المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن التوكل تفويض الأمر إلى الله وأمارته ترك التدبير بشهود التقدير والثقة بالوعود عند عدم الموجود وتبين ذلك بانتفاء الاضطراب عند عدم الأسباب. ويقال: التوكل سكون القلب بمضمون الرب.

﴿وَيَقْوَرُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [الآية 89] لا يسيئكم ﴿شِقَاقِي﴾ [الآية 89] مخالفتي ومعاداتي ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 89] من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ [الآية 89] من الريح ﴿أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ [الآية 89] من الرجفة ﴿وَمَا قَوْمَ لُوطٍ بِبَعِيدٍ﴾ [الآية 89] زماناً ومكاناً فإن لم تعتبروا بمن قبلكم فاعتبروا بهم، وإفراد بعيد للفظ قوم أو أريد إهلاكهم على تقدير مضاف.

﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ [الآية 90] استعينوا بالمغفرة والإيمان والمعرفة ﴿ثُمَّ تَوُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [الآية 90] عما أنتم عليه بتجديد التوبة في كل لمحة عن الغفلة.

وأفاد الأستاذ: إن الاستغفار هو التوبة فالمعنى توبوا إليه ثم داوموا عليه

فإنه إذا لم يتصل وفاء المآل بصفاء الحال ولم يحصل القبول وكأن لم يكن لما سلف حصول ﴿إِنَّ رَحِيماً﴾ [الآية 90] عظيم الرحمة لأهل التوبة ﴿وَدُودٌ﴾ [الآية 90] لأرباب المودة وأصحاب المحبة. والمعنى فاعل بهم من لطفه وإحسانه ما يفعل البليغ المودة بمن يودّه من أهله وجيرانه.

وقال الأستاذ: يرحم العصاة لأنه يودهم، ويقال: يرحمهم ولذلك يودونه والودود يكون بمعنى المودود كالحلوب بمعنى المحلوب، والرحمة تكون لصاحب المعصية فإن المطيع يستحق المثوبة على الطاعة ثم ليس كل من يحب السلطان في محل الأكابر فإن من الجند أصاغرهم قد يحبون الملك على إضعافهم. وأنشدوا:

أَلَا رُبَّ مَنْ يَدْنُو وَيَزْعَمُ أَنَّهُ يُوَدُّكَ وَالنَّائِي أَوْدٌ وَأَقْرَبُ⁽¹⁾
قلت: ونظيره قوم في صحن الحرم بوصف الغيبة عن الرب وجميع في تيه اليمن تبعت الحضور بحسب القلب.

44/أ ﴿قَالُوا يَنْشُعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيراً مِمَّا نَقُولُ﴾ [الآية 91] / أي ما نفهم صحة ما تقول من وجوب التوحيد وحرمة البخس ونحوهما وما ذكرت دليلاً عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكيرهم وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وناصح الأذكىاء ﴿وَإِنَّا لَلرَّزَّاقِ﴾ [الآية 91] أي مهيناً لا عز لك فينا. وقيل: قليل العقل بمصالح الدنيا، ذكره السلمي ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ [الآية 91] أي عزّة قومك عندنا لكونهم على ملتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ [الآية 91] لقتلناك برمي الأحجار ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 91] فتمنعنا عزتك عن رجمننا إياك وهذا دأب السفية البليد يقابل الحجج بالسب والتهديد.

﴿قَالَ يَنْقُومِ الرّهطُ أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيّاً﴾ [الآية 92] أي جمعتموه بالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به وإهانتكم برسوله فلا تبقون عليّ لله وتراعون جانب من سواه، والهمزة للتوبيخ وظهري منسوب إلى

(1) - - - - - نسبه أبو بكر بن طاهر الأبهري إلى رجل يودع الكعبة. انظر طبقات الصوفية (1/ 109) رقم (12).

الظهر وظهر بالكسر من تغيير النسب ﴿إِنَّكَ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الآية 92] فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم عليها بحسب مراتبهم فيها.

قال الأستاذ: إن ربي يكافئكم على أعمالكم وهو أعلم بما تستوجبونه في جميع أحوالكم.

﴿وَيَقْوِرْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَائِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوَّافٌ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعْزِيهِ﴾ [الآية 93] سبق مثله في سورة الأنعام، والفاء في سوف تعلمون هنا لكي للتصريح بأن الإقرار والتمكن عليه سبب لذلك وحذفها هنا لأنه جواب سائل، قال: فما يكون بعد ذلك فهو أبلغ في مقام التهويل عن المهالك ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ [الآية 93] على من يأتيه لا لأنه قسيم له بل لأنهم لما أوعده وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ [الآية 93] انتظروا ما يفعل بي وبكم ﴿إِنِّي مَسْكُومٌ رَّقِيبٌ﴾ [الآية 93] بمجيء عذابنا مراقب لحكم ربي وربكم وهذا من باب إرخاء العنان مع أهل العدوان.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 94] بمجيء عذابنا ﴿بَجَيْتِنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [الآية 94] ذكره بالواو كما في قصة عاد وإذا لم يسبقه ذكر وعيد يجري بجري السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعيد وذلك قوله: ﴿وَعَدُّ غَيْرٌ مَّكَذُوبٍ﴾ [الآية 65] وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [الآية 81]، ولذلك جاء بفاء السببية قال: ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [الآية 94] / روي أن جبريل صاح بهم فهلك جميعهم ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثُمَاتٍ﴾ [الآية 94] ميتين جامدين خامدين.

﴿كَأَن لَّمْ يَفْتَوْا فِيهَا﴾ [الآية 95] كأن لم يقيموا في منازلها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّلْمَدِينِ كَمَا بَعْدَتْ ثُمُودُ﴾ [الآية 95] شبههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة إلا أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدنين كانت من فوقهم.

وأفاد الأستاذ: أن شعيباً عليه السلام وثق بكون الموعود في الاستقبال فأرخص لهم ستر الإمهال فلما حلت بهم العقوبة وانتهاء آجالهم في الغواية، صاروا كأن لم يكن منهم نافخ نار ولا في ديار الظالمين من ديار. قال

تعالى: ﴿فَاعْتَرِبُوا يَتَأُولَى الْأَبْصَرِ﴾ [الحشر: الآية 2].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ [الآية 96] المعجزات ﴿وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 96] أي حجة ظاهرة وهي العصا أو اليد البيضاء وأفردها لأنها أبهرها.

﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الآية 97] أتباعه ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية 97] بالكفر بموسى وربه وذلك لفرط غوايتهم وكثرة جهالتهم ﴿وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [الآية 97] أي مرشد أو ذي رشد يؤدي إلى طريق السداد وإنما هو من محض يفضي إلى البعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر قصة موسى عليه السلام تفخيماً لشأنه وتنبهاً على علو قدره ومكانه فالآيات التي أرسل بها معجزاته الباهرة وبراهينه القاهرة وأصعب عدو قهره أولاً نفسه دلّه الله سبحانه على ذلك كما قال: إلهي أين أطلبك فقال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، فنبّهه على استصغاره لنفسه وانكساره لربه بقلبه فزالت صولته وصار معصوماً عن شهود فضيلته والسلطان الذي خصه به استيلاؤه على قلوب من رآه كما قال: ﴿وَالْقَبْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه: الآية 39] فلم يره أحد إلا أحبه.

ثم لم يأخذه في الله ضعف ولا فشل، لطم وجه فرعون وهو رضيع كما في القصة ولطم وجه ملك الموت لما طالبه بقبض روحه كما في الخبر، وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما رجع من سماع الخطاب عند المعاتبة، وأقدم بالجسارة على سؤال الرؤية وقتل القبطي لما استعان به من وافقه في العقيدة، وقال الله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: الآية 155] لما أخبره الحق بما عمل قومه من عبادة العجل بحكم / الضلالة، ففي جميع هذا تجاوز الله عنه لما أعطاه من السلطان والقوة.

﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْفَيْصَةِ﴾ [الآية 98] أي يتقدمهم إلى نار العقبي كما كان يتقدمهم إلى الضلالة في الدنيا ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [الآية 98] ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه وترك النار لهم منزلة الماء فسمي إتيانها موروداً ﴿وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [الآية 98] أي بئس الورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد والنار

لتحريق الأجساد وتقطيع الفؤاد.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ﴾ [الآية 99] أي الدنيا ﴿لَعَنَهُ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الآية 99] أي يلعنون في الدنيا والآخرة، أو تقديره ويوم القيامة يقال لهم ﴿يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [الآية 99] وبس العون المعان والعطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في العقبى أو في الدنيا والأخرى.

وقال الأستاذ: أبعثوا في عاجلهم من الإيمان والأمان وفي آجلهم من الغفران والجنان والذي في الحال من الفرقة أعظم في التحقيق من الذي في المال من الحرقه هذه صفة من امتحنه الله باللعة.

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 100] أي النبأ ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ [الآية 100] المهلكة في الدنيا ﴿نَقَضُكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 100] مقصوص عليك ﴿مِنْهَا قَائِدٌ﴾ [الآية 100] من تلك القرى باق كالزراع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾ [الآية 100] ومنها عافي الأثر كالزراع المحصود، والجملة مستأنفة.

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ [الآية 101] بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الآية 101] باختيار الكفر لهم ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 101] فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم ﴿إِلَّا إِلَهُهُمْ أَلَّتْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَتَّى لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [الآية 101] حين جاءهم عذابهم وحصل حجابهم وأنزل عليهم ما أصابهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيْبٍ﴾ [الآية 101] أي هلاك أو تخسير وتخييب.

﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ [الآية 102] أي أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الآية 102] حال منها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم المؤدي إلى الظلمة والإنذار لكل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة ﴿إِنْ أَخَذَهُ إِلَهُ شَدِيدٌ﴾ [الآية 102] صعب غير مرجو الخلاص والمناص، وهو كناية عن المبالغة في التحذير عن المخالفة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يمهل ولكن لا يهمل ويحكم ولكن لا يجهل ويعلم ثم لا يعجل وأنه لا يسأل عما يفعل ويقال إذا أخذ النفوس بالتوفيق فلا سبيل للخذلان وإذا أخذ القلوب بالتحقيق فلا طريق للحرمان

45/ ب عليها، / قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البُرُوج: الآية 12].

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 103] فيما نزل بالأمم المعذبة أو فيما قصد الله من القصة المقرونة بالقصة ﴿لَايَةً﴾ [الآية 103] لغيره ﴿لَمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [الآية 103] يعتبر به من جهة المواعظ لعلمه بأنه ما حاق بهم من العقوبة في الدنيا أنموذج مما أعد الله للمجرمين في العقبي ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 103] إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ﴾ [الآية 103] أي يجمع له الخلق والمعنى الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة بالثوبة والعقوبة ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [الآية 103] أي مشهود فيه الكائنات من أهل الأرضين والسموات.

قال أبو سعيد الخراز: مَنْ غاب في حقيقة عين الجمع لا يهوله ما جمعوا له من ذلك المقام ومن كان في كشف المشاهدة لم يتعجب من شهود ذلك اليوم، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الأيام ثلاثة: مفقود وهو أمس ليس بيدك منه شيء، ويوم مقصود وهو غد لا تدري تدركه أم لا، ويوم مشهود وهو اليوم الذي أنت فيه والمقصود ربما تبلغ فالمشهود وقتك وهو بعرض الزوال فاشغله بما ينفعك في الحال والمآل.

﴿وَمَا تَوْخِئُكُمْ﴾ [الآية 104] أي اليوم الموعود ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [الآية 104] أي لانتهاء مدة معدودة وغاية متناهية معلومة. والمراد بالأجل هنا مدة التأجيل كلها لا انتهاها فإنه غير معدود في عالم الوجود.

وأفاد الأستاذ: أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر والحيل متقاصرة والأجل على ما عملها الحق وأرادها به جارية فللطلب وقت إذا جاء أجله وكذلك للوصول وقت أي وإن كان قبله أمله، فالطلب مع رجاء الوصال والوجود مع خوف الزوال. ولقد قال بعض أرباب الحال:

عيب السلامة أن صاحبها متوقع لقواصم الظهر⁽¹⁾

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 374) و(7/ 228).

وقضية البلوى ترقب أهلها عقب الرجاء ونوبة الدهر.

﴿يَوْمَ يَأْتُ﴾ [الآية 105] أي الجزاء أو القضاء، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسٌ﴾ [الآية 105] لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ﴿إِلَّا يَذِيقَهُ﴾ [الآية 105] أي بإذن الله وهذا في موقف وقوله: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: الآيتان 35، 36] في موقف آخر أو المأذون فيه هي الأجوبة الحقة والممنوع عنه الأعدار الباطلة كما يشير إليه قوله سبحانه: / ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبا: الآية 38]، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ [الآية 105] أي من الناس أو من أهل الجمع ﴿شَقِيٌّ﴾ [الآية 105] وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وَسَعِيدٌ﴾ [الآية 105] وجبت له الجنة بموجب الوعد نفسه، قال ﷺ: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»⁽¹⁾ رواه الطبراني في معجمه الصغير عن أبي هريرة مرفوعاً.

قال جنيد: الشقي من حرم الرحمة والسعيد من رزقها.

وقال إبراهيم الخواص: الشقي من اعتمد على نفسه في تدبيره والسعيد من فوض أمره إلى ربه.

وأفاد الأستاذ: أن الشقي من قسم له الحرمان في آزاله والسعيد من رزق له الإيمان في مآله، يقال: الشقاء على قسمين: قوم شقاؤهم غير مؤبد وقوم شقاؤهم على التأبید وكذلك القول في السعادة فالشقي الذي على التأبید من هو في أسر التأبید ونسيان جريان التقدير والسعيد من رجع من ظلمات التدبير وحصل على وجد شهود أنوار التقدير. وأما الشقي على التأبید فمنهم أهل الخلود في مقتضى الوعيد والسعيد على التأبید هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: الآية 35].

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الآية 106] إخراج النفس أولاً

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 223) رقم (8465)، وفي المعجم الصغير (2/ 56) رقم (773)، وانظر كشف الخفا (1/ 452) رقم (1475).

﴿وَشِهيقٌ﴾ [الآية 106] رد النفس آخرًا كما في طريق أصوات الحمير من النهيق شبه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه من شدة كربه.

﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [الآية 107] عبارة عن التأييد والمبالغة فإن النصوص دالة على دوام العقوبة والمراد سموات الأرض وأرضها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ يُدْلَأُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: الآية 48] والسموات أو المراد بها العلويات والسفليات ولا يخلو عنهما الكائنات ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] استثناء من الخلود في النار لأن بعض أهلها، وهم فساق الموحدين، يخرجون منها بوقت شاء ربها وذلك كاف في مسحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام العقوبة فإن التأييد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء 46/ ب كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن / شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم. وقيل: إلا ها هنا بمعنى سوى كقولك: علي ألف إلا الألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا حد لها على مدة بقاء السموات والأرض. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن ينقلهم إلى نوع آخر من العذاب غير الزفير والشهيق يعني وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة وهو الفوز بتتمة الرؤية. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن لا يلحقهم تلك العقوبة قبل أن يدخلهم النار فالاستثناء لبعض أوقاتهم من العقوبة قبل إدخالهم النار لا بعد إدخالهم فيها، يعني وكذلك استثناء أهل الجنة لبعض الأزمنة المتقدمة الحالية من النعمة الحاصلة بدخول الجنة قبل إدخالهم فيها لا بعد استقرارهم بها ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] وهو المحمود في كل أفعاله ولو لم يظهر لنا حكم بعض أفعاله.

وقال الأستاذ: فيه إشارة إلى أن الذي يحصل كما يحصل كل بمشيئته لا باستحقاق عمل ولا بإيجاب مثوبة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ [الآية 108] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالبناء للمفعول من سعه الله بمعنى أسعده ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ [الآية 108].

قال الأستاذ: اليوم في جناب القرية وغداً في جناب المثوبة وبضدهم الكفار اليوم في عقوبة الفرقة وغداً في عقوبة الحرقه ﴿خَلِيلَيْنِ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ [الآية 108] أي أعطوا عطاء غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأيد.

وقال الأستاذ: فيه دلالة على أن تلك النعمة غير مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ [الآية 109] أي المشركين الحمقى أي من بطلان عبادتهم وبرهان ضلالتهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 109] من غير علم بأن آلهتهم لا تنفع ولا تضر لعبادتهم مع زيادة إفادة أن الأبناء في تخصيص تقليد الآباء ﴿وَإِنَّا لَمُوفُونَ نَصِيْبَهُمْ﴾ [الآية 109] حفظهم جميعهم من تعذيبهم في العقبي أو من رزقهم في الدنيا ﴿غَيْرَ مَقْصُورٍ﴾ [الآية 109] من النصيب وهو تأكيد لتقييد التوفية.

/ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ [الآية 110] أي في الكتاب أو 47/ في موسى فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة كما اختلفت أمتك في القرآن من جهة الإيمان والكفران ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ﴾ [الآية 110] أي حكم أزلي من ربك بتأخير العقاب إلى العقبي عن قومك ﴿رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 110] لحكم عليهم في الدنيا لتمييز ما بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل منهم لتبيين حال الحق فيهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 110] أي كفار قومك ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ [الآية 110] من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 110] موقع في الريب وموجب للشبهة.

﴿وَإِنْ كُلًّا﴾ [الآية 111] قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بتخفيف إن مع العمل اعتباراً للأصل وتووين كلاً بدل من المضاف إليه، والمعنى وإن جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين ﴿لَمَّا لَوْفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الآية 111] اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد وما زيادة للفصل بينهما، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم على أن أصله لَمَنْ ما فقلبت النون ميماً للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 111] فلا يفوت عنه

شيء وإن خفي عن غيره.

﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتُ﴾ [الآية 112] من الاستقامة في العقائد بالتوسط بين التشبيه والتعطيل وفي القيام بوظائف العبادات وكذا في الإنصاف بتحسين الأخلاق من غير إفراط وتفريط في مرتبة الكمال والتكميل ولصعوبة هذا الأمر وغايته في التفسير قالوا: الاستقامة خير من ألف كرامة. وعنه عليه السلام: «شيبتي سورة هود»⁽¹⁾، والحاصل أن الاستقامة هي ملازمة الصراط المستقيم وملاحظته في كل حالة وهو كالصراط الموعود والجسر الممدود أدق من الشعر في معرفة الحدود وأحد من السيف المحدود، ولهذا المعنى وجب طلب الثبات على هذا المبنى في فاتحة الكتاب التي هي فصل الخطاب.

وأفاد الأستاذ: أن السين في الاستقامة سين الطلب أي سل من الله الإقامة لك على الحق وحقيقة الاستقامة على الطاعة المداومة على القيام بحقها من غير إخلال بها. ويقال: المستقيم من لا ينصرف عن طريق الله ومن لم يصل إلى الله ويصل سيره فيراه وورعه بتقواه وببالغ في ترك هواه. 47/ ب ويقال: / استقامة النفوس من نفي الزلة واستقامة القلوب بنفي الغفلة واستقامة الأرواح بنفي العلاقة واستقامة الأسرار بنفي الملاحظة.

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [الآية 112] أي من شركه وآمن بك فالمعية بالمشاركة في الجملة وهو عطف على المتمكن في استقام وإن لم يؤكد لمنفصل لما قام مقامه من فاصل.

وقال الأستاذ: أي فليستقم أيضاً ﴿وَلَا تَقْلُوبُوا﴾ [الآية 112] أي لا تخرجوا عما حد لكم من الطاعة بالدخول في المعصية والأفول في الغفلة ﴿إِنَّكُمْ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 112] فيجازيكم على القليل والكثير.

﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [الآية 113] أي لا تميلوا أدنى ميل إليهم كالتزيي بزيمهم ﴿فَتَمْسَكُكُمْ النَّارُ﴾ [الآية 113] بركونكم إليهم ويكونكم لديهم

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (25/ 140) رقم (27760)، وانظر كنز العمال (1/ 573) رقم (2590).

واقبالكم عليهم.

قال حمدون: لا تصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار.

وسئل ابن المبارك عن الخياطين للظلمة هل هم من أعوانهم، فقال: إنهم منهم وإنما أعوانه من يبيع الخيط والإبرة لهم.

وقال الأستاذ: لا تعملوا أعمالهم ولا ترضوا بأعمالهم ولا تمدحهم على أعمالهم ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم ولا تأخذوا شيئاً من حرام أموالهم ولا تمكّنوهم من قلوبكم ولا تخالطوهم ولا تعاشرهم أي لئلا تشاركوهم في ما لهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم فإن من أحب قوماً حشر معهم ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ [الآية 113] أيها الكفار ﴿مَنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية 113] من أنصار ينفون العذاب عنكم في دار القرار ومستقر البوار ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الآية 113] أي ثم لا ينصركم الله من عنده إذ سبق في حكمه أن يعذبكم به، وفيه إشارة إلى أن من طلب النصرة من غير الله حرم نصرة موله.

﴿وَأَقْرِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ [الآية 114] في غدوه وعشيه ﴿وَوَلِّكَ مِنَ اللَّيْلِ﴾ [الآية 114] وفي ساعات منه قريبة من النهار، وصلاة الغدوة وصلاة الفجر لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لأن أول العشاء ما بعد الزوال وصلاة الزلفا المغرب والعشاء وذكر التهجد في أوقات الأسحار لأنها من آخر الليل قريبة من النهار.

وقال الأستاذ: ولو استغرق جميع الأوقات بالعبادات فإن إخلاله لحظة من الزمان عن فرض يؤديه أو نفل يأتيه حسرة عظيمة وخسارة وخيمة انتهى.

وقد قيل: الدنيا ساعة فاجعلها / طاعة. وورد عنه ﷺ: «ليس يتحسر أهل الجنة 48/أ إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها»⁽¹⁾، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 114] أي يكفرنّها، والمراد بها الصغائر مع ما يرجى من الكبائر، ففي الحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (93/20) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (392/1) رقم (512).

اجتناب الكبائر⁽¹⁾ رواه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن أنس. وفي سبب النزول أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أصبت من امرأة غير أني لم آتِها، فنزلت⁽²⁾.

قال الواسطي: أقول إن الطاعات تذهب بظلم الخطيئات. وقال بعضهم: رواية الفضل تسقط عن العبد رؤية العمل، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنات ما وجود به الحق والسيئات ما يذنب به العبد فإذا أدخل حسنات عفوه على قبائح العبد وجرمه محاسنها وأبطلها، ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 114] أي قوله فاستقم وما بعده أو القرآن جميعه ﴿ذِكْرَى لِلذَّكِرِينَ﴾ [الآية 114] موعظة للمتعتبين من الصابرين في البلية والشاكرين على العطية.

﴿وَأَصْبِرْ﴾ [الآية 115] على الطاعة وعن المعصية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 115] أي المخلصين لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه⁽³⁾.

وأفاد الأستاذ: إن الصبر حبس النفس عن معاتقة الأمر ومفارقة الرجز والمحسنون هم العالمون الذين يعلمون أن الأجر على الصبر بالفضل لا باستحقاق العمل.

﴿فَقُولَا﴾ [الآية 116] فهل ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةً﴾ [الآية 116] من العقل أو الفضل وجوز أن يكون مصدراً كالتقية أي ذوي اتقاء على أنفسهم وصيانة لها من عذاب ربهم، ويؤيده أي ترى بقية في الشعر إذ بفتح فسكون وهي المرة من مصدر بقاء ببقية إذا راقبه ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 116] الناس بالسنتهم أو

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (14/233)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/418) رقم (214)، وابن حبان في الصحيح (5/24) رقم (1733)، وأحمد في المسند (14/333) رقم (8715).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (4/316) رقم (7318)، وانظر تفسير البيضاوي (1/267).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/5).

ينكرون عليهم بقلوبهم أو يمتنعون أنفسهم ﴿عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 116] من الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ آمَنَّا مِنْهُمْ﴾ [الآية 116] أي لكن قليلاً منهم أنجيناهم من المهالك لأنهم كانوا كذلك وهم الذين أطاعوا أنبياءهم وأما غيرهم فلم ينهوا عن الفساد في البلاد وفيما بين العباد ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ [الآية 116] ما أنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيل اللذات واللّهوات/ 48/ ب وأعرضوا عن ملازمة الطاعات ﴿وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 116] مصرين على ارتكاب الإجرام والسيئات، وفيه تنبيه نبيه لنبيه ﷺ وأتباعه أن السبب لاستئصال الأمم السالفة في إهلاكهم هو فشو الظلم من الكفر والمعاصي فيهم وتركهم للهدى واتباعهم للهوى.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [الآية 117] أي بمجرد شرك وكفر ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [الآية 117] فيما بينهم لا يضمنون فساداً أو بغياً إلى كفرهم وذلك لفرط رحمته ومسامحته فيما يتعلق به ولهذا قدم الفقهاء عند تراحم الحقوق حق العباد على حقه لأنه غني عن عبادة العبد وإيمانه وصلاحه، وقد قيل: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم. قيل: المعنى وأهلها ينصف بعضهم بعضاً.

وقال أبو سعيد القرشي: الصلاح هو الرجوع إلى الحضرة في كل نفس وخطرة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يهلك أحداً كان مصلحاً وإنما أهلك من كان ظالماً. ويقال: معناه لو أهلك الله أهل القرى وهم مصلحون كلهم ما كان ذلك ظلماً منه لأن الملك ملكه والعبد ملكه. ويقال: المصلح من قام بحق ربه دون طلب حظه. ويقال: مصلح يصلح نفسه لطاعته حسن حاله لكن لا كمصلح أصلح قلبه بمعرفة سيده أو أصلح سره لمشاهدة ربه.

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الآية 118] مسلمين أجمعين ﴿وَلَا يَرَاوُنَّ غُنَيْنً﴾ [الآية 118] بعضهم على الحق اليقين وآخرون على الباطل المبين.

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ [الآية 119] من بينهم بأن هداهم الله من فضله فأمنوا به وبرسوله واتفقوا في دين الحق على أصوله وإن وقع لهم اختلاف في فروعه ﴿وَلِذَلِكَ﴾ [الآية 119] الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 119] واللام للعاقبة كما في حديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»⁽¹⁾.

قال جنيد: خلقهم للاختلاف فرتقوا في المخالفة ولو خلقهم للموافقة لما رجعوا عن الله إلى ما سواه.

وقال الأستاذ: لجعلهم أرباب الوفاق ثم لم يوجبوا لمملكته وجماله زينا ولو شاء لجعلهم أصحاب الخلاف ثم لم يوجبوا لسلطنته وجلاله شيئا. ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [الآية 118] لأنه كذلك أراد بهم ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ [الآية 119] في سابق حكمه فعصمه عن الخلاف في حاصل عمره ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 119] أي خلق كلاً لما / أقامهم به ونصيبهم له وأثبتهم فيه من أ/49 توحيد ووفاق وجحد وشقاق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 119] ثبت حكم وعيده فلا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه، أو هي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الآية 119] أي من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 119] أو منهما أجمعين لا من أحد منهما، واللام للعهد فيهما.

﴿وَكَلَّا﴾ [الآية 120] أي كل نبأ ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 120] أي نخبرك به ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [الآية 120] بيان للكل ﴿مَا تَنْتَهِ بِهِ فُؤَادُكَ﴾ [الآية 120] بدل منه، وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص له وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على تأدية الرسالة وتسليته في احتمال تأذية أهل الضلالة ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ [الآية 120] أي في الأنبياء المقتصة ﴿الْحَقُّ﴾ [الآية 120] ما هو الحق المطابق للصدق الموافق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 120] أي ونصيحة وتذكرة لأهل التبصرة وأرباب الخبرة وأصحاب العبرة الموصوفون بسكب العبرة.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية 121] على حالتكم ﴿إِنَّا عَمِلُونَا﴾ [الآية 121] على حالتنا ﴿وَأَنْظِرُونَا﴾ [الآية 122] ما يفعل الله بنا وبكم

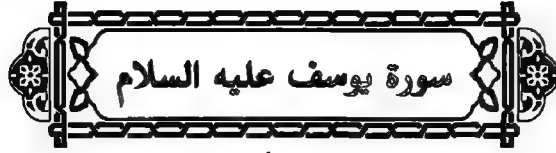
(1) جامع الأحاديث (190/19) رقم (20536)، والمقاصد الحسنة (528/1) رقم (855).

﴿إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ [الآية 122] في ذلكم معكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 123] خاصة لا يخفى عليه مما فيهما خافية ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ﴾ [الآية 123] أي أمر الكل جميعه. وقرأ نافع وحفص بصيغة المجهول، قيل إليه مرجع الكل لأنه منه مبدأ الكل، ذكره السلمي ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] فإنه كافيك فيما تستعين إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] أنت وهم فيجازيكم بما تستحقون. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة.

وفي تفسير السلمي: وكيف يغفل عنك مَنْ قَدَّرَ عليك عملك وما أنت آتية في كل نفس إلى آخر أجلك.

وقال الأستاذ: أعمى على قلوبهم العواقب وأخفى دونهم السوابق، وألزمهم القيام بما كلفهم في الحال فقال: فاعبده فإن تقسيم القلب وترحم الظن وخيم فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] أي استدفع عنك البلاء بحسن الظن وجميل الأمل ودوام الرجاء ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] بل أحاط بكل شيء علماً وأمضى في كل أمر حكماً.



[مَكِّيَّة]

وهي مائة وإحدى عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من وسم ظواهره بسمه العبودية وسرائره بمشاهد الربوبية فقد سمت همته للمراتب العلية وقربت رتبته إلى المنازل السنية.

﴿الرَّ﴾ [الآية 1] أنا الله أرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى وأرى في الدار الكبرى وأريد جميع ما جرى من الورى ﴿تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [الآية 1] أي هذه آيات السورة الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها إنها من عند الله لبلاغة مبانيها.

وأفاد الأستاذ: إن التخاطب بالحروف المتفرقة ستة الأحاب في سر المحاب والقرآن وإذا كان المقصود منه هو الإيضاح والبيان ففيه تلويح وتصريح ومفصل ومجمل يعرفهما الأعيان. ويقال: وقف مفهوم الخلق على مراد الحق فيما خاطب حبيبه المطلق في هذه الآية وتقييدهم على الإيمان بها في الجملة وأفرده عليه السلام بقمم هذه الإشارة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب، يقول قائلهم:

بين المحبين سر ليس يغشيه قول ولا قلم للخلق يحكيه⁽¹⁾

وفي إنزال هذه الحروف المقطعة إشارة وهي أن من كان بعين العقل والصحو استنبط من اللغة السيرة ما شاء الله من المعاني الكثيرة ومن كان في

(1) نسب إلى الشعبي. انظر تفسير الألوسي (1/82)، وجامع لطائف التفسير (1/110).

مقام الغيبة والمحو يسمع الكثير فلا يفهم منه اليسير هذا لكمال عقله وهذا لتمام وصله، وأنزل الله هذه الحروف التي لا سبيل على الوقوف على معانيها ووجه ارتباط مبانيها ليكون للأحباب فرحة حين لم يقفوا على معانيها لعدم السبيل إليها كما عليها فلم يتوجه عليهم مطالبة بفهم ما فيها وكان ذلك لاثقاً بأحوالهم إذا كانوا مستغرقين في عين الجمع بحسب جمعية بالهم ولذا قيل: استراح من لا عقل له.

أقول: ويحتمل - والله أعلم - أن تكون الحكمة في إيراد الحروف المقطعة إشارة إلى حصول المثوبة لمن قرأ أو سمع مبانيها ولم يفهم معانيها ولذا خص ﷺ بحروف «آلَمْ» في قوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به عشر حسنات»⁽¹⁾، «لا أقول «آلَمْ» حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

ثم أفاد / الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] يحتمل أن تكون إشارة 50/أ إلى موعود أنجز بهذا وعده أي الذي وعدناك قبل هذا بتفريق منا لك من تخصيص وإفراد بتقريب فقد خلقناه الآن فهذه الحروف بيان الإنجاز وتحقيق الموعود والإشارة من الكتاب المبين ها هنا إلى حكمه السابق له بأن يرقيه إلى الرتبة التي لا ينالها غيره ولقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصاص: الآية 46] أو حين كلمنا موسى أخبرناه بعلو قدرك وإن لم تكن حاضراً وأخبرناه بأننا نبلغك هذا المقام الذي أنت فيه الآن من المرام وكذا كل نبي أوحينا إليه ذكرنا له قصتك وشرحنا له حالتك فالآن وقت تحقيق ما أخبرنا. وفي معناه أنشدوا:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ما كان قلبي للصبابة معهداً⁽²⁾

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: الآية 105]

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 342) رقم (1983)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 175) رقم (2910)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 375) رقم (60/ 7)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (12/ 418) رقم (4012).

(2) هذا البيت نسب إلى عبد الله بن علي البصري أبي القاسم. انظر طبقات الصوفية (1/ 99)، وورد في تاريخ دمشق (8/ 307)، وتفسير القشيري (8/ 377).

أي بعد التوراة أو بعد ذكرك لما قبله من الأنبياء ﴿أَنْتَ الْأَرْضُ يَرِثُهَا عِبَادِيَ
الضَّالِّينَ﴾ [الأنبياء: الآية 105] يعني أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الآية 2] أي الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 2] وسمى البعض
﴿قُرْآنًا﴾ لأنه في الأصل اسم جنس وصار علماً بالغلبة ونصبه على الحالية
و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة له وكونه منزلاً من اللوح أو السماء أو معزراً على السنة القراء
ومنسوباً إلى العرب العربا لا ينافي أن أصله كلام قديم نفسي إلهي منزّه عن
حدوث البقاء وحلول الفناء كما هو طريقة أهل السنة خلاف المعتزلة من أهل
البدعة. وحاصل المسألة إن هذا الكلام الأمني مظهر الكلام النفسي القدسي
﴿لَقَلَّكُمْ تَعْقُلُونَ﴾ [الآية 2] أي كي تفهموا مبانيه وتعلموا معانيه.

وأفاد الأستاذ: أن في إنزال الكتاب عليه فإرسال الرسل إليه تحقيق
لأحكام المحبة وتأكيد لأسباب الرصلة فإن من عدم حقيقة الوصول استأنس
بالرسول ومن بقي عن شهود الأحباب تسلى بوجود الكتاب كما قال قائلهم
في هذا الباب:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي فيها شفاء للذي أنا كاتم⁽¹⁾

﴿مَنْ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [الآية 3] مصدر والمعنى أحسن
الاقتصاص لأنه اقتصر أبدع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على الحكم
ب/50 والقضاء والأعاجيب / ﴿يَمَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [الآية 3] أي بإيحائنا إليك
هذه السورة التي شأنها عليّة وبرهانها جلية ﴿وَلِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ [الآية 3]
قبل وحيناً إليك بهذه السريرة ﴿لَمِنَ الْفَافِيكِ﴾ [الآية 3] عن معرفة هذه القصة
المشحونة بالفيضية حيث ما سرت على سمعك وما خطرت ببالك، وإن مخففة
من الغفلة واللام هي الفارقة.

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: أعجب القصص من بين القصص وفيه
إشارة لما لقي النبي ﷺ من عشيرته فلم يخرج عليهم منتقماً لذاته بل رأى

(1) أورده القشيري في تفسيره (10/1) وفي رسالته (51/1).

ذلك كله من موارد قضاء الحق ومواجب قدرته فلما رجعوا إليه واعتذروا لديه قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92] كيف يكون عليكم عيب فيه وكنتم المجبورون عليه، انتهى.

ولا يخفى أن التعلق بالقضاء جائز بعد الوقوع في القضية لا قبله ولا حال مباشرته في البلية كما حقق في حديث: «حج آدم موسى»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أنه أحسن القصص لأننا نحن نقص وعليك نقص، وهذا الوحي بك خص أو لخلوه عن الأمر والنهي الذي سماعه يوجب اشتغال القلب لما هو بعرض وقوع التقصير في حكم الرب أو لأن فيه ذكر مراتب الحب أو لما فيه من ذكر ترك يوسف هواه وإعراضه عن زليخا عند مراودتها إياه أو لأن فيه بيان عفو يوسف عن إخوته في حال سكوته وكمال عظمتهم وأن من قبله لمن الذاهبين عن فهم هذه القصة والمعنى إنك لم تصل إليها بكذك وجهدك ولا بطلبك وجدك بل هذه مواهب لا مكاسب. فالمعنى فبعطائنا وجدته لا بعنائك ويتفضلنا لا بتعلمك وتلطفنا لا بتكلفك وينا لا بك.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ [الآية 4] عبري لا عربي ولذا لم يصرف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الآية 4]

ففي الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم⁽²⁾ ﴿يَتَأْتِ﴾ [الآية 4] أصله يا أبي عوض عن الياء بالتاء لتناسبهما في الزيادة كما في نعمة ورحمة ولذا قلبها ابن كثير وابن عامر حال وقفها وكسرهما الجمهور لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر حيث جاء لأنها حركة أصلها أو لأنه يا أبنا فحذف الألف وأبقى الفتحة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ [الآية 4] من الرؤيا لا من الرؤية أي أبصرت في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [الآية 4] استئناف بيان حالهم التي رآهم عليها فلا 51/أ تكرار أو كرر لزيادة تحقق أمره فيها وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها

(1) أخرجه ابن منده في التوحيد (100/1) رقم (77) والمقدسي في الأحاديث المختارة (215).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4688)، والحاكم في المستدرک (377/2) رقم (3325)، وابن حبان في الصحيح (92/13) رقم (5776).

بصفاتهم أو باعتبار حال ذواتهم. قيل: أعجبه حسن رؤياه حتى أعلم أباه فكان فيه أول بليته ومحنته إلى أن بلغ تحقيق ما رأى من رتبته ومحنته، كذا ذكره السلمي.

﴿قَالَ يَبْنَئُ﴾ [الآية 5] تصغير شفقة أو لأن سنه اثنتا عشرة ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [الآية 5] فيحتالوا لإهلاكك حيلة ومكرًا بغياً وحسداً لما فهم من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه من أذيته ولم يدر أنه من لوازم قضيته في بليته ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية 5] ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وسائر المذنبين.

قيل: إن يعقوب عليه السلام دبر ليوسف في ذلك خوفاً عليه أن يقع من إخوته شر لما هنالك فوكل إلى تدبيره ووقع به ما وقع في ضميره ولو ترك تدبيره وفوض إليه سبحانه في أمره لحظة لكان الكل بتقديره ولذا قال الأستاذ: إذا جاء القضاء والقدر لا ينفع الوعد والحد.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 6] أي كما اجتباك لمثل هذه الرؤية الدالة على العزة والعظمة ﴿يَجْعَلُكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 6] للملك والنبوة.

قال ابن الحسين: اجتباه بما منحه من حسن العشرة ولطف الصحبة مع أوليائه وأعدائه وترك الانتقام لنفسه في بلائه. وقيل: اجتباه بصرف كيدهم عنه ولولا اجتباؤه لورد عليه منهن ما ورد فمنهن، كذا ذكره السلمي.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن قَوْلِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الآية 6] أي من تفسير غوامض الله وكلمات الأنبياء وروايات الحكماء. أو تقديره وهو يعلمك من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة.

وقال الأستاذ: لتقف على مقدار كل قائل بما تسمع من نطقه في لحن قوله لحدة كياستك وشدة فراستك ﴿وَيُؤْتِي نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ [الآية 6] بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الأخرى.

- وأفاد الأستاذ: أن من إتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة وأن يعرفونك-

51/ ب برؤية المنعم عن شهود النعمة ومن إتمامها رفع الهمة عن مساكنة التخمة ﴿وَعَلَىٰ/

لخاطره واطمئناناً لقلبه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أنه لما حلّ به البلوى عجلنا له تعريف ما ذكر من البشرى يكون محمولاً بالتفريق في غير ما هو متحمل له من البلوى الغيبية. ويقال: إن انقطع على يوسف مراعاة أبيه إياه فحصل له الوحي من قبل مولاه كذا سنّته تعالى أنه لا يفتح على نفوس أوليائه باباً من البلاء إلا فتح عليهم صنوف أبواب الصفاء وفنون لطائف الولاء.

﴿وَجَاءَ وَرَأَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [الآية 16] أي متباكين آخر النهار أو أول الليل وهو أظهر ليكون حالهم أستر وفي احتيالهم أعذر. ﴿يَبْكُونَ﴾ [الآية 16] أي متباكين.

وأفاد الأستاذ: أن تمكين الكذاب من البكاء سمة خذلان الله إياه. وفي الخبر: إنه إذا كمل نفاق المرء ملك عينه حتى يبكي متى شاء⁽¹⁾ ولا يبعد أن يقال: إنهم وإن جنوا عليه ندموا على ما فعلوا به فعلاً تمّ البكاء لندمهم وإن لم يظهروا لأبيهم خوفاً من عملهم بناءً على طمعهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ﴾ [الآية 17] نسابق في العدو والرمي ﴿وَنَرْكَبُكَ يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا﴾ [الآية 17] لثلا يقع في العناء ﴿فَأَكَلَهُ/الذِّئْبُ﴾ 53/ب [الآية 17] من غير قصدنا الذنب ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [الآية 17] بمصدق في حقنا ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [الآية 17] في قولنا لسوء ظنك بنا وفرط محبتك لأخيها.

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ﴾ [الآية 18] أي فوقه ﴿يَدْمِرُ كَذِبٌ﴾ [الآية 18] ذي كذب بمعنى مكذوب فيه أو وصف بالمصدر للمبالغة كرجل عدل. روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح من غاية الأسف وطلب قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب خده بدم القميص وقال: ما رأيت كاليوم ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، ولذلك الحال ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾

(1) أورده القشيري في تفسيره (406/3).

[الآية 18] أي سهّلت لكم وهوّنت في أعينكم أمراً عظيماً ومنكراً جسيماً ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 18] أجمل وأكمل أو فأمرى صبر جميل. وفي الحديث: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق⁽¹⁾.

وقال يحيى بن معاذ: هو أن يتلقى البلاء بقلب رَحِيب ووجه بشير، ذكره السلمي. وفي الفاء التحتية إيماء إلى نكتة جليلة وهي ما أشار إليه ﷺ بقوله: «الصبر عند الصدمة الأولى»⁽²⁾ على ما رواه أبو يعلى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ [الآية 18] أي المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 18] أي على احتمال ما تصفونه من حلول المحنة وحصول الكربة ونزول المصيبة فإن المعونة تأتي على قدر المؤونة.

﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [الآية 19] جماعة مسافرة من مدين إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ [الآية 19] الذي يرد الماء ويستقي لهم وهو مالك الخزاعي ﴿فَأَذَلَّتْ دُلُومُهُمْ﴾ [الآية 19] أرسلها في الجب ليملاًها فتدلى وتعلق يوسف بها فأخرجه فلما رأى وجهه ﴿قَالَ يَبَشِّرُنِي هَذَا عُلْمٌ﴾ [الآية 19] نادى البشرى ببشارة لنفسه أو إشارة لقومه فكأنه قال تعالى: هذا أوانك فأقبلي. وقرأ غير الكوفي: يا بشراي بالإضافة ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ [الآية 19] أي أخفاه الوارد وأصحابه من بقية أحبابه ﴿يَضَعُهُ﴾ [الآية 19] متاعاً للتجارة ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] من إسرارهم وأسرارهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أراد خلاص يوسف من الجب أزعج خواطر السيارة في قصد المسامرة وأعدمهم الماء حتى احتاجوا إلى الاستقاء وقد قيل: الأدب تشويش في العالم والمقصود منه سكون واحد ولهذا قيل: رب ساع / لقاعد. وروي أن يهوداً كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده في المقام فأخبر الإخوة فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلامنا أبق منا ومكث يوسف مخافة أن يقتلوه.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (220/7) رقم (10076) - - - - -

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (7154)، ومسلم في الصحيح (14/926).

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [الآية 20] أي اشتروه أو باعوه بقيمة مبخوسة لكونها مزيفة أو منقوصة أو منحوسة ﴿دَرَاهِمَ﴾ [الآية 20] بدل من الثمن ﴿مَثْوًى﴾ [الآية 20] قليلة بأنهم كانوا يزنون ما بلغ الوقية وهي أربعون درهماً ويعدون البقية ﴿وَكَاثُوراً﴾ [الآية 20] أي الإخوة أو الوارد والرفقة ﴿فِيهِ﴾ [الآية 20] في حق يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [الآية 20] أي الراغبين عنه.

وقال ابن عطاء: لقلة علمهم بنفاسته وكل من لم يعرف قدر جوهر ومرتبة قيمته فهو زاهد في حقه كذلك الرجل يبيع آخرته بالدنيا والجنة بالهوى وربما يبيع الرجل إيمانه بأخس بقية وربما فاته الحق بلحظة فليتب الله في كل لمحة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يعرفوا خسرانهم في الحال ولكنهم وقفوا عليه في المال كما قيل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء. ويقال: ليس العجب ممن يبيع مثل يوسف بثمن بخس إنما العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس وأعجب منهما من يبيع وقته الذي أعز من الكبريت الأحمر بعوض حقير من الدنيا بترك النعيم الأكبر. ويقال: إن السيارة لم يعرفوا قيمة كماله فزهدوا في شرائه بدراهم بخس والذين وقفوا على جماله وشيء من حسن حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى اشتروا بزنته دراهم ودنانير مرات كما ذكر في خبره. وفي معناه أنشدوا:

إن كنت عندك يا مولاي مُطَرَحاً فعند غيرك محمول على الحدق⁽¹⁾

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ [الآية 21] وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته ﴿لَا مَرَأَتَهُ﴾ [الآية 21] زليخا وقيل زاعيل ﴿أَكْرَمَى مَثْوًى﴾ [الآية 21] اجعلى مقامه كريماً وأحسنى بعهدته تعظيماً ﴿عَسَى أَن يَنْفَعَنَا﴾ [الآية 21] في محافظة أموالنا وملاحظة أحوالنا ﴿أَوْ نَخْذُمُ لَهُ﴾ [الآية 21] في مالنا حيث لا ولد لنا.

(1) نسب إلى أبي الفضل الدارمي. انظر نفع الطيب (3/115).

قال ابن عطاء: كل من اعتمدت عليه أو سكنت إليه يصيبك منه محنة
54/ ب لديه، ألا ترى إلى صاحب يوسف لما قال لامرأته أكرمي مثواه عسى / أن
ينفعنا وركن إلى يوسف، صار يوسف محنة عليه وعليها حتى قالت ما جزاء من
أراد بأهلك سوءاً، وما بعده من المحن، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما نودي على يوسف في مصر بالبيع لم يرض الحق
سبحانه حتى أصابتهم الضرورة ومستهم الفاقة إلى أن باعوا من يوسف جميع
أموالهم ثم باعوا كلهم منه أنفسهم طلباً للطعام فصاروا بأجمعهم عبيده عليه
السلام، ثم إنه لما ملكهم من عليهم فاعتقهم فلتن مر عليه بمصر يوم ظل فيه
ينادي عليه بالبيع أصبح بمصر يوماً آخر وقد ملك فيه جميع أملاكهم وملك رقاب
جميعهم فيوم بيوم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:
الآيتان 6،5]، يومان شتان ما هما ثم إنه أعتق جميعهم كذا الكريم إذا قدر عفا.

قلت: وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُلَهَا بَيْنَ اثْنَيْنِ﴾
[آل عمران: الآية 140]، وأنشدوا:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر⁽¹⁾
ولعل فيه الإشارة إلى البشارة بما وقع له ﷺ في آخر أمره من فتح مكة
عليه وإذلال قومه لديه وعفوه عنهم وقوله للقوم: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾
[الآية 92].

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي كما مكنا محبته في قلب
سيده مكناه في منزله ليشكر على نعم ربه ﴿وَلِنُعَلِّمُ مِنْ فَائِزِ الْأَحْكَامِ﴾
[الآية 21] تفسير كتاب الله وتبيين أحكامه أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث
الكائنة في أيامه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ أَمْرُهُ﴾ [الآية 21] فلا راد لقضائه ولا معقب
لحكمه، أو على أمر يوسف أراد به إخوة يوسف شيئاً وأراد الله غيره فلم يكن إلا
ما أراد. وقد ورد في حديث قدسي وكلام أنسي: «عبدني أريد وتريد ولا يكون

إلا ما أريد، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله البلاء»⁽¹⁾. وفي رواية: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليلتمس رباً سواي»⁽²⁾.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 21] صنائع حكمه وبدائع لطفه أو أن الأمر كله بيده.

وقال الواسطي: يصرفهم في تدبيره ويدبرهم في تصريفه ويوجد منهم المفقود ويفقد منهم الموجود، فالإضافات ضرب من الإشراك. قلت: وهذا معنى قولهم: التوحيد / إسقاط الإضافات لأن الكائنات بأسرها كما قال تعالى: 55/أ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ مَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوَةً وَلَا شُورًا﴾ [الفرقان: الآية 3].

وأفاد الأستاذ: أنه لا عبرة لمن يرى الخلق في الحال وإنما الاعتبار بما يظهر من سر تقدير في المآل إن أرادوا من حسده أن لا يكون له فضيلة في دار نفسه على إخوته وأهله وأراد الله أن يكون له ملك الأرض بأسره فكان ما أراد الله لا ما أراد سواه، وأرادوا أن يكون عبداً ذليلاً وأراد مولاه أن يكون سيداً عزيزاً.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ [الآية 22] منتهى اشتداد بنيته وسمة قوته وهو سن الوقوف فيما بين الثلاثين والأربعين ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ [الآية 22] بين الناس أو حكمة وهي العلم المقرون بالعمل ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 22] علم تأويل الأحاديث ﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 22] أي كما جزيناه على إحسانه في علمه وعمله واتقائه في عنفوان أمره ﴿بَجَرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 22] من سائر المؤمنين على إحسانهم بحسب مراتب إبقائهم. قيل: لما عقل عن الله في أوامره ونواهيه واستقام معه على

(1) ورد بلفظ مختلف دون ذكر الفقرة الأولى. انظر ما أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1338) رقم (4031)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 601) رقم (2396).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (21/ 153) رقم (6428)، وأورده المناوي في الإتحافات السنية (1/ 68) رقم (155) والسيوطي في جامع الأحاديث (15/ 74) رقم (15013).

شروط آدابه أعطاه حكماً على الغيب في تعبير الرؤيا وعلماً بنفسه في مخالفة الهوى، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني حين استوى شبابه وكُمّل قوته وكان وقت استيلاء شهوته وتوفر دواعي مطالب بشريته آتاه الله الحكم الذي حبسه على الحق وصرفه عن الباطل والعلم بأن ما يعقب اتباع اللذات من هواجس القدم أشدّ مقاساة من كلفة الصبر في الحال للامتناع من دواعي الشهوة الموجبة للندامة في المآل فأثر مشقة الامتناع على لذة الاتباع وذلك الذي أشار إليه الحق من جميل الجزاء الذي أعطاه وهو إمداده بالتوفيق حتى استقام في التقوى والورع على سواء الطريق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: الآية 69] أي الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبيل الصبر على الاستقامة حتى يتبين لهم حقائق المواصله.

﴿وَزَوَّدْتُهُ الْأَنْثَىٰ وَفِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ﴾ [الآية 23] طلبت وتحالت وتمحلت أن يواقعها ﴿وَعَلَّقْتَ الْأَبْوَابَ﴾ [الآية 23] ستراً للحال ليوافقها ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [الآية 23] أي هيات أو هيات لأجلك، والكلمة اسم فعل بني على الفتح كأمين. وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء تشبيهاً / له بحيث، ونافع وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء إلا أن هشاماً بهمز. وقد روي عنه ضم التاء أيضاً ﴿قَالَ مِمَّا ذُوَّ اللَّهُ﴾ [الآية 23] أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُ﴾ [الآية 23] أي الشأن ﴿رَبِّي﴾ [الآية 23] أي سيدي ومالكي ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ [الآية 23] أي مكاني ومحل تعهدي فليس من جزاء فضله أن أخونه في أهله. وقيل: الضمير لله أي إنه خلقني وأحسن تربيتي بتحسين منزلتي حيث عطّف على قلب سيدي عليّ حتى مال إليّ فلا أعصيه بمقابلة إنعامه لديّ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية 23] المجازون الحسنى بالسيئة.

وأفاد الأستاذ: أنها لما أغلقت عليه أبواب الغرفة فتح الله عليه أبواب العصمة والمعرفة والمروءة. وفي التفسير: إنه حفظ حرمة الرجل الذي ادعى أنه اشتراه وهو العزيز، وفي الحقيقة أشار بقوله: ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ [الآية 23] إلى

الحق تعالى فقال: ﴿أَحْسَنَ مَثْوًى﴾ [الآية 23] حيث خلصني من الجب وأوقع لي الحب في قلب العزيز حيث قال: ﴿أَكْرَمِي مَثْوًى﴾ [الآية 21] فلا ينبغي أن أقدم على عصيانه وقد أفردني بجميل إحسانه. ويقال: لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه خوف الوبال أكرمه الحق سبحانه بالإمداد بأن عصمه في الحال ومكّنه من مواصلتها في المآل على الوجه الحلال. وأما ما في تفسير السلمي من أنه قيل لما نظر في ترك المعصية إلى صاحبه وولّي نعمته الأدنى ولم ينظر إلى ربّه وولّي نعمته الأعلى عوقب بالهمّ، قيل: ﴿هَمَّتْ يَوْءٌ وَهَمَّ يَهَا﴾ [الآية 24] ففيه نظر ويحث باهر إذ شأن الأنبياء أعلى من ذلك لوصولهم إلى مرتبة الجمع الذي لا يتصور ذلك هنالك. وعن التنزل أنه أراد برّب العزيز إنما خاطبها بهذا الجوهر الكنيز لتنتبه عن الغفلة من إحسان زوجها إليها الموجب لإيجاب إحسان نفسها عليها، وأيضاً ورد في الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»⁽¹⁾. وفسر الصالح ممن جمع بين حقوق الله وحقوق ما سواه ولا يلزم ممن أنكر الخلق نسيان ذكر الحق.

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْءٌ وَهَمَّ يَهَا﴾ [الآية 24] أي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والمراد بهمّ ميل طبعه البشري لا قصده الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف الإلهي بل الحقيقي بالثناء الجميل والجزاء الجميل من الله سبحانه / من 56/أ يكفّ نفسه عند قيام هذا الهمّ عن العقل المهمّ أو المراد بهمّ همّ المشاركة فتكون الجملة من قبيل المشاكلة والمقابلة وقد وقف بعضهم على قوله همت به وجعل قوله وهمّ بها متصلاً بقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ رَمَا بُرْهَنَ رَبِّي﴾ [الآية 24] فلا إشكال حينئذ من جهة المعنى وإن كان هذا الإعراب ضعيفاً من نحو المبنى فقيل: تمثّل له جبريل أو يعقوب في نظره عاضاً على أصبعه، وقيل: جاءه النداء من عالم السماء أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء.

وفي تفسير السلمي قال ابن عطاء: هَمَّتْ به همّ شهوة وهمّ بها همّ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 51) رقم (3582)، وفي المعجم الكبير (2/ 356) رقم (2501)، والترمذي في الجامع الصحيح (1955)، وأحمد في المسند (12/ 472) رقم (7504).

موعظة تزجرها عن همّها ﴿لَوْلَا أَن رَّأَا بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [الآية 24] قال واعظاً في قلبه وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

وقال جنيد: تحرك طبع البشرية في يوسف ولم يعاونه طبع العادة والعبد في تحريك الخلقة فيه غير مذموم.

وقال ابن عطاء: قالت زليخا ليوسف: اصبر إلي ساعة حتى أعود إليك، قال: فما تفعلني، قالت: أغطي وجه ذلك الصنم فأني أستحيي منه، فتذكر يوسف عند ذلك اطلاع ربه فهرب منها، فذلك البرهان. وقيل: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، وفي الآية تقديم وتأخير.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 24] مثل التثنية ثبتهاء ﴿لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ [الآية 24] خيانة السيد ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ [الآية 24] الزنا، ذكره المفسرون وقيل: السوء الهم والفحشاء الموافقة، ذكره السلمي. أو السوء العزم والفحشاء مقدمة الزنا وهذا المعنى هو المناسب لمراتب الأنبياء.

وقد أفاد الأستاذ: أنه سبحانه صرف عنه السوء حتى لم يوجد منه العزم على ذلك الفعل وإن كان منه هم لم يكن ذلك جزءاً والصرف عن الطريق إذ بعد الحصول يكون كشفاً لا صرفاً ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 24] الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث جاء: أي الذين أخلصوا دينهم لله.

قال جنيد: أول ما يبدووا من الإخلاص في أحوال الأولياء خلوص سرائرهم وهممهم وإرادتهم وأحوالهم ثم خلوص أفعالهم فمن لم يخلص في سره لا ينال الإخلاص في فعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يكن نجاته وخلاصه في إخلاصه ولكن في صرفه عن السوء واستخلاصه.

56/ب ﴿وَأَسْتَبْقَى الْبَابَ﴾ [الآية 25] تبادرا الباب البراني وذلك أن يوسف فرّ / منها ليخلص عنها وأسرعت عنه لتمنعه الخروج بناء على أن غرضها وتعلقت بشوبه

وأجذبتة من خلفه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ [الآية 25] شقته من طوله ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [الآية 25] وجدا زوجها ﴿لَذَا أَلْبَابٍ﴾ [الآية 25] حاضراً فرأها معه فاستحيت منه فاحتالت في دفع التهمة عنها بإيقاعها عليه لنقصان محبتها وقلة عقلها ومروءتها مع عدم ديانتها ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 25] إيهاماً بأنها فرّت منه بترفع لساحتها عند زوجها وإغرائه على يوسف انتقاماً منه لحرمانها.

وفي تفسير السلمي قيل: لو فر إلى ربّه والتجأ لكفى ولكنه لما هرب منها وفر بنفسه عنها أحلّ نفسه محل التهمة حتى قالت: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ [الآية 25]. قلت: وهذه طريقة الملامتية من السادة الصوفية عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: الآية 54].

وقال ابن عطاء: لم تستغرق هي في محبتها بعد فلم تجب بالصدق وآثرت نفسها على نفسه فلما استغرقت في المحبة أظهرت بالحق وآثرت نفسه على نفسها وقالت: ﴿الْفَنَ حَصَّصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الآية 51].

وقال الأستاذ: لم يضر يوسف ما قدّت من قميص ديناه بعدما صح عليه لباس تقواه، ويقال: لقنته حديث السجن أو العذاب الأليم لثلا يقصد قتله ففي عين ما سمعنا به نظرت له وأبقت عليه.

﴿قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [الآية 26] طالبتني بالمواطأة. وإنما قال ذلك دفعاً للتهمة لما عرضته له من العقوبة ولو لم تكذب بمقالتها لسكت عن حالها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [الآية 26] صبي في المهد من أهلها ابن عمته أو خالها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها ليكون ألزم عليها، وقد قيل: إذا كان العبد صادقاً في نفسه لم يبال الله أن ينطق الحجر لأجله ﴿إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰذِبِينَ﴾ [الآية 26] لأنه يدل على أنها جرت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها.

﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰدِقِينَ﴾ [الآية 27]

لأنه دال على أنها تبعته فجذبت ثوبه فقدته وتسميتها شهادة لأنها أدت موادها
57/ أ حيث ثبت قول يوسف وبطل / قولها.

﴿فَلَمَّا رَأَىٰ قَيْصُومُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ [الآية 28] أي هذا الأمر من كيدكن
والخطاب لها ولأمثالها ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [الآية 28] فإن كيد
النساء ألطف من الجلب وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس ولأنهن يمكن
الرجال مواجهة والشیطان يوسوس به مسارقة فلا ينافيه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ
الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: الآية 76]، ولا يبعد أن يقال: إن كيد الشيطان بغير
توسطهن ضعيف لما في الحديث من أن «النساء حباثل الشيطان»⁽¹⁾ أي شبكته
في مصيدته.

وفي تفسير السلمي: أنا أخاف من النساء أكثر من الشيطان لما سبق من
الآيتين.

وقال الشبلي: كيدهن عظيم على من يدركه من ربه التوفيق والرعاية فأما
من كان بعين الحق فكيف يكيد كاید.

﴿يُؤَسِّفُ﴾ [الآية 29] خذ منه حرف الغنة لكمال قرينه ونقطته لحديثه
﴿أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [الآية 29] استظهر ولا تظهره ﴿وَأَسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ﴾ [الآية 29] يا
زليخا، وأسقط اسمها لجمال الإعراض عنها ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾
[الآية 29] من القوم المذنبين وتذكير للتغليب.

وقال الأستاذ: ليس كل إحداها البلاء إن البلاء من صنعة أرباب الولاء
فأما الأجانب فتجوز عنهم ويخلي سبيلهم لا لكرامة محلهم ولكن لحقارة
قدرهم. هذا يوسف عليه السلام كان بريء الساحة فظهر للكل سلامة جانبه
فابتلي بالسجن وامرأة العزيز ظهر سوء فعلها ثم لم ينزل شظية من البلاء بها.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [الآية 30] هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير

(1) تخريج أحاديث الإحياء (477/5) رقم (2777)، والمقاصد الحسنة (1/ 695) رقم
(1247)، وكشف الخفاء (2/ 315) رقم (2802).

حقيقي ولذا ذكر فعله ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الآية 30] أي في مصر ﴿أَمْرَأْتُ الْفَزِيرِ تَرْوُدُ فَتَلْهَى عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الآية 30] تطلب واقعة غلامها إياها وتريد موافقته لها في هواها ﴿قَدْ شَفَّهَهَا حُبًّا﴾ [الآية 30] أي من شقّ شغاف قلبها وهو حجابها كمال حبها حتى وصل إلى فؤادها. وقرأ شغفها أي أحرق حبه قلبها ولبها.

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إشغاف في الحب حال الجمود حين لا عبرة عما به ولا الإخبار عن قلبه كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿وَيَنْبِئُكَ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ [الشعراء: الآية 13]. وقال: جنون المحبة ألا يرى جفاء الحبيب له جفاء بل يرى جفاء وفاء. وقيل: أدخلها حبه حتى لم تكن تعرف سواه ولم يكن للملامة عليها من الغير أثر بل ولم يكن عن غيره خبر ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] أي بعد أن ظهر عن صوب / الصواب حيث صارت للعبد 57/ ب من الأحباب في وراء الأبواب. وقيل: الضلال هو العشق بالكمال ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ ﴿الضحى: الآية 7﴾.

وفي تفسير السلمي: سأل جعفر بن محمد عن العشق فقال: ضلال. ثم قرأنا: ﴿لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] معناه في عشق ظاهر. وقال بعضهم: في غلبة العشق ضلّ فيه بصيرتها وعقلها فلم يبق عليها محل الكتمان من غلبت شوقها وكثرت ذوقها.

وأفاد الأستاذ: أن الحب لا يكتم ولا يجوز ولا يكون محبة إلا وأتبع لها لسان العذول ولما تحقق لها في يوسف مقام المحبة بسطت النسوة فيها لسان الملامة إثم كل من كان أحسن قيمة [أسرع] إلى الملامة كنّ النسوة وكنّ من جملة خدمها بلا ملامة.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [الآية 31] بتيانهن، وسمي مكرًا لأنهن قلن ذلك توسلاً لما وصل يوسف زعماً منهن أنها ترينهن ﴿أَرْسَلْتُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 31] تدعوهن ﴿وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَكْثًا﴾ [الآية 31] يتكئ عليها من الوسائد وغيرها أو مجلس طعام فيه نحو الأترنج وغيره مما يحتاج إلى الآلة في قطعه ﴿وَوَاسَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [الآية 31] حتى يتكئن والسكاكين في أيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن

ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة لديهن ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ [الآية 31] وأشارت إلى رفعة مقامه حيث لم تقل إليهن لا سيما وقد قصدت به إضرارهن فإنها صارت كالضربة لهن لملامتهن وعدم ملاءمتهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ [الآية 31] عظمته وهبن حسنه. وقد ورد في الخبر عن سيد البشر أنه رآه ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر ﴿وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 31] جرحن ما في أيديهن أي كفوف أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 31] تنزيهاً له من عجزه وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو ووصلاً فحذف ألفه الأخيرة تخفيفاً ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] ألا إن هذا الجمال غير معهود وفي جنس البشر موجود ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة.

58/أ وقال الأستاذ: أرادت أن ت قلب عليهن استحقاق الملامة / وتنفي عن نفسها أن يكون لها أهلاً بالسلامة فعملت بهن ما عملت فلما رأينه تغيرن وتحيرن ونطقن بخلاف التمييز على حسب ما تصورن فقلن: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] وكان بشراً، وقلن: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] ولم يكن ملكاً.

﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ [الآية 32] أي فهذا هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتني فيه وفي الافتتان به قبل أن تتصورونه حق تصويره ولو تصوّرته بما عاينت لعذرتني أو فهذا الذي لمتني في محبته وكمال مودته.

قال النصرآبادي: العذر في طلب العشق من نقصان العشق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما أثر في النسوة رؤية يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن بدل الثمار ولم يشعرن عن حالهن في ذلك المقام أوضحت بذلك عذرها عندهن لدفع الملام فقالت هذا بأول لقيتهن له لم يتماكن حتى قطعن أيديهن فكيف يتصور الصبر لي وهو معي في منزلي. ويقال: إن امرأة العزيز كانت أتم في حديث يوسف من النسوة فآثر رؤيته فيهن ولم يؤثر فيها لأنها بطول اللقاء قوي حالها فصارت رؤية يوسف لها غذاء معتاداً بها فلم

يؤثر فيها والتعبير صفة أهل الابتداء في الأمر فإذا دام المعنى نال التغير. قال الصديق لمن رآه يبكي وهو قريب العهد بالإسلام: هكذا كنا حين قست القلوب أي قويت وصلبت وكذا الحرق أول ما يطرح فيه الماء يسمع له نشيش⁽¹⁾ فإذا انفرد شراب الماء سكن فلا يسمع له صوت أصلاً.

﴿وَلَقَدْ رَوَدْنَاهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [الآية 32] فامتنع طالباً للعصمة في حاله، أقرت لهن حيث عرفت أنهن يعذرنها حيث ابتلين ببلائها ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُوهُ﴾ [الآية 32] أي ما أمر به أو موجب أمري به ﴿لَيْسَجَنَّ وَلْيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [الآية 32] أي الأذلين.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ [الآية 33] يا ربي ﴿الْيَسَجَنُ﴾ [الآية 33] أي مكان الحبس، وقرأ يعقوب بفتح السين أي احتباسي لا احتراسي ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] أي أتر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ [الآية 33] من الموافقة نظراً إلى العاقبة التي هي حالة المعاقبة وإسناد الدعوة إليهن لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو لأن كل واحدة منهن كانت تدعوه / إليها بلسان حالها وعرض جمالها. قيل: إنما ابتلي 58/ب بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله العافية.

وفي «تفسير السلمي» قال بعضهم: توهم يوسف أن السجن ينجيه من الفتنة والبلوى فأوقعه في الفتنة الكبرى حتى قال لصاحب السجن: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42]. قال بعضهم: ترك طريق الاضطرار واختار تركه مع اختياره حتى لبث في السجن ما لبث بالثبوت على العصمة. وقوله له من السجن تلك الخطيئة الفظيعة وهو الركن إلى غير الحق بقوله: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42].

﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي﴾ [الآية 33] بالثبوت على العصمة ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 33] في تحبيب ذلك إلي وتحسينه لدي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] أمل إلى إجابتهن أو إلى ذاتهن بحسب طبيعتي وموجب شهوتي وأصل الصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبي، وكذا الصبا لأن النفس تستطيبها وتميل إلى هبوبها ﴿وَأَكْرَمَ مِنَ الْخَالِدِينَ﴾

(1) صوت اللحم عند القلاء. انظر تاج العروس (1/7680).

[الآية 33] من الذين لا يعلمون بما يعملون فإنهم والسفهاء سواء.

وأفاد الأستاذ: إن الاختبار مقرون بالاختيار ولو تمنى العافية بدل ما كان يدعى إليه لعله لأنه كان يعافى مما عليه. ويقال: إنه نطق عن عين التوحيد حيث قال: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] علم أن نجاته من البلاء بصرفه سبحانه للطفه لا بتجنبه ولا بتكلفه. ويقال: لما أثر يوسف لحقوق المشقة في الله على لذّة نفسه وهواه أثره على إخوته وأهل عصره حتى قيل له في آخر أمره: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الآية 34] دعاء ونداء ورجاءه في الخلاص عنهن ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 34] ولا بتثيت العصمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 34] لدعاء الملتجئين ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 34] بدل المضطرين.

وقال الأستاذ: لما رجع إلى الله بصدق الاستعانة تداركه سبحانه بحق الإغاثة كذلك ما اغبرّ لأحد في سبيل الله قدامه إلا لاح عليه كرمه وتوالى لديه نعمه.

﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ [الآية 35] أي هم للعزيز وأهله بعدما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستقصائه عنهن، وفاعل بدأ مضمّر يفسره ﴿لَيْسَ جُنُودُهُ حَتَّىٰ جِئَ﴾ [الآية 35] وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته/ على سجنه زماناً دفعاً للتهمة عنها. أ/59

قال الأستاذ: لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءته أبقى على امرأته أن ينتهك سترها وجميل حالته حول الله ملكه وملكه إليه ثم في آخر الأمر حكم الله له بأن صارت امرأته بعد مقاساتها الضر لديه وهكذا جرى من صبر لله وفي حكم الله عليه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ [الآية 36] أي وافق أن دخل حال دخوله السجن خادمان من عبيد الملك شرابييه وخبازه ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ [الآية 36] وهو الشرابي ﴿إِنِّي أَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ وَهِيَ حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ﴾ ﴿أَعَصِرُ خَمْراً﴾

[الآية 36] أي عنباً، وسماء خمراً باعتبار ماله ﴿وَقَالَ الْآخَرُ﴾ [الآية 36] أي الخباز ﴿إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾ [الآية 36] تنهش من ذلك الخبز ﴿نَبْتَنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [الآية 36] أي بتعبيره ومال أمره ﴿إِنَّا نَرْزُقُكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 36] أي الذين يحسنون تأويل الرؤيا. وإنما قالوا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه فإنك من العالمين العاملين.

وقال ابن عطاء: أي من المائلين إلى الفقراء بالإحسان إليهم والقيود معهم والأنس بهم. وقيل: من المحسنين إلى المسيئين.

وأفاد الأستاذ: إن شهود الإحسان من المحسن ذريعة بها يتوسل إلى استجلاب إحسانه.

﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِي إِلَّا نَبَاتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [الآية 37] أي بتأويل ما قصصتما عليّ ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ [الآية 37] أي بذلك التأويل ﴿ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ [الآية 37] بالوحي والإلهام بالتكهن والتنجم والإزلام ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الآية 37] كأنه أراد قبل أن يؤول رواياتهما أن يدعوهما إلى التوحيد القويم والطريق المستقيم كما هو سنة الأنبياء وعادة الأولياء من علماء الأصفياء في الهداية من البداية إلى النهاية وقدم الإخبار بالغيب ليكون لهم معجزة دالة على صدقه في التعبير والدعوة.

﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِتْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية 38] أظهر أنه من بيت النبوة لتقوية الرغبة في استماع الدعوة واستقبال الإجابة ولذلك جوز للخامل من العالم العامل أن يصف نفسه ليعرف حاله فيلتبس معه كماله.

وقال أبو / عثمان: أسلم الطرق من الاغترار طريق الاقتداء لأنها طريق 59/ ب الأئمة الأبرار ﴿مَا كُنَّا لَنَا﴾ [الآية 38] ما صح لنا معشر الأنبياء ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 38] أي أي شيء كان من الأشياء سفلياً أو علوياً أو لا شركاً جلياً ولا خفياً ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 38] التوحيد لدينا ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ [الآية 38] بالوحي إلينا ﴿وَعَلَى النَّاسِ﴾ [الآية 38] سائرهم تبعثنا لإرشادهم إلى حسن معاشهم

وزاد معادهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ [الآية 38] المبعوث إليهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 38] هذا الفضل المنعم عليهم فيعرضون عن الإيمان ويسئون في مقابل الإحسان.

قال الواسطي: رؤية الفضل حسن ورؤية التفضل أحسن ورؤية المتفضل والغنى عن رؤيته أحسن وأحسن. وقيل: أحسن الناس حالاً من رأى نفسه تحت ظل فضله ونعمه لا تحت سعيه وعمله.

﴿يَصْصِجِي السِّجْنِ﴾ [الآية 39] أي ساكنيه ﴿ءَأَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ [الآية 39] آلهة متعددة في التفرقة متحدة ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَحْدُ الْفَهَارُ﴾ [الآية 39] أي المنفرد الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 40] أي أنتما ومن على طريقتكما ﴿مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [الآية 40] أي إلا أشياء باعتبار أسامي أطلقت الالهة عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها لا من جهة العقل ولا من طريق النقل ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ [الآية 40] في أمر العباداة ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية 40] المستحق لها بالذات المستجمع لكمال الصفات فهذا بطريق العقل وأما بطريق النقل فأشار إليه بقوله ﴿أَمَرَ﴾ [الآية 40] أي على لسان أنبيائه ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ [الآية 40] التوحيد الصدق ﴿الَّذِينَ أَلْفِتُمْ﴾ [الآية 40] الحق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 40] لا يميزون بين المعوج والمستقيم.

﴿يَصْصِجِي السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ [الآية 41] وهو الشرابي ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ [الآية 41] يعود إلى سقيه إياه ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الْطَيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [الآية 41] على طبق ما رآياه، فقالا: كذبنا في رؤيانا فقال: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية 41] قطع ما يؤول إليه أمركما وتحقق عاقبة ما نزل بكما على وفق استفتائكما.

وأفاد الأستاذ: أنهما اشتركا في دخول السجن وحصول السؤال وتباينا 60/ أ في المآل واحد صلب وواحد وهب له وقرب، كذا قضايا/ التوحيد واختيار الحق المرید لما يشاء بالعبید فمن مرفوع فوق السماك مطلعته ومن موضوع

تحت التراب مضجعه. أقول: ولعل في الآية إشارة إلى أن الدنيا سجن الفريقين في الحال مع اختلافهما في العقبي من حيث المآل.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية 42] الظان يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ﴿أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] أي اذكر حالي عند الملك كي يخلصني من ذلك ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [الآية 42] أي أنسى الشيطان الشرابي أن يذكر وأنسى يوسف ذكر الله في قوله حتى استعان بما سواه ويؤيده حيث رحم الله أخيه يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعة بعد الخمس⁽¹⁾ والاستعانة بالعباد في كشف الشدة وإن كانت محموددة في الجملة لكن لا تليق بمنصب أرباب النبوة وأصحاب الولاية.

قال أبو سعيد القرشي: لما قال لصاحب السجن: ﴿أَذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله يقرؤك السلام ويقول: من حبيبك إلى أبيك من بين إخوانك ومن قيض لك السيارة ومن طرح في قلب من اشتراك مودتك ومن صرف عنك وبال المعصية وعصمك، قال: هو الله سبحانه، قال: فإنه يقول: حفظتك في هذه المواضع أخشيت أن أنساك في السجن حتى استعنت بغيري أما كان ربك أقرب منك وأقدر على خلاصك لتلبث فيه بضع سنين، قال يوسف: ورببي عني راض، قال جبريل: نعم، قال: لا أبالي ولو إلى الساعة⁽²⁾.

وقال أبو حفص: قال الله تعالى ليوسف: أنت الذي طلبت مني السجن لم تستشفع لغيري في الخلاص منه. وقال ابن عطاء: غار الحق على يوسف حين غلب عليه البشرية بالرجوع في حاجته إلى البرية فأدركه الحق لقطع حاجته منهم وإيصاله إلى حاجته في سر الغيب عنهم، ذكره السلمي.

(1) أوردته الرازي في تفسيره (9/49)، والنيسابوري في تفسيره (4/366)، والسيوطي في الدر المنثور (4/541)، والبيضاوي في تفسيره (1/289)، والقرطبي في تفسيره (9/196).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرک (2/263) رقم (2948)، وأحمد في المسند (2/346) رقم (8535)، والطبري في تفسيره (16/136)، وابن كثير في تفسيره (4/394).

وقال الأستاذ: بين أن تعبير الرؤيا وإن كان حقاً فطريقه غلبة الظن دون 60/ ب القطع ولو كان صدقاً، ثم إنه عوتب يوسف عليه السلام بأن / نسي حديثه من استعان به لثلا يطلب على نشره علمه عوضاً بعده ففي بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ﴾ [الآية 43] أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتُوبَاتٍ خُضِرَ﴾ [الآية 43] قد انعقد حبها ﴿وَأُخْرَىٰ يَاسْتَسْتِ﴾ [الآية 43] وسبعاً آخر حصل كمالها فالتوت الياسات على الخضر حين غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرة ومالكها ﴿يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ﴾ [الآية 43] أي عبّروها ﴿إِنْ كُنْتُ لِلرُّؤْيَا نَبِيرٌ﴾ [الآية 43] إن كنتم عالمين لعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصورة الخالية إلى المعاني النفسية التي هي بمنزلة المرآة الجلية وانعكاس صور جمالها في المراتب المثالية واللام لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل.

قال الأستاذ: كان ابتداء بلاء يوسف بسبب رؤيا رآها فنشرها وسبب نجاته أيضاً رؤيا رآها الملك وأظهرها ليعلم أن الله يفعل ما يشاء بالعبيد ويحكم ما يريد.

﴿قَالُوا أَضِغْثُ أَحْلَمَ﴾ [الآية 44] أي هذه تخاليطها ومظنة تغاليطها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ﴾ [الآية 44] المختلطة ﴿بِمَلِكِينَ﴾ [الآية 44].

﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ [الآية 45] من صاحبي السجن وهو الشرابي ﴿وَأَذْكُرُ﴾ [الآية 45] أصله اذتكر من الذكر فأبدل التاء لإلا وأدغم، والمعنى تذكر حال يوسف ومقاله ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [الآية 45] جماعة من الأزمنة مجتمعة أي مدة طويلة، والجملة اعتراض بين القول ومقوله ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [الآية 45] إليّ من عنده علمه.

فأرسل إلى ﴿يُوشُفَ﴾ [الآية 46] فجاءه وقال له يوسف: ﴿أَنِتَّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [الآية 46] المبالغ في الصدق لما جربه في إخباره الحق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتُوبَاتٍ خُضِرَ وَأُخْرَىٰ يَاسْتَسْتِ﴾ [الآية 46] أي في

تعبير رؤيا ذلك ﴿لَمَّا لِيَ أَنجُ إِلَى النَّاسِ﴾ [الآية 46] أعود إلى الملك ومن عنده ﴿لَمَّا لَهُمْ يَكْمُونُ﴾ [الآية 46] تأويلها أو مرتبتك.

وقال الأستاذ: لما كان المعلوم لله والمحكوم أن ملك يوسف عليه السلام يكون في ذلك الوقت قبض الله القلوب حتى خفي عليها تعبیر تلك الرؤيا ولم يحصل / للملك ثلج الصدر إلا بتعبيره فإنه سبحانه إذا أراد أمراً حكّم به 61/أ سهّل تمام أسبابه، ويقال: إن الله تعالى أفرد يوسف من بين أشكاله بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله سبب بلائه وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره، ولهذا قيل: العلم يعطي ولا يعطى. ويقال: إذا كان العلم بالرؤيا يوجب ملك الدنيا فالعلم بالمولى أولى أن يوجب الملك في العقبى.

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَعَى سِنِينَ دَابَّ﴾ [الآية 47] أي على عادتكُم المستمرة. وقرأ حفص بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وانتصابه على الحال أي دائبين والأظهر أن تزرعون أمراً خرج في صورة الخبر مبالغة لقوله: ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ [الآية 47] لثلا يأكله السوس ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [الآية 47] في تلك السنين مما تحتاجون.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَعَى شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ [الآية 48] ما ادخرتم لأجلهن، والمراد أهلهن وللمطابقة بين المعبر والمعبر عنه أسند الأكل مجازاً إليهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصُونَ﴾ [الآية 48] تحفظون لبذور الزراعة فيما بعدهن.

﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِشُونَ﴾ [الآية 49] ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار فيه. وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على تغليب المستغني في الجواب وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السماء والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة واتباع العجاف والسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة المجدبة، ولعله علم ذلك بوحي الرب أو بأن انتهاء الجذب يكون بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم لقوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَقِصُّ وَيَبْصِطُ﴾ [البقرة: الآية 245].

﴿وَقَالَ أَلَيْكَ أَتُّؤَيِّدُ﴾ [الآية 50] بعدما جاء الرسول بنقل تعبيره خشية تغييره في كيفية تصويره ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ [الآية 50] في طلبه ﴿قَالَ أَنْجِعْ إِلَيَّ رَيْكَ﴾ [الآية 50] خوفاً من حاسد أن يتوسل إلى تقبيح أمره ﴿فَسْأَلَهُ﴾ [الآية 50] أي أطلب منه أن يفتش ويفحص عن موجب الحبس من جهة التهمة ﴿مَا بَالُ النَّسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 50] ليظهر براءة ساحته فيما أوردن من كيدهن 61/ ب لإطلاعهن/ على امتناعه من الميل إليهن ﴿إِنَّ رَبِّيَ يُكَيِّدُهُنَّ عَلَيَّ﴾ [الآية 50] وإنما أريد نفي التهمة كما دأب كل كريم مخافة طعن كل لئيم. وفيه وعيد لهن على كيدهن ووعد لمن احتسب عن مكرهن. وعنه ﷺ في مدحه لصبر يوسف بطريق المبالغة: «لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت لأسرعت الإجابة»⁽¹⁾.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام أراد أن لا يلاحظه الملك بعين الخيانة فتسقط هيئته عن قلبه فلا يؤثر فيه قوله فذلك توقف حين ظهر أمره.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ﴾ [الآية 51] ما شأنك ﴿إِذْ رَوَدَّتْهُ يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [الآية 51] لها أو لكن حتى ظهر أمره لكن ﴿قُلْتُ حَشَشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 51] تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله في براءة ساحته ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [الآية 51] أي من خطيئة لا صغيرة ولا كبيرة، ومن زائدة للمبالغة في نفي قليله وكثيره.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق لا نكتم أصلاً ولا بد أن تبين ولو بعد حين فصلاً فصلاً لنسب يوسف إلى ما كان منه بريئاً ولبث على ذلك ملياً وكان أمره عليهم خفياً. ثم إن الله تعالى رفع التهمة ودفع المظنة وأنطق جذاله وأظهر حاله وطهر عما قذف به سرباله حيث قلن: ﴿حَشَشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [الآية 51]. ثم لما كانت محبة زليخا ناقصة في يوسف رمت ذنبها عليه وبعدها تناهت في محبته واستكملت في مودته أقرت بذنبها ونظافة ساحته، فالتناهي في الحب يوجب هتك الستر وقلة المبالاة بظهور الأمر

(1) أورده البضاوي في تفسيره (1/ 2930).

والسر كما قال قائلهم:

لِيَقْلَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ فَلِإِنِّي لَا أَبَالِي⁽¹⁾

وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿قَالَتْ أَمَرْتُ الْمَزِيرَ الْفَنَ حَصَصَ الْحَقُّ﴾

[الآية 51] واستقر ﴿أَنَا رَوَدْتُكَ عَنْ نَفْسِي﴾ [الآية 51] وكنت من الكاذبين ﴿وَإِنَّهُ﴾

[الآية 51] في قوله هي راودتني عن نفسي ﴿لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الآية 51].

ولما عاد إليه الرسول وأخبر بكلامهن قال: ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 52] أي

الاهتمام بإعلام أمرهن ﴿لِيَعْلَمَ﴾ [الآية 52] العزيز وغيره ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْقَيْبِ﴾

[الآية 52] أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو مكان الغيب من وراء الأستار

المعلقة والأبواب المغلقة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ [الآية 52] لا ينفذ 62/أ

كيدهم ولا يسد مكرهم بل يرجع إليهم أمرهم كما في قوله: ﴿وَلَا يَبْقَى الْمَكْرُ

السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: الآية 43].

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام إنما أراد أن يظهر براءة ساحته

لأنه علم أنهم يستحقون العقوبة بل ما يبسطون فيه من ملامته فلم ير أن

يصيبهم بسببه من قبل الله آفة شفقة منه على عباده سبحانه وهذه صفة أوليائه

لا يكونون خصم أنفسهم ولهذا قيل: الصوفي دمه هدر وماله مباح.

﴿وَمَا أَتَرَى نَفْسِي﴾ [الآية 53] لا أنزهها عن ذنبي تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك

تركزية نفسه ولا إعجاب حاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق

بفضله وكرمه ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [الآية 53] من حيث إنها مائلة إلى

الشهوات بطبعها وتستعمل القوة والجوارح في أثرها في جميع الأوقات

والحالات ﴿إِلَّا مَا رَجِمَ رَبِّي﴾ [الآية 53] أي مدة رحمته وحالة عصمته أو إلا من

رحمه الله من النفوس فعصمه عن السوء في الأنفاس.

وقال ابن عطاء: ﴿وَمَا أَتَرَى نَفْسِي﴾ بنفسي ﴿وَمَا أَتَرَى نَفْسِي﴾ بربي ﴿إِنَّ رَبِّي

عَفُورٌ﴾ [الآية 53] للمسيئين ﴿رَجِيمٌ﴾ [الآية 53] للمحسنين. وعن ابن عباس رضي

(1) لم ينسب لأحد، وقد أورده الفشير في تفسيره (1/307) و(3/431).

الله عنه أنه لما قال ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت⁽¹⁾، فقال: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ [الآية 53] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿لَيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ [الآية 52] بيان الشكر لما عصمه الله. وقوله: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ [الآية 53] بيان العذر لما قصر في أمر الله، فاستوجب لشكره زيادة الإحسان واستحق بعذره العفو والغفران.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي يَدَهُ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي﴾ [الآية 54] أ جعله صاحباً خالصاً لمجلسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ [الآية 54] أي فلما أتوا به وشاهد الملك نظام مرامه من كلامه ﴿قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [الآية 54] ذو مكانة وذو أمانة.

قال ابن عطاء: كيف لم يستخلصه لنفسه وقد استخلصه الحق من قبله فهو لديه من المخلصين، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما اتضح للملك طهارة فعله ونزاهة حاله استحضره ب/62 لاستصفائه لنفسه فلما كلمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وضمن برّه / وإحسانه.

﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ [الآية 55] أي ولّني أمر أرض مصر الموضوع للزراعة وضبطها ﴿إِنِّي خَفِيفٌ﴾ [الآية 55] لها ممن لا يستحقها ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية 55] بوجوه التصرف فيها وإنما أثر هذا الكل لعلمه بما يعم فوائده ويحيل عوائده مع ما يقتضيه من البعد عن مجلس الملك والوزراء والتقرب إلى صحبة الضعفاء وخدمة الفقراء، وفيه دلالة على جواز طلب التولية وأخذها وإظهار أنه مستعد لها إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بحصولها وقبولها. وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده ببركة صحبته.

وقال الواسطي: مدح النفس قبيح إلا في وقت الإذن فيه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنما سأل جعله ليضع الحق موضعه فيوصل نصيب الفقراء

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (377/1) رقم (373) وابن حجر في المطالب العالية (328/10) رقم (3735).

إليهم فطلب حق الله في ذلك ولم يطلب حظ نفسه هنالك ولم يقل: إني حسن جميل بل قال: إني حفيظ عليم كاتب حاسب ليعلم أن الفضل في السريرة لا في مجرد الصورة.

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 56] أرض مصر وتوابعها ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ شَاءَ﴾ [الآية 56] ينزل من بلادها كل بقعة يوافقه هواها. وقرأ ابن كثير: نشأ بالنون وفيه إيماء إلى أن مشيئته تابعة لمشيئة الله المقتضية لرضاه لا ما وافقه على مقتضى طبعه وهواه.

وقال الأستاذ: لما لم يكن دواعي الشهوات من نفسه مكَّنه الله من ملكه قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا﴾ [الشورى: الآية 23]، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ﴾ [الآية 56] في الدنيا والأخرى ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 56] بل نوفي أجورهم ونحسن أمورهم عاجلاً وآجلاً. قيل: المحسن من يرى جميع ما يجري عليه من الحق.

﴿وَلَا جُرْ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] أي كمية وكيفية ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57].

قال الأستاذ: أخبر عن حقيقة التوحيد وطريقة التفريد وبين ما يؤتى بعض عباده من الطاعة فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بحمد منهم فقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءَ﴾ [الآية 56]، ثم رقى همهم عما أؤلاههم من نعمة فقال: ﴿وَلَا جُرْ الْأَخِرَةَ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] ثم بين أنه لمن يكون ذلك فقال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57] ليعلم أنه لا بد من متابعة التقوى / ومخالفة الهوى انتهى. وروي أنه لما 63/أ استوزره الملك أقام العدالة واجتهد في تكثير الزراعة وضبط أنواع القلة حتى دخلت السنون المجدبة وعمّ القحط مصر ونواحيها من كل قرية وتوجه الناس إليه وتذللوا بين يديه فباعهم أولاً بالدرهم والدنانير حتى لم يبق شيء معهم، ثم بالحلي ثم بالجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بالرقاب حتى استرقهم جميعهم ثم عرض على الملك أمرهم ففوّض إليه حكمهم فأعتقهم ورد إليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلدان فأرسل يعقوب عليه السلام

بنه أجمعين غير بنيامين لجلب الطعام إليه.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ [الآية 58] حين وقفوا لديه ﴿وَهُمْ لَمْ تُنْكِرُوهُمْ﴾ [الآية 58] لطول مدة الغيبة وتغيير الهيئة وعظمة الهيئة.

وأفاد الأستاذ: أنه عرف إخوته وأنكر معرفته لأنهم اعتقدوا أنه في رق العبودية وهو قد قعد في مرتبة السلطنة فمن طلب الملك في صفة العبيد معنى يعرفه كذلك من يعتقد في صفة العبودية وهو من صفات الحادث الموجود متى يكون عارفاً بالله الودود. ويقال: لما جفوه جفاهم حجاباً بينه وبين معرفتهم إياه كذلك العاصي بخطئه وزلته ينفع غيره على وجه معرفته.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ﴾ [الآية 59] أصلحهم بعدتهم وقام بخدمتهم وأدى حاجتهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 59] وذلك لما روي أنهم لما دخلوا عليه قال: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون طالبون فسادكم. قالوا: معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: اثني عشر فذهب أخذنا إلى البرية وهلك، قال: فكم أنتم ها هنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا: عند أبينا يتسلى به عن المهالك، قال: فمن يشهد لكم بذلك؟ قالوا: لا يعرفنا ها هنا من يشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيك من أبيكم حتى أصدقكم. فافترعوا فأصاب شمعون. وقيل: كان يعطي/ يوسف لكل نفر حملاً من طعام فسألوه حملاً زائداً لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ [الآية 59] أتمه ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [الآية 59] للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

ب/63

﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [الآية 60] أي لا تقربوني ولا تدخلوا ديارى معطوف على الجزاء وهو إما نهى أو نفي في البناء. قال بعضهم: من خالف أمر سيده ضيق الله عليه في رزقه وحرم مقام تقديره، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن المحب غيور، ولما كان ليعقوب تسلي عن يوسف برؤية ابنه بنيامين أبت المحبة إلا أن تظهر سلطانها بالكمال فغارت عن بنيامين أن ينظر

إليه يعقوب بعين يوسف. ويقال: تلطف يوسف في استحضار أخيه بالترغيب والترهيب، أما الترغيب ففي ماله الدنيء أوصله إليهم فقال: ألا ترون إني أوف الكيل، وفي إقباله بالإكرام عليهم فقال: ﴿وَأَنَا خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ﴾ [الآية 59]. وأما الترهيب فيتبع المال بقوله: ﴿فَإِنْ لَرَّ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ [الآية 60]، ويمنع الإكرام والإقبال بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا سَرَوْدٌ عَنْهُ آبَاءُ﴾ [الآية 61] نستشهد في طلبه من أبيه ﴿وَأِنَّا لَفَعِلُونَ﴾ [الآية 61] ذلك من غير تقصير فيه.

﴿وَقَالَ لِفَتَيْنِهِ﴾ [الآية 62] لغلمان الكياليين. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: لفتيانه على جمع الكثرة ﴿أَجْلُوا بِسَعْنَتِهِمْ﴾ [الآية 62] أي شروا بها الطعام ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ [الآية 62] توسيعاً لحالهم وتفضلاً عليهم برد مالهم وترفعاً من أن يأخذ ثمن الطعام من أمثالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ [الآية 62] حق ردها أو لكي يعرفوها وينكروا كونها لهم ﴿إِذَا أَنْفَلَبُوا إِلَيْنَا أَهْلَهُمْ﴾ [الآية 62] وفتحوا أوعية رحالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 62] لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى رجوعهم إلينا بتحسين حالهم وتزيين مالهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْنَا﴾ [الآية 63] وقصدوا أن يأتوا بأخيهم ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مُنْعَ مِنَّا الْكَيْدُ﴾ [الآية 63] حكم بمنعه بعد هذا الحين إن لم نذهب ببنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانًا نَكْتَلُ﴾ [الآية 63] ما نحتاج إليه ونرفع المانع من الكيل المعلق عليه. / وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فيضم اكتياله إلى اكتيالنَا ﴿وَأِنَّا لَمُحَافِظُونَ﴾ [الآية 63] عن أن يناله مكروه منا أو من غيرنا.

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 64] على حفظه ﴿إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 64] وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون. وقد ورد: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»⁽¹⁾، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [الآية 64] فأفوض أمري إليه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6133)، ومسلم في الصحيح (2998/63).

ولا أتوكل إلا عليه ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الآية 64] فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين من لطفه وكرمه، وانتصاب حفظاً على التمييز. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: حافظاً وهو يحتمل التمييز والحال كقولهم: لله دره فارساً. وفي تفسير السلمي عن بعضهم قال يعقوب: جربت حفظكم في واحد حين قلت وإنا له لحافظون واعتمدت عليكم ولم أرجع في حفظه إلى الله فلقيت فيه ما لقيت وإني في هذا أرجع إلى ربي فالله خير حافظاً، فلما استحفظه به رد إليه الأول والآخر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف بالخيانة لا يلاحظ بعين الأمانة ولذا لم تسكن نفس يعقوب بضمانهم لما سبق إليه من شأنهم.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعَهُمْ وَجَدُوا بِضَئِئَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا بَغَىٰ﴾ [الآية 65] أي أي شيء تطلب وما ذلك وهل من مزيد على ما هنالك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ﴿هَذِهِ بِضَئُكُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [الآية 65] رحمة علينا لنستظهر بها لدينا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [الآية 65] بالرجوع إلى من أحسن إلينا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [الآية 65] في ذهابنا وإيابنا فإنه صغير ﴿وَنَزِدَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾ [الآية 65] باستصحاب أخينا على رضى أبينا ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 65] الكيل الذي اكتاله لنا من قبل ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [الآية 65] قليل لا يكفينا. وفي تفسير السلمي: قال بعضهم: الإشارة في هذه الآية إلى أن أعمال الخلق كلها مردودة إليهم فإنهم إنما عملوها بأنفسهم لأنفسهم قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسِنْتُ وَإِنْ سَاءْتُمْ لَأُصْلِحَنَّ﴾ [الإسراء: الآية 7]، قال: فمن شكر فإنما يشكر لنفسه وإن الذي يلحقهم من المثوبات والكرامات إنما هو من جهة الجزاء، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «ليس ينجي أحدكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»⁽¹⁾.

64/ب — وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام بيّن لهم أنه لم يعاملهم محتاج

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (2816/73).

إلى عوض أخذه منهم مما باعهم فجمع لهم الكيل وما أعطوه من الثمن، والإشارة في هذا إلى قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: الآية 7] فكل من خطى لله خطوة كافأه الله وجازاه فيجمع له بين روح الطاعة ولذة العيش والراحة من حيث الخدمة وبين ما يعده في الآخرة من الثواب والنعمة والله سبحانه وراء كل طاعة وخدمة. قلت: وفي الحديث: «إنما هي أعمالكم أحصيتها لكم»⁽¹⁾ أي وأردھا إليكم وأجازيكم بها على وفق ما لديكم.

﴿قَالَ لَنْ أَرْسِلَ مَعَكُمْ﴾ [الآية 66] إذ رأيت ما رأيت منكم ﴿حَتَّى تُوْتُوا مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 66] حتى تؤتوني ما أتوثق به من عنده، أي عهداً مؤكداً بذكره، والمعنى حتى تحلفوا بالله ﴿لَتَأْتُنِي بِوَدٍّ﴾ [الآية 66] في جميع أحوالكم ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [الآية 66] إلا أن تغلبوا هناك فلا تطبقوا ذلك ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [الآية 66] عهدهم ﴿قَالَ﴾ [الآية 66] يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ [الآية 66] من طلب الموثق وإثباته ﴿وَكَيْلٌ﴾ [الآية 66] مطلع رقيب فلا اعتماد إلا عليه ولا استناد إلا إليه. قيل: ما اعتمد يعقوب منهم الميثاق لما سبق منهم إليه قيل ذلك من الشقاق فعلم أن موثيقهم في حفظهم معلولة فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [الآية 64]، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القَصص: الآية 28] أي هو الذي يحفظ قلوبكم ولا يكلكم على رأيكم وأهوائكم في أمركم.

وأفاد الأستاذ: أن الحذر لا يغني من القدر عمل يعقوب عليه السلام معهم في باب ابن يامين ما أمكنه من الاحتياط وأخذ الميثاق فلم يغن عنه اجتهاده وحصل على ما حكم الله مراده.

﴿وَقَالَ يَبْنَئِ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَحِيدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [الآية 67] لأنهم كانوا ذوي جمال وأبهة مشتهرين في مصر عند الملك بالقربة والكرامة فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا في هذه الكرة فإن العين حق وتأثير صدق ويدل عليه قوله ﷺ في دعوته حال عودته: «اللهم إني أعوذ بكلمات الله

التامة من كل عين لامة»⁽¹⁾ مصيبة ملحة ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 67] مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإنه إذا جاء القضاء ضاق القضاء.

أ/65 قال جعفر الصادق: نسي يعقوب اعتماده على / العصية والقوة وإن التقدير يغلب التدبير بقوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ [الآية 67] لكن ساعده التوفيق واستدركه عن قريب بالتوحيد وتحقيق التفريد حيث قال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 67] ذكره السلمي ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية 67] لا دافع ولا مانع ولا ضار ولا نافع سواء ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 67] ما اعتمدت على غيره ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 67] إذ مدار الكل عليه ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

وقال ابن عطاء: كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه وكيف يقوم لكفاية غيره من هو عاجز عن كفاية أمره بل ربما يبدي الحق الأسباب والأخذ بالأسباب كالأخذ عن مسبب الأسباب.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أن يكون أراد بتفريقهم في الدخول قصد الحصول والوصول لعل واحداً منهم يقع بصره على يوسف إن كان الآخر لم يره. ويقال: ظن يعقوب أنهم في أمر يوسف كما هو في شدة العناية لشأنه ولم يعلم أنهم كارهون لمكانه. قلت: كان يعلم ذلك ببرهانه ولكن حديث «حبك الشيء يعمي ويصم»⁽²⁾ أوردته في حسن الظن بإخوانه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ آبَاؤُهُمْ﴾ [الآية 68] أي من أبواب متفرقة حين حلولهم ﴿مَا كَانَتْ يُفْنِي عَنْهُمْ﴾ [الآية 68] أي رأي يعقوب فيهم ولا اتباعهم له في أمرهم من الله مما قضاه عليهم ﴿مِّنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 68] أي شيئاً ما من أحوالهم ولذا نسبوا إلى السرقة والخيانة حتى أصابوا ما تضاعفت عليهم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرک (3/ 183) رقم (4781)، وانظر مجمع الزوائد (5/ 195) رقم (8461).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 334) رقم (4359)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 368) رقم (411)، وأحمد في المسند (5/ 194) رقم (21740)، وأبو داود في السنن (4/ 496) رقم (5132).

المصيبة ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ [الآية 68] لكن حاجة ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبُ﴾ [الآية 68] من شفقة عليهم وميله إليهم ﴿قَضَيْنَاهَا﴾ [الآية 68] أظهرها ووصاها ﴿وَأَنَّهُ لَدُوٌّ عَلِيمٌ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [الآية 68] من أن التدبير لا يغير التقدير ولذا قال: ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ مِٰرَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الآية 67] أراد به بكم من الضرر ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 68] سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر.

قال يوسف بن الحسين: أجل المعلوم ما أخذه العبد من الحق بغير واسطة الخلق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه إن لم يحصل مقصود يعقوب في المال حصل مراده في الحال وفي ذلك القدر لأرباب القلوب استغلال. ويقال: إن الأصاغر حفظ إشارات الكبائر، والقول فيما يأمر به أن فيه فائدة أم لا فذاك الأدب في مقام الطلب. ويقال: / إذا كان مثل يعقوب يستر على أولاده وينمي فيه 65/ ب حصول مراده ثم لا يحصل مقصوده علم أنه لا ينبغي أن يعتقد في الشيوخ أن جميع ما يريدون يتفق كونه على ما أرادوا، إن الذي لا يكون إلا ما يريد واجباً وما أراد هو كائن لله الواحد القهار.

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَخَاهُ﴾ [الآية 69] بنيامين على أكل الطعام أو في المنزل والمقام، روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لجلس معي، فأجلسه معه على ما مائدته ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات معه فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال: أتى لي بذلك ومن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ [الآية 69] أي حقيقة وأنتم ما تعرفون ﴿فَلَا تَبْتَسِمْ﴾ [الآية 69] أي لا تحزن ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 69] في حقنا.

وأفاد الأستاذ: أن حديث المحبة وأحكامها أقسام: اشتاق يعقوب إلى لقاء يوسف فبقي في بيت الأحزان سنين كثيرة، واشتاق يوسف إلى بنيامين فرزق رؤيته في مدة يسيرة، هكذا أمر أصحاب الولاء فمنهم معترفون به

ومنهم صاحب البلاء، وقيل: لئن سخنت عين يعقوب بمفارقة بنيامين فلقد قرّت عين يوسف بلقائه، كذا أمر الخلق أجمعين لا تغرب الشمس عن قوم إلا وتطلع على آخرين مصائب قوم عند قوم فوائد، ويقال: إن الله تعالى وفق بنيامين لما أصابه الأسف على فقد رؤية أبيه ناله الفرح بشهود رؤية أخيه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَمَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [الآية 70] المشربة، وكانت من ذهب أو فضة وقد جُعِلَت صاعاً يكتال به ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [الآية 70] نادى مناد ﴿إِنْتَهَا الْعِيرُ﴾ [الآية 70] أي القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ [الآية 70] أي أخذون السقاية على وجه الحقيقة بأجمعكم أو بأخذ أحدكم. قيل: ولعله لم يقل بأمر يوسف أو كان نفيه السقاية والنداء عليها برضا بنيامين. وقيل: معناه أنكم لسارقون يوسف من أبيه والأظهر أن همزة الاستفهام مقدرة ليخرج عن وقوع الكذب في الخبر.

1/66 ﴿قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 71] أي والحال إنهم التفتوا إليهم ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [الآية 71] أي أي شيء ضاع منكم.

﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [الآية 72] من الطعام جعلاً له ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ [الآية 72] كفيل أؤديه إلى من رده.

وقال الأستاذ: لما نسب إليه من نشوء ضره هان عليه ما وجد من شؤم الوصال. ويقال: لئن نسب يوسف أخاه إلى السرقة جهل فقد تعرف إليه أنا أخوك سرّاً فكان محتملاً لأعباء الملامة في ظاهره محمولاً بوجدان الكرامة في سره وفي معناه أنشدوا:

أجد الملامة في هواك لذينة حباً لذكرك فليلمني اللوم⁽¹⁾

﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ [الآية 73] قسم فيه معنى التعجب مختصة باسم الله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 73] بأخذ مال أهلها ﴿وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾

(1) هذا البيت منسوب لأبي الشيص الشاعر محمد بن عبد الله بن رزين. انظر قوات الوفيات (403/3)، والوافي بالوفيات (420/1).

[الآية 73] قبل وصولها، استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم مما يدل على كمال أمانتهم وفرط ديانتهم كرد البضاعة التي وُضِعَتْ في رِحَالِهِمْ وربط أفواه دوابهم كي لا يتناول زرعاً وطعاماً لغيرهم.

وقال الأستاذ: يعني حسن سيرتنا في المعاملة يدلکم على حسن سيرتنا في المقالة.

﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ [الآية 74] جزاء السارق في طريقتهكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ [الآية 74] في دعوى براءة ساحتكم.

﴿قَالُوا جَزَاؤُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ [الآية 75] أي منزله أو عنده المسروق ﴿فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ [الآية 75] أي جزاء سرقة واستحقاقه أخذ من وجد في رحله واسترقاقه. قيل: وهكذا كان شرع يعقوب عليه السلام، ويشير إلى قوله: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الآية 75] بالسرقة من مال المسلمين والمستأمنين.

﴿فَبَدَأَ﴾ [الآية 76] المؤذن ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [الآية 76] بنيامين نفيًا للتهمة وبعداً عن المظنة ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ [الآية 76] أي السقاية ﴿مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ [الآية 76].

قال الأستاذ: تجاسر أخوة يوسف على الرضا بجريان جزاء السرقة عليهم بحكم القضاء ثقة بأنفسهم أنهم لم يباشروا الزلة التي هي موجبة للذلة وكان بنيامين شاركهم في براءة الساحة فلما استخرج من وعائه السقاية بسط الأخوة فيه لسان الملامة فلم يكن له جواب البتة لأنه إن أقر بالسرقة لم يكن ذلك صدقاً إذ لم يصدر منه فعله، ولو قال: لم أفعل، أفشى سر يوسف إليه/ 66/ ب في بابه أنه يحتال معهم لأجله حتى يبقى هو معه فسكت لسانه وتحقق بالحال جنانه. ويقال: ساء بما ظهر عليه القالة ولكن حصل بذلك صفاء الحالة ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَتَ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية 76].

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ﴾ [الآية 77] بنيامين ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 77] يعنون يوسف، قيل: كان في البيت دجاجة فأعطاه صاحب حاجة،

وقيل: كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره اقتداءً بجده لأبيه ﴿فَاسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ [الآية 77] أخفاها ﴿وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ [الآية 77] أي لم يظهرها وهو تأكيد لأسرها، والضمير للقصة أو القالة أو الحالة ﴿قَالَ﴾ [الآية 77] بلسان القول أو ببيان الحال ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا﴾ [الآية 77] أي منزلة في السرقة منه لسرقتكم أخاكم ومخالفتكم أباكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 77] أي هو يعلم أن الأمر ليس كما تقولون.

وقال الأستاذ: كان بنيامين بريئاً مما رمي به فأنطقهم الله حتى رموا يوسف بمثله واحداً بواحد ليعلم أن الجزاء واجب.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [الآية 78] في العمر أو القدر، ذكروا له حاله استعطافاً عليه ﴿فَخَذَ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ [الآية 78] أي بدله فإن أباه مولع به هنالك لأن فيه رائحة أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 78] بعامة الناس فنحن أولى بذلك.

﴿قَالَ مَكَادَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [الآية 79] فإن أخذ غيره ظلم عندكم بناء على أن قولكم فلو أخذ مكانه أحدكم ﴿إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ﴾ [الآية 79] في مذهبكم، هذا جوابه بحسب الظاهر وأراد باعتبار السر أن الله تعالى أذن لنا أن نأخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة مقررة لديه وحكمة محررة لمرضاته عليه فلو أخذنا غير من وجد في رحله لوضعت الشيء في غير محله.

وقال الأستاذ: كثرة التنقل وما راموا به من ذكر أبيهم لانتفاء التوسل وما قبل منهم ما عرضوا عليه من أنفسهم بأخذ أحدهم على سبيل البذل كذلك كل من عند الله مطالب بفعل نفسه فيما أجرى ولا تزرو وزارة ووزر أخرى، فلا أب يؤخذ بدل ولد ولا القريب يرضى به عوضاً عن أحد، ولذا قال يوسف: ﴿مَكَادَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [الآية 79]. ويقال: توهموا أن الحديث معهم من حيث معاملة الأموال فعرضوا أنفسهم / أن يؤخذ واحد منهم بدل أخيهم في الخدمة والابتذال ولم يعلموا أن يوسف كادهم في تلك الحال، ومقصود ما استمكن في قلبه من حب أخيه وقربه في الاستقبال وكلاً أن يكون

عن المحبوب بدل أو يقوم مقامه أحد في مقام الجمال وحال الكمال، وأنشدوا في معناه:

أبى القلب إلا حب ليلي وبغضت إلي نساء ما لهن ذنوب⁽¹⁾

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ﴾ [الآية 80] يئسوا من يوسف وإجابته إياهم ﴿خَلَصُوا بِحَبْرًا﴾ [الآية 80] انفردوا واعتزلوا متناجين ﴿قَالَ كَيْدُهُمْ﴾ [الآية 80] في السن وهو روبيل أو في الرأي هو شمعون ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ [الآية 80] استفهام تقديره أي وقد علمتم ﴿أَنْتَ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكَ مَوْثِقًا﴾ [الآية 80] عهداً وثيقاً ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 80] أو بإذنه أو حلفاً أكيداً من اسمه ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ [الآية 80] أي قبل هذا ﴿مَا فَرَطْنَاهُ فِي يُوسُفَ﴾ [الآية 80] أي ما قصدتموه في شأنه وما توسمتموه في حقه ﴿فَلَنْ أَتْرِكَ الْأَرْضَ﴾ [الآية 80] أي لن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [الآية 80] في الرجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ [الآية 80] أو يقضي موتاً أو حياة بالخروج منها أو بخلاص أخي منهم فيها ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الآية 80] لأن حكمه لا يكون إلا بالحق المبين.

﴿أَرْجِعُوا إِلَيَّ أَيُّكُمْ﴾ [الآية 81] واعتذروا عن أخيكم ﴿فَقُولُوا يَتَابَانَا إِنَّا أَبْنَاكَ سَرَقَ﴾ [الآية 81] أي على ما شهدنا من ظاهر أمره ﴿وَمَا شَهِدْنَا﴾ [الآية 81] أي وما تكلمنا عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا﴾ [الآية 81] بأن رأينا السقاية أخرجت من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ [الآية 81] أي لباطن حاله ﴿خَفِظِينَ﴾ [الآية 81] فلا ندري أنه سرق أو دُست السقاية في رحله.

﴿وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [الآية 82] يعنون مصر، والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة التي جرت في محلها ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [الآية 82] أي وكذلك اسأل أصحاب العير من القافلة التي توجهنا فيهم ورجعنا معهم ﴿وَأَنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [الآية 82].

قال الأستاذ: ما ازدادوا إقامة حجة إلا ازداد يعقوب في قولهم شبهة،

(1) في تفسير القشيري (455/3):

أحب ليلي وبغضت إلي نساء ما لهن ذنوب

فإن يقين الجرم في المرة الأولى أوجب التهمة في الكرة الأخرى. ويقال في الجملة مسائل الأطلال والآثار راحة القلوب للأحباب في سلوة الأسرار، 67/ب وهذا الباب مما للشرح فيه مجال للأبرار/ الأحرار.

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ [الآية 83] أي فلما رجعوا إلى أبيهم ونقلوا إليه قضية أخيه قال: بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً رأيتموه فقررتموه وإلا فما أدرى الملك بأن السارق يؤخذ بسرته وهذه القضية ليست من قواعد ملته ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 83] أجمل وأكمل أو فأمرى صبر جميل وأجري جزاء جميل ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً﴾ [الآية 83] أي بيوسف وبنيامين وأخيها أجمعين مجتمعين فإن تضيق المخرج يوجب توسيع الفرج وقد ورد: اشتدي أزمة تنفرجي⁽¹⁾ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 83] بتقديره ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 83] في تدبيره.

﴿وَقَوْلًا عَنْهُمْ﴾ [الآية 84] أعرض عنهم كراهة ما ضاق منهم ﴿وَقَالَ يَتَأَسَفَنَّ عَلَى يَوْسُفَ﴾ [الآية 84] يا أسفي وحزني هذا أوانك فتعالي وأقبلني والأسف أشد الحسرة، وألف بدل من ياء الإضافة، وفي حديث ضعيف: لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ⁽²⁾، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال: يا أسفي، وإنما تأسف ﴿عَلَى يَوْسُفَ﴾ [الآية 84] وحده لأنه كان في انفراده أخذ بمجامع قلبه ولأنه كان واثقاً بنجاتهما دون حياته ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ [الآية 84] لكثرة بكائه ﴿مِنَ الْحُزَنِ﴾ [الآية 84] أي من جهة حزن بلائه في مقام ولائه وكان العبرة محقت سوادها، وقيل: ضعف نظره، وقيل عمي بصره، وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء لصدورهما عن الأنبياء أو لكونهما من الجبلية البشرية الصادرة عن الصفة الرحيمية فمن ضحك عند موت

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 415) رقم (3455) والقضاعي في المسند (1/ 436) رقم (498)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 115) رقم (114)، والعجلوني في كشف الخفاء (1/ 127) رقم (366).

(2) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 304)، وأبو السعود في تفسيره (4/ 301)، والزمخشري في كشافه (3/ 207)، والنيسابوري في تفسيره (4/ 392).

ولده لا يعد من أهل الأخلاق السنية، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «القلب يجزع والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون»⁽¹⁾، ﴿فَهُوَ كَبِيرٌ﴾ [الآية 84] مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه غير مظهره أو مملوء من حزن يوسف ترشح منه هذا التأسف فكل إناء يرشح بما فيه، ولذا قيل: إنه عوتب فيه للتنبيه.

ففي تفسير السلمي قال أبو سعيد القرشي: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: يا يعقوب تتأسف على غيري وعزتي لأحزن عينيك ولا أردهما عليك حتى تنساه. وسئل أبو سعيد أيضاً: لِمَ لَمْ يذهب عين آدم وعين داود / من طول 68/1 بكائهما وذهب بعين يعقوب في قلة زمان بكائه بالإضافة إليهما، فقال: لأن بكائهما كان من خوفه سبحانه وبكاء يعقوب كان من فَقْد ولده فحفظا وعوقب به. وقال أيضاً: بكاء الحزن يعمي البصر وبكاء الشوق يجلي النظر.

وأفاد الأستاذ: إن يعقوب لم يجد مساعداً لنفسه على تأسفه وتولى على الجميع وانفرد بإظهار أسفه، وفي معناه أنشدوا:

فريد عن الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قلّ المساعد⁽²⁾

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان بكاء داود أكبر من بكاء يعقوب فلم يذهب بصره وذهب بصر يعقوب لأن يعقوب بكى لأجل يوسف ولم يكن في قدرة يوسف ما يحفظ بصر من يبكي لأجله وأما داود فكان يبكي الله وفي قدرته سبحانه ما حفظ بصر الباكي لأجله وسمعه يقول: لم يقل الله عَمِي يعقوب لأنه لم يكن في الحقيقة عمي وإنما كان ذلك حجاباً عن رؤية غير يوسف. ويقال: كان ذهاب بصر يوسف في غيبة يوسف رفقا من الله سبحانه بيعقوب حتى لا يحتاج إلى أن يرى غيره لأنه لا شيء أشد على الأحباب من

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1303)، والحاكم في المستدرک (538 / 1) رقم (1410)، والبيهقي في شعب الإيمان (10162).

(2) نسب هذا البيت لأبي الطيب المتنبّي. انظر نشوار المحاضرة (91 / 1) وشرح ديوان المتنبّي (232 / 1).

رؤية غير المحبوب في بحار فراق المطلوب، وأنشدوا في معناه:

لما تيقنت أنني لست أبصركم غمضت عيني فلم أنظر إلى أحد⁽¹⁾

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان يعقوب يتسلى برؤية ابنه بنيامين في حال غيبته فلما بقي عن وقته قال: ﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [الآية 84] لأنه لما مُنِعَ من النظر كان يتسلى بالأكبر فلما بقي عن الأثر كما بقي عن النظر قال: ﴿وَقَالَ يَتَأَسَّفُ عَلَى يُوسُفَ﴾ [الآية 84] وعمي البصر.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوُا﴾ [الآية 85] أي لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [الآية 85] أي وتُظهر التأسف ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ [الآية 85] مريضاً مشرفاً على الهلاك أو ضعيفاً نحيفاً كالحرص وهو الإشفاق ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ [الآية 85] الميتين المستهلكين.

قال القرشي: كل مشتاق لا يزال يذكر أنين قلبه حتى يعيره الناس على حبه فإما أن يموت على بعده وإما أن يفوز بقربه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن من أطيب الأشياء عند أهل الهدى الهلاك في حكم الهوى فكيف يخوف بالهلاك من كان أحب الأشياء إليه الإهلاك. قلت: وفي معناه أنشدوا:

اقتلونني يا ثقاتي إن في موتي حياتي⁽²⁾

68/ب / وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: الآية 179] إشارة إلى هذا المعنى.

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي﴾ [الآية 86] همّي الذي لا أقدر عليه، الصبر من البث بمعنى النشر ﴿وَحُزْنِي﴾ [الآية 86] غمي الذي أذاب قلبي في حب ولدي ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 86] لا إلى ما سواه مع رضائي بما قضاه فخلوني وشكايتي فإنكم لم تعرفوا حكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 86] من صنعته ورحمته ﴿مَا لَا

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 460).

(2) نسب هذا البيت للحلاج. انظر آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

تَقْلَمُونَ ﴿[الآية 86] من أنه يحب مَنْ دعاه ولا يحب من اشتكاه. وفي الحديث: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان أي في البلوى ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه هو المولى»⁽¹⁾.

وقال السلمي: أي علمي بالله علم حقيقة الحال وعلمكم به علم الاستدلال.

وأفاد الأستاذ: أنه شكاً إلى الله ولم يشكو من الله، فمن شكاً إلى الله وصل ومن شكى من الله انفصل. ويقال: لما شكاً إلى الله وجد السلوة من الله. ويقال: كان يعقوب متجمللاً بنفسه وقلبه مستريحاً محمولاً بسره وروحه لأنه علم من الله صدق حاله فقال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 86] أي من صفات كماله الجامعة لنعوت جماله وجلاله، وفي معناه أنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليه فيسمع⁽²⁾

﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [الآية 87] فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [الآية 87] من تقريحه وتنفيسه أو راحته ورحمته، وقرئ: من روح الله أي من رحمته التي يجتبي بها أهل محبته، ولعل فيه من إشارته إلى حديث: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن»⁽³⁾، ويؤيده ما روي أن يعقوب رأى ملك الموت فسأله عنه فقال: هو حي. وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت أبداً حتى يقع خروهم له سُجداً ﴿إِنَّكُمْ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَقْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [الآية 87] بذاته وصفاته، فإن الغارق بهما لا يقنط من رحمته لا في خلوته ولا في جلوته.

قال جنيد: يحقق رجاء الراجيين عند تواتر النوائب وترادف المصائب. وفي الخبر: انتظار الفرج أفضل العبادة. وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394) وفي المعجم الصغير (1/ 211) رقم (339)، والبيهقي في الدعوات الكبير (1/ 247) رقم (220).

(2) نسب هذا البيت إلى المجنون العامري. انظر الكشكوك (1/ 383).

(3) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (2/ 149) رقم (1083)، وانظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 69) رقم (70)، وكشف الخفاء (1/ 217) رقم (659).

﴿[الآية 87] الآية، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أَمَرَهُمْ بطلب يوسف بجميع حواسهم ليطلبوه بالبصر لعلهم يرون وجهه وبالأذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشَّم لعلهم يجدون ريحه / 69/ لظن يعقوب أنهم مثله في إرادتهم الوقوف على شأنه والاطلاع على مكانه. ويقال: لم يكن ليعقوب أحد من الأولاد بمكان يوسف أظهر من قلة الصبر عنه ما أظهر من التأسف وآثر غيبة الباقيين منهم في طلبه على حضورهم في مجلسه، فشتان بين حاله معهم في حضوره وبين حاله مع يوسف عند فقدّه واحد لم يره فابيضت عيناه من الحزن لفرقة عنه وآخرون أمرهم باختياره لغيبتهم عنه.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ [الآية 88] بعدما رجعوا إليه ﴿قَالُوا يَتَّيْنُنَا الْعَزِيزُ مَسَنًا وَأَهْلَنَا الْقَرْيُ﴾ [الآية 88] شدة المجاعة وكثرة الحاجة وقلة الكفاية الموجبة للقناعة ﴿وَجَحْنَا بِضَعَةٍ مُرْجَنَةٍ﴾ [الآية 88] رديئة أو قليلة ترد وتُدفع رغبة عنها من أزجيته ودفعته، قيل: كانت دراهم زيوفى، وقيل سمنًا وصوفًا ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ﴾ [الآية 88] أتمه لأجلنا ﴿وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا﴾ [الآية 88] برد أخينا إلينا أو بالمسامحة وقبول الأمتعة الرديئة أو بالزيادة في الكمية والكيفية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [الآية 88] أحسن الجزاء، والتصدق، التفضل مطلقاً، ومنه حديثه ﷺ في قصر الصلاة في السفر: «هذه صدقة يتصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته»⁽¹⁾، لكنه اختص عرفاً بما يبتغى به الثواب أو يبتغى به عن العقاب. قيل: في هذه الآية تعليم آداب الدعاء والرجوع إلى ملازمة الأصفياء ومخالطة الأسخياء فمن لم يرجع إلى سيده بالذل والافتقار ولم يعلم إنما هو من سيده إليه إنما هو من طريق الصدقة والتفضل عليه على سبيل الاستحقاق كان منبوذاً مطروداً بالإتفاق.

وأفاد الأستاذ: إنهم لما دخلوا على يوسف خاطبوه بذكر الضرّ ومقاساة

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (686/4)، وأبو داود في السنن (464/1) رقم (1201)، وابن حبان في الصحيح (450/6) رقم (2741) وأبو يعلى في المسند (163/1) رقم (181).

الجوع والفقر ولم يذكروا حديث يوسف وما لأجله وجههم أبوهم من أهم الأمر، ويقال: استلطفوه بقولهم ﴿مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [الآية 88] ثم ذكروا بعد ذلك حديث قلة بضاعتهم في الأمر. ويقال: نظروا إلى فقرهم فنطقوا بقدرهم فقالوا: جئنا ببضاعة مزجاة، ولما شاهدوا قدر يوسف سألوه عن قدره فقالوا: أوف لنا الكيل، ويقال: جئنا ببضاعة لا تُقبل إلا بهذه الحضرة فأوف لنا كيلاً يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا، ثم/ تركوا هذا اللسان وانتقلوا من هذا 69/ب العنوان وقالوا في معرض البيان: ﴿وَنَصَّدَّقَ عَلَيْنَا﴾ [الآية 88]، فنزلوا أوضع منزل في حصول هذا الشأن كأنهم قالوا: إن لم نستوجب معاملة البيع والشراء فلقد استحققنا بذل العطاء على الله المكافأة والجزاء، فإن قيل: كيف قالوا وتصدق علينا وكانوا أنبياء ولا تحل لهم الصدقة على أولاد الأنبياء وأرادوا أن من وراءنا من يجوز له الصدقة فحينئذ يتهبون كلحم بريرة⁽¹⁾.

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يٰيُوسُفَ﴾ [الآية 89] أي قبح فعلكم به ﴿وَأَخِيهِ﴾ [الآية 89] أي وما فعلتم بأخيه من إفراده عنه وإذلاله في أحواله من إدباره وإقباله ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [الآية 89] قبحه أو عاقبته، قاله على طريق النصيحة حملاً لهم على التوبة لا للمعاقبة.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف قال لهم: أنهيتكم كلامكم وأكثرتم مرامكم فما كان في ألسنتكم إلا ذكر ضرورتكم فلا يخطر في ضميركم حديث أخيك. ويقال: إن قوله لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف في باب العقاب أعظم من كل عقاب حيث أخجلهم مشافهة. ويقال: لما خجلوا بعد العقاب لم يرض يوسف حتى بسط عذرهم في هذا الباب بقوله: ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ [الآية 89]، حيث لم يكن لهم غير هذا الجواب.

﴿قَالُوا أَيْنَ نَك لَأَتَّ يٰيُوسُفَ﴾ [الآية 90] استفهام تقرير وتحقيق للمرام ولذلك أكد بأن واللام، ويؤيده قراءة ابن كثير بلفظ الإخبار، ومعنى الإعلام

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5279)، ومسلم في الصحيح (14/1505).

فاختلف فيما عرف به من الإعلام ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي﴾ [الآية 90] من أبي وأمي ذكره تعريفاً لنفسه وتفخيماً لأمره وتعريضاً لغيره وإدخالاً له في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 90] بالسلامة والكرامة من غير الملامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ [الآية 90] البزي بإثبات الياء على لغة والمعنى من يخف الله يترك المعصية ﴿وَيَصْبِرِ﴾ [الآية 90] على الطاعة وفي البلية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 90] أي مثلاً ومن سائر المؤمنين.

﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91] اختارك من بيننا بجمال الصورة وكمال السيرة ﴿وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ﴾ [الآية 91] والحال إن شأننا إن كنا فاعلين للخطيئة الموجبة للقطيعة. قيل: المعنى اختارك وقدمك علينا بحسن التوفيق والعصمة وترك المكافأة على الإساءة وإن كنا/ لخطائين لمسيئين إليك 1/70 فقابلت إساءتنا إليك بالإحسان إلينا بما فضل الله عليك، ذكره السلمي.

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ [الآية 92] لا تعبير ولا تغييب ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92] أي في يوم الوصل أو في وقت الفضل.

وقال جعفر الصادق: لا عيب عليكم فيما عملتم لأنكم مجبرون عليه، وذلك في سابق القضاء عليكم، ذكره السلمي ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 92] دعاء لهم بالمغفرة تصريحاً وبالرحمة تلويحاً حيث قال: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الآية 92] فيغفر للمذنبين ويتفضل على التائبين.

وأفاد الأستاذ - أعني أبا القاسم القشيري -: إنه سمع الأستاذ بالاستحقاق أبا علي الدقاق يقول: لما قال يوسف ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرِ﴾ [الآية 90] وأحال في استحقاق الأجر على ما عمل من الصبر أنطقهم الله حتى أجابوه بلسان التوحيد فقالوا: ﴿قَالُوا تَأَلَّوْا لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91]، يعني إن هذا ليس بتقواك وصبرك إنما هو بإيثار الله إياك علينا فيه تقدمت علينا لا بحمدك وجدك، فقال يوسف على جهة الانقياد للحق: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92] أسقط عنهم اللوم لأنه كما لم يرتقبوه من نفسه حيث نبهوه عليه لم ير جفاءهم منهم فنطق عن عين التوحيد وأخبر عن شهود التقدير.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف أسرع التجاوز عنهم ووعد يعقوب الاستغفار لهم بقوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾، لأنه كان أشد حبا لهم فعاتبهم، وأما يوسف فلم يرهم أهلاً للعتاب فتجاوز عنهم في حال الخطاب. ويقال: ما أصابهم في الحال من الخجلة قام مقام كل عقوبة، ولذا قيل في المثل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء.

﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ [الآية 93] أي القميص الذي كان عليه، أو القميص الذي كان لديه مما جاء به جبريل إليه ﴿فَالْقُوَّةَ عَلَيَّ وَجْهَ أَبِي بَاصِرًا﴾ [الآية 93] يرجع ذا بصر ويصير مبصراً ﴿وَأَتُونِي﴾ [الآية 93] أنتم وأبي على تغليب المخاطبين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الآية 93] من نسائكم وذرائكم ومواليكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 93] كلكم أو مجتمعين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان سبب البلوى والعمى قميص يوسف أراد الله أن يكون سبب خلاصه أيضاً من التأسف.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ أُمِّيُّرُ﴾ [الآية 94] انفصلت القافلة بأن خرجت من مصر وفارقت عماراتها ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ [الآية 94] لمن حضره ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿[الآية 94] تنسبوني إلى الفند وهو نقصان/ عقل يحدث مِنْ هَرَم وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية 95] لفي ذهابك عن الصواب قديماً بالإفراط في محبة يوسف وفكره وإكثار ذكره وتوقع لقائه.

وأفاد الأستاذ: إنه ما دام البلاء مقبلاً كان أمر يوسف وحديثه على يعقوب مشكلاً فلما توالى المحنة انقلبت الحالة ورجعت المحنة. ويقال: كان يوسف عن يعقوب على أقل من مرحلة حيث ألقوه في الجب فاشتبه عليه خبره وحاله ولما زال البلاء وجد ريحه وبينهما مسافة ثمانين فرسخاً من مصر إلى محله. ويقال: إنما انفرد يعقوب بوجدان ريح يوسف لإيراده عند فقدّه بوصف التأسف. ويقال: إنما وجد ريح يوسف من وجد على فقد يوسف فإن ريح الأحباب لا يشمه إلا الأصحاب ومسائلة الرياح ومخالفة الأطلال سنة

أرباب الأحوال. وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم إذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسأله حَمْلَ السلام إليكم فإن هي يوماً بَلَّغَتْ فأجيبوا⁽¹⁾

فاستعمال لفظ الريح هذا توسع كما يقال: هبت ريح النصر أو الفتية.

وفي تفسير السلمي قال جعفر الصادق: إنها ريح الصبا سأل الله تعالى أن يبشّره بآبئه فأذن الله له في مقصده فكان يعقوب ساجداً فرفع رأسه شاهداً فقال: إني لأجد ريح يوسف، فقال له بعض أولاده: إنك لفي ضلالك القديم، أي في حبك القديم، فكان الريح ممزوجاً بالعناية والشفقة والرحمة وبزوال النعمة والمحنة والرحمة، وكذا المؤمن يريد المتحقق في حبه يجد ريح نسيم الإيمان في قلبه وروح العرفان في روحه وسرور الرضوان في سرّه لما سبقت له من السعادة الحسنى والعناية العظمى.

﴿فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ [الآية 96] أي يهودا لما روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ إليه أفرحه بحمل هذا وإلقائه عليه ﴿الْقَنَةَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ [الآية 96] أي طرح البشير على وجه يعقوب أو يعقوب ونفسه لتقر عينه ويزداد شمه فيكثر روحه ويزيد فتوحه ﴿فَازْتَدَّ﴾ [الآية 96] أي رجع وصار ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 96] أ/71 لما انتعش/ فيه من نسيم الوصال روحه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ إِنِّي أَكَلُمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 96] من وصال يوسف وزوال التأسف.

﴿قَالُوا يَتَابَنَا أَسْتَغْفِرَ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [الآية 97] واقعين في الخطيئة فاطلب لنا المغفرة. وقال السلمي: أزل اسم العقوق منا بإظهار الرضا عنا.

وأفاد الأستاذ: أن كل إنسان وهمته من الشأن وقع يعقوب ويوسف في السرور والاستبشار وأخذ أخوه يوسف في الاعتذار وطلب الاستغفار كما قيل: مصائي قوم عند قوم فوائد.

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 471).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الآية 98] بي
أو بمن رجع إليه وتاب عليه. روي أنه أخره إلى السحر بعد أداء العبادة أو إلى
ليلة الجمعة تحريماً لوقت الإجابة أو إلى أن يعلم استحلالهم من يوسف فإن عفو
المظلوم ستره المغفرة ويؤيده ما في تفسير السلمي.

قال ابن عطاء: إن يعقوب قال: ارجعوا إلى يوسف فاسألوه أن يجعلكم
في حل ثم أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ فَإِنَّ الذَّنْبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَىٰ أَبِيهِ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ
ءَامِنِينَ﴾ [الآية 99] من القحط وأصناف المضرة والمشيمة متعلقة بالدخول
الموصول بالأمنية والدخول الأول كان خارج البلد حين استقبلهم الولد مع من
معه من حشمه وخدمه وسائر العظماء من الملك وصحبة الوزراء. روي أنه كان
أولاد يعقوب وأحفاده يوم دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامراً وصاروا
ليلة خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً مقاتلاً سوى
النسوة والهرمى والمرضى.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الآية 100] أي سريرته الخاص به ﴿وَوَحَّوْا﴾
[الآية 100] أي أبوه والإخوة ﴿كُلُّهُمْ سَاجِدٌ﴾ [الآية 100] تحية وتكرمة وكان جائزاً
عندهم في الشريعة أو معناه خروا سجداً لله شكراً لما أولاه، أو على حياة يوسف
ولقياه.

وأفاد الأستاذ: أنهم اشتركوا في الدخول ولكن تباينوا في حال الإيواء
ومقام الوصول فانفرد الأبوان بالابن لبعدهما من الجفاء كذلك غداً إذا وصل
المؤمنون إلى دار الغفران يشتركون فيه وفي وجود الجنان وشهود الرضوان
ولكنهم يتباينون في بساط القربة/ فيختص به أهل الصفاء والوفاء دون من 71/ب
اتصف اليوم بالجفاء والالتواء.

﴿وَقَالَ يَبْنَئِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [الآية 100] صدقاً
﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ [الآية 100] أي من الحبس الشامل للجب
ومن السجن تصريحاً ومن الجب تلويحاً.

وقال الصادق: ولم يقل من الجب وهو أصعب لأنه لم يرد مواجهته أخوته باللوم بعد أن قال لهم: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92].

وقال ابن عطاء: الحكمة فيه أن السجن اختاره لنفسه بقوله: ﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] والجب كان موضع اضطراره ولم يكن شيء فيه باختياره وفي الاختيار آفات بخلاف الاضطرار فشكر الله على تخليصه من فتنة اختياره لنفسه وقال بعضهم: معناه إذ أخرجني من السجن حين استجرت إلى غيره ولا يكلني إلى من استجرت إليه أمره.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكر حديث السجن دون البئر لطول مدة السجن وقلة مدة البئر. وقيل: لأن فيه تذكير جرم الآخرة المتضمن للتعبير ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ [الآية 100] أي البادية فإنهم كانوا أصحاب الماشية ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية 100] أفسد وحرّش ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [الآية 100] في تديبه إذ ما من صعب إلا ويسهل عند معرفة المسببية بتقديره.

وقال الأستاذ: فبلطفه عصمني وعصمهم حتى لم يقتلونني ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ [الآية 100] بوجود مصالح خلقه ﴿الْحَكِيمُ﴾ [الآية 100] الذي يفعل كل شيء على ما يقتضي حكمته وحكمه.

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ [الآية 101] أي بعضه وهو ملك مصر، وقال أبو عثمان: الملك هو الرضا بما كان جرى عليه القضاء من خالق الضراء والسراء. وقيل: هو القناعة وتوفيق الطاعة ﴿وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [الآية 101] أي بعض تفسير الكتب الإلهية وتعبير الرؤيا المنامية.

وأفاد الأستاذ: أن التأويل للخواص والتفسير للعوام وأن الملك على الحقيقة صفاء الخلق مع الخليفة. ويقال: الملك الذي أشار إليه قسمان: ملكه في الظاهر من حيث الولاية والإمارة، وملكه على نفسه حتى لم يعمل بما هم به من زلة النفس الأمارة. أقول: وهذه هي الولاية الحقيقية بخلاف الأولى فإنها الولاية المجازية الإضافية الوارد فيها نعمت المرضعة

وبعثت الفاطمة⁽¹⁾ إذ أولها ملامة وآخرها ندامة ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 101] مبدعهما ومخترعهما ومبتدئهما، وانتصابه على أنه صفة المنادي فيتبعه أو منادى برأسه ﴿أَنْتَ وَلِيِّ﴾ [الآية 101] متولي أمري ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية 101] فيما نذر لي من النعمة والمضرة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [الآية 101] اقبضني مسلماً كاملاً أو منقاداً شاملاً كأن أكون عالماً عاملاً ﴿وَأَلْحَقْنِي﴾ [الآية 101] في الرتبة والكرامة ﴿بِالصَّالِحِينَ﴾ [الآية 101] من أرباب النبوة والولاية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 101] ثناء، وقوله: ﴿تَوَفَّنِي﴾ [الآية 101] دعاء، تقدم الثناء على الدعاء فإنه صفة أهل الولاء. وقوله: ﴿أَنْتَ وَلِيِّ﴾ [الآية 101] إقرار بقطع الأسرار عن الأغيار. ويقال: معناه أنت الذي تولاني في الدنيا بعرفانك وفي العقبى بغفرانك فليس لي في الدارين غيرك. قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [الآية 101]، قيل: سأل الوفاة لأنه علم أنه ليس بعد الكمال إلا الزوال يعني الإكمال المتعال الذي لا يزال بلا زوال. ويقال: من أمارات الاشتياق في حالة المحبة تمنى الموت على بساط العافية وتمام الصحة مثل يوسف عليه السلام ألقى في الحب فلم يقل توفني، وأقيم فيمن يغريه فلم يقل توفني، وحُبس في السجن فلم يقل توفني، فلما تم له الملك والفضل واجتمع له الشمل قال: توفني، فعلم أنه كان مشتاقاً إلى لقاء المولى.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال يوسف لأبيه: قد علمت أنا نلتقي في الآخرة بعد الموت والفناء فلم بكيت كل هذا البكاء؟ فقال: يا بني إن هناك طريقين خفت أن تسلك طريقاً وأسلك طريقاً، فقال يوسف عند ذلك: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [الآية 101].

﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 102] ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب لنبينا ﷺ ﴿مِنْ أُنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية 102] نعرضه عليك ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 102] عندهم ﴿إِذْ أَجْمَعُوا﴾ [الآية 102] في تباعد أخيه عن قرب أبيهم ﴿أَسْرَهُمْ وَهُمْ يَنْكُرُونَ﴾ [الآية 102] لإرسال أخيه.

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/476) رقم (10165).

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ [الآية 103] على إيمانهم بالاستثناس
72/ ب ﴿يُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 103] / لعنادهم وانقلابهم كالنسناس.

﴿وَمَا تَشَاءُونَ عَلَيْهِ﴾ [الآية 104] على إنباء الأنبياء ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 104]
جعل كما هو طريق جملة على الأبرار بخلاف ما يفعله جملة الأخبار من جملة
الأخبار ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ [الآية 104] عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ [الآية 104] عامة وهداية
للعالمين خاصة.

﴿وَكَايْنٍ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الآية 105] وكم من علامة دالة على وجود الصانع
وحكمته وتوحيده وقدرته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 105] في العوالم العلوية
والسفلية كما قيل:

وفي كل شيء له شاهد دليل على أنه واحد⁽¹⁾

﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ [الآية 105] على الآيات الآفاقية والأنفسية ويشاهدونها ولا
يلتفتون إليها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الآية 105] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
لغفلتهم عنها.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات ظاهرة والعلامات ظاهرة وكل جزء من
المخلوقات شاهد على أنه إله واحد ولكن من غمض عينيه لم يستمتع بضوء
نهاره وكذلك من نظر في نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره.

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ [الآية 106] في إقرارهم بوجوده وخلقه من
كرمه وجوده ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الآية 106] به لعبادة غيره وهو الشرك الأكبر
وللعبادة على قصد الرياء والسمعة وهو الشرك الأصغر.

قال الواسطي: ألا وهم مشركون في ملاحظة الخواطر والحركات، يعني
والتوحيد إسقاط الإضافات.

(1) نسب هذا البيت إلى أبي العتاهية. انظر الأغاني (4/ 39)، والتمثيل والمحاضرة (3/ 1).
ونسب آخر إلى لبيد. انظر محاضرات الأدباء (1/ 488)، ولكن في جميع المراجع اللفظ
عندهم:

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي أن يتخذ من دونه سبحانه معبوداً، والشرك الخفي أن يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصوداً. ويقال: شرك العارفين أن يتخذوا من دونه مشهوداً أو طالعوا سواء موجوداً. ويقال: من الشرك الخفي الحوالة على الأشكال في تحسين الأحوال والإخلاد إلى الاختيار والاحتياال عند تراحم الأشغال.

﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ [الآية 107] عقوبة في الدنيا تغشاهم جملة ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [الآية 107] فجأة بدون علامة سابقة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 107] بإتيانها ولا يستعدون لئانها.

وقال الأستاذ: أفامن الذي اغترّ بطول الإمهال أن يبتلى بالاستئصال أو اغترّ بطول السلامة أن يقوم للبلاء عليه القيامة. ويقال: الغاشية من العذاب وهو نوع من / الحجاب يحصل في القلب من القسوة لا يزول بالتضرع ولا يتسع بالتجمع. ويقال: الغاشية من العذاب أن يزول عن القلب شرعة الانقلاب إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب حتى إن تمادى لصاحبه الغفلة استمكن من قلبه القسوة. ويقال: إذا قامت الساعة أغلق باب التوبة كذلك العبد يستقبله في هذه الطريقة ما يوجب قطونه من الأيوبة كما قيل:

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق⁽¹⁾

﴿قُلْ هَذِهِ﴾ [الآية 108] الطريقة ﴿سَبِيلِ﴾ [الآية 108] وهو الدعوة إلى الحقيقة من توحيد رب العباد وإعداد الزاد للمعاد ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الآية 108] حبه وقربه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [الآية 108] بينة لائحة وحجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعْتِي﴾ [الآية 108] أدعوا أنا وأتباعي من غير مخالفة، وفيه إيماء إلى أنه ليس له وأتباعه إلا الدعوة وأما مفتاح الهداية ففي قبضة رب العزة في البداية والنهاية.

قال الواسطي: أيقن له أنه ليس إليه من الهداية شيء. وقال محمد بن علي: أي أنا على معاينة وكذا من اتبعني قلباً وقولاً وفعلاً.

(1) نسب إلى المتنبّي. انظر الكشكول (1/ 136).

وأفاد الأستاذ: أن الدعاء على البصيرة أن يكون صاحبه ملاطفاً بالتوفيق
 جهراً ومكاشفاً بالتحقيق سراً ﴿وَسُبِّحْنَ اللَّهَ﴾ [الآية 108] أنزله تنزيهاً عن الشركاء
 ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 108] فإني وأتباعي منهم براء.

وفي تفسير السلمي: أي أنزله الحق عن أن يتصل أحد إليه إلا به وما أنا
 من المشركين أي أرى الهداية من غيره.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الآية 109] بإظهار النبوة فيه رد لقولهم:
 لو شاء ربك لأنزل ملائكة ﴿نُوحِيَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية 109] كما أوحى إليك وتميزوا
 عن غيرهم بذلك. وقرأ حفص: نوحى أي نحن نوحى إليهم ونظهر الأمور لديهم
 ﴿مَنْ أَهْلَ الْأَرْضِ﴾ [الآية 109] لأن أهلها أعلم وأحلم من سكان الصحراء وقد
 ورد في بدائنا ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 109] بالأقدام وبالأفهام
 ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ [الآية 109] فيبصروا ويتبصروا ويتأملوا ويتدبروا ﴿كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 109] من المكذبين حيث كفروا وأدبروا فيحذروا عن
 تكذيبك ويتظفروا بتقريبك أو من المشقوقين في الدنيا المشغولين بها المتهاكين
 عليها فينقلبوا عن حبها ويعرضوا إلى حب مولاهما ﴿وَلَذَارُ الْأَخْزَفِ﴾ [الآية 109]
 بحذف موصوفها من الحياة أو الحالة أو الساعة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [الآية 109]
 ب/ 73 / باجتناوب المعصية واكتساب الطاعة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 109] إن ما عند الله
 أبقي وأتقى لمن اتقى. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم للالتفات بالخطاب أو قصد
 العموم في هذا الباب.

﴿حَقَّ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ [الآية 110] غاية الجملة مقدرة أي لا يعذرهم
 تمادي آبائهم في ارتكاب آثامهم فإن من قبلهم أمهلناهم على حالهم حتى آيس
 الرُّسل عن النصر عليهم في دنياهم أو يسَّسوا عن إيمانهم لانهماكهم في كفرهم
 وطغيانهم ﴿وَوُظِنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ [الآية 110] أي وظن المرسل إليهم أن
 الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا واختلفوا فيما وعدهم الله من النصرة. فالمراد بالظن ما
 يهيجس في البال من الخطرة على طريقة الوسوسة وفيه إفادة المبالغة في الإهمال
 مع عدم الإهمال فالآية كقوله سبحانه: ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ

الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ﴿البقرة: الآية 214﴾.

وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم من حصول النصر أو حلول العقوبة ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الآية 110] في تلك الحالة ﴿فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الآية 110] من المؤمنين والأنبياء متى نشاء. وقرأ ابن عامر وعاصم فننجي بالماضي المبني للمفعول ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ [الآية 110] لا يدفع عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 110] الذين تعلق بهم غضبنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حكم بأنه لا يفتح للمريدين شيئاً من الأحوال إلا بعد يأسهم منها كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَنَطُوا﴾ [الشورى: الآية 28] وينشر رحمته فكما أنه ينزل المطر بعد اليأس فكذلك يفتح الأحوال بعد اليأس منها والرضا بالإفلاس عنها.

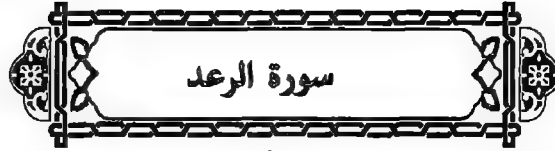
﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ﴾ [الآية 111] في قصص الأنبياء مع أمهم بل في كل قصة من قصصهم ومنها قصة يوسف وإخوته وخصصهم من غصصهم ﴿عِبْرَةً﴾ [الآية 111] ما يعتريه في جميع الأبواب ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الآية 111] لذوي العقول السليمة المبرأة عن الأخلاق الذميمة.

وأفاد الأستاذ: إن في قصة هذه السورة أنواع من العبرة منها للملوك في بسط العدل على الرعية والإحسان إلى البرية، ومنها لأرباب التقوى أن يوسف لما ترك هواه رقاءه الله إلى ما رقاءه، ومنها لأهل الهوى في اتباع الهوى أن زليخا/ لما تبعت هواها لقيت ما لقيت من شدة بلواها، ومنها 74/أ للمماليك في حفظ حرمة السادة كيوسف حيث حصل له مرتبة السعادة، ومنها العفو عند القدرة كما وقع له التجاوز عن الإخوة، ومنها ثمرة الصبر كيحقب في تحمله على الضر إلى أن ظفر بوصول المراد وحصول الأجر ﴿مَا كَانَ﴾ [الآية 111] القرآن ﴿حَدِيثًا يُقْتَرَى وَلَكِنَّ﴾ [الآية 111] كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 111] موافقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية ومطابقاً لما سبقه من الأحاديث النبوية الأولية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 111] يحتاج إليه في الأمور الدينية والدنيوية إذ ما من قضية إلا ولها مستند معتمد من الآيات القرآنية

من غير واسطة أو بواسطة بيان الأحاديث المصطفوية أو استنباط العلماء التفسيرية
ولذا قال ابن عباس:

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال⁽¹⁾
وهذا من الضلالة والجهالة للعامة ﴿وَهْدَىٰ وَرَحْمَةً﴾ [الآية 111] ينال بها كل
نعمة ﴿لِقَوْرِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 111] خاصة في الدنيا بالسلامة وفي العقبى بالكرامة.

(1) ذكره البخاري علاء الدين في كشف الأسرار (45 / 1) و(401 / 3).



[مدنيّة]

وهي خمس وأربعون آية^(١)

74/ ب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله كلمة سماعها يورث لقوم حلياً ثم طرباً، ولقوم حرباً ثم هرباً، فمن سمع بشاهد الرجاء طلب وجود رحمته فإذا نالها طرب، ومن سمع بشاهد الرهبة حزب من خوف عقوبته ثم إليه هرب.

﴿الْقُرْ﴾ [الآية 1] أي أنا الله أعلم وأرى جميع الوري، والوراء ووراء الوراء مما فوق العرش وما تحت العرش ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] أي هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ الْكِتَابِ﴾ [الآية 1] القرآن أي الجامع للأبواب أو السورة الكاملة في فصل الخطاب ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 1] أي مجموع ما نزل عليك ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ [الآية 1] أي من عنده بكرمه وجوده ﴿الْحَقُّ﴾ [الآية 1] هو الثابت الصدق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] لا حلاء لهم بالنظر ولما سبق عليهم من القضاء والقدر.

وقال الشبلي: ما من حرف من الحروف إلا وهي تسبح بلسان وتذكر بلغة وبيان، لكل لسان منها حرف ولكل حرف لسان وبرهان وهو سر الله في خلقه بالعموم وبه يقع زوائد الفهوم وزيادات الأذكار والعلوم، ذكره السلمي.

وأفاد/ الأستاذ: إن الألف تشير إلى اسم الله واللام إلى اللطيف والميم إلى المجيد والواو إلى الرحيم أي بسم الله اللطيف المجيد الرحيم إن هذه آيات الكتاب الذي أخبرت المتقدمين أنني أنزله على محمد الأمين، وهذا الكتاب الذي أنزل إليك حق وصدق لأنه سبحانه أنزله على نبيه وحبيبه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ [الآية 1] من الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] به فهم الأكثرون عدداً والأقلون مدداً.

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ﴾ [الآية 2] مبتدأ وخبر ﴿بِئَرِّ عَمَدٍ﴾ [الآية 2] أي من دون عماد ولا اعتماد باستناد ﴿تَرْوُهَا﴾ [الآية 2] أي السموات مرفوعة كذلك مصنوعة ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْاَرَشِ﴾ [الآية 2] استواء يليق به على الطريقة المشروعة لا على وفق اللغة الموضوعية ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ [الآية 2] ذلّلها بما أدار منهما من الحركة المستمرة على غاية من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقاء الموجودات ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 2] لمدة معينة وغاية معينة بقوله سبحانه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [التكوير: الآيتان 1، 2]، ﴿يَذِيرُ الْأَمْرَ﴾ [الآية 2] أمر الملك والملوك من الإيجاد والإعدام وسائر القضايا والأحكام ﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ فينزلها مفصلة ويبينها مجملة ﴿لَعَلَّكُمْ يَلْقَآءَ رَبَّكُمْ تَوْفِئُونَ﴾ [الآية 2] لكي تتفكروا فيها فتعلموا أن من قدر على تقدير هذه الأشياء قدر على تقدير الإعانة والجزاء.

وقال السلمي: لعلمكم تتيقنون أن الذي يجري عليكم هذه الأحوال لا بد لكم من الرجوع له في المال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دلّ على ذاته وصفاته بما أخبر به من آياته ومن جملتها رفع السماء وليس تحتها عماد يشدها ولا بجانبها ستار يسدها وقد أخبر في آية أنه زين السماء بكواكبها وحسن الأرض بجوانبها ومناكبها و﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْاَرَشِ﴾ [الآية 2] استواء فخر وتسخير ومعناه أنه احتوى على ملكه احتواء قدر وتدبير، ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾ [الآية 2] في فلك ويدل على جراه ذلك أنه فعل ملك ملكه غير مشترك.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ [الآية 3] بسطها بالطول والعرض ليثبت عليها 1/75 الأقدام ويتقلب فيها الأنعام ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ [الآية 3] جبالاً ثوابت جمع راسية والتاء للمبالغة ﴿وَأَنْهَرْنَا﴾ [الآية 3] ثمرأ وأشجاراً وأزهاراً وأظهر أثماراً. قال بعضهم: كما جعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيدهم وإليهم الملجأ فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز وطاب ومن كان سعيه بغيرهم هلك وخاب، ذكره السلمي ﴿وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ﴾ [الآية 3] متعلق بقوله ﴿جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ اثْنَيْنِ﴾ [الآية 3]

أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالخلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير ونحو ذلك يغشى الليل النهار ويليهِ مكانه ويغير شأنه، ويعين زمانه فيصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً ومضيئاً بعد كونه مظلماً. وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ [الآية 3] المذكور من المصنوعات ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ [الآية 3] دلالات وعلامات على فعل وجب الوجود من ذات المستجمع لكمال الصفات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في تكون الموجودات وتخصصها بالكميات والكيفيات واختلاف الأوقات.

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾ [الآية 4] بعضها طيبة وبعضها سيئة وبعضها رخوة وبعضها صلبة مع اشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها بتوسط ما يعرض لها من الأسباب السماوية ففيه رد على الحكمة الطبيعية ﴿وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ [الآية 4] أي وفيها بساتين أنواع الأشجار المثمرة لأصناف الأزهار والأثمار ولعل تخصيص الأعناب والنخيل باعتبار كثرة وجودهما في بعض الديار وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله وقلة اختلاف المقصد في مورد ومصدره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفعهما عطفاً على جنات أو قطع متجاورات وعلى هذا الخلاف ﴿صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ﴾ [الآية 4] أي نخلان أصلهما متحد ومتفرقاً فإن أصلهما متعدد ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَجِلْدٍ﴾ [الآية 4] أي تستقي المذكورات بمادة واحدة في الكل. وقرأ عاصم بالتذكير على تأويل ما ذكر ﴿وَيُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ﴾ [الآية 4] أي في الثمر صفة وقدراً ورائحة وطعماً ولوناً وطبعاً مع أن أجزاؤها/ متماثلة وأبعاضها متشاكلة. وقرأ 75/ ب حمزة والكسائي يفضل على طبق يبدل الأمر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 4] يستعملون عقولهم بالنظر والفكر.

قال السلمي: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «العاقل من عقل عن الله أمره»⁽¹⁾. وقال الواسطي: العاقل ما عقلك عن المجازي.

﴿وَإِنْ تَجَبَّ﴾ [الآية 5] يا محمد أو أيها المخاطب من إنكارهم البعث

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 166) رقم (4683).

﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 5] خبر ومبتدأ، أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه فإن من الآيات المعدودة على الطريقة المشهودة بجملتها المشهودة دالة على وجود المبدأ الحقيقي المفيدة للتوحيد الإلهي حيث يبدي ويعيد ففیهما شهادة على تحقيق الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه وقدرته وسائر صفاته وقيود المواد لأنواع تصرفاته.

وقال الأستاذ: أي فهذا موضع أن يتعجب منه للخلق والعجب لا يجوز في صفة الحق لأن التعجب هو الاستبعاد وهو لا يستبعد شيئاً مما أراد، حسن ما قالوا إنما تعجب من حجب فإن مَنْ لم ينل عيون بصيرته لم يتعجب من شيء صدر عن قدرته، وقوم أطلقوا اللفظ بأن هذا من باب الموافقة أي المشاكلة والمقابلة أي إنك إن تعجبت فهذا عجب موافقة لك فإطلاق هذا لا يجوز وإن كان فيه إشارة لطيفة إذا الأدب هو السكوت عن مثل هذه العبارة الموهمة ولو منفية، والقوم عبروا عن ذلك بقولهم: أعجب العجب قول مَنْ لا يجوز في وصفه العجب . . . وإن تعجب فعجب قولهم.

ثم قوله سبحانه: ﴿أَوَدَا كُنَّا تُرَابًا﴾ [الآية 5] بدل من قولهم، أو هو مقولهم والعامل في إذا محذوف دل عليه قوله: ﴿أَوَدَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 5] والتقدير أئذا كنا تراباً نُبعث، والمعنى أنعود إذا صرنا تراباً، فعجبوا مما لا يقتضي استعجاباً فإن مبدأهم إذا كان تراباً فلا يبعد أن يصير معادهم تراباً.

وأفاد الأستاذ: استبعادهم النشأة الثانية مع إقرارهم بالخلق الأول وهما في معنى واحد موضع للتعجب إذ هو صريح في المناقضة، وكان القوم أصحاب تمييز وتحصيل / فالتباس مثل هذا عليهم موضع العجب فلولا أن الله 1/76 سبحانه لبس عليهم كما قال: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: الآية 9] وإلا ما كان ينبغي لهم أن يخفى عليهم جواز هذا مع وضوحه ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ [الآية 5] أي بقدرته على بعثهم ﴿وَأَوَلَيْكَ الْأَغْلُلُ فِيْ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الآية 5] مقيدون بأنواع الضلال من غير رجاء خلاصهم وعدم قصور مناصهم أو يفعلون يوم القيامة بأثقال أنكال أعمالهم ﴿وَأَوَلَيْكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [الآية 5] ملازموها

﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 5] لا ينفكون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيصهم بدوامها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم وإن جزوا في فج المهلة واغترخوا بسلامتهم في الحال لما عليهم من الغفلة، ففي مضمار الهلاك ما يجرون، وإلى سواء المآل ما يصيرون.

﴿وَسَتَجْلُواكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ [الآية 6] بالعقوبة قبل العافية، وذلك إنهم استعجلوا على سبيل الاستهزاء بما هددهم سيد الأنبياء من عذاب الدنيا قبل عقاب العقبي ﴿وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَّثُ﴾ [الآية 6] مضت عقوبات أمثالهم من المكذبين لأنبيائهم فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها.

وأفاد الأستاذ: أنهم لفرط غيهم استقبلوا بتمنيهم حلول حينهم وكم من أقوام درجوا وكانوا على منهاجهم، ركضوا في ميادين الجهل فعثروا في أشكال المقت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ [الآية 6] أي ظلمهم لأنفسهم وفي التقيد به دلالة على جواز العفو قبل التوبة لمن تعلق المشيئة في حقه بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: الآية 48]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية 6] للكفار ولمن شاء من الفجار، والآية جامعة بين الوعد والوعيد كقوله تعالى: ﴿تَتَوَّعُ عِبَادِي إِلَيَّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ [الحجر: الآيتان 49، 50]. وقد ورد: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا أحداً العيش الرغد ولولا وعيده وعتابه لاتكل كل أحد⁽¹⁾.

وقال أبو عثمان: إنما يرجوا المغفرة من الله من يرتكب الذنوب على خطر وخوف وحذر عنهما لا من يقتحم فيها من غير مبالاة بها، ذكره السلمي. وهذا باعتبار الحالة اللاحقة وأما البناء على الملاحظة السابقة / 76 ب فكما أفاد الأستاذ أنه سبحانه يغفر لمن سبق له الحكم بالسعادة والولاية ويعذب لمن سبق له الحكم بالشقاوة والعداوة.

(1) انظر تخريج أحاديث الإحياء (8/ 281) رقم (3781).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الآية 7] لعدم اعتذارهم بالآيات المنزلة من عنده ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ [الآية 7] مرسل للإنذار وما عليك إلا تبليغ الأخبار والإيقان بما يصح به نبوتك من المعجزات لا بما يقترحه عليك الكفار من خصوص الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الآية 7] قادر على هدايتهم وهو الله سبحانه لكن لا يهدي إلا من شاهد آيته وسبقت عنايته وتعلقت به إرادته وفيه إيماء بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وإلا فقد رتبته ثابتة على وجه الكمال وعلمه محيط للخلق بجميع الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أتاهم بأوضح البرهان وأوضح البيان فعثوا عن شهود الحق وزلت أقدام فكرهم عن نهج الصدق فاقترحوا بتتميمهم أموراً بعدما أزيحت عليهم وما ذاك إلا لما استولت عليهم غفلتهم. ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ [الآية 7] وليس إليك ولا بك إلا الإنذار وهو الإعلام بما يتضمن معنى التخويف، والحق سبحانه منفرد بالقدرة على الهداية والتقريب.

﴿اللَّهُ يَمَلِكُ مَا يَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا يَغِيظُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ﴾ [الآية 8] أي ما تنقصه وما تزداده في الحبة والعدد والمدة، وأقصى مدة الحمل ستان عند أبي حنيفة، وقيل خمسة، وقيل لا حد له. وجاز جعل الفعلين لازمين فما مصدرية وإسنادها إلى الأرحام مجازية ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الآية 8] بقدر ولا يجاوز ولا يجوز نقصه. قال بعضهم: كل شيء بوزن ومقدار ومن لم يزن أنفاسه فهو من الغافلين ومن لم يعرف مقداره وقدر عظيم النعمة عنده فهو من المعجبين.

﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الآية 9] السر والعلانية أو ما غاب عن العباد وظهر في البلاد ﴿الْكَبِيرُ﴾ [الآية 9] العظيم الشأن في صنعته وحكمته ﴿الْمُتَعَالَى﴾ [الآية 9] المستعلي في كل شيء بقدرته أو كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عن وصف المحدثين.

وقال السلمي: الكبير في ذاته المتعالي في صفاته.

وقال الأستاذ: أحاط الحق سبحانه بالمعلومات علماً وأمضى بالكائنات

حكماً فلا معلوم يعزب عن علمه/ ولا مخلوق يخرج من حكمه تعالى قدره 77/أ
عن سمات النقص وتقدس وصفه عن صفات العيب.

﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ﴾ [الآية 10] في علمه بكم ﴿مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ﴾ [الآية 10] في نفسه
﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ [الآية 10] لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ﴾ [الآية 10] طالب
للخفاء في مختبأ من الليل مخافة ظهور الويل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الآية 10] أي
ظاهر لكل ناظر، وهو عطف على من، وقيل على مستخف، والآية معذرة لكمال
علمه وشمول حلمه.

وقال الأستاذ: سيات منكم من خاطبنا بوصف الدعاء جهراً ومن خاطبنا
بقلبه ببيان النجوى سراً فإن لكل واحد منهما إجابة منهما في الدعاء إذا
ساعده المشيئة والقضاء. ويقال: سواء منكم من أخفى ما به من الحال
إشفاقاً وغيره وإخفاء من الرقيب لئلا يطلع على سره ومن كان مغلوباً بجهر
ويبدي ما به ولا باختياره أو لأنه لا يشهد غيراً في العيان فيتكلف الكتمان أو
يكون النطق موجوداً منه وهو في ذلك مأخوذ عنه، أو يكون مستنطق بالإشراق
له على ما يبيده بل الحق سبحانه ينطقه بذلك ويجزيه فالكل منه له أصل
ومبنى وهو صاحب معنى وهو كذلك سواء في علم الله ورؤيته وسمعه
المستتر، والذي يجهر والذي يكمن والذي يظهر فالبصر للكل متفائل والعلم
للجميع شامل إلا من أسر أو جهر أو استخفى وظهر.

﴿لَمْ تُعْقِبَتْ﴾ [الآية 11] ملائكة تعتقب في حفظه والتاء للمبالغة أو لإرادة
الجماعة ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ [الآية 11] من جوانبه ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ [الآية 11]
من المضار له أو يراقبون أحواله ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بأمره وإرادته كما
قضاه أو من أجل أمر الله. وقد قرئ به.

وقال ابن عطاء: الأسباب بحفظك من أمره فإذا جاء القضاء خلى بينك
وبينه وكيف يكون محفوظاً من هو غير محفوظ من حافظه، والمحفوظ على
الحقيقة من هو محفوظ بالحافظ الحقيقي، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الكناية في قوله: ﴿لَمْ تُعْقِبَتْ﴾ [الآية 11] فهم الملائكة

77/ ب الذين تعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار ويحفظون هذا المكلف أو/ هذا العبد من أمر الله أي البلاء الذي قدره الله يحفظونهم من أمر الله وذلك أن الله سبحانه وكل لكل من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء إذا قاموا وعقلوا ولا يقف عليه كثير أحد فإذا نام العبد تحفظه الملائكة وإذا انتبه وقام ومشى وفي جميع أحواله.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ [الآية 11] من العافية والنعمة ﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الآية 11] من الأحوال السنية بالأموال الدنية ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُمْ﴾ [الآية 11] لأن خلاف مراد الله محال ﴿وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ [الآية 11] مما يلي أمرهم فيدفع السر عنهم.

قال القاسم: إذا أراد إهلاك قوم حسن في أعينهم موارد هلاكهم حتى يمشوا إليه بأرجلهم وتديرهم وهو الذي أتى بهم، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنهم إذا غيروا ما بهم من الطاعة غير الله ما بهم من منة المنة والإحسان والنعمة إذا كانوا في نقمة فغيروا ما بهم من الشكر بالعبادة فإن الله يغيّر عليهم ما من به من الأنعام والسعة فيسلبهم من ذلك ما وهبهم، وإذا كانوا في شدة فلا يغيّر ما بهم من البلية حتى يغيروا ما بأنفسهم من السكون والسكوت، وإذا أخذوا في التضرع وأظهروا العجز فيهم غير ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل. ويقال: أو غيروا ما بالسنتهم من الذكر غير الله ما بقلوبهم من الحضور فأبدلهم به النسيان والغفلة، فإذا كان عبد في بسط وتقريب وكشف بالقلب ووقت وترحيب فإن الله لا يغيّر ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب أو إخلال بحق أو إمام بذنوب. ويقال: لا يسلب ما قدره سبحانه لعبد من نعمه الظاهرة والباطنة حتى يترك ويغيّر العبد ما هو به من الشكر والحمد على النعمة فإذا قابل النعمة بالكفران وأبدل حضور القلب بالنسيان وما يطيع بيده بالعصيان أبدل الله تعالى ما به من النعمة بالحرمان والخذلان وسلب ما كان يعطيه من الإحسان، وإذا أراد الله بقوم بلاء وفتنة فما تعلقت به المشيئة يجري لا محالة.

ويقال: إذا أراد الله بقوم سوءاً وفر دواعيهم حتى يعلموا أو يختاروا ما فيه... 78/ أ بلاؤهم فيمشون إلى هلاكهم بقدمهم وفي الحقيقة يسعون بدمهم كما قيل:

إلى حتفي مشى قدمي أرى قدمي أراق دمي⁽¹⁾
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ [الآية 12] من أذية المطر ومضرته
﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 12] في إغاثته ومنفعته.

وقال ابن عطاء: خوفاً للمسافر وطمعاً للمجاور. وقيل: يخاف المطر
من يضره ويطمع فيه من ينفعه.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه كما يريهم البرق في الظاهر فيردهم بين خوف
من احتباس المطر وطمع في مجيئه كذلك يريهم البرق في أسرارهم بما يبدي
فيها من اللوائح ثم اللوامع ثم كالبرق في الضياء من الهوامع وهذه أنوار
المحاضرة ثم أنوار المكاشفة خوف من أن ينقطع ولا يبقى وطمعاً في أن
يدوم ولا يفنى فيرتقي صاحبه عن المحاضرة إلى المكاشفة ثم من المكاشفة
إلى المشاهدة ثم إلى الوجود ثم من دوام الوجود إلى تمام الجمود. ﴿وَيُشَوِّئُ
السَّحَابَ﴾ [الآية 12] الغيم المنسحب في الهواء ﴿الْقَالَ﴾ [الآية 12] جمع ثقيلة
وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أنشأت السحابة في السماء أظلم في الوقت الجو
والخلاء ولكنه يعقبه بعد ذلك ضحك الرياض وما لم تبك السماء لم يضحك
الرياض ولم تمثل الحياض كما قيل:

ومأتم في السماء يبكي والأرض من تحتها عروس
كذلك تنشأ في القلب سحابة الطلب فيحصل تردد خاطر في القلب ثم
يلوح وجه التحقيق فتضحك الروح بفنون راحات الأنس وصنوف أزهار
القرب.

﴿وَيَسِجُّ الرَّعْدُ﴾ [الآية 13] قيل: وعن ابن عباس سئل النبي ﷺ فقال: «ملك
موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب»⁽²⁾، ﴿يَحْمَدُوهُ﴾

(1) نسب هذا البيت إلى أبي الفتح البستي. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 294) رقم (3117)، والنسائي في السنن
الكبرى (5/ 336) رقم (9072)، وابن منده في التوحيد (1/ 59) رقم (44).

[الآية 13] أي معه أو متلبساً به ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الآية 13] أي من خوف الله وعظمته، وقيل من خشية الرعد وهيئته ﴿وَوُتِّسِلَ الصَّوْعِقُ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 13] فتهلكه ﴿وَهُمْ يُجْذَلُونَ فِي اللَّهِ﴾ [الآية 13] في صفاته من كمال العلم والقدرة الأزلية والتفرد بالألوهية ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ﴾ [الآية 13] المماثلة والمكابدة والمعاقبة لأعدائه. وقيل: إنه مثل في القوة والقدرة كقوله ﷻ: «فساعد الله أشد ومواساته أحد»⁽¹⁾.

78/ ب وأفاد الأستاذ: أن الصواعق في الحقيقة / هي الفترات في هذه الطريقة يصيب بها مَنْ يشاء من عباده أن يقع في الفترة ويعقل عن العثرة.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الآية 14] أي الدعاء الحق والنداء الصدق فإنه الذي يحق أن يعبد ويليق به أن يُسجد له أو يُدعى إلى عبادته دون غيره من خليقته، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجاب ومن حشر داعيه ما خاب، والحق بمعنى الثابت المستقل ضد الباطل المماطل أو الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق. قال ابن عطاء: أصدق الدعاوي دعاوي الحق فمن أجاب داعي الحق بلغه إلى الحق، ومن أجاب دواعي النفس رمي به إلى الهلاك المطلق والضلال المحقق. وقال بعضهم: داعي الحق مَنْ يدعو بالحق إلى الحق.

وقال جعفر الصادق: مَنْ دعا لنفسه فإلى نفسه دعاه وهو الكفر والضلال.

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعو العبد بلسان الخواطر في البيان فمن استمع إليها بسمع التفهم استجاب ببيان العلم وفي مقابلتها دعاوي الشيطان وهي هاتفة بالعبد بتزيين المعاصي الموجبة للعبد، فمن أصغى إليها بسمع الغفلة استجاب بصوت الغي والضلالة ومعها دواعي النفس من الجهالة وهي فائدة للعبد بزمam الحظوظ وممانعة له من قيام الحقوق فمن ركن إليها ولاحظها في جميع الباب وقع في الحجاب ومن الدواعي داعي الحق لا بواسطة ملك ولا بدلالة عقل ولا بإشارة علم ونقل.

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 136) رقم (17267).

فمن أسمع الحق ذلك استجاب لا محالة بالله الله .

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ [الآية 14] الأصنام، فحذف المفعول لإشارة المقام إليه ولدلالة قوله: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ [الآية 14] عليه ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ [الآية 14] من المطلوبات ﴿إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ﴾ [الآية 14] الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه مائلاً ﴿إِلَى الْمَاءِ﴾ [الآية 14] في بئر عميق أو مكان سحيق داعياً إياه ﴿لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ [الآية 14] ليلبغ الماء يواصله ولا يحصله فإنه جماد لا يشعر بنداؤه ولا يقدر على إجابة دعائه، وهذا تمثيل من الله لما سواه من شركائه ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الآية 14] أي ضياع وخسار ليس في الدار غيره ديار.

وأفاد / الأستاذ: إن هواجس النفس ودواعيها تدعو إلى ما في الطريقة 79/أ شرك وذلك لشهود شيء منك وحسبان أمرك وتعريج في أوطان الفرق والعمي عن حقائق معنى الجمع.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 15] من الملائكة والمؤمنين ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الآية 15] حالة الشدة والرخاء ذكرها من الكفرة والمنافقين حال البلاء والرياء.

قال جنيد: العارف طوعاً والمعرض كرهاً ﴿وَوَلَّاهُمُ﴾ [الآية 15] تبعاً لهم ﴿بِالْقُدُورِ وَالْأَصَالِ﴾ [الآية 15] في طرفي الأيام. والمراد بهما الدوام أو حال من الضلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص فيهما أظهر من غيرهما. والغدو جمع غداة وهي أول النهار، والأصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل: المراد بالسجود الانقياد لإحداث ما أراد من العباد شأؤوا أو كرهوا.

وأفاد الأستاذ: إن الكافر يسجد حالة الضرورة تواضعاً مختاراً طائعاً ولكن لما كان سجوده لطلب كشف الضر قال الله: إنه يسجد كرهاً، فعلى مقتضى هذا كل من يسجد لابتغاء عرض أو لدفع شر أو كشف محنة فهو ممن يسجد كرهاً والساجد طوعاً فهو من يسجد لأجل الأمر لا لملاحظة عوض أو انتفاء محنة وغير ذلك. ويقال: السجود على قسمين: ساجد بنفسه وساجد

بقلبه، فسجود النفس هو المعهود، وسجود القلب من حيث الوجود. وفرق بين مَنْ يكون بنفسه ساجداً وبين من يكون بقلبه واحداً، وأعزهم مَنْ جَمَعَ بين الوصفين فيكون ساجداً بنفسه وواحداً بقلبه. ويقال: الكل يسجدون لله إما من حيث الأفعال بالاختيار وإما من حيث الأحوال بنعت الانكسار والاستئثار، وسجود الأحوال من حيث الدلالة على الوجدانية وكل جزء من عين أو أثر فعلى الوجدانية شاهد وعلى هذا المعنى لله ساجد. وسجود الظلال من حيث الشهادة على قدرة الصانع واستحقاقه بصفات الجمال والجلال والكمال.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية 16] خالقهما ومتولي أمرهما وربِّي
79/ ب أهلها ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ [الآية 16] إذ لا جواب سواه ﴿قُلْ/ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾
[الآية 16] أنكرهم عما يعد من أنكرهم فإن اتخاذهم أولياء من غير مولا هم أشد
منكر صدر منهم لعدم عقلهم وقلة فكرهم ﴿لَا يَلِكُونُ لِأَسْمِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾
[الآية 16] لا يقدرّون على جلب نفع إليها ولا دفع ضرر عنها فكيف يستطيعون
شيئاً من ذلك لغيرها.

وأفاد الأستاذ: أنه التحق في المعنى بها كل مَنْ هو موسوم برقم
الحدوث من عبد الأصنام ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ [الآية 16] المشرك
الجاهل بحقيقة العبادة والعالم المحقق لطريق السعادة أو المعبود الغافل عن
أعمالكم والمعبود المطلع على أحوالكم.

وقال أبو حفص: الأعمى مَنْ يرى الله بالأشياء ولا يرى الأشياء بالله
والبصير مَنْ يكون نظره من الكون إلى المكونات.

وقال الأستاذ: أي فهما لا يستويان، والأعمى مَنْ على بصيرته غشاوة
وحجبته، والبصير مَنْ كحل الحق بصيرة سره بنور الوحدة ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي﴾
[الآية 16] وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالتأنيث أي لا تستوي ﴿أَطْلُكُنْتُ
وَالنُّورُ﴾ [الآية 16] ظلمات الشرك ونور التوحيد.

..... وأفاد الأستاذ: أن من جملة الظلمات السكون في أوطان التدبير ومن
جملة النور الخروج إلى ضياء شهود التقدير ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ﴾

[الآية 16] صفته لشركاء شريكه معها في نعت الإنكار ﴿تَشَبَّهُ الْهَلَقُ﴾ [الآية 16] أي خلق الله وخلقهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 16] على عائديهم، والمعنى أنهم ما اتخذوا شركاء له سبحانه خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولون: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها خالق العباد ولكنهم اتخذوا شركاء أعجز عن جميع الأشياء ﴿قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية 16] لا خالق غيره فيشاركه في العبادة كما هم مقرون بهذه العبارة، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: الآية 38] ويقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: الآية 3] فهذا مقول من عقول أضلها الله باريها.

وأفاد الأستاذ: إن المخاطب بعين التكلم لا يدخل في الخطاب أي في عموم الكلام، وهذا مبني على تجويز إطلاق الشيء عليه سبحانه بمعنى الموجود، وأما إذا كان بمعنى الشيء فلا مدخل له في هذا الباب والله / أعلم 80/أ بالصواب ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ [الآية 16] المتوحد بالألوهية ﴿الْقَهَّارُ﴾ [الآية 16] الغالب على كل شيء كما تقتضيه الربوبية.

وأفاد الأستاذ: أن الواحد الذي في فضله غنية عن فضل كل أحد هو المستغني عن كل أحد والقهار الذي لا يجري نفس في ملكه بخلاف حكمه.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الآية 17] من جانبها ﴿مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الآية 17] أي بمقدارها الذي قدر لها أو بقدرها في صغرها وكبرها ﴿فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا﴾ [الآية 17] رفعه وهو وسخ الغليان ﴿رَابِيًا﴾ [الآية 17] مرتفعاً عالياً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ [الآية 17] أنتم ﴿عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ [الآية 17] وتعم الغليان كالذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، ذكرها على وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه وإشعاراً باستغنائه ﴿ابْتِغَاءَ جَلِيلٍ﴾ [الآية 17] لطلب حلي بقصد الزينة ﴿أَوْ مَتَاعٍ﴾ [الآية 17] كالآنية المقصود بيان منافعها العرفية ﴿زَيْدٌ مِثْلُ﴾ [الآية 17] أي ومما توقدون عليه يحصل أوساخه مثل زبد الماء، ومن للتبويض أو الابتداء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن ضميره للناس وإضمامه للعلم به ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ﴾ [الآية 17] أي مثلهما على حذف مضاف فإنه مثل الحق في تمام إفادته

ودوام ثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة والطريق المعتدلة المستقيمة فينتفع به أنواع المنافع الدينية والدينية وبالفلذ الذي ينتفع به في صنوع الجليلة لتحصل الزينة واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم كل منهما مدة متطاولة ومثل الباطل في سرعة زواله وقلة نفعه في حاله يؤيدهما كما بينهما بقوله: ﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ [الآية 17] أي جفاء كما قرء به أي حال كونه يرمي به السيل والفلذ المذاب ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [الآية 17] كالماء الخالص وخلاصة الفلذ فيمكنك في الأرض ينتفع به أهلها ﴿فَيَمُوتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 17] أي للناس لعلهم يتذكرون وما يعقلها إلا العالمون.

قال الواسطي: خلق الله درة صافية فلاحظها بعين الجمال فذابت حباً فسالت ما صفا القلوب من وصول ذلك المطلب وضيء الأسرار من نزول ذلك المشرب. وقال أيضاً: أنزل من السماء ماء هو القرآن فاحتمل السيل 80/ ب زبدأ رأينا رؤيتك لأعمالك وصولك بها على خيراتك/ وأما الزبد فيذهب جفاء عند التوحيد وأما ما ينفع الناس وهو اليقين في معرفة الرب فيثبت في أرض القلب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبه القرآن المنزل بالماء من السماء وشبهه القلوب بالأودية وشبهه وساوس الشيطان وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء وشبهه الحق بالجواهر الصافية من الأوساخ الرديئة كالذهب والفضة والصفير وغيرها، وشبهه الباطل بخبث هذه الجواهر وإن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها فبقدرها يحتمل الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب تختلف في الإحمال على حسب الضعف والقوة، وكما أن السيل إذا حصل في الوادي يحتمل الزبد فيلقطه ويرميه فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلب نفى الوسوس والهواجس عنها، وكما أن الماء قد يصحبه ما يكدره وقد يخلص بعضه عما يشوبه فكذلك فهم القرآن في قلوب أهل الإيمان قد تحفظ به النزغات الدنية الشيطانية والخواطر الرديئة النفسانية فمن بين صاف وكدر فيظهر في نظر معتبر وكما أن الجواهر التي يتخذ منها الأواني إذا أدنيت خلس من الخبث كذلك الحق يميز بين الباطل ويبقي الحق ويضمحل الباطل

ويبقى التائب الثابت ويفني الزائل. ويقال: الأنوار إذا تلالأت في القلوب نفت آثار الظلمة، فنور اليقين ينفي ظلمة الشك ونور العلم ينفي عتمة الجهل ونور المعرفة ينفي أثر الفكرة ونور المشاهدة ينفي آثار البشرية وأنوار الجمع تنفي آثار التفرقة وعند أنوار الحقائق يتلاشى آثار حظوظ الخلائق وأنوار طلوع الشمس من حيث عرفان الآثار تبقي ظلمة الليل من حيث حسابان آثار الأغيار، ثم الجواهر الذي يتخذ منها الأواني مختلفة فمن إناء يتخذ من الذهب وآخر من الرصاص إلى غير ذلك، كذلك القلوب تختلف هنالك وفي الخبر: «إن لله أواني وهي القلوب»⁽¹⁾. فمريد قاصد ومحب واجد وعائد خائف وموحد عارف ومتعبد متكشف ومتهجد متصوَّف. وأنشدوا في معناه:

ألوانها شتى الفنون وإنما تسقى بماء/ واحد من منهل⁽²⁾ 81/أ

وقد ورد: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى﴾ [الآية 18] أي المثوبة الحسنى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ [الآية 18] من المنكرين وهو مبتدأ خبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ [الآية 18] ليتخلصوا من العقاب، ولو للتمني وهو المحال في هذا الباب ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ [الآية 18] فقد ورد من نوقش في الحساب عُدْب ﴿وَمَا أَوْفَوْهُمُ﴾ [الآية 18] مرجعهم أو مثواهم ﴿جَهَنَّمَ وَيَسَّ لِلْهَادِ﴾ [الآية 18] مستقرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنى الموعودة على الاستجابة قبول استجابتهم وذلك أجل الأشياء عنهم ولا شيء أعز على المحب من قبول محبوبه منه شيئاً ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 18] ثم ما أنفقوا غداً لا يقبل منهم ولهم سوء الحساب ثم مأواهم بدوام العذاب.

(1) تخريج أحاديث الإحياء (4/ 286) رقم (1786)، وجامع الأحاديث (9/ 221) رقم (8288).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 499).

﴿أَمْ مَنْ يَلْهَىٰ أَعْمَىٰ أَنْزَلَ إِلَيْنَا مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ [الآية 19] فيستجيب ﴿كَمْ هُوَ أَعْمَىٰ﴾ [الآية 19] عمى القلب فلا يستبصره فيستجيب، والهمز بالإنكار وقوع شبهة في تشابههما بعد حصول قرب أمثالهما ﴿إِنَّا يَذْكُرُ أَزْوَاجًا الْأَنْبِيَاءِ﴾ [الآية 19] ذوو العقول الخالصة المميزة للأشياء المختلطة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام بمعنى النفي في هذا المقام أي لا يستوي البصير والضير والمقبول بالوصلة والقربة والمردود بالغفلة والحجة والمؤهل للتقريب والمعرض للتعذيب والذي أقصيناه عن شهودنا والذي هديناه بوجودنا إنما يتعظ من العقل له موجب أدناه وتشريف دون من عقله له سبب إقصاء وتعنيف.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ [الآية 20] بما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بوحدانية ربهم ﴿وَلَا يَتَّقُونَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [الآية 20] بما وثقوه من الموائيق الكائنة بينهم وبين الله وبين عباده فهو تفهيم وللكمال تميم. قال بعضهم: الموفون بعهدهم القائمون بشرط العبودية من اتباع الأوامر الشرعية.

وقال ابن عطاء: أي الميثاق الأول في قولهم بلى بأنه لا رب لهم غيره تعالى فلا يخافون غيره ولا يرجون سواه ولا يسكنون إلا إليه ولا يعتمدون إلا عليه.

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الآية 21] من الرحم وموالاته 81/ ب المؤمنين والإيمان بجميع النبيين ومراعاة/ حقوق المسلمين. قيل: هم المتحابون في ذات الله، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أي الذين يصلون أنفاسهم بعضها ببعض فلا يتخللهم نفس لغير الله ولا في شهود غير الله. ويقال: يسرون بسراهم في إقامة العبودية والتبري من الحلول والقوة ويخشون ربهم خشية تعظيم ومهابة.

وقال الأستاذ: الخشية لجام يقف المؤمن عن الركض ميادين الهوى وزمام يجره إلى استدامة حكم التقوى ويخافون سوء الحساب من المناقشة في

المحاسبة الموجبة للعقوبة فيحاسبون أنفسهم قبل القيامة .

وقال الأستاذ: هو أن يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون .

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 22] على الطاعة وعن المعصية في المصيبة ﴿أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] طلباً لرضاه لا لرضى سواه .

قال أبو عثمان: صبروا على المناهي لا لخوف النار بل لسبب النهي من عظمة الناهي .

وأفاد الأستاذ: أن الصبر يختلف باختلاف الأعراض التي لأجلها يصبر الصابر، فالعباد يصبرون لخوف العقوبة، والزهاد يصبرون طمعاً للمثوبة، وأصحاب الإرادة هم الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وشرط هذا النوع من الصبر رفض ما يمنع من الوصول واستدامة التقوي عن كل حصول فيدخل فيه ترك الشهوات والتجرد عن جميع الشواغل والعلاقات فيصبر على القلة والذلة وعن كل شيء يُغفل عن الوصلة. ومما يجب عليهم الصبر عليه هو الوقوف على حكم تقدير الحق فإنه سبحانه يفضل على الكافة من المحتملين وينفرد خصوصاً على المريدين فيمتحنهم بالصبر في أيام إرادتهم فإذا صدقوا في صبرهم جاد بتحقيق ما طلبوا عليهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 22] التي هي أم العبادات البدنية ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الآية 22] وهو أصل الطاعات المالية ﴿سِرًّا﴾ [الآية 22] لمن يعرف بالمال ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 22] لمن عرف بعين الحال أو بحسب ما اتفق لهم وما يليق بالمنفق عليهم .

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم والعباد ينفقون أنفسهم فيحملون نفوسهم فنون الاجتهاد ويصبرون على أداء الفرائض وقضاء الأوراد، والمريدون ينفقون قلوبهم فيتجرعون / كاسات الصبر والصبر كاسه أي المر إلى أن يلوح علم من الإقبال عليهم، وأما المحبون فينفقون أرواحهم وهي كما قيل:

ألست لي خلفاً مني كفى شرفاً فما وراءك لي قصد ومطلوب⁽¹⁾

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/4) .

﴿وَيَذَرُوهَا بِالْحُسْنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ [الآية 22] أي يدفعونها بها فيجازون الإساءة بضدها أو يدفعون بالطاعة والتوبة المعصية فيمحوها.

وأفاد الأستاذ: أنهم يعاشرون الخلق يبذلون الإنصاف ولا يطلبون الانتصاف إن عاملهم أحد بالجفاء قابله بالوفاء وإن أذنب قوم إليهم اعتذروا عنهم، وإن مرضوا عادوهم، كما قيل:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر⁽¹⁾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقَبَى الدَّارِ﴾ [الآية 22] عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها إلى العقبي وهي الجنة المأوى.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الآية 23] أي بساتين يقيمون فيها ولا يبغون حولاً عنها ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ [الآية 23] أي يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لمكانتهم وتعظيماً لشأنهم وزيادة لأنفسهم في دخول الجنة لما بينهم من القرابة وحصول الوصلة والقربة، وفيه دلالة على أن الدرجة تعلق بالشفاعة وفي التقييد بالصلاح إشارة إلى عدم منفعة مجرد الأنساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يكمل النعمة عليهم بأن يجمع بينهم وبين من يحبون صحبتته من أقاربهم وأزواجهم، والخبر ورد بقوله: «المرء مع من أحب»⁽²⁾ فمن كان محبوبه أمثاله وأقاربه حُشر معهم ومن كان اليوم بقلبه مع الله فهو غداً مع الله»، وفي الخبر: «أنا جليس من ذكرني»⁽³⁾ فهذا في العاجل وأما في الآجل ففي الخبر: «الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة»⁽⁴⁾.

(1) نسب إلى الشاعر المؤمل بن أميل. انظر المنتحل للثعالبي (25/1)، والطف واللطائف (17/1).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (165/2640).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/451) رقم (680)، وابن أبي شيبة في المصنف (108/1) رقم (1224).

(4) أورده القشيري في تفسيره (5/4).

﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ [الآية 23] من أبواب الفرقان أو أبواب التحفات قائلين: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 24] بشارة بدوام السلامة وتمام الكرامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الآية 24] من غير الأغيار.

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ [الآية 25] أوثقوه به من القبول والإقرار نقض العهد. وقال بعضهم: هو لزوم التدبير والاختيار وترك التفويض والتسليم والانكسار بعد أن أخبرك أن ليس/ لك من الأمر شيء.

82/ب

وأفاد الأستاذ: أن من كفر بعد إيمانه نقض عهد الإسلام في الظواهر ومن رجع إلى أحكام العادة بعد سلوك طريق الإرادة فقد نقض عهده في السرائر فالمرتد جهرأ عقوبته قطع رأسه والمرتد سرأ عقوبته قطع سره. ويقال: نقض العهد هو الاستعانة بالأغيار. ويقال: هو الرجوع إلى الاختيار والتدبير بعد شهود الأقدار وملاحظة التقدير. ويقال: هو أن يقول بترك نفسه ثم يعود إلى ما قال بتركه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الآية 25] أي بوصله من صلاح العباد ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 25] بأنواع الفساد في البلاد والله لا يحب الفساد ﴿أُولَئِكَ هُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [الآية 25] الطرد والإبعاد ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الآية 25] أي دار البوار.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 26] يوسعه من فضله ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 26] يضيقه له أو لغيره من عدله أو لأجل حكمة في حكمه كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُعَادُونَكَ خَيْرًا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: الآية 30].

قال الأستاذ: يبسط الرزق للأغنياء ويطالبهم بالشكر ويضيق على الفقراء ويطالبهم بالصبر، ثم وعد الزيادة للساكرين والمعية للصابرين ﴿وَفَرِحُوا﴾ [الآية 26] أي الكفار والفجار ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 26] بما بسط لهم من الجاه والمال وغفلوا عن تقييح الحال في المآل.

قال الأستاذ: فرح الأغنياء بزكاة أموالهم وفرح الفقراء بضعف أحوالهم ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية 26] في جنب حياة العقبى ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ [الآية 26] إلا

منفعة لا يدوم لها انتفاع كعجالة الماشي وزاد الراعي.

قال الأستاذ: فأموال الأغنياء وإن كثرت قليلة بالإضافة إلى ما وعدهم من جود أفضاله، وأحوال الفقراء وإن صعبت قليلة بالنسبة إلى ما وعدهم من شهود جماله وجلاله.

﴿وَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ [الآية 27] لعدم اعتبارهم بما نزل من قبله ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الآية 27] باقتراح الآيات بعد افتضاح المعجزات ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الآية 27] أقبل عليه بقلبه وتاب. قال جعفر: يضل عن إدراكه ووجوده عن قصده بنفسه ويهدي إلى حقائقه من طلبه به.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 28] أي المهتدون هم الذين صدقوا أو أيقنوا ﴿وَنَطْمِنُ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الآية 28] بكلام ربهم أو بمطلق ذكر أنسابه أو بذكر رحمته بعد/ ذكر خشيته أو بذكر أدلته الدالة على وجوده ووحدانيته ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ نَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾ [الآية 28] أي تسكن به وتميل إليه ولا تميل عنه.

وقال الأستاذ: قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله ففي الذكر وجدوا سكونهم وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم، وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله لهم فذكرهم الله بلفظه وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم. ويقال: إذا ذكروا أن الله ذكرهم استراح قلوبهم واستبشرت أرواحهم واستأنست أسرارهم فإذا كان عبد لا يطمئن قلبه بذكر ربه فلخلل في قلبه ولأن قلبه بين القلوب الصحيحة قلب. قلت: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: الآية 37] أي قلب سليم كما في قصة إبراهيم، أي سالم عن غير حب الرب.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ﴾ [الآية 29] أي حالة طيبة في الدنيا ﴿وَحَسَنُ مَتَابٍ﴾ [الآية 29] منزلة حسنة في العقبى.

— قال الحريري: طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة من عمره وزجج بقلبه إلى ربه في جميع دهره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: طابت أوقاتهم فطابت أنفاسهم وحالاتهم. ويقال: طوبى لمن قال له الحق طوبى له، ويقال: طوبى لهم في الحال ولهم حسن مآب في المآل.

﴿كَذَلِكَ﴾ [الآية 30] مثل إرسال الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ [الآية 30] جماعة مجتمعة أو معدودة مقصودة ﴿فَدَخَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ [الآية 30] طوائف مختلفة متعددة أرسلوا إليهم فليس يدع إرسالك إلى أمتك ﴿لِتَتَّقُوا﴾ [الآية 30] لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الآية 30] أي الكتاب الذي أنزلناه عليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ [الآية 30] الذي علّم القرآن فلم يعرفوا برحمته ولم يشكروا نعمته ﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 30] أي الرحمن ﴿رَبِّي﴾ [الآية 30] خالقي ومتولي أمري ومربي حالي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 30] لا مستحق للعبادة غيره ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 30] لا على من سواه ﴿وَالِيَهُ مَتَابٌ﴾ [الآية 30] مرجعي في المآب أو رجوعي في كل باب.

وقال الأستاذ: أي إن كفروا بنا فآمن أنت فإنك أنت المقصود من البرية بحسن الإقبال عليه وجميل النظر إليه، كما قيل في هذا المعنى:

وكننت أطالب الدنيا بحر فأنت الحر وانقطع الكلام⁽¹⁾

/ ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الآية 31] عند قراءته ﴿شَرَّتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ [الآية 31] 83/ ب حركت به عن مقارها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ [الآية 31] تصدعت من خشية ربها ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ [الآية 31] فتقرأ أفتسمعه وتجب لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في البيان مع الإيجاز أو لما آمنوا به كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا زُلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكُوتَ﴾ [الأنعام: الآية 111]، ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الآية 31] أي بل له القدرة على كل شيء شاءه.

وقال الأستاذ: ولو كان شيء من المخلوقات يظهر بغيرنا في الإيجاد لكان يحصل بهذا القرآن ولكن المنشئ الله والخير والشر جملته من الله

(1) نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني. انظر يتيمة الدهر (2/ 51)، وقرى الضيف (4/ 249) وفي تفسير القشيري (فكنت الحب) بدل (فأنت الحر).

والأمر لله فإذا لم يكن شيء من الحدثن بالقرآن والقرآن كلام الرحمن فكيف يكون مظنة وذرة من النفي والإثبات لمخلوق، كلا إن ذلك محال.

﴿أَفَلَمْ يَأْتِئِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الآية 31] من إيمانهم مع ما رأوا من شدة طغيانهم علماً منهم ﴿أَنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الآية 31] إلى طريق إيقانهم، أو معناه أفلم يعلم كما هو قول أكثر المفسرين لما روي أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: أفلم يتبين، أي إن لم يظهر لهم أن نفي هداية بعضهم لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم.

وقال الأستاذ: أفلم يياسوا من إيمانهم وقد علموا أنه من يهده الحق فهو المهتدي ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ [الآية 31] من المعصية ﴿فَارْعُهُ﴾ [الآية 31] داعية تفرعهم ﴿أَوْ تَحُلْ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الآية 31] فيقلقون منها ويضطربون بها حيث لا محيص لهم عنها ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ [الآية 31] القيامة الصغرى أو الطامة الكبرى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ ءَلِيمَكَذًا﴾ [الآية 31] أي وعده ووعيده لا في المبدأ ولا في المعاد لامتناع الخلف في إخبارهم برب العباد.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم كفرهم لا يزال واصلًا إليهم ولوم فعلهم دائماً لاحق بهم ونازل عليهم.

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 32] فيه تسلية لنبية النبيه وتنبيه على وعيد من وقع فيه ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 32] أي فأمهلتهم لكن ما أمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ [الآية 32] أي عذبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 32] أي عقابي إياهم، وفيه تعجيب لحسن وقوع التعذيب.

﴿أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ﴾ [الآية 33] رقيب دائم ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية 33] 84/أ من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم/ وأحوالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم. ---

قال جنيد: بالله قامت الأشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن

وباستتاره قبحت ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ [الآية 33] الأظهر أنه عطف على الخبر المقدر أي أضمن بهذه الصفة لم يوحده وجعلوا له شركاء آلهة عبدوها مع أنها ليس لها إلا مجرد شركة الأسماء لا حقيقة لمسمياتها ولجعلهم إياها شركاء معبودين تركوا منزلة العاقلين في قوله سبحانه: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الآية 33] بأي اسم شتم وبأي صفة ذكرتهم فإنهم لا يستحقون العبادة ولا يستأهلون الشركة فإنهم أحقر من ذلك وأخس من أن يذكروا هنالك فأرني أي تأثير منهم وأي نفع لكم فيهم وأي ضرر يتصور منهم ﴿أَمْ تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية 33] بل تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية 33] من شركاء يستحقون العبادة أو من صفات لم يستوجبونها لها وهو العالم بالكائنات علويها وسفليها وكليها وجزئها.

وقال الأستاذ: أتقولون ما لم يعلم الله بخلافه ﴿أَمْ يَظْهَرُ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الآية 33] أي أم تسمونهم شركاء بظاهر من المبني من غير ملاحظة إلى حقيقة المعنى كتسمية الزنجي كافوراً وهذا احتيال بليغ على أسلوب عجيب في غاية من الإيجاز ينادي على نفسه بالإعجاز ﴿بَلْ رَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ [الآية 33] فلم يلتفتوا إلى الدليل ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ [الآية 33] أي منعوا عن سبيل الحق وطريق الصدق. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الصاد أي منعوا أنفسهم أو غيرهم عن الإيمان الذي يوجب خيرهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ﴾ [الآية 33] يود وقوع ضلالته ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 33] أحد يقدر على هدايته. قال بعضهم: زين الله طرق الهلاك في عين من قدر عليه الإهلاك فيراه رشداً ليوصله إلى المقضي عليه هنالك.

وقال أبو يزيد: اجتنب مكر النفس وانتبه له فإنه أخفى من كل خافية وهو أهلك كل من هلك.

وقال الأستاذ: صاروا مصروفين عن الحق مسدودة عليهم الطرق فإن من أضله حكماً لا يهديه أحد قطعاً.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الآية 34] بالقتل والأسر ونحوه ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الآية 34] لشدته ودوامه ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ [الآية 34] أي عقوبته

﴿مِنْ وَاقٍ﴾ [الآية 34] مانع ولا دافع ولو في بعض مدته.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 35] صفة الجنة التي وعد المتقون بها مبتدأ خبره ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الآية 35] وهو تمثيل لما غاب بما شاهدنا بالمشاركة الاسمية لا بحقيقة المسماة في الكمية والكيفية لما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»⁽¹⁾. ﴿أَكُلُوا دَائِمًا﴾ [الآية 35] لا ينقطع ثمرها ﴿وَوُظِّلْهَا﴾ [الآية 35] كذلك أثرها كما بينها بقوله: ﴿وَوُظِّلَ مَمْدُودٌ﴾ ﴿وَمَأْوَى مَسْكُوبٍ﴾ ﴿وَفَكَهْمٌ كَثِيرٌ﴾ ﴿لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ﴾ [الآية 33، 30، 33].

وقال الأستاذ: أي صفة الجنة التي وعد المتقون هي أنها جنة تدوم اللذات فيها متصلة وأنها جنتان معجلة ومؤجلة، فالمؤجلة ما ذكره الله سبحانه في نص القرآن، والمعلقة جنة الوقت بالجنان فالراحات من حيث البسط فيها متصلة ونفحات الأنس لأربابها بالسر دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 35] الجنة الموصوفة ﴿عُفُوقِ الَّذِينَ أَتَقَوْا﴾ [الآية 35] مآلهم الذي يتم به آمالهم ﴿وَعُفُوقِ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الآية 35] وهي أولى لهم، وفي ترتيب الجملتين إيماء إلى أحوال الفرقتين من أطماع المتقين وإقنات الكافرين.

﴿وَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَلْكِتَابُ﴾ [الآية 36] كابن سلام من علماء اليهود وأمثاله من الأصحاب ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 36] لصدق يقينهم بما رأوا من نعتك في كتبهم ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ [الآية 36] أي وبعض كفرة أهل الكتاب ممن هو وراء الحجاب ﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾ [الآية 36] بعض المنزل عليك وهو ما لا يوافق ما حرفوه من التوراة أو ما يخالف شرائعهم المختصة ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ أَنْ أَعِدَّ اللَّهُ﴾ [الآية 36] وحده ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾ [الآية 36] غيره ﴿إِلَيْهِ﴾ [الآية 36] لا إلى غيره ﴿أَدْعُوا﴾ [الآية 36] غيري ﴿وَالِلَّهِ مَتَابِ﴾ [الآية 36] مرجعي أو رجوع أمري وهذا مما اتفق عليه الرسل من قبلي.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/4).

وأفاد الأستاذ: أن العبودية هي المبادرة إلى ما أمرت به والمجازاة عن ما زجرت عنه ثم التبري عن الحول والمنة والتفرد للاعتراف بالطول والمنة. وأصل العبودية القيام / بالوظائف ثم الاستقامة عند لوح اللطائف.

أ/85

﴿وَكَذَلِكَ﴾ [الآية 37] أي مثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الأعمال ﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ [الآية 37] أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 37] يحكم في القضايا والأحكام بما تقتضيه الحكمة بحسب اختلاف الأنام ﴿وَلَكِنْ أَتَّبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الآية 37] التي يدعونك إليها ويحضرونك عليها ﴿بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية 37] بدأهم ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ [الآية 37] يدفع العقاب ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ [الآية 37] يرفع الحجاب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ [الآية 38] بشراً مثلك لا من جنس الملك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الآية 38] نساء وأولاداً كما هي لك فلم يك ذلك قادحاً في صحة رسالتهم ولا تلك العلاقات كانت شيئاً غلة لهم عن عبادتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتغل بالله فكثرة العيال وتراكم الأشغال لا يؤثر في حاله ولا يضره بنقص كماله وبضعف الأحوال يتأثر بكثرة الاشتغال لا يؤثر في حاله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 38] وما صحَّ له ولم يكن في وسعه ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِكَافِرٍ﴾ [الآية 38] بمعجزة تقترح عليه أو بحكم يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الآية 38] بمشيئته وأمره ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الآية 38] لكل وقت حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه اصطلاحهم عن الفساد.

وقال الصادق: للرؤية. وقال ابن عطاء: لكل علم بيان ولكل بيان لسان ولكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة ولكل طريقة أهل فمن لم يميز بين الأحوال فليس له أن يتكلم في مقامات الرجال.

وقال الأستاذ: لكل شيء أجل وهو وقت قسم له وكل أجل مثبت في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ لأنه لا تفاوت في علمه ولا افتتان لأحد على حكمه.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [الآية 39] ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ [الآية 39] ما تقتضيه حكمته وحكمه أو يمحو أسباب التأويل عن ديوان عمله بمقتضى عدله ويثبت الحسنات مكانها من فضله. وقيل: يمحو قوماً ويثبت قوماً. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: يثبت بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الآية 39] وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه. وعن ابن عباس: يمحو ما يشاء إلا الشقاوة والسعادة والحياة والممات⁽¹⁾.
 85/ ب وعن كثير من السلف كعمر وابن/ مسعود وغيرهم: أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللهم إن كنت كتبنا أشقياء فامحه وكتبنا سعداء وإن كنت كتبنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب⁽²⁾. فالمراد بأم الكتاب هو علم الله تعالى عن التغيير والتحويل في جميع الأبواب.

وقال سهل: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الآية 39] من الأسباب ويثبت الأقدار. وقال الواسطي: منهم من أخذ بهم الحق بلطفه ومحاهم عن نفوسهم بنفسه.

وأفاد الأستاذ: أن صفات ذات الحق سبحانه من كلامه وعلمه وقوله وحكمه لا تدخل تحت المحو والإثبات، وإنما المحو والإثبات من صفات فعله، فالمحو يرجع إلى الإعدام والإثبات إلى الإيجاد وإذا تقدّر هذا الحال فللمقال في تفصيل المحو والإثبات مجاله فيقال: يمحو من قلوب الزهاد حب الدنيا ويثبت بدله في قلوبهم حب الأخرى، ويمحو عن قلوب العارفين اختيار الحظوظ ويثبت بدلها إثبات الحقوق، ويمحو عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدله شهود الحق، ويمحو إثبات البشرية ويثبت أنوار الأحدية. ويقال: يمحو العبد فلا يجري عليه حكم التقدير ويكون محوً تحت جريان أحكام التقدير. ويقال: يمحو أنس وقت كان أصفى من اللآلئ ويثبت أياماً هي أشد من

(1) تفسير الطبري (410/12).

(2) تفسير الطبري (481/16) وتفسير ابن كثير (469/4).

الليالي . ويقال : يمحووا العارفين بكشف جلاله ويشتهم في وقت بلطف جماله .

﴿إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 40] قبل أن نعذبهم، والمعنى كيف ما دارت الحال سواء أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قبل ما عذبناهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ﴾ [الآية 40] التبليغ البليغ فقط ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الآية 40] للجزاء والعقاب لا عليك شيء من هذا الباب فلا تحتفل بحجابههم ولا تستعجل بعذابهم فإنه كائن لا محالة ولا شبهة في هذه المقالة .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نفى عنه الاستعجال أمراً وحقق في قلبه أنه يوشك أن يجعل الموعود جهراً .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ [الآية 41] أرض الكفرة ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ 86/أ [الآية 41] بما نفتحه على المسلمين من أماكنها . وقيل: المراد بالأرض معمورتها وأخذها بنقص طرفها ونفحها من أرض معرفتها ولذا قيل: موت العالم فوت العالم .

وقال محمد بن علي: تخرب الأرض بذهاب أهل الولاية من بينهم فلا يكون لهم مرجع إلى ولي في نوائبهم ومحنهم فيتواتر عليهم النائبات وتتابع المصيبات فلا يكون فيهم من يكشف الله بدعائه عنهم فيخرب الكائنات .

وأفاد الأستاذ: أن الآية قرأت عند أهل التفسير بموت العلماء ، وفي كلام أهل المعرفة والتأويل بفوت الأولياء الذين إذا أصاب الناس بلاء ومحنة فزعوا إليهم فيدعون ربهم فيكشف البلاء عنهم . ويقال: هو ذهاب أهل المعرفة حتى إذا جاء مسترشد في طريق الله لم يجد من يهديه إلى الله . ويقال: ننقصها من أطرافها بخراب البلدان . قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: الآية 26] فمعوود الحق خراب العالم وفناء أهله من بني آدم ووعدته حق لأن كلامه صدق .

﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الآية 41] لا مطيل له يرده ولا بتغييره،

والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفرة بالإدبار والاضمحلال وذلك كائن لا يمكن تغييره لا في الحال ولا في الاستقبال ﴿سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ [الآية 41] في جزاء الأعمال على حسب الأحوال.

قال ابن عطاء: أحكام الحق ماضية على الخلق في ما ساء وسر ونفع وضر وضرّ وهدى، زاد الأستاذ: فلا ناقض لما أبرمه ولا مبرم لما نقضه ولا قابل لما رده ولا رادّ لمن قبله ولا معزّ لمن أهانه وأذله ولا مدلّ لمن أعزّه وأذله وهو سريع الحساب في الدنيا لأن أولياؤه إذا ألّوا بمحظور أو هموا بمزجور عوتبوا في الوقت وطولبوا حسن الرجعى خوفاً من المقت.

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 42] بأنبيائهم والمؤمنين من علمائهم ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسِعَعِلَهُ الْكُفْرُ لِمَنْ عَقِيَ الدَّارِ﴾ [الآية 42] إذ لا يوجد مكر عند مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره فيعاملهم به ويجازيهم عليه.

86/ب قال الحسين: لا مكر أبين من مكر الله لعباده حيث أوهمهم أن/ لهم سبيل وصول إليه.

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم إظهار الموافقة مع أشرار كفرهم ومكر الله تعالى بهم توهمهم أنهم محسنون في أعمالهم وحسانهم أن بهم شيئاً من أحوالهم وظنهم أنه لا يلحق بهم مكرهم وتخليته إياهم مع مكرهم من أعظم مكره بهم.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية 43] من المشركين أو اليهود ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الآية 43] من الحق إلى الخلق ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 43] فإنه أظهر من الآيات الدالة على كوني من أهل الرسالة ما ينفي عن شاهد بين حالي وحالكم من الهداية والضلالة ﴿وَمَنْ عِنْدُ عِلْمٍ الْكِتَابِ﴾ [الآية 43] علم القرآن وما اشتمل عليه من بيان البرهان على وجه أعجز جميع أفراد الإنسان أو علمهم التوراة وهو ابن سلام وأخبر به فإنهم يشهدون بما شاهدوا في كتابهم

من نعت محمد ﷺ وصفة كتابة وأحوال المؤمنين من أصحابه كما وقع هذا الشرح في آخر سورة الفتح.

وقال سهل: علم الكتاب عزيز والعمل بعلمه أعزّ والعمل عزيز والإخلاص في العمل أعزّ والإخلاص عزيز والمشاهدة في الإخلاص أعزّ والمشاهدة عزيز والواقعة في المشاهدة أعزّ والموافقة عزيز والأنس في الموافقة أعزّ والأنس عزيز وآداب محل الأنس أعزّ.

فهرس المحتويات

3 سورة الأنعام
101 سورة الأعراف
226 سورة الأنفال
277 سورة [التوبة] براءة
359 سورة يونس عليه السلام
414 سورة هود عليه السلام
468 سورة يوسف عليه السلام
527 سورة الرعد

